

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد الأول

دار طائر

بيروت

کتاب الہامی

1

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

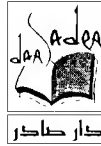
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isfahānī)

ISBN 9953-13-045-0

مقدمة التحقيق

أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني

1 - أبو الفرج :

1 - توطئة موجزة

كان ليحيى بن أكرم قاضي قضاة المأمون مجلس يجتمع إليه فيه أهل العلم ، وكان ممن يرتاد هذا المجلس إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فكان إسحاق - وصنعتة التي عرف بها هي الغناء - يناظر أهل الكلام ، ويتكلم في الفقه ، فإذا تحوّل الموضوع إلى الشعر خاض في الشعر واللغة ، وهو في كل ذلك يتفوّق على محاوريه في كل موضوع . كان عصرًا يفسح المجال للمتقّف الطموح أن يتعمّق في أكثر العلوم ، إذا وهب القدرة على ذلك ، مع اشتغاله بالتخصّص في اتجاه واحد . ومن عرف مؤلّفات إسحاق الموصلي الكثيرة¹ استطاع أن يدرك ماذا كان يطمح إليه أبو الفرج عندما ألّف كتاب الأغاني . كان ذلك عصر التحديّ ، فيه نشأ أبو حيان التوحّيدي وابن النديم صاحب الفهرست ، وعشرات آخرون في شتى حقول المعرفة ، وفيه كانت دكاكين الوراقين ببغداد ، فيما أحسب ، أكثر من دكاكين البقالين وباعة الخضار والفواكه . وفي ذلك العصر نشأ أبو الفرج علي بن الحسين بن . . . إلخ ، الذي يرتفع نسبه إلى مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ، وهذا هو الثابت في نسبه ، وإن كان صاحب الفهرست (1971 ص : 127-128) قد عدّه من ولد هشام بن عبد الملك . ولكن هذا سهو ، وإن كان لا ينفي نسبته إلى المروانيين ، ولعلّ تدخل النسب وتشابكه بين أبناء العمومة هو الذي أدّى إلى هذا السهو ؛ فهو إذن عربي قرشي وإن حمل النسبة إلى أصفهان (بكسر الألف دائماً في النطق الحديث فقط ، وإن كان فتحها جائزاً فيما مضى) .

2 - متى ولد علي بن الحسين ؟

أكثر المصادر التي ترجمت لأبي الفرج تذكر أنّه ولد عام 897/284 وسكت عن ذكر

1 من هذه المؤلّفات على سبيل التمثيل لا الحصر : كتاب أغاني معبد . أخبار عزة الميلاء . أخبار حماد عجرد . أخبار ذي الرمة . أخبار طويس . أخبار المغنين المكيين . أخبار ابن مسجح . أخبار الدلال . أخبار ابن عائشة . أخبار الأبرج . كتاب قيان الحجاز . كتاب النغم والإيقاع . أخبار حسّان . أخبار الأصوص . أخبار جميل . أخبار نصيب . أخبار كثير ، إلى كتب أخرى كثيرة ، ممّا يدلّ على أنّ أبا الفرج وجد لديه مصادر جاهزة . ولغير إسحاق بن إبراهيم في هذا السياق مؤلّفات أخرى كثيرة . (معجم الأدباء لياقوت 2 : 615 نقلاً عن الأغاني وغيره) .

سنة مولده صاحب الفهرست والخطيب البغدادي وياقوت الحموي ولهذا السكوت معناه ، أي أن الذين ذكروه هم المؤلفون المتأخرون نسبياً ، فمن أين جاءوا بهذا التاريخ وما هو المصدر المعتمد لديهم في هذه المسألة ؟ هذا ما أعياني التوصل إليه . أما تاريخ وفاته . فسأحدث عنه في آخر الحديث عن سيرته ، بعون الله .

3 - النسبة إلى إصفهان

يقول الثعالبي (التيمة 3 : 114-118 ط . القاهرة) ، «الأصفهاني الأصل ، البغدادي المنشأ» ، ويبدو أن أكثر من ترجموا له أخذوا بهذا القول ، فعُدّوه أصفهانيّ المولد . غير أن بعض الباحثين المعاصرين يشكُّ في أن تكون أصفهان مسقط رأسه ، ربّما لأن ابن النديم سَمَّاه «أبو الفرج ابن الأصفهاني» ، وهذا أقرب إلى المعقول ، يعني أن أباه كان يعرف بالأصفهانيّ ، فلمّا اختار أن يعيش في بغداد عرفه الناس باسم «الأصفهاني» (تخففاً من قولهم ابن الأصفهانيّ) .

4 - تشيع أبي الفرج

على الرغم من انتساب أبي الفرج إلى بني أمية ، فقد كان شيعياً ، وهو موقف يلفت النظر لأوّل وهلة . ترى هل كان للنشأة الأصفهانية أثر في ذلك ؟ أو هل كان تشييعه مجاراة لنوع من السيادة الشيعية في عصر بني بويه ؟ لعله بالانتماء إلى هذا المذهب أحبّ أن يعرفه الناس «محايداً» ، فلا هو أموي ولا هو عباسي ، وإنّما هو علويّ الهوى ، يتشيع لعلّ وآله ، ويؤلف في أخبار من قتل منهم كتاباً كاملاً سَمَّاه «مقاتل الطالبين» . وهو كتاب يدين بسرده لأخبار العلويين ومصارعهم ، كلاً من الأمويين والعباسيين على حدّ سواء ، بل إنه يُبرز أن من قتل منهم على أيدي العباسيين كان أكثر بكثير ممّن قتل في أيام الأمويين .

5 - المرحلة البغدادية

لا نعرف متى غادر أبو الفرج أصفهان إلى بغداد ، ولكنّا نستطيع أن نقدّر أن جاذبية بغداد كانت أقوى من أن يقاومها شاب طموح ، يعرف أنّها كعبة العلم والفنّ والحضارة من جميع النواحي ، فالعلم ، هكذا دون تحديد ، كان غاية أبي الفرج¹ الأولى من هذه الرحلة . فكان في أوّل من لقي علماء الحديث ، ومن أشهر من لقيهم مطين والقتات (محمد بن جعفر) والرزاز (علي بن أحمد) . ولكن المدينة الكبيرة بما فيها من متع متنوعة وحياة صاخبة أخذت تصرف هذا الإصفهاني الناشئ عن هذا الاتجاه ، وساعدها على ذلك ميول متأصلة في نفس الفتى إلى خوض تجربة الحياة بكلّ أبعادها ، فوجد نفسه مقبلاً على حفظ الشعر والأغاني

1 من هذا الكتاب طبعة بتحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة ، 1949 م .

والأخبار والآثار والأنساب ، بل إنه لم يقف عند هذا الحد إذ رأى أنَّ الثقافة التي تحوّل إليها لا بدَّ لها من معرفة اللغة والنحو والسير والمغازي ، وأضاف إلى ذلك كلّ «الخرافات» . ولم تكن هذه المعارف التي اتّجه إليها ، أو أكثرها ، بحاجة إلى توثيق كثير ، ومحكمة مصادرها ، ونقد الواهن منها ، كما كان يتطلب علم الحديث .

ولعلّه كان يهتّىء نفسه ليكون نديماً يسلي مناديه ، أيّاً كانت منزلتهم ، بما يورده على مسامعهم من أخبار وحكايات ونوادر وما يتمثل به من شعر . وكان حفظه للشعر العربي الذي ينتمي إلى مختلف الحقب حتى عصره ، هو الذي هيا له أن يصبح شاعراً ، وقد أورد له النعاليّ (وعنه ياقوت وغيره) عدداً من القصائد والمقطعات في المدح وبخاصة في مدح الوزير أبي محمد المهلبّي الذي أصبح راعياً له ، وكان صديقاً له قبل عهد الوزارة ، واستمرت تلك الصداقة بعدها . وله مقطعات في وصف الخمر ، وفي الهجاء المقذع ، حتى في هجاء المهلبّي صديقه وراعيه ، وحتى كان الناس يتّقونه ويخشون لسانه .

ومن العجيب أن يتّخذ الوزير المهلبّي نديماً على الرغم من ميل الوزير إلى التنطس والتنوق في شؤون الشراب والطعام ، وفقدان أبي الفرج لهذه الخلال ، إذ كان أبو الفرج لا يأنف من القذارة ، ومن إهمال التنظف في ملبسه وغيره ، وافتقاره إلى آداب المائدة . وقد أثبتت الأيام أن أبا الفرج كان يعاني حساسية تجاه الحمص ، فإذا أكل شيئاً منه ، أو شرب مرقاً فيه آثار حمص عمّ بدنه «شري» يجبره على أن يستشير الأطباء للتخلص من تلك الحساسية ، ولكنّ الأطباء لم ينجحوا في معالجته .

وكان أبو الفرج أكلواً نهماً ، فإذا أحسّ بثقل الطعام في معدته تناول كمية قليلة من الفلفل المدقوق كأنه يعتقد أن ذلك يساعد في الهضم .

وذكر ياقوت أن أبا الفرج كان كاتباً لركن الدولة البويهّي وأنّه كان مكيناً عنده ، ولكنّ هذا وهم من ياقوت ، في ما يبدو ، إذ كان لركن الدولة كاتب كنيته أبو الفرج فظّنه ياقوت أبا الفرج الأصفهاني . غير أنّ مصدر هذا الخبر هو كتاب «أخلاق الوزيرين» لأبي حيان التوحيدي (ص : 421) واسم وزير ركن الدولة فيه أبو الفرج حمد بن محمد الكاتب (معجم الأدباء : 4 : 1713) .

وهيأت بغداد لأبي الفرج ، إلى جانب لقاء العلماء ، ارتياد دور اللّهُو والحانات والمُنْتَزَهِات ، وبخاصة الأديرة ، والاستماع إلى المغنين والمغنيات والملحنين ، والتعرّف إلى مختلف ما تهيه المدينة الكبيرة من متع التسلية ، والتردد إلى سوق الورّاقين ، وشراء ما يصدر من كتب جديدة ، وحضور مناداة الدلائل على الكتب ، والأثاث ، وغير ذلك من مختلف الأدوات والمعروضات .

وعلى الرغم من جاذبية بغداد ، فإنَّ أبا الفرج كان يحبُّ الرحلة والتطواف ، في مدن العراق الأخرى وفي خارج العراق ، ولكنَّه لم يكن يغادر بغداد إلَّا ليرجع إليها ، وينعم بما فيها من ضروب الجمال ، الطبيعيِّ والإنساني ، فحيناً نراه في جامع الرصافة ، وحيناً آخر في نزهة إلى دير الثعالب (أدب الغرباء : 34-36) وهذا الدير بالجانب الغربي من بغداد بالموضع الذي كان يعرف بباب الحديد ، وأهل بغداد يقصدونه ويتنزّهون فيه في عيد دير الثعالب الذي يصادف آخر سبتٍ من شهر أيلول (سبتمبر) (الشابشتي : المديارات : 24 والحاشية 2 بغداد 1966) . وكان باب الحديد أعمرَ موضع ببغداد كثير البساتين والنخل والرياحين .

فإذا قيض له أن يخرج من بغداد انحدر إلى البصرة واستأجر منزلاً في خان وأقام هناك بضع ليالٍ ، ثم يغادر البصرة إلى حصن مهدي أو إلى مدينة «متوث» (مدينة بين سوق الأهواز وقرقوب) أو عرّج على الكوفة أو غيرها من المدن العراقية . وأحياناً يبعد السفر إلى الرقة أو باجسرى أو الأهواز أو تحمله الركائب إلى مكة والقدس وأنطاكية حتى وصفه بعضهم بـ «الأديب الجوّاب» .

ويمكن جمع كثير من أخبار مناداته وصداقاته وتنقلاته من مؤلفاته وتكوين سيرة تفصيلية موثقة أحياناً بالتواريخ . ومثل هذه الأخبار يلقي ضوءاً كاشفاً على شخصيته وميوله وجانب كبير من ثقافته ولكن لم يتصدَّ أحدٌ لبناء سيرة تفصيلية له (قد تنوء بها هذه المقدمة) لا لتباعد الروايات في المصادر وحسب ، بل لأن النزعة الاعترافية لدى أبي الفرج قد تدفع متتبع أخباره إلى التورط في شؤون قد تتجانف عنها المواضع الأخلاقية وفي الأخبار المتيسرة عن نشاطاته ما يضمّ شواذ من السلوك .

6 - وفاة أبي الفرج

توفي أبو الفرج في بغداد ، بغدادياً حتى العظم ، وكلّ المصادر التي ذكرت تاريخ وفاته أجمعت على أنّه رحل عن هذه الدنيا في 14 ذي الحجة سنة 967/356 ، ما عدا الفهرست لابن النديم ، فقد ذكر أن وفاته كانت سنة نيف وستين وثلاثمائة . وجاء في كتابه «أدب الغرباء» (ص: 88) أنّه كان ما يزال على قيد الحياة سنة 362 وهذا غير بعيد عمّا قاله مؤلف الفهرست .

وقد استوقف هذا التاريخ ياقوتاً الحمويّ الذي اطلع على «أدب الغرباء» ونقل النصّ منه ، وقدّر أن هذا التاريخ يحتاج إلى شيء من التأمل ، ونقل الصفديّ النصّ بكامله عن ياقوت . وحين اطلع محقق «أدب الغرباء» على هذا النص ، رفض في مقدّمة التحقيق (ص 12) التاريخ الذي أجمعت عليه معظم المصادر ، ولكنّي أرى أن رفض هذا التاريخ فيه شيء من التسرع ، وهذا ما سأوضحه فيما يلي :

إن تحديد وفاته بعام 356 إنما نقله الخطيب البغدادي عن محمد بن أبي الفوارس ، وهذا التاريخ محدّد باليوم والشهر والسنة ، ومن المستبعد أن يتدع ابن أبي الفوارس تاريخاً بهذا التحديد ، وكان ابن أبي الفوارس هذا متابعاً لأخبار أبي الفرج ، فهو الذي أخبرنا أن أبا الفرج «خلط في آخر عمره» . فذكر أبي الفرج لحادثة تمت سنة 362 لا يستبعد انتماءه إلى فترة التخليط ، خصوصاً إذا تذكرنا أن أدب الغرباء كان آخر ما ألف .

ولا يتعارض تاريخ 356 مع وفاة معز الدولة وتولي ابنه بختيار ، فإن معز الدولة توفي في السنة نفسها (ربيع الآخر 356) ، وتوفي أبو الفرج بعده بخوالي ستة أشهر ، وأبو الفرج يقول في أدب الغرباء «إنه عند وفاة معز الدولة كان هو في أيام الشبيبة والصبا (ص : 83) أليس هو التخليط بعينه ؟! لذلك لا أتردد في إثبات سنة 356 تاريخاً لوفاته ، إلى أن تظهر دلائل قوية تنفي هذا التاريخ .

II - مؤلفات أبي الفرج الأصفهاني مع التركيز على الأغاني :

ذكر له صاحب الفهرست أربعة عشر كتاباً باستثناء كتاب الأغاني الكبير ، وكتاب مجرد الأغاني ، وقد أوصلها ياقوت إلى واحد وعشرين كتاباً عدا الكتالين في الأغاني وتجريده ، وبلغت عند عبد الجواد الأصمعي في كتابه «أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني» ستة وثلاثين مصنفاً :

1 - كتب تجري في سياق الأغاني وربما استلّت منه :

- 1 - مجرد (أبو تجريد) الأغاني .
- 2 - أخبار جحظة (وكان صديقاً له ، وهو يكثر في الرواية عنه) .
- 3 - أخبار القيان (حاول إعادة بنائه د . جليل العطية ، ولكنه لم يعتمد على مخطوطة) .
- 4 - أخبار الإمام الشواغر ، وسمّاه ابن النديم «كتاب أشعار الإمام» وطبع بالاسم الأول مرة بتحقيق الدكتورين القيسيّ ويونس السامرائيّ (بيروت 1984) ومرة بتحقيق د . جليل العطية .
- 5 - كتاب الممالك الشعراء .
- 6 - كتاب الأخبار والنوادر .
- 7 - كتاب أدب السماع .
- 8 - كتاب مجموع الأخبار والآثار .
- 9 - كتاب الغلمان المغنين .

10 - كتاب أخبار الطفيليين .

11 - أيام العرب (وهو يشتمل على 1700 يوم) .

2 - كتب في الأنساب

1 - كتاب مناجيب الخصيان ألفه للوزير المهلب في خصيين كانا له .

2 - كتاب جمهرة النسب .

3 - كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها (لم يره ياقوت ، وكان يتمنى رؤيته) .

4 - أربعة كتب في أنساب أربع قبائل مفردة هي : بنو عبد شمس ، بنو شيان ، المهالبة ، بنو تغلب .

3 - مؤلفات في مجالات أخرى :

1 - كتاب دعوة التجار .

2 - كتاب تفضيل ذي الحجة .

3 - كتاب الفرق والمعار في الأوغاد والأحرار ، رسالة عملها في هارون بن المنجم ، فردّ عليه هذا بكتاب «اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط» (ياقوت 5 : 1991) .

4 - مقاتل الطالبين (وقد مرّ ذكره فيما تقدّم) .

5 - كتاب الخمارين والخمارات (وفي الفهرست : الحمادين) وإحدى القراءتين تصحيف .

4 - دواوين جمعها ، منها ديوان يزيد بن الطثرية ، ديوان البحري ، ديوان أبي تمام .

5 - كتاب الأغاني الكبير :

1 - مسيرة الأغاني على مرّ الزمن :

يذكر ابن النديم أنه كان في نحو خمسة آلاف ورقة ، ولكنه لا يحدّد وصفها . وحين سئل أبو الفرج عن المدة التي أمضاها قال إنه ألفه في خمسين عاماً أي أنه كان نتيجة جهد متواصل استغرق أكثر العمر ، إذا قبلنا هذا القول حرفياً ، ولكن أبا الفرج كان يجمع مادته وينسّقها في فترات متقطعة .

وقد قرئ هذا الكتاب على مؤلفه ، قرأه عليه علي بن إبراهيم الدّهكّيّ (ياقوت 4 : 1641) كما قرأه عليه ابن دينار (علي بن محمد 5 : 1991) وربما قرأه عليه آخرون ، ولكن مؤلفه بعد أن أتمّه استخرج منه كتاب «مجرّد الأغاني» ، ممّا يدلّ على صعوبة قراءته كلّ لضخامته ، وذكر أنّ أبا الفرج لم يكتب منه إلّا نسخة واحدة (وهذا معناه إلّا «مببضة» واحدة) وهي التي رحل بها إلى حلب وأهداها إلى سيف الدولة فأجازها بألف دينار . وحين

بلغ الخبر صاحب بن عباد استقل المبلغ ، أمّا مسوّد الكتاب (أي أصل أبي الفرج) فقد أخرجت إلى سوق الورّاقين ، وكان أكثرها في ظهور وبخطّ التعليق فاشترها أحدهم في المناداة بأربعة آلاف درهم .

ولقي الكتاب ترحيباً بالغاً لدى مثقفي العصر ، فقد كان بعض الكبراء مثل عضد الدولة البويهى والصاحب بن عباد لا يكاد هذا الكتاب يفارقهم في سفر أو حضر ، واستغنى الثاني منهما بالأغاني عن أحمال كثيرة من الكتب كان يصطحبها معه إذا سافر . وكلف أبو تغلب ناصر الدولة شخصاً يشتري له نسخة من كتاب الأغاني ، فابتاعها له بعشرة آلاف درهم (وكان كل 18 درهم = ديناراً) فلما حصلت النسخة لأبي تغلب قال : لقد ظلّم وراقه وإنّه ليسوى عندي عشرة آلاف دينار .

وتدلّ النسخ التي نسخت منه على مرّ الزمن ، ووصلت إلينا على أنّه أصبح من أكثر الكتب رواجاً ، حتى إنّ ليوجد منه عشرات النسخ في مكتبات متعددة في الشرق والغرب ، وقد حاول المستشرق الألماني هلموت ريتز أن يحصر ما عرف من نسخه (Oriens 1949) وعدّ الأستاذ فؤاد سزكين في «تاريخ التراث العربي» 87 نسخة أكثرها غير كامل ؛ منها سبع وعشرون في مدينة ميونخ ، هذا غير ما يوجد في برلين واستانبول ودار الكتب المصرية والمكتبة البريطانية بلندن ، ومكتبات أخرى .

وعلى مرّ الزمن تعرّض الكتاب لا للنسخ وحده ، بل للتجريد والاختصار والتهديب واستخراج مختارات . فقد استخرج منه الوزير أبو القاسم المغربي اختيارات ، وكتب ياقوت منه نسخة في عشر مجلّدات ، وجردّه ابن واصل الحموي (في القرن السابع) وصنع منه ابن منظور مختارات .

وفي العصر الحديث لقي عناية بالغة ، منذ أن صدرت طبعة بولاق (1868-1869) وبعدها طبعة الساسي (1905) ثم توالى الطبعات بعد استقراره محققاً على أيدي عدّة محقّقين بدار الكتب المصرية . ثم ظهرت طبعة دار الثقافة (بيروت منذ 1955 وما بعدها) وقد قام عبد الستار فراج بتحقيق الأجزاء من 16-25 ، مع فهراس الشعر وغيرها ، فمنح هذه الطبعة مكانة عالية إلى جانب طبعة دار الكتب ، وبعد ذلك توالى الطبعات البيروتية .

لقد كسب هذا الكتاب لمصنّفه شهرة منقطعة النظير ، وأصبح مصدراً لكلّ من يكتب في تراجم الشعراء أو المغنين ، ولما كتب ياقوت كتابه «أخبار الشعراء» الذي لم يصلنا اعترف أنّ جلّ اعتماده على هذا الكتاب ، وكذلك فعل في «معجم الأدباء» ، وكذلك نجد كتباً كثيرة معتمداً الأوّل هو كتاب الأغاني ، مثل كثير من أخبار «كتاب مصارع العشاق» للسراج ،

وكتاب «المفوات النادرة» لغرس النعمة ، وكتب التراجم مثل «وفيات الأعيان» وكتب أخرى مثل «تذكرة ابن حمدون» وغيرها مما يعز على الحصر .

2 - منهج أبي الفرج في كتاب الأغاني :

كانت المائة صوت التي غنيت للرشد هي الحجر الذي ألقى في بحر معرفة أبي الفرج ، فانداحت من حوله دائرة ثم أخذت الدوائر تتوالى حتى أصبحت كتاباً في خمسة آلاف ورقة ، إذ وجد أبو الفرج أن الأصوات التي غناها ثلاثة هم : إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء ، يمكن أن يضم إليها ما غناه غير هؤلاء مثل معبد وابن سريج وكثيرين غيرهم من المغنين والمغنيات ، وما غناه الخلفاء وأبناء الخلفاء وأن يذكر مع كل أغنية لحنها ، وهذا يعني تاريخ الغناء حتى عصر المؤلف ، وأن يذكر الشاعر الذي غني شعره ، فتذكر ترجمته ونسبه والأخبار المتصلة به ومختارات من شعره ، وإن كان في شعره هذا يذكر يوماً أو أياماً من أيام العرب ، فلا بأس من توجيه الانتباه إلى ذلك لكي نعرف المناسبة التي يتصل بها الشعر ، وقد يكون المغني الذي ترد ترجمته أو الشاعر المترجم له صاحب ترسل ، فلا بأس من إيراد نماذج من ذلك ، وهذا كله لا ينفرد أبو الفرج بسرده ، بل هو يروي الأخبار والأشعار والحكايات ، وكل ما جاء في هذا الكتاب الضخم رواية ، وقد يشرح بعض ما يرد من غريب الألفاظ ، إن هذا المنهج الذي اتسع مجاله عن فكرة بسيطة يحتاج إلى تنظيم دقيق وذاكرة قوية ، تفقد صاحبها من التكرار ، كما تنقذه من النسيان ، ولكن ضخامة المشروع وتشعبه الكثير ، كان امتحاناً قاسياً لأبي الفرج ، فهو لم يعنه من التكرار ولم ينقذه من النسيان ، ولذلك قال ياقوت «وجمعت تراجمه فوجدته بعد بشيء ولا يفي في غير موضع منه ، كقوله في أخبار أبي العتاهية : «وقد طالبت أخباره هاهنا وسنذكر خبره مع عتبة في موضع آخر» ولم يفعل . وقال في موضع آخر «أخبار أبي نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقدمت ، ولم يتقدم بشيء ، إلى أشباه لذلك . والأصوات المائة هي تسع وتسعون ، وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط منه شيء ، أو يكون النسيان غلب عليه ، والله أعلم» (4 : 1708) ، وهذه عيوب طفيفة بالنسبة لما يحتوي عليه الكتاب من فوائد ، ولذلك نجد ياقوتاً الذي استوقفته هذه العيوب يقول «ولعمري إن هذا الكتاب لجليل القدر شائع الذكر جم الفوائد عظيم العلم ، جامع بين الجدّ البحث ، والهزل النحت ؛ وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به وطالعته مراراً . . .» .

3 - موثوقية أبي الفرج جملة وفي كتاب الأغاني بخاصة :

يقول فيه صاحب المنتظم أبو الفرج ابن الجوزي : «يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهون شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتابه «الأغاني»

رأى كل قبيح ومنكر». لهذه الأسباب وغيرها ، ومنها تشييعه ، لا يثق المحدثون بروايته ، ولكنهم يشهدون له بقولهم « كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام الناس والشعر والغناء والمحاضرات » (ميزان الاعتدال 3 : 143 ولسان الميزان 4 : 221) ، ومع ذلك روى عنه الدارقطني في غرائب مالك عدّة أحاديث ولم يعترض له (لسان الميزان 4 : 222) إلا أن ذلك كله يجعله لدى المحدثين مستبعداً .

لكنه في الأغاني يروي عن كثير من العلماء المشهورين مثل نفطويه وابن دريد والمبرّد ، وعن أناس ميزهم الرواة بالصدق مثل أحمد بن سليمان الطوسي وابن أبي خميسة وأبي خليفة بن الحباب الجمحي ، ولكنه أيضاً يروي عن مجاهيل ، وعن أناس لم يوصفوا بالعدالة ، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نطبق عليه قواعد المحدثين لأن الخطّة التي انتحاهما كانت مفتوحة على مصراعيها لنقلة الأخبار ، ويجب أن نتذكر أن ليس كل ما يرويه أبو الفرج تاريخاً وإن رواه عن الواقدي والميثم بن عدي والطبري ، إذ لا بد أن نتذكر دائماً أن العناية عند أبي الفرج لم تكن موجهة للتاريخ بالدرجة الأولى .

وهناك باب آخر ندخل منه إلى مدى الموثوقية في أغاني أبي الفرج : ينقل الخطيب البغدادي رواية عن أحد العلويين عن الحسن بن الحسين النوبختي أن أبا الفرج الأصفهاني أكذب الناس ، كان يدخل سوق الوراقين ، وهي عامرة ، والدكاكين مملوءة بالكتب ، فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ، ثم تكون رواياته كلّها منها . وربما تكون أهمية هذه الرواية في أن أبا الفرج كان ينقل عن الصحف ، والاعتماد يومئذ على الصحف يمثل درجة أدنى بكثير من لقاء الشيوخ . ولا يبعد كثيراً عن هذه الرواية قول ابن النديم : « وله رواية يسيرة وأكثر تعويله كان في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط وغيرها من الأصول الجياد » ، إلا أن ابن النديم يصف الأصول التي ينقل عنها بأنها أصول جياد ذات خطوط منسوبة .

الأمر الذي يفصل في القضية أن نقول إنه لا فرق لدى أبي الفرج بين الحكاية المروية للتسلية وبين الخبر التاريخي ، لأن كليهما خبر يثير لدى القارئ ، كما يثير لدى المؤلف ، متعة . ذلك أن شخصية أبي الفرج تمثل إنساناً مفتوناً بمظاهر الترف في بغداد أثناء القرن الرابع ، فلو أنك تدبّرت ما يرويه عن بني أمية وخلفائهم ، وفكرت في مستوى الترف والإقبال على اللذات لدى بني أمية وعصرهم وجدته لا يفتقر كثيراً عن الحياة في القرن الرابع ، وكان الدافع لهذا التصوير الذي لا يفرّق بين الدولة في دور التأسيس وبين الدولة في مرحلة متطورة ، وهذا له ، في نظري ، عاملان أولهما أن أبا الفرج في افتتانه بالترف يريد أن يقول إن قومه بني أمية لم يكونوا يقلّون في ترفهم عن بني العباس في ذروة تطوّرهم ، وأنّه هو نفسه غير ملوم في أن يغرق إلى أذنيه في

الملذات ، لأنه ينتمي إلى قوم كانوا كذلك ، وهو يعيش في عصر قوم آخرين يمارسون هذا المستوى من الترف ، فالملامة منفية عنه مرتين .

قد نجد من يقول إن الأغاني تصوّر الحضارة العربية خلال عدّة قرون حتى عصر المؤلف ، هذا صحيح إلى حدّ ما ، لأنّ الصورة ليست دائماً موضوعية ولأنّها كثيراً ما تبارح الواقع ، أو طبيعة المؤلف . فما هو موقفنا اليوم من روايات الأغاني ؟

أرى قراء الأغاني في هذا العصر فئتين ، في الأقل ، فئة الذين يقرأون الأغاني رغبة في التسلية أو اعتماد بعض قصصه لصياغة السيناريوهات أو يتخذونها مجالاً لتخيلات يجعلونها أقنعة في روايات أو مسرحيات ، وهذا مجال يتمتّع القارئ فيه بحريّة تامة ، وفئة الأكاديميين الذين يريدون بناء تاريخ أدبي أو سياسيّ ويجعلون الأغاني مصدراً مهماً في بحوثهم وكتبهم الأدبية والتاريخية ، وهؤلاء لا بدّ لهم من أن يفيدوا من الأغاني بحذر شديد ، وتكرار نظر ، وضرب الروايات ببعضها ، ولا بدّ أن يكونوا ذوي قدرة نقدية عالية ، ذلك أنّ الضعف في روايات الأغاني إنّما جاء من ضعف النقد لدى المصنف المهتم بالاستكثار من الجمع ، ولدى رواته الذين كانوا في أحسن الأحوال يظنون أنّ قوّة السند تعني قوّة الخبر ، وصدقه .

4 - هل نحن في حاجة إلى طبعة جديدة من الأغاني ؟

كان هذا السؤال يتردّد دائماً بيني وبين محققي هذه الطبعة ، وكان الجواب عليه دائماً بالنفي نظراً لتشبع أسواق الكتب بطبعات كثيرة . ولكن إقدامنا على هذا العمل خضع لعاملين يتصلان بنا لا بالأغاني : أولهما أنّنا أردنا أن نجعل من تعاوننا على إخراج كتاب صعب برهاناً على تعاون أصدقاء ، وشهادة على طبيعة هذه الأخوة وعمقها ، والعامل الثاني هو أن نقدّم تحية لدار عريقة في خدمة التراث العربي منذ حوالي أواسط القرن التاسع عشر ، حتى اليوم ، بأن نقدّم لها الأغاني ، استجابة لأمنية كان أنطون صادر يرجو أن تتحقّق ، وظلّ خلفاؤه (سليم وإبراهيم ونبيل) وفقهم الله يرون في هذه الأمنية «وصيّة» يبرّون بتحقيقها روح والدهم ، صديقي الأمين ، تقبّل الله إخلاصه الطويل في خدمة اللغة العربية .

5 - كلمة حول هذا العمل

كل شيء كان واضحاً لدينا ، كثرة طبعات الكتاب ، كثرة نسخه في العالم ، طول المدة التي يستغرقها تحقيقه ، استقرار نص الأغاني على قراءات متقاربة . إذن نحن لا نريد أن نصدر طبعة مليئة باختلاف القراءات في النسخ ، ولذلك اكفينا بتصوير نسختين : مخطوطة برلين (رقم : 7395) المحفوظة في مكتبة الدولة ، وهي مخطوطة كبيرة جداً ، ولكنها على الرغم من ذلك ينقصها بعض التراجم ، عدد ورقاتها (1367) وفي كلّ ورقة (صفحتين) وفي كلّ

صفحة من صفحاتها 31 سطرًا ومعدّل الكلمات في السطر الواحد عشرون كلمة .
 أمّا النسخة الثانية فهي نسخة التيموريّة بدار الكتب المصرية ، ولم نستفد منها كثيراً ، لأنّ الخط فيها باهت لا يكاد يقرأ ، ولعلّ ذلك من سوء التصوير . وقد استعنا بطبعة دار الكتب وحافظنا على التسلسل فيها ، وإن كانت مخطوطة برلين أحياناً تخلّ بهذا التسلسل ، واقتصدنا في تفسير الغريب والتعريفات . وأثبتنا قراءات نصّ النسخة البرلينيّة حيث تأكّدنا أنّها الأرجح وأمدتنا هذه النسخة بزيادات لم ترد في طبعة دار الكتب أو طبعة دار الثقافة ، لكننا لم نميّز هذه الزيادات بينط طباعي أصغر أو أكبر من غيرها .

وكان من خطّتنا أن نقرأ الأغاني مقارناً بالنصوص التي نقلت عنه أو التي شاركته في المصادر ، ولكنّا لم نستطع أن نحقق ذلك إلّا بصورة جزئية ، لكثرة تلك المصادر .
 إنّ الأغاني أوسع كتاب لتراجم الشعراء ، ولذلك فإنّ الكتب التي وصلتنا في هذا المجال ، كالشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز تعدّ كتباً موجزة جداً فقيرة إذا قورنت به .

إن نقدنا لكتاب الأغاني لا يلغي الحقيقة التي لا يمكن إنكارها ، وهي أنّ كتاب الأغاني سيظلّ أهمّ مصدر لدينا لتراجم الشعراء ولتاريخ الأدب العربيّ ، ولو وصلنا كتاب «المستنير» للمرزبانيّ ، وهو كتاب يقارب الأغاني في ضخامته ، لكان مصدراً مهماً آخر ، في هذا المجال .

على أيّ حال نضع الأقلام بعد كلّ هذا الجهد ، خلال سنوات طوال داعين الله تعالى أن يوفّقنا للخير ، وأن يسدد خطانا ، وأن يغفر خطايانا ، إنّهُ سميعٌ مجيبٌ .

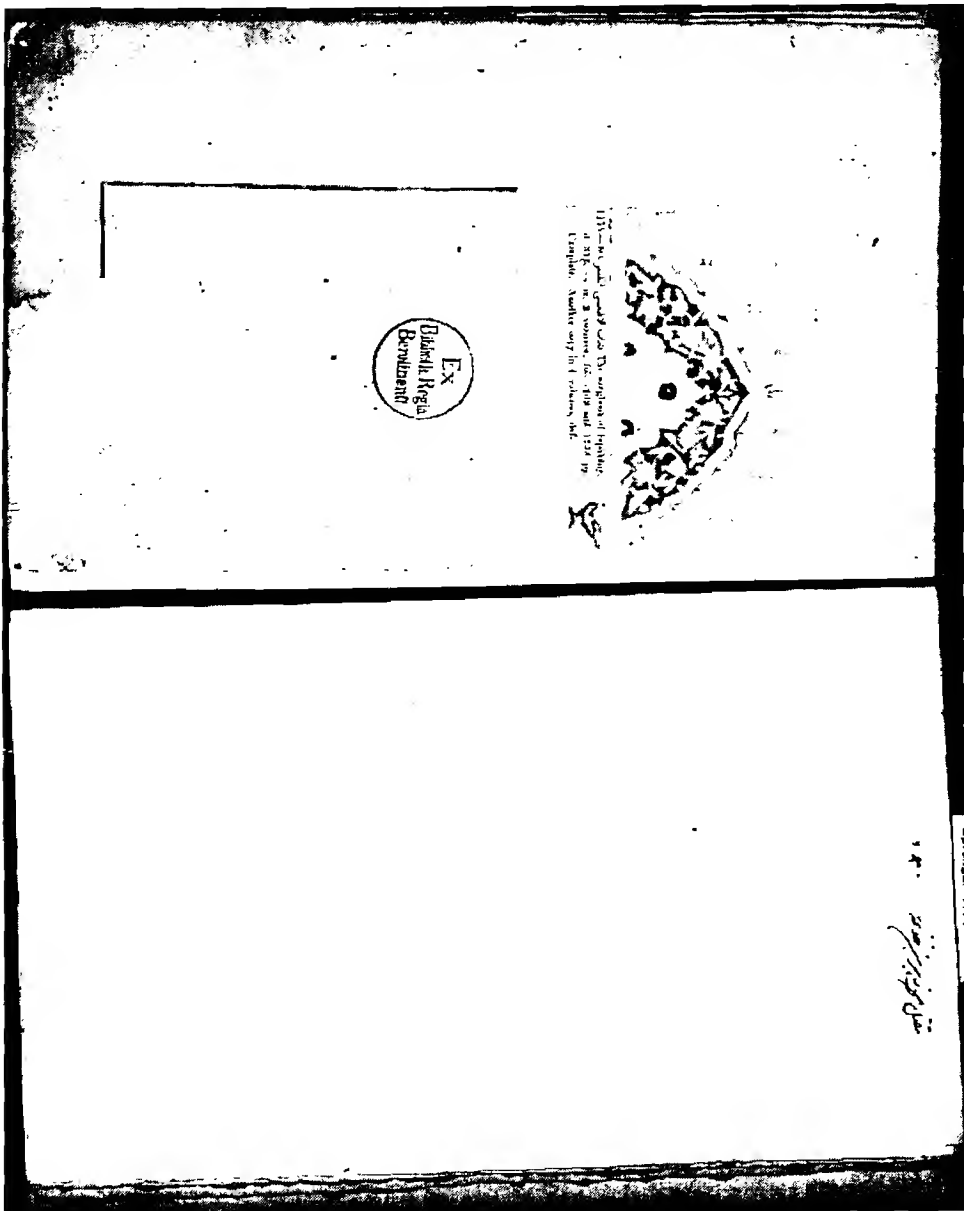
المصادر والمراجع

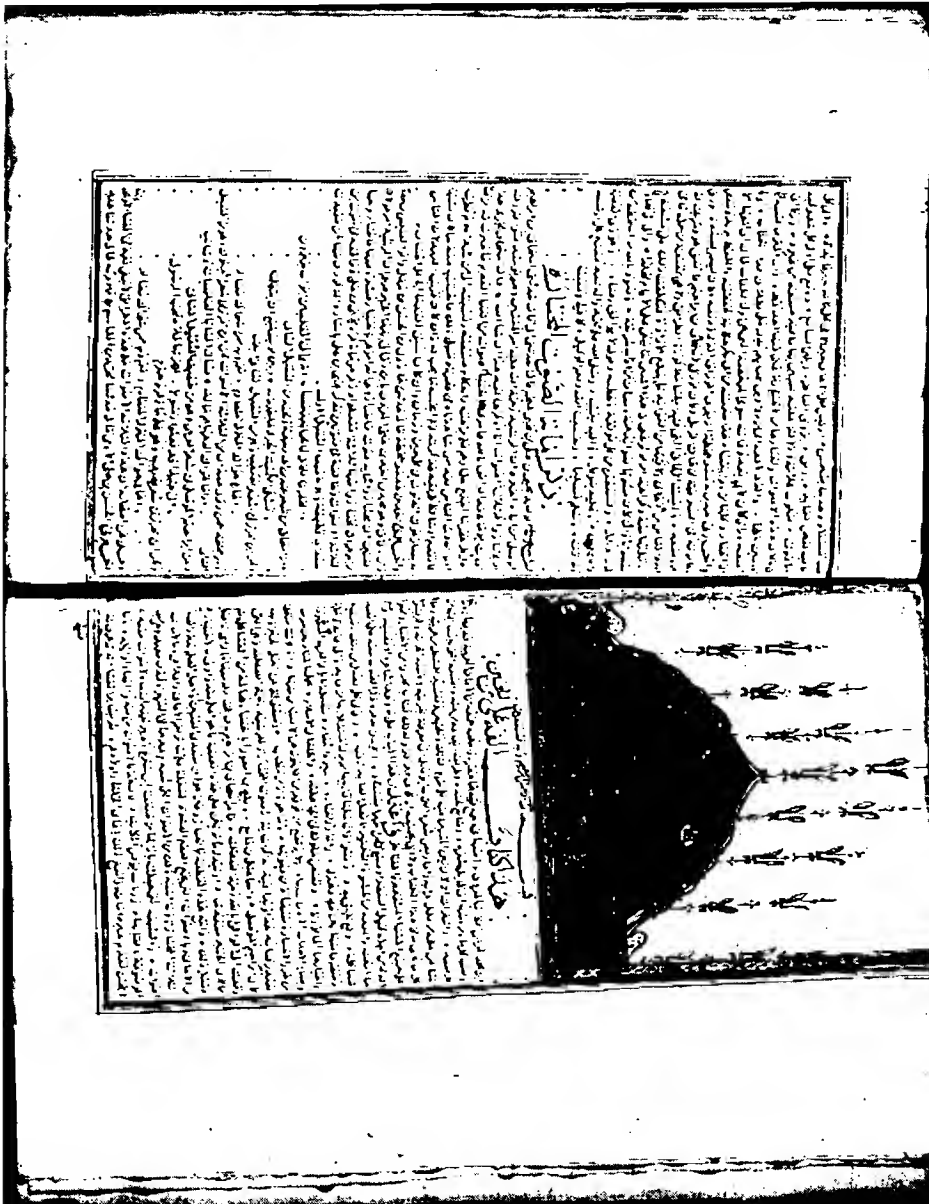
1 - المصادر الكلاسيكية لترجمة أبي الفرج :

- 1 - ابن النديم : الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، طهران 1971 م .
- 2 - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، 11 : 398 (ط . بيروت) .
- 3 - أبو منصور الثعالبي : يتيمة الدهر ، 3 : 114 (ط . القاهرة) .
- 4 - أبو نعيم : تاريخ أصفهان ، 2 : 11 (ط . بيروت) .
- 5 - ابن الجوزي : المنتظم ، 14 : 185 (ط . بيروت) .
- 6 - جمال الدين القفطي : انباه الرواة ، 2 : 251 (دار الكتب المصرية) .
- 7 - ياقوت الحموي : معجم الأديباء ، 4 : 1707 (دار الغرب الإسلامي - بيروت) .
- 8 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، 8 : 851 (دار صادر ، بيروت) .
- 9 - ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 3 : 207 (بيروت) .
- 10 - خليل بن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، 21 : 20 (شتوتغارت 1993 م) .
- 11 - الحافظ الذهبي : العبر في خبر من غير ، 2 : 305 (الكويت 1960 م) .
- 12 - الحافظ الذهبي : ميزان الاعتدال ، 3 : 123 (عيسى البابي الحلبي) .
- 13 - الحافظ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 16 : 201 (مؤسسة الرسالة) .
- 14 - الياضي : مرآة الجنان ، 2 : 159 .
- 15 - ابن كثير : البداية والنهاية ، 11 : 263 (بيروت - الرياض) .
- 16 - ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان ، 4 : 221 (مؤسسة الأعلمي - بيروت) .
- 17 - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 4 : 15 (دار الكتب المصرية) .
- 18 - ابن العماد : شذرات الذهب ، 3 : 19 .

المراجع الحديثة

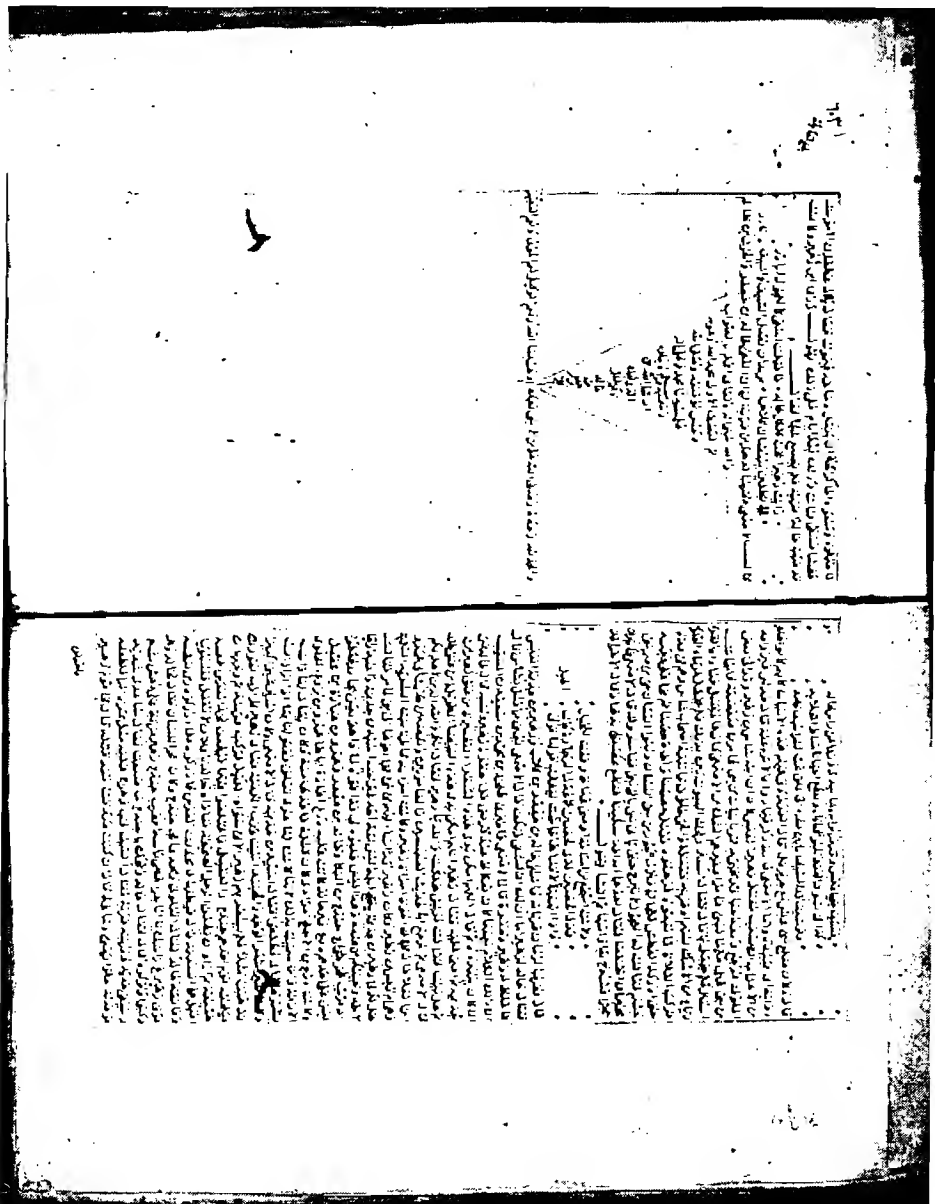
- 19 - M. Nallino, in EI2, p. 118
- 20 - بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) Brockelmann, GAL .
- 21 - فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ، 2 : F. Sezgin, GAS .
- 22 - عبد الجواد الأصمعي : أبو الفرج وكتابه ، (القاهرة ، 1956) .
- 23 - عبد الجواد الأصمعي : تصحيح كتاب الأغاني للشنقيطي : 1916 .
- 24 - خلف الله محمد أحمد : صاحب الأغاني أبو الفرج . . . (دار الكاتب العربي 1968) .
- 25 - محمد أبو الفضل إبراهيم : مقدمة المحقق ، (ج : 1) (القاهرة 1992) .
- 26 - أحمد طالب : أبو الفرج الأصفهاني و . . . مقارنة ببيوغرافية (بحث في مجلة آفاق الثقافة والتراث التي تصدر عن مركز جمعة الماجد [السنة الخامسة (17)] مايو / أيار 1997 .
- 27 - مقدمة الدكتور صلاح المنجد محقق « أدب الغريب » (ص 5-17) دار الكتاب الجديد ، وقد ذكر مزيداً من الدراسات الكلاسيكية والدراسات الحديثة عن أبي الفرج وكتابه . كما أن هناك بحثاً كثيرة أغفلنا ذكرها .





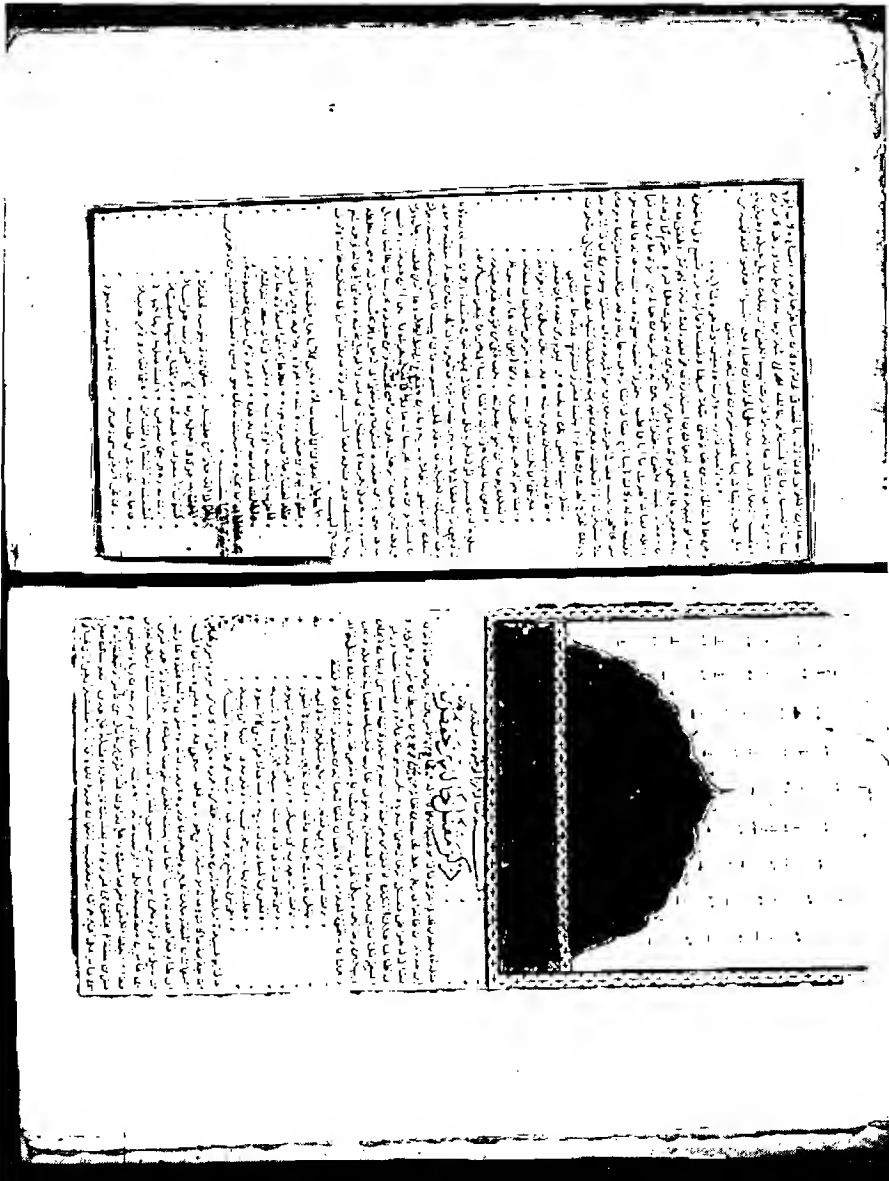
الورقة الأولى من المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



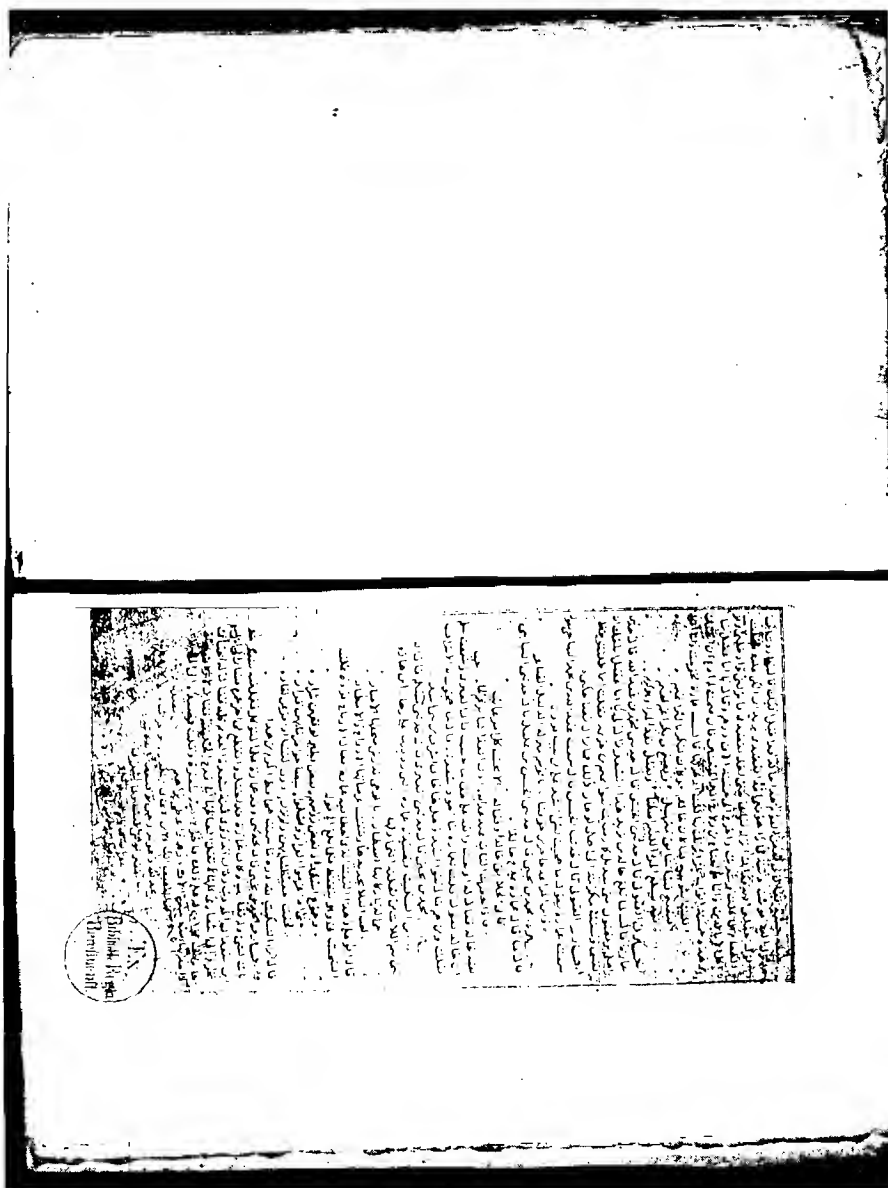
الورقة الأخيرة من المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



الورقة الأولى من المجلد الثاني من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395



الورقة الأخيرة من المجلد الثاني من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدمة المؤلف

[نهج أبي الفرج في تأليف الكتاب]

هذا كتاب ألفه علي بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالأصفهاني ، وجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية قديمها وحديثها ، ونسب كل ما ذكره منها إلى قائل شعره وصانع لحنه وطريقة إيقاعه من لحنه وإصبعه التي ينسب إليها من طريقته ، واشتراك إن كان بين المغنين فيه ، على شرح لذلك وتلخيص وتفسير للمشكل من غريبه وما لا غنى عن علمه من علل إعرابه وأعاريض شعره التي بها يوصل إلى معرفة تجزئته وقسمة ألقانه .

ولم يستوعب كل ما غني به في هذا الكتاب ولا أتى بجميعه ؛ إذ كان قد أفرد لذلك كتاباً مجرداً من الأخبار ومحتوياً على جميع الغناء المتقدم والمتأخر . واعتمد في هذا الباب على ما وجد لشاعره أو مغنيه أو السبب الذي من أجله قيل الشعر أو صنع اللحن خبراً يُستفاد ويحسن بذكره ذكر الصوت معه ، على أقصر ما أمكنه وأبعد من الحشو والتكثير بما يقل الفائدة فيه . وأتي في كل فصل من ذلك بتتف تشاكله ، ولمع تليق به ، وفقر إذا تأملها قارئها لم يزل منتقلاً بها من فائدة إلى فائدة مثلها ، ومتصرفاً منها بين جد وهزل ، وآثار وأخبار ، وسير وأشعار ، متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها الماثورة ، وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام ، يجمُل بالمتأدبين معرفتها ويحتاج الأحداث إلى دراستها ، ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها ؛ إذ كانت مُتخلّة من غرر الأخبار ، ومُنتقاة من عيونها ، ومأخوذة من مظانها ، ومنقولة عن أهل الخبرة بها . فصدر كتابه هذا وبدأ فيه بذكر المائة الصوت المختارة [لأمر المؤمنين] الرشيد ، رحمة الله تعالى عليه ، وهي التي كان أمر إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وفليح بن العوّاء باختيارها له من الغناء كله ؛ ثم وقعت إلى الواثق بالله ، رحمة الله عليه ، فأمر إسحاق بن إبراهيم بأن يختار له منها ما رأى أنه أفضل مما كان اختير متقدماً ، أو يُبدل ما لم يكن على هذه الصفة بما هو أعلى¹ منه وأولى

بالاختيار ؛ ففعل ذلك . وأتبع هذه القطعة بما اختاره غير هؤلاء من متقدمي المغنين وأهل العلم بهذه الصناعة من الأغاني ، وبالأصوات التي تجمع النغم العشر المشتملة على سائر نغم الأغاني والملاهي ، وبالأرمال الثلاثة المختارة ، وما أشبه ذلك من الأصوات التي تتقدم غيرها في الشهرة كمؤذن معبد وهي سبعة أصوات ، والسبعة التي جعلت بإزائها من صنعة ابن سريج وخير بينهما فيها ، وكأصوات معبد المعروفة¹ بألقابها وزينب يونس الكاتب ؛ فإن هذه الأصوات من صدور الغناء وأوائله وما لا يحسن تقديم غيره أمامه . وأتبع ذلك بأغاني الخلفاء وأولادهم ، ثم بسائر الغناء الذي عرف له قصّة تستفاد وحديثاً يستحسن ؛ إذ ليس لكل الأغاني خبر ، ولا في كل ما له خبر فائدة ، ولا لكل² ما فيه بعض الفائدة رونق يروق الناظر ويلهي السامع .

ووقع على أول كل شعر فيه غناء «صوت» لتكون علامة ودلالة عليه يتبين بها ما فيه صنعة من غيره . وربما أتى في خلال هذه الأصوات وأخبارها أشعار³ قيلت في تلك المعاني وغني بها وليست من الأغاني المختارة ولا من هذه الأجناس المرتبة ، فلا يوجد من ذكرها معها بد ؛ لأنها إذا أُفردت عنها كانت إما منقطعة الأخبار غير مُشاكلة لنظائرها أو مُعادة أخبارها ؛ وفي كلتا الحالتين خلاف لما يجيء به هذا الكتاب . وقد يأتي أيضاً منها الشيء الذي تطول أخباره وتكثر قصص شاعره مع غيره من الأصوات والأخبار ، فلا يمكن شرحها جمعاء في ذلك الموضع لئلا تنقطع الأخبار المذكورة بدخوله بينها ، فيؤخر ذكره إلى مواضع يحسن فيها ، ونظائره له يُضاف إليها ، غير قاطع اتساق غيره منها ولا مُفرد للقرائن بتوسطه لها ، ويكون ذكره على هذه الحال أشكل واليق .

أ ترتيب الكتاب

قال مؤلف هذا الكتاب : ولعلّ [بعض] من يتصفح ذلك يُنكر تركنا تصنيفه أبواباً على طرائق الغناء أو على طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبهم أو على ما غني به من شعر شاعر . والمانع من ذلك والباعث على ما نخوناه عِلل :

منها : أننا لما جعلنا ابتداءه الثلاثة الأصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين ، وأولهم أبو قطيفة وليس من الشعراء المحدثين ولا الفحول ، ثم عمر بن أبي ربيعة ، ثم نصيب . فلما جرى أول الكتاب هذا المجرى ولم يمكن ترتيب الشعراء فيه ، ألحق آخره

1 ل : الموصوفة .

2 ل : في كل .

3 من هنا سقط في ل ، حتى قوله : «من ذكرها معها» .

وجُعِلَ على حسب ما حضر ذكره . وكذلك سائر المائة الصوت المختارة ؛ فإنَّها جارية على غير ترتيب الشعراء والمغنين . وليس المغزى في الكتاب ترتيب الطبقات ، وإنَّما المغزى فيه ما ضُمَّهُ من ذكر الأغاني بأخبارها ، وليس هذا ممَّا يضرُّ بها .

ومنها : أنَّ الأغاني قلَّما يأتي منها شيء ليس فيه اشتراك بين المغنين في طرائق مختلفة لا يمكن معها ترتيبها على الطرائق ؛ إذ ليس بعض الطرائق ولا بعض المغنين أولى بنسبة الصوت إليه من الآخر .

ومنها : أنَّ ذلك لو لم يكن كما ذكرنا لم يخلُ فيها ، إذا أتينا بغناء رجلٍ رجلٍ وأخباره وما صنَّف إسحاق وغيره ، من أن تأتي بكلِّ ما أتى به المصنِّفون والرواة منها على كثرة حشوه وقلة فائدته ، وفي هذا نقضٌ ما شرطناه من إلغاء الحشو ، أو أن تأتي ببعض ذلك فيُنسَب الكتابُ إلى قصورٍ عن مدى غيره . وكذلك تجري أخبار الشعراء . فلو أتينا بما غنَّى به شعر شاعر منهم ولم نتجاوزه حتى نَفْرُغ منه ، لجرى هذا المجرى ، وكانت للنفس عنه نبوة ، وللقلب منه ملة ، وفي طباع البشر محبة الانتقال من شيء إلى شيء ، والاستراحة من معهود إلى مستجدٍّ . وكلُّ منتقلٍ إليه أشهى إلى النفس من المنتقل عنه ، والمنتظرُ أغلبُ على القلب من الموجود . وإذا كان هذا هكذا ، فما رتبناه أحلى وأحسن ، ليكون القارئ له بانتقاله من خبر إلى غيره ، ومن قصة إلى سواها ، ومن أخبارٍ قديمة إلى مُحدَّثة ، ومليك إلى سُوقة ، وجِدٍّ إلى هزل ، أنشط لقراءته وأشهى لتصفح فنونه ، لا سيَّما والذي ضَمَّنَّاه إياه أحسنُ جنسه ، وصَفُوْهُ ما أَلَّف في بابه ، ولُبَّابُ ما جُمع في معناه .

وكلُّ ما ذكرنا فيه من نِسب الأغاني إلى أجناسها فعلى مذهب إسحاق بن إبراهيم الموصلي وإن كانت رواية النسبة عن غيره ؛ إذ كان مذهبه هو المأخوذ به اليوم دون مذهب مَنْ خالفه ، مثل إبراهيم بن المهدي ومُخارق وعَلُويه وعمرو بن بانه ومحمد بن الحارث بن بُسْخَرٍ ومن وافقهم ؛ فإنَّهم يسمُّون الثَّقِيلَ الأوَّلَ وخفيفه الثَّقِيلَ الثاني وخفيفه ، ويسمُّون الثَّقِيلَ الثاني وخفيفه الأوَّلَ وخفيفه ، وقد اطَّرح ما قالوه الآن وترك ، وأخذَ الناسُ بقولِ إسحاق .

[الباعث على تأليف الكتاب]

قال مؤلِّف هذا الكتاب : والذي بعثني على تأليفه أنَّ رئيساً من رؤسائنا كلَّفني جمعه له ، وعرفني أنَّه بلغه أنَّ الكتاب¹ المنسوب إلى إسحاق مدفوعٌ أن يكون من تأليفه ، وهو مع ذلك قليلُ الفائدة ، وأنَّه شاكٌّ في نسبته ؛ لأنَّ أكثر أصحاب إسحاق يُنكرونه ، ولأنَّ ابنه حماداً أعظمُ الناس إنكاراً لذلك . وقد لَعَمْرِي صدق فيما ذكره ، وأصاب فيما أنكره .

1 هو كتاب الأغاني الكبير كما في فهرست ابن النديم .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكَيْعٌ قال : سمعتُ حمّاداً يقول : ما أَلَفَ أبي هذا الكتاب قطُّ ولا رآه . والدليلُ على ذلك أنَّ أكثرَ أشعاره المنسوبة التي جُمِعتُ فيه إلى ما ذُكرَ معها من الأخبار ما غنّى فيه أحدُ قطُّ ، وأنَّ أكثرَ نسبه إلى المغنّين خطأ ؛ والذي أَلَفه أبي من دواوين الغناء يدلُّ على بطلانِ هذا الكتاب ، وإنّما وُضِعَ ورّاقٌ كان لأبي بعد وفاته ، سوى الرُّخصة¹ التي هي أوّل الكتاب ؛ فإنَّ أبي أَلَفها ؛ إلّا أن أخبارها كلّها من روايتنا . هذا ما سمعته من أبي بكر حكايةً فحفظته واللفظ يزيد وينقص .

وأخبرني أحمد بن جعفرٍ جَحْظَةُ أنّه يعرف الورّاقَ الذي وُضِعَ ، وكان يسمّى بسندٍ الورّاق ، وحنوته في الشرقية في خان الزبل² ، وكان يُورّق لإسحاق بن إبراهيم ؛ فاتفق هو وشريك له على وضعه . وليست الأغاني التي فيه أيضاً مذكورة الطرائق ، ولا هي بمُقتنعةٍ من جملة ما في أيدي الناس من الأغاني ، ولا فيها من الفوائد ما يبلغ الإرادة ؛ فتكلّفتُ ذلك له على مشقةٍ احتملتها منه ، وكرهته أن يؤثر عني في هذا المعنى ما يبقى على الأيام مخلداً ، وإليّ على تطاولها منسوباً ، وإن كان مَشوباً بفوائد جَمّةٍ ومَعانٍ من الآداب شريفةٍ . ونعوذ بالله ممّا أسخطه من قول أو عمل ، ونستغفره من كلّ مُوبقةٍ وخَطِيئةٍ وقولٍ لا يوافق رضاه ، وهو وليّ العِصمة والتوفيق ، وعليه نتوكّل وإليه نُنِيب . وصلى الله على محمد وآله عند مُفتتح كلّ قول وخاتمته وسلّم تسليمًا . وحسبنا الله ونعم الوكيل كافياً ومُعِيناً .

1 قال في الفهرست : «وهذا الكتاب (أي كتاب الأغاني الكبير) يعرف في القديم بكتاب الشركة ، وهو أحد عشر جزءاً لكلّ جزء أوّل يعرف به ؛ فالجزء الأوّل من الكتاب «الرخصة» وهو تأليف إسحاق لا شك فيه ولا حلف» .

2 الفهرست : «طاق الزبل» .

[1] - ذكر المائة الصوت المختارة

[إجماع المغنين على اختيار الأصوات الثلاثة الشاملة لجميع نغم الغناء]

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال حدثني أبي قال : حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن أباه أخبره أن الرشيد ، رحمة الله عليه ، أمر المغنين ، وهم يومئذ متوافرون ، أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء ، [فأجمعوا على ثلاثة أصوات] أنا أذكرها بعد هذا إن شاء الله . قال إسحاق : فجرى هذا الحديث يوماً وأنا عند أمير المؤمنين الوراق بالله ، فأمرني باختيار أصوات من الغناء القديم ، فاخترت له من غناء أهل كل عصر ما اجتمع علماءهم على براعته وإحكام صنعته ، ونسبته إلى من شدا به ، ثم نظرت إلى ما أحدث الناس بعد ممن شاهدناه في عصرنا وقبيل ذلك ، فاجتبيت منه ما كان مشبهاً لما تقدم أو سالكاً طريقه ، فذكرته ولم أبخسه ما يجب له وإن كان قريب العهد ؛ لأن الناس قد يتنازعون الصوت في كل حين وزمان ، وإن كان السبق للقدماء إلى كل إحسان .

وأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هارون بن الحسن بن سهل وأبو العنبر بن حمدون وابن دقاق وهو محمد بن أحمد بن يحيى المعروف بابن دقاق بهذا الخبر ، فزعم : أن الرشيد أمر هؤلاء المغنين أن يختاروا له مائة صوتٍ فاختروها ، ثم أمرهم باختيار عشرةٍ منها فاختروها ، ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا . وذكر نحو ما ذكره يحيى بن علي ، ووافقه في صوت من الثلاثة الأصوات ، وخالفه في صوتين . وذكر يحيى بن علي بإسناده المذكور أن منها لحنٌ معبدٌ في شعر أبي قطيفة وهو من خفيف الثقل الأول :

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جبرون
ولحن ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة ، ولحنه من الثقل الثاني :

تشكى الكُميتُ الجري لما جهدته وبين لو يستطيع أن يتكلما
ولحن ابن مُحَرِّزٍ في شعر نصيب ، وهو من الثقل الثاني أيضاً :

أهاج هواك المنزل المتقادِم ؟ نعم ، وبه ممن شجاك معالم
وذكر جحظة عمن روى عنه أن من الثلاثة الأصوات لحن ابن مُحَرِّزٍ في شعر المجنون ، وهو من الثقل الثاني :

إذا ما طواك الدهرُ يا أمَّ مالك فشان المنايا القاضيات وشانها

ولحن إبراهيم¹ الموصليّ في شعر العرجيّ ، وهو من خفيف الثقل الثاني : [من الوافر]
إلى جيّداء قد بعثوا رسولاً ليُحرّزَها ، فلا صُحِبَ الرسولُ
ولحن ابن محرز في شعر نصيب ، وهو على ما ذكر ، هزج : [من الهزج]
أهاج هواك المنزل المتقدّم ؟ نعم وبه ممن شجاك معالمُ
وحكى عن أصحابه أنّ هذه الثلاثة الأصوات على هذه الطرائق لا تبقى نعمة في الغناء إلّا
وهي فيها .

أخبرني الحسن بن عليّ الأدمي² قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا عبد الله بن
أبي سعد الورّاق قال حدّثني أبو توبة صالح بن محمد قال حدّثني محمد بن جرير المغنيّ قال
حدّثني إبراهيم بن المهديّ : أنّ الرشيد أمر المغنّين أن يختاروا له أحسن صوت غنيّ فيه ،
فاختاروا له لحن ابن مُحَرِّز في شعر نصيب :

أهاج هواك المنزل المتقدّم ؟

قال : وفيه دورٌ كثير ، أي صنعة كثيرة . والذي ذكره أبو أحمد يحيى بن عليّ أصحُّ عندي .
ويدلّ على ذلك تبأين ما بين الأصوات التي ذكرها والأصوات الأخر في جودة الصنعة وإتقانها
وإحكام مبادئها ومقاطعها وما فيها من العمل ، وأنّ الأخر ليست مثلها ولا قريبة منها . وأخرى
هي أنّ جَحْظَةَ حكى عمّن روى عنه أنّ فيها صوتاً لإبراهيم الموصليّ ، وهو أحد من كان اختار
هذه الأصوات للرشيد ، وكان معه في اختيارها إسماعيل بن جامع وفليح [بن العوراء] ، وليس
أحدٌ منهما دونه إن لم يَفْقَهه ، فكيف يمكن أن يقال : إنهما ساعدا إبراهيم الموصلي على اختيار
لحنٍ من صنّعه في ثلاثة أصوات اختيرت من سائر الأغاني وفُضِّلَت عليها ؟ ألم يكونا لو فعلا
ذلك قد حكما إبراهيم على أنفسهما بالتقدّم والحِذْق والرياسة وليس هو كذلك عندهما ؟

ولقد أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّه أتى أباه
إبراهيم بن ميمون يوماً مسلّماً ، فقال له أبوه : يا بُنيّ ، ما أعلم أحداً بلغ من برٍّ ولده ما بلغته
من برٍّ ، وإنّي لأستقلُّ ذلك لك ، فهل من حاجةٍ أصير فيها إلى محبّتك ؟ قلت : قد كان ،
جعلتُ فداك ، كلّ ما ذكرت فأطال الله لي بقاءك ، ولكني أسألك واحدة : يموت هذا
الشيخ غداً أو بعد غد ولم أسمع ، فيقول الناس لي ماذا وأنا أحلُّ منك هذا المحلّ ؟ قال لي :
ومن هو ؟ قلت : ابن جامع . قال : صدقت يا بُنيّ ، أسرجوا لنا . فجئنا ابن جامع ، فدخل

1 ل : ولحن إسحاق .

2 من بيع الجلود .

عليه أبي وأنا معه ، فقال : يا أبا القاسم ، قد جئتكَ في حاجة ، فإن شئتَ فاشتمني ، وإن شئتَ فاقذِفني ، غيرَ أَنَّهُ لا بدَّ لك من قضائها . هذا عبدك وابن أخيك إسحاقُ قال لي كذا وكذا ، فركبت معه أسألك أن تُسَعِّفَه فيما سأل . فقال : نعم ، على شريطةٍ : تقيمان عندي أُطْعِمكما مَشْوشَةً وَقَلِيَّةً وَأَسْقِيكما من نَبِيذِ التمرِ وَأُغْنِيكما ، فإن جاءنا رسولُ الخليفة مَضِينا إِلَيْهِ وَإِلَّا أَقْمَنَا يَوْمَنَا . فقال أبي : السمع والطاعة ، وأمرَ بالدوابِ فَرُدَّتْ . فجاءنا [ابن جامع] بالمشوشة والقليَّة ونبيذه التمرِ فأكلنا وشربنا ، ثم اندفع فغَنَّا ، فنظرتُ إلى أبي يَقِلُّ في عيني ويعظمُ ابنُ جامع حتى صار أبي في عيني كلا شيء . فلَمَّا طربنا غاية الطرب جاء رسولُ الخليفة فركبنا وركبُ معهما . فلَمَّا كُنَّا في بعض الطريق قال لي أبي : كيف رأيت ابنَ جامع يا بني ؟ قلت له : أَوْ تُعْفِنِي جُعِلْتُ فِدَاكَ ! قال : لستُ أُعْفِيكَ فقل . فقلت له : رأيْتُكَ ولا شيء أكبرُ عندي منك قد صَغُرْتُ عندي في الغناء معه [حتى صرتَ كلا شيء] . ثم مضينا إلى الرشيد ، وانصرفْتُ إلى منزلي ؛ [وذلك لأنِّي لم أَكُنْ بعدُ وصلتُ إلى الرشيد] . فلَمَّا أصبحتُ أرسلُ إلى أبي فقال : يا بني ، هذا الشتاء قد هَجَمَ عليك وأنت تحتاج فيه إلى مؤونة ، وإذا مالٌ عَظِيمٌ بين يديه ، فاصْرِفْ هذا المال في حوائجك . فقمْتُ فقبَلْتُ يده ورأسه ، وأمرتُ بحمل المال وأتبعته ، فصَوَّتَ بي : يا إسحاق ارجع ، فرجعت . فقال لي : أتدري لِمَ وهبْتُ لك هذا المال ؟ قلت : نعم ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ! قال : لِمَ ؟ قلتُ : لِصِدْقِي فِيك وفي ابن جامع . قال : صدقتَ يا بني ، امضِ راشداً . ولهما في هذا الجنس أخبار كثيرة تأتي في غير هذا الموضع متفرقةً في أماكن تصلح فيها و[لا] يُسْتغنى بما ذكرها هنا عنها . فإبراهيم يُحِلُّ ابنَ جامع هذا المحلَّ مع ما كان بينهما من المنافسة والمفاخرة ثم يُقَدِّم على أن يختار فيما هو معه فيه صوتاً لنفسه يكون مقدماً على سائر الغناء ، ويطابقه هو وفُلَيْح عليه ؟! هذا خطأ لا يُتَحَيَّل . وعلى ما به فإننا نذكر الصوتين اللذين رويانهما عن جحظة المخالفين لرواية يحيى بن علي ، بعد ذكرنا ما رواه يحيى ، ثم نُتبعهما باقي الاختيار . فأول ذلك من رواية أبي الحسن علي بن يحيى .

[2 - الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة]

صوت فيه لحنان

[من البسيط]

القَصْرُ فالنخلُ فالجماءُ بينهما أشهى إلى القلبِ من أبوابِ جَيِّرونَ
إلى البلاطِ فما حازتِ قرائنه دُورٌ نَزَحْنَ عن الفَحْشاءِ والهونِ
قد يَكْتُمُ الناسُ أسراراً فأعلمُها ولا يَنالون حتى الموتِ مَكْنُونِي

عَرُوضُهُ مِنْ أَوَّلِ البسيط . القصرُ الذي عناه هاهنا : قصرُ سعيد بن العاص بالعرصة¹ .
والنخل الذي عناه : نخل كان لسعيد هناك بين قصره وبين الجماء ، وهي أرضٌ كانت له ،
فصار جميع ذلك لمعاوية بن أبي سفيان بعد وفاة سعيد ، ابتاعه من ابنه عمرو باحتمال دَيْنِهِ عنه ؛
ولذلك خبرٌ يُذكر بعدُ . وأبواب جَيِّرونَ بدمشق . ويُروى : «حازتِ قرائنه» من المحاذاة .
والقرائن : دورٌ كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة ؛ سُمِّيَتْ بذلك لاقترانها . ونزحن :
بَعُدْنَ ، والنازح : البعيد ؛ يقال : نَزَحَ نَزُوحاً . والهون : الهوان . قال الراجز : [من الرجز]

لم يُتَدَلْ مثلُ مَكْنُونٍ أبيضَ ماضٍ كالسنانِ المَسْنُونِ
كان يُوقِي نفسه من الهونِ

والمكنون : المستور الخفي ، وهو مأخوذ من الكِن . الشعر لأبي قَطِيفة المَعِيطِي ، والغناء
لمعبد ، وله في لحنان : أحدهما خفيفٌ ثقيلٌ أَوَّلُ بالوُسْطَى في مَجراها من رواية إسحاق وهو
اللحن المختار ، والآخر ثقيلٌ أَوَّلُ بالوُسْطَى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بَانَةَ .

[3] - خبر أبي قطيفة ونسبه¹

[نسب أبي قطيفة]

هو عمرو بن الوليد بن عتبة بن أبي مُعَيْط . واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . هذا الذي عليه النسابون .

وذكر الهيثم بن عدي في «كتاب المثلث» أن أبا عمرو بن أمية كان عبداً لأمية اسمه ذكوان فاستلحقه . وذكر أن دغلاً النسابة دخل على معاوية فقال له : مَنْ رأيت من عليّة قريش ؟ فقال : رأيت عبد المطلب بن هاشم وأمّية بن عبد شمس . فقال : صِفْهُمَا لِي . فقال : كان عبد المطلب أبيضَ مديد القامة حسن الوجه ، في جبينه نور النبوة وعزّ الملك ، يُطِيفُ به عشرةٌ من بنيهِ كأنّهم أسدٌ غاب . قال : فصِفْ أمّية . قال : رأيتُه شيخاً قصيراً نحيفَ الجسم ضريباً يَقُوده عبده ذكوان . فقال : مَهْ ، ذاك ابنه أبو عمرو . فقال : هذا شيء قُلتُموه بعدُ وأحدثُموه ، وأما الذي عَرَفْتُ فهو الذي أخبرْتُك به .

ثم نعود إلى سِياقة النّسب من لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . والنضر عند أكثر النّسّابين أصل قريش ، فمن ولده النضر عدّ منهم . ومن لم يُلِدْه فليس منهم . وقال بعض نسّابي قريش : بل فهر بن مالك [أصل] قريش ، فمن لم يُلِدْه فليس من قريش . ثم يعود النسب إلى النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . وولد إلياس يقال لهم خندف ، سُمُوا بأُمّهم خندف وهو لقبها ، واسمها ليلي بنت حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وهي أم مدركة وطابخة وقمعة بني إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهَمَيْسَع بن يَشْجَب ، وقيل : أشجب ، بن نبت بن قidar بن إسماعيل بن إبراهيم . هذا النسب الذي رواه نسّابو العرب وروى عن بن شهاب الزهري وهو من علماء قريش وفقهائها .

وقال قوم آخرون من النّسّابين مَن أخذ ، فيما يزعمُ ، عن دغَلٍ وغيره : معدّ بن عدنان بن أدد بن آمين بن شاجيب بن نبت بن ثعلبة بن عَزْر بن سُريج بن محلم بن العوّام بن المُحْتَمَل بن رائمة بن العقيان بن غلة بن شحدود بن الضرب بن عيفر² بن إبراهيم بن إسماعيل بن رزين بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القصور بن عتود بن ددع بن محمود بن

1 انظر معجم الشعراء للمرزباني : 67-68 (تحقيق عبد الستار فراج) القاهرة ، 1960 .

2 ل : عبقّر .

الرائد بن بدوان بن أمامة بن دَوْس بن حُصَيْن بن النَّزَال بن الغمير بن محبش بن معذر بن صَيْفِي بن نَبْت بن قَيْدَار بن إِسْمَاعِيل [ذبيح الله ابن] إبراهيم خليل الله صَلَّى الله عليهما وعلى أنبيائه أجمعين وسلّم تسليمًا . ثم أجمعوا أن إبراهيم بنُ آزَرَ وهو اسمه بالعربية كما ذكره الله تعالى في كتابه ، وهو في التوراة بالعبرانية تَارَح بن ناحور ، وقيل : النّاحر بن الشّارع وهو شارُوع بن أرغُو وهو الراح بن فالغ ، وهو قاسم الأرض الذي قسمها بين أهلها ، بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ وهو الرافد بن سام بن نوح صَلَّى الله عليه وسلّم ابن لأمك وهو في لغة العرب ملكان بن المتوشلخ وهو المنوف بن أخنخ وهو إدريس نبيّ الله عليه السلام بن يارد وهو الرائد بن مهلايل بن قَيْنان وهو قنان بن أنوش وهو الطاهر بن شيث وهو هبة الله ويقال له أيضًا : شاث بن آدم أبي البشر صَلَّى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وعلى نبينا محمد خاصة وسلّم تسليمًا . هذا الذي في أيدي الناس من النَّسَب على اختلافهم فيه .

وقد روي عن النبي ﷺ تكذيبٌ للنسابين ودفعٌ لهم . ورُوي أيضًا خلافٌ لأسماء بعض الآباء . [وقد شرحت ذلك في «كتاب النسب» شرحاً يُستغنى به عن غيره] .

[العنابس والأعياص من بني أمية]

وأبو قطيفة وأهله من العنابس من بني أمية . وكان لأمية من الولد أحد عشر ذكرًا ، كل واحد منهم يُكنى باسم صاحبه ، وهم العاص وأبو العاص ، والعيص وأبو العيص ، وعمرو وأبو عمرو ، وحرَب وأبو حرب ، وسفيان وأبو سفيان ، والعويس لا كُنى له . فمنهم الأعياص فيما أخبرنا حَرَمِي بن أبي الغلاء ، واسمه أحمد بن محمد بن إسحاق ، والطوسي ، واسمه أحمد بن سليمان ، قالوا : حدّثنا الزبير بن بَكَار عن محمد بن الصّحّاح الحزامي عن أبيه قال : الأعياص : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعويس . ومنهم العنابس¹ وهم حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو . وإنما سُموا العنابس لأنهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أمية بعكاظ وعقلوا أنفسهم وقاتلوا قتالاً شديداً فشَبَّهوا بالأسد ، والأسد يُقال لها العنابس ، واحداً عَنَبَسَ . وفي الأعياص يقول عبد الله بن فضالة الأسدي :

مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغَرَّ كَغُرَّةِ الْفَرَسِ الْجَوَادِ

[عبد الله بن فضالة وابن الزبير]

والسبب في قوله هذا الشعر ما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدّثنا عمر بن شُبَّة ، وحدّثنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخزاز ، قال : حدّثنا المدائني

وابن غزالة ، قالوا : أتى عبد الله بن فضالة بن شريك الوالبي ثم الأسدي من بني أسد بن خزيمة عبد الله بن الزبير ، فقال له : نَفِدْتُ نَفَقَتِي وَنَقِيتُ راحلتي . قال : أَحْضِرْهَا ، فَأَحْضِرْهَا . فقال : أَقْبِلْ بِهَا ، أَدِرْ بِهَا ، ففعل . فقال : اِرْقَعْهَا بِسَيْتٍ وَاحْصِفْهَا بِهَلْبٍ وَأَنْجِدْ بِهَا يَبْرُدُ خَفُّهَا وَسِرِّ الْبَرْدَيْنِ تَصِحَّ¹ . فقال ابن فضالة : إِنِّي أَتَيْتُكَ مُسْتَحِمًّا وَلَمْ آتِكَ مُسْتَوْصِفًا ، فَلَعَنَ اللَّهُ نَاقَةَ حَمَلْتَنِي إِلَيْكَ ! قال ابن الزبير : إِنَّ وَرَاكِبَهَا . فانصرف عنه ابن فضالة وقال² : [من الوافر]

أَقُولُ لِعِلْمَتِي شُدُّوا رِكَابِي أَجَاوِزُ بَطْنِ مَكَّةَ فِي سَوَادِ
فَمَالِي حِينَ أَقْطَعَ ذَاتَ عِرْقٍ إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ³
سَيِّعِدُ بَيْنَنَا نَصْرُ الْمَطَايَا وَتَعْلِقُ الْأَدَاوِي وَالْمَزَادِ⁴
وَكُلُّ مُعْبِدٍ قَدْ أَعْلَمَتْهُ مَنَاسِمُهُنَّ طُلُوعَ النَّجَادِ⁵
أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي حُبَيْبٍ نَكِدْنَ وَلَا أُمِيَّةَ بِالْبِلَادِ⁶
مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغَرَّ كُفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ

أبو حبيب : عبد الله بن الزبير ، كان يكنى أبا بكر . وحبيب : ابن له هو أكبر ولده ، ولم يكن يَكْنِيهِ بِهِ إِلَّا مِنْ ذَمِّهِ ، يجعله كاللقب له . قال : فقال ابن الزبير لَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الشَّعْرُ : عَلِمَ أَنَّهَا شَرُّ أُمَمَاتِي فَعَبَّرَنِي بِهَا وَهِيَ خَيْرُ عَمَّاتِهِ . قال البيهقي : «إِنَّ» هَاهُنَا بِمَعْنَى نَعَمْ ، كَأَنَّهُ إِقْرَارٌ بِمَا قَالَ . ومثله قول ابن قيس الرُّقِيَّاتِ :

وَيَقْلُنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا لَكَ وَقَدْ كَبُرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ

وَأُمُّ أَبِي مُعِيْطٍ أَمَنَةُ بِنْتُ أَبَانَ بْنِ كُلَيْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعَصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ

1 نَقِبُ الْبَعِيرِ : رَقَّتْ أَخْفَافُهُ . السَّبْتُ : جُلُودُ الْبَقَرِ الْمُدْبُوغَةِ بِالْقَرْظِ تُحْدَى مِنْهَا النِّعَالُ السَّبْتِيَّةُ . وَالْخَصْفُ : أَنْ يُضَافَ الْجُلُودَيْنِ بَعْضُهُمَا إِلَى بَعْضٍ وَيَخْرُجُ مِنْهُمَا ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْخَرْزِ الْمَخْصَفِ . وَالْهَلْبُ بَضْمُ الْمَاءِ : شَعْرُ الْخَنْزِيرِ الَّذِي يَخْرُجُ بِهِ ، وَأَنْجِدُ : إِذَا أَخَذَ فِي بِلَادٍ نَجْدٍ ؛ وَالْبِرْدَانُ : الْغَدَاةُ وَالْعَشْيَاءُ .

2 نَسَبُ الْبَغْدَادِيِّ 4 : 65-66 . هَذَا الشَّعْرُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ الْأَسَدِيِّ . وَأُورِدَ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ ابْنِ حُبَيْبٍ أَنَّ هَذَا الشَّعْرَ لِفُضَالَةَ بْنِ شَرِيكِ وَأَوَّلَهُ فِي آيَاتٍ :

شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنْ تَعَبْتُ قُلُوصِي فَرَدَّ جَوَابَ مُشْدُودِ الصَّفَادِ

3 ذَاتُ عِرْقٍ مُهْلٌ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَهُوَ الْخَدَّيْنِ نَجْدٌ وَتِهَامَةٌ (يَاقُوت) . وَالْكَاهِلِيَّةُ : زَهْرَاءُ بِنْتُ خَنْزَاءِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ بْنِ أَسَدٍ وَهِيَ أُمُّ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّى .

4 نَصُ الْمَطَايَا : اسْتِخْرَاجُ أَقْصَى مَا عِنْدَهَا مِنَ السَّيْرِ . وَالْأَدَاوِي : جَمْعُ إِدَاوَةٍ وَهِيَ عَوَاءُ الْمَاءِ . وَالْمَزَادُ : جَمْعُ مَزَادَةٍ وَهِيَ الرَّائِيَّةُ يَحْمِلُ فِيهَا الْمَاءُ .

5 الْمَعْبِدُ : الطَّرِيقُ الْمَذَلُّ . وَأَعْلَمَتْهُ مَنَاسِمُهُنَّ : أَثَرَتْ فِيهِ بِأَخْفَافِهَا .

6 يُقَالُ : نَكَدَهُ حَاجَتُهُ إِذَا مَنَعَهُ إِيَّاهَا وَلَمْ يَقْضِهَا .

هوازن ، ولها يقول نابغة بني جعدة :

وشاركنا قريشاً في ثقاها وفي أنسابها شرك العنان¹
بما ولدت نساء بني هلال وما ولدت نساء بني أبان
وكانت آمنة هذه تحت أمية بن عبد شمس ، فولدت له العاص وأبا العيص
والعويص وصفية وتوبة وأروى بني أمية . فلما مات أمية تزوجها بعده ابنه أبو عمرو ، وكان
أهل الجاهلية يفعلون ذلك ، يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده ، فولدت له أبا معيط ، فكان بنو
أمية من آمنة إخوة أبي معيط وعمومته ؛ أخبرني بذلك كله الطوسي عن الزبير بن بكار .
قال الزبير : وحدثني عمي مصعب قال : زعموا أن ابنها أبا العاص زوجها أخاه أبا
عمرو ، وكان هذا نكاحاً تنكحه الجاهلية ، فأنزل الله تعالى تحريمه ؛ [قال الله تعالى] :
﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
سَبِيلًا﴾ فسُمي نكاح المقت .

[مقتل عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث]

وأسير عقبة بن أبي معيط في يوم بدر ، فقتله رسول الله ﷺ صبراً . حدثنا بذلك محمد بن
جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد الرازي قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن
إسحاق في خبر ذكره طويل ، وحدثني به أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا محمد بن
إسحاق المسيبي قال حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري ، قالوا
جميعاً² : قتله رسول الله ﷺ صبراً . فقال له ، وقد أمر بذلك فيه : يا محمد ، أنا خاصة من
قريش ؟ قال نعم . قال : فمن للصبيّة بعدي ؟ قال : النار .

فلذلك يُسمّى بنو أبي معيط صبيّة النار . واختلف في قاتله ، ف قيل : إن عليّ بن أبي طالب ،
صلوات الله عليه ، تولّى قتله . وهذا من رواية بعض الكوفيين ، حدثني به أحمد ابن محمد بن
سعيد بن عقدة قال : أخبرني المنذر بن محمد اللخمي قال حدثنا سليمان بن عبّاد قال حدثني عبد
العزيز بن أبي ثابت المدني عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه عن جدّه عن
عليّ بن أبي طالب عليهم السلام : أن النبي ﷺ أمر عليّاً يوم بدر فضرب عنق عقبة بن أبي
معيط والنضر بن الحارث . وروى ابن إسحاق أن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري
قتله ، وأن الذي قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام النضر بن الحارث بن كلفة .

1 شرك العنان وشركة العنان : اشتراك شخصين في شيء خاص دون سائر أموالهما ، والثاني في أنساب الأشراف

3 : 1/4 .

2 تاريخ الطبري 2 : 459 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الحسن بن عثمان قال حدثني ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن أصحابه ، وحدثنا محمد بن جرير قال حدثنا أحمد بن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن أصحابه¹ ، قالوا : قتل رسول الله ﷺ يوم بدر عقبة بن أبي معيط صبراً : أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه ، ثم أقبل من بدر حتى إذا كان «بالصفراء»² قتل النضر بن الحارث بن كلفة أحد بني عبد الدار ، أمر علياً عليه السلام أن يضرب عنقه . قال عمر بن شبة في حديثه : «الأثيل»³ ؛ فقالت أخته فتيلة بنت الحارث ترثيه⁴ :

يا راكباً إن الأثيل مظنة	من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ به ميتاً بأن نحية	ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني إليك وعبرة مسفوحة	جادت بدرتها وأخرى تخنق
هل يسمعن النضر إن ناديته	إن كان يسمع هالك لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه	لله أرحام هنالك تشقق
صبراً يقاد إلى المنية متعباً	رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد ولأنت نسل نجية	في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما	من الفتى وهو المعيط المحنق
أو كنت قابل فدية فلنأتين	بأعز ما يغلو لديك وينفق
والنضر أقرب من أخذت برلة	وأحقهم إن كان عتق يعتق

فبلغنا أن النبي ﷺ قال : «لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته» . فيقال : إن شعرها أكرم شعر مؤتورة وأعفه وأكفه وأحلمه .

قال ابن إسحاق⁵ : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ لما كان بعرق الظبية⁶ قتل عقبة بن أبي معيط . قال حين أمر به أن يقتل : فمن للصبية يا محمد ؟

1 سيرة ابن هشام 2 : 644 .

2 الصفراء : واد قريب من بدر .

3 الأثيل : موضع بين بدر ووادي الصفراء .

4 أنساب الأشراف 1 : 144 وشرح التبريزي على الحماسة 3 : 14-15 (ط . بولاق) وفي الرواية اختلافات .

5 السيرة 2 : 744 .

6 عرق الظبية : موضع من الروحاء على ثلاثة أميال مما يلي المدينة .

قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أحد بني عمرو بن عوف .

حدثني أحمد بن الجعد قال حدثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق الأدمي قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثني الأوزاعي قال حدثني يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي قال حدثني عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : بينا رسول الله ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخنقه به خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر ، رحمة الله عليه ، [حتى أخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله ﷺ] وقال : أقتلوا رجلاً أن يقول ربي الله !

[ولاية الوليد بن عقبة الكوفة]

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان بن عفان لأمه ، أمهما أروى بنت عامر بن كُرَيز ، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . والبيضاء وعبد الله أبو رسول الله ﷺ توأمان . وكان عقبة بن أبي معيط تزوج أروى بعد وفاة عفان ، فولدت له الوليد وخالداً وعمارة وأم كلثوم ، كل هؤلاء إخوة عثمان لأمه . وولى عثمان الوليد بن عقبة في خلافته الكوفة ، فشرب الخمر وصلى بالناس وهو سكران فزاد في الصلاة ، وشهد عليه بذلك عند عثمان فجلده الحد . وسيأتي خبره بعد هذا في موضعه .

وأبو قطيفة عمرو بن الوليد يكنى أبا الوليد . وأبو قطيفة لقبٌ لقَّبَ به . وأمُّه بنت الربيع بن ذي الخمار من بني أسد بن خزيمة .

[نفي بني أمية عن المدينة]

وقال أبو قطيفة هذا الشعر حين نفاه ابن الزبير مع بني أمية عن المدينة ، مع نظائر له تشوقاً إليها .

حدثني بالسبب في ذلك أحمد بن محمد بن شبيب بن أبي شيبة البزار ، قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني ، وأخبرني ببعضه أحمد بن محمد بن الجعد قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثني أبي قال حدثني وهب بن جرير عن أبيه في كتابه المسمى « كتاب الأزارقة » ، ونسخت بعضه من كتاب منسوب إلى الهيثم بن عدي . واللفظ للمدائني في الخبر ما أتسق ، فإذا انقطع أو اختلف نسبت الخلاف إلى روايه .

[النفر الركب]

قال الهيثم بن عدي أخبرنا ابن عيَّاش عن مُجالد عن الشعبي وعن ابن أبي الجهم ومحمد بن المنتشر : أنَّ الحسين بن علي بن أبي طالب ، عليه وعلى أبيه السلام ، لما سار إلى العراق ، سمر ابن

الزبير للأمر الذي أَرَادَهُ وَلَيْسَ الْمَعْفَرِيُّ¹ وَشَبَرَ بَطْنَهُ وَقَالَ : إِنَّمَا بَطْنِي شَبَرٌ ، وَمَا عَسَى أَنْ يَسَعَ الشَّبَرُ ! وَجَعَلَ يُظْهِرُ عَيْبَ بَنِي أُمَيَّةَ وَيَدْعُو إِلَى خِلَافِهِمْ . فَأَمَّهُلَهُ يَزِيدُ سَنَةً ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ عَشْرَةً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَيْهِمُ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ . وَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ يَسْمُونَ أَوْلَئِكَ الْعَشْرَةَ النَّفَرِ الرَّكْبَ ، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِضَاهُ الْأَشْعَرِيُّ ، وَرَوْحُ بْنُ زَنْبَاعِ الْجُدَامِيُّ ، وَسَعْدُ بْنُ حَمْزَةَ الْهَمْدَانِيُّ ، وَمَالِكُ بْنُ هَبِيرَةَ السَّكُونِيُّ ، وَأَبُو كَبْشَةَ السَّكْسَكِيُّ ، وَزَمْلُ بْنُ عَمْرٍو الْعُدْرِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَقِيلَ : ابْنُ مَسْعُودَةَ الْفَرَارِيُّ ، وَأَخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَشَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنَانِيُّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ الْهَمْدَانِيُّ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِمُ ، النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ ؛ فَأَقْبَلُوا حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ، وَكَانَ النُّعْمَانُ يَخْلُوبُهُ فِي الْحِجْرِ كَثِيرًا . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِضَاهٍ يَوْمًا : يَا ابْنَ الزَّبِيرِ ، إِنَّ هَذَا الْأَنْصَارِيَّ وَاللَّهُ مَا أَمَرَ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْنَا بِمِثْلِهِ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ عَلَيْنَا ، إِنِّي وَاللَّهُ مَا أَدْرِي مَا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : يَا ابْنَ عِضَاهُ ، مَا لِي وَلَكَ ! إِنَّمَا أَنَا بِمَنْزِلَةِ حَمَامَةٍ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ ، أَفَكُنْتَ قَاتِلًا حَمَامًا مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَمَا حَرَمَةُ حَمَامِ مَكَّةَ ؟ يَا غَلَامَ ، أَتِنِّي بِقَوْسِي وَأَسْهُمِي ، فَأَتَاهُ بِقَوْسِهِ وَأَسْهُمِهِ ، فَأَخَذَ سَهْمًا فَوَضَعَهُ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ سَدَّه نَحْوَ حَمَامَةٍ مِنْ حَمَامِ الْمَسْجِدِ وَقَالَ : يَا حَمَامَةُ ، أَيَشْرَبُ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْخَمْرَ ؟ قُولِي : نَعَمْ ، فَوَاللَّهِ : لَنْ فَعَلْتَ لِأَرْمِينِكَ . يَا حَمَامَةُ ، أَتَخْلَعِينَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَتُفَارِقِينَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَتُقِيمِينَ فِي الْحَرَمِ حَتَّى يُسْتَحَلَّ بِكَ ؟ وَاللَّهِ لَنْ فَعَلْتَ لِأَرْمِينِكَ . فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : وَيْحَكَ ! أَوْ يَتَكَلَّمُ الطَّائِرُ ؟ قَالَ : لَا ! وَلَكِنَّكَ يَا ابْنَ الزَّبِيرِ تَتَكَلَّمُ . أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُبَايَعَنَّ طَائِعًا أَوْ مُكْرَهًا أَوْ لَتَتَعَرَّفَنَّ رَايَةَ الْأَشْعَرِيِّينَ فِي هَذِهِ الْبَطْحَاءِ ، ثُمَّ لَا أُعْظِمُ مِنْ حَقِّهَا مَا تُعْظِمُ . فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : أَوْ تَسْتَحِلُّ الْحَرَمَ ! قَالَ : إِنَّمَا يَسْتَحِلُّهُ مَنْ أَلْحَدَ فِيهِ . فَحَبَسَهُمْ شَهْرًا ثُمَّ رَدَّهُمْ إِلَى يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى شَيْءٍ . وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ بْنِ الْجَعْدِ : وَقَالَ بَعْضُ الشَّعْرَاءِ ، وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى ، وَاسْمُهُ السَّائِبُ بْنُ فَرُّوخَ يَذْكُرُ ذَلِكَ وَشَبَرَ ابْنَ الزَّبِيرِ بَطْنَهُ :

ما زال في سورة الأعراف يدرسها حتى بدا لي مثل الخز في اللين
لو كان بطنك شبراً قد شبت وقد أفضلت فضلاً كثيراً للمساكين

[خلع ابن الزبير يزيد]

قال الهيثم : ثم إن ابن الزبير مضى إلى صَفِيَّةَ بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر ، فذكر لها أنَّ خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله ، عليه السلام ، والمهاجرين والأنصار من أثر معاوية وابنه [وأهله] بالفيء ، وسألها مسأله أن يبايعه . فلما قدمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير

واجتهاده ، وأثنت عليه وقالت : ما يدعو إلا إلى طاعة الله جلّ وعزّ ، وأكثرت القول في ذلك . فقال لها : أما رأيتِ بَعَلَاتٍ معاوية اللواتي كان يُحجُّ عليهنَّ الشُّهْبُ ، فإن ابن الزبير ما يريد غيرهنّ . قال المدائني في خبره : وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومالاه على ذلك أكثر الناس . فدخل عليه عبد الله بن مُطيع وعبد الله بن حنظلة وأهل المدينة المسجد وأتوا المنبر فخلعوا يزيد . فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي : خلعتُ يزيد كما خلعتُ عمامتي ، ونزعها عن رأسه وقال : إني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي ، ولكنّ عدوّ الله سيّئٌ خَمِيرٌ . وقال آخر : خلعتُه كما خلعتُ نعلي . وقال آخر : خلعتُه كما خلعتُ ثوبي . وقال آخر : قد خلعتُه كما خلعتُ خُفِّي ، حتى كُثرتِ العمائمُ والنِّعالُ والخِفافُ ، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك ، وامتنع منه عبد الله بن عمر ، ومحمد بن عليّ بن أبي طالب ، عليهما السلام ، وجرى بين محمد خاصّة وبين أصحاب ابن الزبير فيه قولٌ كثير ، حتى أرادوا إكراهه على ذلك ، فخرج إلى مكّة ؛ وكان هذا أوّل ما هاج الشّرّ بينه وبين ابن الزبير .

| وقعة الحرّة |

قال المدائني : واجتمع أهلُ المدينة لإخراج بني أميّة عنها . فأخذوا عليهم العهود ألاّ يُعينوا عليهم الجيش ، وأن يرُدُّوهم عنهم ؛ فإن لم يقدرُوا على رُدِّهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم . فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان : أنشدكم الله في دمائكم وطاعتكم ! فإنّ الجنود تأتیکم وتطوُّكم ، وأعذِرْ لكم ألاّ تخرجوا أميركم ؛ إنکم إن ظفرتُم وأنا مقيمٌ بين أظهرکم فما أيسرَ شأنِي وأقدرُكم على إخراجي ! وما أقول هذا إلاّ نظراً لكم أريد به حقن دمائكم . فشتموه وشتمو يزيد ، وقالوا : لا نبداً إلاّ بك ، ثم نُخرجهم بعدك . فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إنّ هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى ، فضمّ عيالنا . فقال : لست من أمرکم وأمر هؤلاء في شيء . فقام مروان وهو يقول : قبح الله هذا أمراً وهذا ديناً . ثم أتى عليّ بن الحسين ، عليهما السلام ، فسأله أن يضمّ أهله وثقله ففعل ، ووجَّههم وامرأته أمّ أبان بنت عثمان إلى الطائف ومعها ابناه : عبد الله ومحمد . فعرض حُرَيْثُ رَقَاصَة وهو مولی لبني بهز من سلیم كان بعض عمّال المدينة قطع رجله ، فكان إذا مشى كأنه يرقص ، فسُمِّي رَقَاصَة ، لثقل مروان وفيه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب ، فضربته بعضاً فكادت تدقّ عنقه ، فولّى ومضى . ومضوا إلى الطائف وأخرجوا بني أميّة . فحسّ بهم سليمان بن أبي الجهم العدويّ وحريث رَقَاصَة ، فأراد مروان أن يصلّي بمن معه فمنعوه ، وقالوا : لا يُصلّي والله بالناس أبداً ، ولكن إن أراد أن يصلّي بأهله فليصلّ ، فصلّى بهم ومضى . فمرّ مروان بعبد الرحمن بن أّزهر الزهريّ ، فقال له : هلُمّ إليّ يا أبا عبد الملك ، فلا يصلّ إليك مكروه ما بقي

رجلٌ من بني زُهرة . فقال له : وصلتك رَحِمٌ ، قومنا على أمرٍ فأكره أن أعرضك لهم . وقال ابن عمر بعد ذلك ، لما أخرجوا ونَدِمَ على ما كان قاله لمروان : لو وجدتُ سبيلاً إلى نصر هؤلاء لفعلت ؛ فقد ظَلِموا وُبِغِي عليهم . فقال ابنه سالم : لو كَلَمْتُ هؤلاء القوم ! فقال : يا بني ، لا ينزع هؤلاء القوم عما هم عليه ، وهم بعين الله ، إن أراد أن يُغَيِّرَ غيرَ . قال : فمضوا إلى ذي خُشب¹ ، وفيهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان والوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وأتبعهم العبيد والصبيان والسَّقَلَة يرمونهم . ثم رجع حُرَيْث رَقَاصَة وأصحابه إلى المدينة ، وأقامت بنو أميَّة بذي خُشب عشرة أيام ، وسرَّحوا حبيب بن كُرة إلى يزيد بن معاوية يُعلمونه ، وكتبوا إليه يسألونه العَوث . وبلغ أهل المدينة أنهم وجَّهوا رجلاً إلى يزيد ، فخرج محمد بن عمرو بن حزم ورجل من بني سليم من بهز وحرث رَقَاصَة وخمسون راكباً فأزعجوا بني أميَّة منها ، فنخس حرثٌ بمروان فكاد يسقط عن ناقته ، فتأخَّر عنها وزجرها وقال : اعلي واسلمي . فلما كانوا بالسَّويداء² عرض لهم مولى لمروان ، فقال : جُعلتُ فِداك ! لو نزلت فأرحت وتغدَّيت ! فالغداء حاضر كثير قد أدرك . فقال : لا يدعني رَقَاصَة وأشباهه ، وعسى أن يمكن الله منه فتقطع يده . ونظر مروان إلى ماله بذي خُشب فقال : لا مال إلَّا ما أحرزته العِيابُ . فمضوا فنزلوا حَقِيلًا³ أو وادي القُرى ؛ وفي ذلك يقول الأصوص :
[من البسيط]

لا تَرْتِينَ الحَزْمِيَّ رَأَيْتَ بِهِ ضُرّاً ولو سَقَطَ الحَزْمِيُّ فِي النَّارِ
الناخِسِينَ بِمَروانٍ بذي خُشبِ والمُقَحِّمِينَ عَلَى عثمانٍ فِي الدَّارِ

قال المدائني : فدخل حبيب بن كُرة على يزيد ، وهو واضعُ رِجله في طستٍ لوجع كان يجده ، بكتاب بني أميَّة وأخبره الخبر . فقال : أما كان بنو أميَّة ومواليهم ألف رجل ؟ قال : بلى وثلاثة آلاف . قال : أفعجزوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار ؟ قال : كثرتهم الناس ولم تكن لهم بهم طاقة . فندَّب الناس وأمرَ عليهم صخر بن أبي الجهم القيني ، فمات قبل أن يخرج الجيش ، فأمر مسلم بن عقبة الذي يسمَّى مُسْرِفاً . قال : وقال ليزيد : ما كنت مُرسلاً إلى المدينة أحداً إلَّا قَصَّر وما صاحبهم غيري ؛ إنِّي رأيت في منامي شجرة غرقِدٍ تصيح : على يَدَي مسلم ، فأقبلتُ نحو الصوت فسمعتُ قائلاً يقول : أدرك ثأرك أهل المدينة قتلة عثمان . فخرج مسلم وكان من قصَّة الحرَّة ما كان على يده ، وليس هذا موضعه . فقال أبو قطيفة في ذلك لما أخرجوا عن المدينة :

1 ذو خُشب : واد على مسافة ليلة من المدينة .

2 السَّويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام .

3 حَقِيل : موضع .

صوت من غير المائة فيه لحنان

[تشويق أبي قطيفة إلى المدينة]

[من الطويل]

بَكَى أَحَدٌ لَمَّا تَحَمَّلَ أَهْلُهُ فَكَيْفَ بَذِي وَجَدٍ مِنَ الْقَوْمِ آلِفِ
 مِنْ أَجْلِ أَبِي بَكْرٍ جَلَتْ عَنْ بِلَادِهَا أُمِّيَّةٌ ، وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَصَارِفِ
 عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ ، وَفِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلُ . والغناء لسائب خائِرٍ ، خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى ،
 ذَكَرَ ذَلِكَ حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ فِيهِ لَحْنًا آخَرَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ لَا يُعْرِفُ صَاحِبُهُ . قَالَ الْهَيْثَمُ فِي
 خَبْرِهِ : وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَعْمَى فِي ذَلِكَ :

[من الطويل]

قَدْ حَلَّ فِي دَارِ الْبَلَّاطِ مُجَوِّعٌ وَدَارِ أَبِي الْعَاصِ التَّمِيمِيِّ حَتِّفٌ¹
 فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا وَلَا مِثْلَنَا عَنْ مِثْلِهِمْ يَنْكَفُّ

[من الطويل]

وقال أبو قطيفة أيضاً :

صوت من غير المائة فيه ثلاثة ألحان

بَكَى أَحَدٌ لَمَّا تَحَمَّلَ أَهْلُهُ فَسَلَّعَ فِدَارُ الْمَالِ أَمْسَتْ تَصَدَّعُ
 وَبِالشَّامِ إِخْوَانِي وَجُلُّ عَشِيرَتِي فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي إِلَيْهِمْ تَطَّلَعُ
 عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . غَنَّى فِيهِ دَحْمَانُ ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِإِطْلَاقِ الْوَتَرِ فِي مَجْرَى
 الْبِنْصَرِ مِنْ رَوَايَةِ إِسْحَاقَ . وَفِيهِ لِمُعَبَّدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى مِنْ رَوَايَةِ حَبَّشَ . وَذَكَرَ إِسْحَاقُ
 أَنَّ فِيهِ لَحْنًا فِي خَفِيفِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْخِنْصَرِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ مَجْهُولِ الصَّانِعِ . وَقَالَ أَبُو
 قُطَيْفَةَ أَيْضًا :

[من الخفيف]

صوت من غير المائة المختارة

لَيْتَ شِعْرِي: هَلْ الْبَلَّاطُ كَعَهْدِي وَالْمُصَلَّى إِلَى قُصُورِ الْعَقِيقِ ؟
 لَأَمْنِي فِي هَوَاكِ يَا أُمَّ يَحْيَى مِنْ مُبِينٍ بَغْثُهُ أَوْ صَدِيقِ
 عَرَّوْضُهُ مِنَ الْخَفِيفِ . غَنَّاهُ مُعَبَّدٌ وَيُقَالُ دَحْمَانُ ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى
 الْوَسْطَى ، وَذَكَرَ إِسْحَاقُ أَنَّهُ لَا يُعْرِفُ صَاحِبَهُ .
 حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ : كَانَ ابْنُ

1 البَلَّاطُ : مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ . هُوَ الْخَنْتَفُ بْنُ السَّجْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَوْفٍ كَانَ دِينًا شَرِيفًا ، الْمَعَارِفُ لِابْنِ قُتَيْبَةَ

الزبير قد نفى أبا قطيفة مع من نفاه من بني أمية عن المدينة إلى الشام ؛ فلما طال مقامه بها قال :

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا
وهل برحت بطحاء قبر محمد
لهم منتهى حبي وصفو مودتي
قال وقال أيضاً :

صوت من غير المائة المختارة

أعلى العهد يلبن فبرام
أم كعهدي العقيق أم غيرته
وبأهلي بذلت عكاً ولخماً
وتبدلت من مساكن قومي
كل قصر مشيد ذي أواس
إقر مني السلام إن جئت قومي

عروضه من الخفيف ، غناه معبد ، ولحنه ثقیل أول بالخنصر في مجرى البصر .
و«يلبن» و«برام» : موضعان . والآطام : جمع أطم ، وهي القصور والحصون . وقال
الأصمعي : الآطام : الدور المسطحة السقوف . وفي رواية ابن عمار : «ذي أواس»
بالشين معجمة ؛ كأنه أراد به أن هذه القصور موشية أي منقوشة . ورواه إسحاق :
«أواس» بالسين غير معجمة ، وقال : واحدها آسي ، وهو الأصل . قال ويقال : فلان في
آسيه ، أي في أصله . والآسي والأساس واحد . وذرى كل شيء : أعاليه ، وهو جمع ،
واحدته ذروة . ويروى : «أبلغن السلام إن جئت قومي» .

وروى الزبير بن بكار هذه الأبيات لأبي قطيفة ، وزاد فيها :

أقطع الليل كله باكتئاب
نحو قومي إذ فرقت بيننا الداء
خشية أن يصيبهم عنت الدهر
فلقد حان أن يكون لهذا الداء

[عفو ابن الزبير عن أبي قطيفة وعودته إلى المدينة وموته]

رجع الخبر إلى سياقته من رواية ابن عمّار . وأخبرنا بمثله من هذا الموضع الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الحزّامي ، وهو إبراهيم بن المنذر ، عن مُطَرِّف بن عبد الله المدنيّ قالا : إنّ ابن الزبير لما بلغه شعر أبي قطيفة هذا قال : حنّ والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله ، من لقيه فليخبره أنّه آمنٌ فليرجع . فأخبر بذلك فانكفأ إلى المدينة راجعاً ، فلم يصل إليها حتى مات . قال ابن عمّار : فحدثت عن المدائني أنّ امرأة من أهل المدينة تزوّجها رجل من أهل الشام ، فخرج بها إلى بلده على كرهٍ منها ، فسمعت مُنشداً يُنشد شعر أبي قطيفة هذا ، فشبهت شهقةً وخرّت على وجهها ميتة ؛ هكذا ذكر ابن عمّار في خبره .

وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبي عن أيوب بن عباية قال قال حدثني سعيد بن عائشة مولى آل المطلّب بن عبد مناف قال : خرجت امرأة من بني زُهرة في خِفٍّ¹ ، فرآها رجل من بني عبد شمس من أهل الشام فأعجبته ، فسأل عنها فُسبت له ، فخطبها إلى أهلها فزوّجوه [إياها] بكَرِهٍ منها ، فخرج بها إلى الشام . [وخرّجت مخرّجاً] ، فسمعت متمثلاً يقول :

صوت من غير المائة المختارة

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا
جُبُوبُ المصلّى أم كعهدي القرائنُ؟²
وهل أدورُ حولَ البلاطِ عوامِرُ
من الحيّ أم هل بالمدينة ساكنُ ؟
إذا برّقتْ نحوَ الحِجازِ سحابةٌ
دعا الشوقَ منّي برّقها المتيامنُ
فلَمْ أتركْها رغبةً عن بلادها
ولكنّه ما قدّر الله كائنُ
عروضه من الطويل ، يقال : إن لمبعد فيه لحناً ، قال : فتنفّست بين النساء فوقعت ميتة .
قال أيوب : فحدثت بهذا الحديث عبد العزيز بن أبي ثابت الأعرج فقال : أتعرفها ؟ قلت لا .
قال : هي والله عمّتي حميدة بنت عمر بن عبد الرحمن بن عوف .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال أخبرني ابن عائشة قال : لما أُجلى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز قال أيمن بن خريم الأسدي :

كَانَ بنِي أُمَيَّةَ يَوْمَ راحُوا
وعُريّ عن منازلهم صرّاراً³

1 يقال : خرج فلان في خِفٍّ أي في جماعة قليلة من أصحابه .

2 الجيوب : الحجارة والأرض الصلبة .

3 صدار بالبدال كغراب : موضع قرب المدينة ، صرار : جبل .

شَمَارِيخُ الْجِبَالِ إِذَا تَرَدَّتْ بِزِينَتِهَا وَجَادَتْهَا الْقِطَارُ¹
 وأخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن سعد الكُرَاني قال حدثنا العُمري عن
 العتبي قال : كتب أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عتبة إلى أبيه وهو يتولّى الكوفة لعثمان بن
 عفان :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْأَمِيرَ بَأَنِّي أَرْقُ بِلا دَاءٍ سِوَى الْإِنْعَاطِ
 إِنْ لَمْ تُغْنِنِي خِفْتُ إِيْمَتَكَ أَوْ أَرَى فِي الدَّارِ مُحْدُوْدًا بِزُرْقٍ لِحَاطِ
 يعني دار عثمان التي تُقام فيها الحدود . فابتاع له جارية بالكوفة وبعث بها إليه .
 أخبرني عبد الله بن محمد الرّازي قال حدثنا الخَرَّاز عن المدائني قال : كان أبو قطيفة من
 شعراء قريش ، وكان مِّن نِّفَاهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَى الشَّامِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ : [من الطويل]
 وَمَا أَخْرَجْنَا رَغْبَةً عَنْ بِلَادِنَا وَلَكِنَّهُ مَا قَدَّرَ اللَّهُ كَائِنُ
 أَجِنُ إِلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ صَبَابَةً كَأَنِّي أُسِيرُ فِي السَّلَاسِلِ رَاهِنُ
 وكان يتحرّق على المدينة ؛ فَأَتَى عَبَّادُ بْنُ زِيَادٍ يَوْمَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ خَالَه أَخْبَرَهُ أَنَّ
 الْعِرَاقِيْنَ قَدْ فَتَحَا . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِأَبِي قَطِيْفَةَ لِمَا يَعْلَمُهُ مِنْ حُبِّهِ الْمَدِيْنَةَ : أَمَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُهُ عَبَّادُ
 عَنْ خَالَهِ ؟ قَدْ طَابَتْ لَكَ الْمَدِيْنَةُ الْآنَ . فَقَالَ أَبُو قَطِيْفَةَ : [من البسيط]

إِنِّي لِأَحْمَقُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ إِنْ غَرَّنِي مِنْ حَيَاتِي خَالُ عَبَّادٍ
 أَنَّنَا يَقُولُ لَنَا الْمِصْرَانِ قَدْ فُتِحَا وَدُونَ ذَلِكَ يَوْمَ شَرُّهُ بَادِي
 قال : وَأَذِنَ لَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي الرَّجُوعِ ، فَرَجَعَ فَمَاتَ فِي طَرِيقِهِ .

[قصر سعيد بن العاص بالعرة]

وَأَمَّا خَبَرُ الْقَصْرِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَبِيعُهُ مِنْ مَعَاوِيَةَ ، فَأَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ
 أَبِيهِ قَالَ ذَكَرَ مُصْعَبُ بْنُ عَمَّارٍ بْنُ مُصْعَبِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ : أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ لَمَّا حَضَرَتْهُ
 الْوَفَاةُ وَهُوَ فِي قَصْرِهِ هَذَا ، قَالَ لَهُ ابْنُهُ عَمْرُو : لَوْ نَزَلْتَ إِلَى الْمَدِيْنَةِ ! فَقَالَ : يَا بَنِي ، إِنْ قَوْمِي لَنْ
 يَضُنُّوا عَلَيَّ بِأَنْ يَحْمِلُونِي عَلَى رِقَابِهِمْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَإِذَا أَنَا مُتُّ فَأَذِنْتُهُمْ ، فَإِذَا وَارَيْتَنِي فَاَنْطَلِقُ إِلَى
 مَعَاوِيَةَ فَانْعِنِي لَهُ ، وَأَنْظُرْ فِي دِينِي ؛ وَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيَعْرِضُ عَلَيْكَ قَضَاءُهُ فَلَا تَفْعَلْ ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ
 قَصْرِي هَذَا ؛ فَإِنِّي إِنَّمَا اتَّخَذْتُهُ نَزْهَةً وَلَيْسَ بِمَالٍ . فَلَمَّا مَاتَ أَذِنَ بِهِ النَّاسُ ، فَحَمَلُوهُ مِنْ قَصْرِهِ
 حَتَّى دُفِنَ بِالْبَقِيعِ ، وَرَوَّاحِلُ عَمْرُو بْنِ سَعِيدٍ مُنَاحَةٌ ، فَعَزَّاهُ النَّاسُ عَلَى قَبْرِهِ وَودَّعُوهُ ، فَكَانَ هُوَ
 أَوَّلَ مَنْ نَعَاهُ لِمَعَاوِيَةَ ؛ فَتَوَجَّعَ لَهُ وَتَرَحَّمَّ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَلْ تَرَكَ دِينًا ؟ قَالَ نَعَمْ . [قال : كم هو ؟

1 شَمَارِيخُ الْجِبَالِ : رُؤُوسُهَا ، وَاحِدُهَا شِمْرَاخ . الْقِطَارُ : جَمْعُ قَطَرٍ وَهُوَ الْمَطَرُ .

قال [ثلثمائة ألف درهم . قال : هي عليّ . قال : قد ظنّ ذلك وأمرني ألا أقبله منك ، وأن أعرض عليك بعض ماله ففتتاحه فيكون قضاء دينه منه . قال : فاعرض عليّ . قال : قصره بالعرصة . قال : قد أخذته بدينه . قال : هو لك على أن تحملها إلى المدينة وتجعلها بالوافية . قال نعم . فحملها له إلى المدينة وفرّقها في غُرمائه ، وكان أكثرها عِداتٍ . فأتاه شابٌّ من قريش بصكٍّ فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيدٍ على نفسه وشهادة مولى له عليه . فأرسل إلى المولى فأقرأه الصكّ ؛ فلمّا قرأه بكى وقال : نعم هذا خطّه وهذه شهادتي عليه . فقال له عمرو : من أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألف درهم وإنّما هو قديماً صعلوك من صعاليك قريش ؟ قال : أخبرك عنه ، مرّ سعيدٌ بعد عزله ، فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله ، فوقف له سعيد فقال : ألك حاجة ؟ قال : لا ، إلّا أنّي رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصلَ جناحك . فقال لي : ائتني بصحيفة ، فأتيته بهذه ، فكتب له على نفسه هذا الدّين وقال : إنك لم تصادف عندنا شيئاً فخذ هذا ، فإذا جاءنا شيء فأتنا . فقال عمرو : لا جرّم والله لا يأخذها إلّا بالوافية ، أعطه إياها ؛ فدفع إليه عشرين ألف درهم وافية .

[جود سعيد بن العاص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا الصّلتُ بن مسعود قال حدّثنا سفيان بن عيينة قال حدّثنا هارون المدائني قال : كان الرجل يأتي سعيد بن العاص يسأله فلا يكون عنده ، فيقول : ما عندي ، ولكن اكتب عليّ به ، فيكتب عليه كتاباً ، فيقول : تُروني أخذتُ منه ثمن هذا ؟ لا ، ولكنه يجيء فيسألني فينزو دم وجهه في وجهي فأكره ردّه . فأتاه مولى لقريش بابن مولاه وهو غلام فقال : إنّ أبا هذا قد هلك وقد أردنا تزويجه . فقال : ما عندي ، ولكن خذ ما شئت في أمانتي . فلمّا مات سعيد بن العاص جاء الرجل إلى عمرو بن سعيد فقال : إنّني أتيتُ أباك بابن فلان ، وأخبره بالقصة . فقال له عمرو : فكم أخذت ؟ قال : عشرة آلاف . فأقبل عمرو على القوم فقال : من رأى أعجز من هذا ! يقول له سعيدٌ : خذ ما شئت في أمانتي فيأخذ عشرة آلاف ! لو أخذت مائة ألفٍ لأدّيتها عنك .

[أبو قطينة يفتخر بنسبه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن ابن الكلبي قال : قال أبو القطيفة ، وكانت أمّه وأمُّ خالد بن الوليد بن عقبة عمّة أروى بنت أبي عَقِيل بن مسعود بن عامر بن مُعْتَب : [من الوافر]

أنا ابن أبي مُعِيطٍ حين أنمى لأكرم ضيضيء وأعرّ جيل¹

وَأُتِمِّيَ لِلْعَقَائِلِ مِنْ قُصَيٍّ وَمَخْزُومٍ فَمَا أَنَا بِالضَّئِيلِ
وَأَرْوَى مِنْ كُرَيْزٍ قَدْ نَمَتْنِي وَأَرْوَى الْخَيْرِ بِنْتُ أَبِي عَقِيلِ
كِلَا الْحَيَيْنِ مِنْ هَذَا وَهَذَا لَعَمْرُ أَبِيكَ فِي الشَّرَفِ الطَّوِيلِ
فَعَدَّدَ مِثْلَهُنَّ أَبَا ذُبَابٍ لِيَعْلَمَ مَا تَقُولُ ذَوُو الْعُقُولِ
فَمَا الزَّرَقَاءُ لِي أُمًّا فَأَخْزَى وَلَا لِي فِي الْأَزَارِقِ مِنْ سَبِيلِ

قال : يعني بأبي الذُّباب عبدَ الملك . والزرقاء : إحدى أمهاته من كندة ، وكان يُعيرُ بها .
أخبرني الحسن بن علي قال أخبرني محمد بن زكريا قال حدثنا قَعْنَبُ بن المحرِّز قال حدثنا
المدائني قال : بلغ أبا قطيفة أنَّ عبد الملك بن مروان يتنقَّصه ، فقال : [من الطويل]
نُبِّئْتُ أَنَّ ابْنَ الْعَمَلَسِ عَابَنِي وَمَنْ ذَا مِنَ النَّاسِ الْبَرِيِّ الْمُسْلِمِ ؟
مَنْ أَنْتُمْ مَنْ أَنْتُمْ خَبَرُونَا مَنْ أَنْتُمْ فَقَدْ جَعَلْتُ أَشْيَاءَ تَبْدُو وَتُكْتَمُ !
فبلغ ذلك عبدَ الملك فقال : ما ظننتُ أنَّا نُجْهَلُ ، والله لولا رِعايتي لحرَّمته لألحقته بما
يعلم ، ولقَطَعْتُ جلده بالسَّيِّطِ .

[شعر أبي قطيفة في امرأته بعد طلاقها]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةُ قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن العُتْبِيِّ قال :
طلَّقَ أَبُو قَطِيفَةَ امْرَأَتَهُ ، فَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، ثُمَّ نَدِمَ بَعْدَ أَنْ رَحَلَ بِهَا الرَّجُلَ
وَصَارَتْ لَهُ ، فَقَالَ :

فِيَا أَسْفَا لِفُرْقَةٍ أُمِّ عَمْرٍو وَرِحْلَةٍ أَهْلِهَا نَحْوَ الْعِرَاقِ
فَلَيْسَ إِلَى زِيَارَتِهَا سَبِيلٌ وَلَا حَتَّى الْقِيَامَةِ مِنْ تَلَاقِي
وَعَلَّ اللَّهُ يَرْجِعُهَا إِلَيْنَا بِمَوْتٍ مِنْ حَلِيلٍ أَوْ طَلَاقِ
فَارْجِعْ شَامِتًا وَتَقَرَّ عَيْنِي وَيُجْمَعَ شَمْلُنَا بَعْدَ افْتِرَاقِ

[مقتل سعيد بن عثمان بالمدينة]

أخبرني عمِّي ومحمد بن جعفر قالَا حدثنا الحسن بن عُليِّل العَنَزِيُّ قال حدثنا محمد بن علي بن
أبي حَسَّانَ عن هشام بن محمد عن خالد بن سعيد عن أبيه قال : استعمل معاوية سعيد بن عثمان
على خراسان ، فلمَّا عزله قَدِمَ المَدِينَةَ بِمَالٍ وَسِلَاحٍ وَثَلَاثِينَ عَبْدًا مِنَ السُّعْدِ ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبْنُوا لَهُ
دَارًا . فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ فِيهَا وَمَعَهُ ابْنُ سَيْحَانَ وَابْنُ زَيْنَةَ وَخَالِدُ بْنُ عُقْبَةَ وَأَبُو قَطِيفَةَ إِذْ تَأَمَّرُوا بَيْنَهُمْ
فَقَتَلُوهُ ؛ فَقَالَ أَبُو قَطِيفَةَ يَرِثِيهِ ، وَقِيلَ إِنَّهَا لِخَالِدِ بْنِ عُقْبَةَ :

[من البسيط]

يَا عَيْنُ جُودِي بَدْمَعٍ مِنْكَ تَهْتَانَا وَابْكِي سَعِيدَ بْنَ عَثْمَانَ بِنِ عَفَّانَا
إِنْ ابْنَ زَيْنَةَ لَمْ تَصْدُقْ مَوَدَّتَهُ وَفَرَّ عَنْهُ ابْنُ أَرْطَاةَ بِنِ سَيْحَانَا

[4] - ذكر معبد وبعض أخباره

هو مَعْبُدُ بن وَهْب ، وقيل ابن قُطَيْبٍ مَوْلَى ابن قطر ، وقيل ابن قُطْن مولى العاص بن وابتصة المخزومي ، وقيل بل مولى معاوية بن أبي سفيان .
 أخبرني الحرُمِيُّ بن أبي العلاء قال حَدَّثَنَا الزبير بن بَكَار قال حَدَّثَنِي عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهري قال : معبدُ المغنِّي ابن وهب مولى عبد الرحمن بن قطر .
 وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال ابن الكلبي : معبدُ مولى ابن قطر ، والقطريون موالى معاوية بن أبي سفيان .

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حَدَّثَنَا عُمَرُ بن شَبَّة قال حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّان قال : معبد بن وهب مولى ابن قُطْن وهم موالى آل وابتصة من بني مخزوم ، وكان أبوه أسود وكان هو خِلاسيًّا مديد القامة أُحُول .

وذكر ابن خُرْداذبِه أَنَّهُ غَنَّى في أوَّل دولة بني أُمَيَّة ، وأدرك دولة ولد العباس ، وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل ، فكان إذا غَنَّى يُضْحَكُ منه ويُهْزَأُ به . وابن خُرْداذبِه قليلُ التصحيح لما يرويه ويضمُّه كُتِبَه . والصحيح أنَّ معبدًا مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده . وقد قيل : إِنَّه كان أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل صوته . فأما إدراكه دولة بني العباس فلم يَرَوْه أحد سوى ابن خُرْداذبِه ولا قاله ولا رَوَاهُ عن أحد ، وإنَّما جاء به مُجازفَةً .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حَدَّثَنَا عُمَرُ بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي أَيُّوب بن عُمَرُ أَبُو سَلَمَةَ المَدِينِيَّ قال حَدَّثَنَا عبد الله بن عمران بن أبي فُرَّوة قال حَدَّثَنِي كَرْدَمُ بن معبد المغنِّي مولى ابن قُطْن قال : مات أبي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه ، فنظرتُ حين أُخْرِجَ نعشه إلى سَلَامَةِ القَسِّ ، جارية يزيد بن عبد الملك ، وقد أَضْرَبَ الناس عنه ينظرون إليها وهي آخذة بعمود السرير ، وهي تبكي أبي وتقول :

قد لَعَمْرِي بَتْ لَيْلِي	كأخي الداءِ الوجيع
وَنَجِيُّ الهَمِّ مِنِّي	بات أدنى من ضَجِيعِي
كَلَّمَا أَبْصَرْتُ رُبْعاً	خالياً فاضتُ دموعي
قد خَلا من سَيِّدٍ كا	ن لنا غير مُضِيع
لا تَلَمُّنَا إِن خَشَعْنَا	أو هَمَمْنَا بِخُشُوع

قال كَرْدَمُ : وكان يزيدُ أَمَرَ أبي أن يعلمها هذا الصوت ، فعلمها إِيَّاه فندبته به يومئذٍ . قال :

فلقد رأيتُ الوليدَ بنَ يزيدَ والغَمَرُ أخاهُ متجرِّدينَ في قميصينِ ورداءينِ يمشيانِ بينَ يديَّ سيره حتى أُخْرِجَ من دار الوليد ؛ لأنَّه تولَّى أمره وأخرجه من داره إلى موضع قبره .

فأمَّا نسبةُ هذا الصوت ، فإنَّ الشعرَ للأحوص ، والغناءَ لمعبد ، ذكره يونس ولم يُجَنِّسه . وذكر الهشاميُّ أنَّه ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى ، قال : وفيه لَحَابَةٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ ، ولابنُ المَكِّي ثَقِيلٌ أَوَّلُ نشيد . وفيه لِسَلَامَةِ القسِّ عن إسحاق لَحْنٌ من القدر الأوسط من الثَقِيلِ الأَوَّلِ بالوسطى في مجراها .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال أبو عبيدة : ذَكَرَ مَوْلَى لَالِ الزبير ، وكان منقطعاً إلى جعفرٍ ومحمد ابني سليمان بن عليٍّ : أنَّ معبدًا عاش حتى كَبُرَ وانقطع صوته ، فدعاه رجلٌ من ولد عثمان ، فلمَّا غَنَى الشيخُ لم يطرب القوم ، وكان فيهم فتيانٌ نَزُولٌ¹ من ولد أسيد بن أبي العيص بن أمية ، فضحكوا منه وهزئوا به ، فأنشأ يقول² :

فَضَحْتُم قَرِيشًا بِالْفِرَارِ وَأَنْتُمْ قُمَدُونَ سُودَانُ عِظَامِ الْمَنَاكِبِ
فَأَمَّا الْقِتَالُ لَا قِتَالَ لَدَيْكُمْ وَلَكِنْ سِيرًا فِي عِرَاضِ الْمَوَاكِبِ

وهذا شعرٌ هُجُوا به قديمًا ، فقاموا إليه ليتناولوه ؛ فمنعهم العثمانيُّ من ذلك وقال : ضَحِكْتُمْ منه حتى إذا أَحْفَظْتُمُوهُ أَرَدْتُمْ أَنْ تَتَنَاولُوهُ ، لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ . قال إسحاق : فحدَّثني ابنُ سَلَامٍ قال أخبرني من رآه على هذه الحالِ فقال له : أَصِرْتَ إِلَى مَا أَرَى ؟ فَأشار إلى حَلْقِهِ وقال : إِنَّمَا كَانَ هَذَا ؛ فَلَمَّا ذَهَبَ ذَهَبَ كُلُّ شَيْءٍ .

[اعتراف المغنين لمعبد بالتفوق]

قال إسحاق : كان معبد من أحسن الناس غناءً ، وأجودهم صنعةً ، وأحسنهم حَلْقًا ؛ وهو فحل المغنين وإمام أهل المدينة في الغناء ، وأخذ عن سائب خاتِرٍ ، ونشيطٍ مولى عبد الله بن جعفر ، وعن جميلة مولاة بهزٍ ، (بَطْنٍ من سُلَيْمٍ) ، وكان زوجها مولى لبني الحارث بن الخزرج ؛ فقليل لها مولاة الأنصار لذلك . وفي معبد يقول الشاعر :

أَجَادَ طَوْسٌ وَالسُّرَيْجِيُّ بَعْدَهُ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَعْبَدٍ

قال إسحاق قال ابن الكلبي عن أبيه : كان ابن أبي عتيق خرج إلى مكة فجاء معه ابن سريج إلى المدينة ، فأسمعوه غناء معبد وهو غلام ، وذلك في أيام مُسْلِمِ بن عُقْبَةَ المُرِّي ، وقالوا : مَا تَقُولُ فِيهِ ؟ فقال : إِنْ عَاشَ كَانَ مُعْنَى بِلَادِهِ . ولمعبدِ صنعةٌ لم يسبقه إليها من تقدَّم ، ولا زاد عليه

1 هذه الكلمة ساقطة من ل .

2 الشعر لخالد بن الحارث المخزومي كما في الخزاعة 1 : 453 .

فيها من تأخر . وكانت صناعته التجارة في أكثر أيام رقه ، وربما رعى الغنم لمواليه ، وهو مع ذلك يختلف إلى نشيط الفارسي وسائب خاتر مولى عبد الله بن جعفر ، حتى اشتهر بالحذق وحسن الغناء وطيب الصوت . وصنع الألحان فأجاد واعترف له بالتقدم على أهل عصره .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي : قال الجُمَحِيّ : بلغني أن معبداً قال : والله لقد صنعت ألحاناً لا يقدر شعبان مثلي ولا سقاء يحمل قرية على الترتيم بها ، ولقد صنعت ألحاناً لا يقدر المتكئ أن يترنم بها حتى يقعد مستوفزاً¹ ، ولا القاعد حتى يقوم .

قال إسحاق : وبلغني أن معبداً أتى ابن سريج ، وابن سريج لا يعرفه ، فسمع منه ما شاء ، ثم عرض نفسه عليه وغناه وقال له : كيف كنت تسمع جعلت فداك ؟ فقال له : لو شئت كنت قد كُفيت بنفسك الطلب من غيرك . قال : وسِعتُ مَنْ لا أُحصى من أهل العلم بالغناء يقولون : لم يكن فيمن غنى أحد أعلم بالغناء من معبد . قال : وحدثني أيوب بن عباية قال : دخلت على الحسن بن مسلم أبي العراقيب وعنده جاريتة عاتكة ، فتحدثت فذكر معبداً فقال : أدركته يليس ثوبين مُمشّقين² ، وكان إذا غنى عَلا منخراه . فقالت عاتكة : يا سيدي أو أدركت معبداً ؟ قال : إي والله وأقدم من معبد . فقالت : استحييت لك من هذا الكبير .

[تفوق معبد في صناعة الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حماد : قرأت على أبي أخبرني محمد بن سلام قال حدثني جرير قال : قال معبد : قَدِمْتُ مَكَّةَ فَقِيلَ لِي : إِنَّ ابْنَ صَفْوَانَ قَدْ سَبَقَ بَيْنَ الْمُغَنِّينَ جَائِزَةً ، فَأَتَيْتُ بَابَهُ فَطَلَبْتُ الدُّخُولَ ؛ فَقَالَ لِي آذَنُ : قَدْ تَقَدَّمَ إِلَيَّ إِلَّا آذَنَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ وَلَا أُؤْذِنُهُ بِهِ . قَالَ فَقُلْتُ : دَعْنِي أَدْنُو مِنَ الْبَابِ فَأُغَنِّي صَوْتًا . قَالَ : أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ . فَدَنَوْتُ مِنَ الْبَابِ ، فَغَنَيْتُ [صَوْتًا] ، فَقَالُوا : مَعْبُدُ ! وَفَتَحُوا لِي ، فَأَخَذْتُ الْجَائِزَةَ يَوْمَئِذٍ .

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حماد : قال أبي : وذكر عَوَزُكُ ، وهو الحسن بن عُتْبَةَ اللَّهَبِيِّ ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ كَانَ يَقُولُ : مَا أَقْدِرُ عَلَى الْحَجِّ . فَقِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : يَسْتَقْبِلُنِي أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِصَوْتِي مَعْبُدُ : [من البسيط]

القصر فالنخل فالجماء بينهما

و«قُتِيلَةٌ» يعني حنه :

[من الخفيف]

1 قعدة المستوفز : هي قعدة الجالس كأنه يريد القيام .

2 مصبوغين بالمشق : أي بالغمرة وهي صبغ أحمر .

يوم تُبْدِي لَنَا قُتَيْلَةً عَنْ جِيٍّ — بِدِ تَلِيْعٍ تَرِيْنُهُ الْأَطْوَاقُ¹

قال إسحاق : قيل لمعبد : كيف تصنع إذا أردت أن تصوغ الغناء ؟ قال : أرتحل قعودي وأوقع بالقضيب على رجلي وأترنم عليه بالشعر حتى يستوي لي الصوت . ف قيل له : ما أبين ذلك في غنائك !

قال إسحاق : وقال مصعب الزبيري قال يحيى بن عبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير حدثني أبي قال : قال معبد : كنت غلاماً مملوكاً لآل قطن مولى بني مخزوم ، وكنت أتلقي الغنم بظهر الحرّة ، وكانوا تجاراً أعالج لهم التجارة في ذلك ، فأتي صخرة بالحرّة ملقاة بالليل فاستند إليها ، فأسمع وأنا نائم صوتاً يجري في مسامعي ، فأقوم من النوم فأحكيه ؛ فهذا كان مبدأ غنائي . [اعتراف مالك بن أبي السمح لمعبد بالفوق]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : نسخت من كتاب حمّاد : قال أبي قال محمد بن سعيد الدؤسي عن أبيه ومحمد بن يزيد عن سعيد الدوسي عن الربيع بن أبي الهيثم قال : كنّا جلوساً مع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فقال إنسانٌ لمالك : أنشدك الله ، أنت أحسن غناء أم معبد ؟ فقال مالك : والله ما بلغت شراكه قط ، والله لو لم يغن معبد إلا قوله : [من الطويل]

لَعَمْرُ أَبِيهَا لَا تَقُولُ حَلِيلَتِي أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ
وَهُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ تَبْرُقُ بَيْضُهُ تَرَى حَوْلَهُ الْأَبْطَالَ فِي حَلَقٍ شُهْبٍ²

لكان حسبه ! قال : وكان مالك إذا غنى غناء معبد يخفف منه ، ثم يقول : أطال الشعر معبدٌ ومططّطه ، وحذفته أنا . وتمايم هذا الصوت :

صوت من غير المائة المختارة

لَعَمْرُ أَبِيهَا لَا تَقُولُ حَلِيلَتِي أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ
وَهُمْ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ تَبْرُقُ بَيْضُهُ تَرَى حَوْلَهُ الْأَبْطَالَ فِي حَلَقٍ شُهْبٍ
إِذَا أَنْفَدُوا الزَّقَّ الرَّوِّيَّ وَضَرَعُوا نَشَاوَى فَلَمْ أَقْطَعْ بِقَوْلِي لَهُمْ حَسْبِي
بَعَثْتُ إِلَى حَانُوتِهَا فَسَبَّأْتُهَا بَغِيرِ مِكَّاسٍ فِي السَّوَامِ وَلَا غَضَبٍ³

عروضه من الطويل . والشعر لمالك بن أبي كعب بن القين الخزرجي أحد بني سلمة . هكذا ذكر إسحاق ، وغيره يذكر أنه من مراد . ولهذا الشعر خبر طویل يُذكر بعد هذا .

1 الشعر للأعشى ، والتليع : الطويل .

2 الكبش : سيد القوم وقائدهم .

3 سبأ الخمر : اشتراها . والسوام (بالضم) كالسوم .

والغناء في البيتين الأولين لمعبد ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى ، ومن الناس مَنْ ينسبه إلى ابن سُرَيْج .
ولمالك في الثالث والرابع من الأبيات لَحْنٌ من الثَقِيلِ الأَوَّلِ بالسَّبَّابةِ في مجرى البِنْصَرِ عن
إِسْحَاقَ ، ومن الناس من يَنْسُبُ هذا اللحن إلى معبد ويقول : إِنَّ مَالِكاً أَخَذَ لَحْنَهُ فِيهِ فَحَذَفَ
بَعْضَ نَعْمِهِ وَاتَّحَلَهُ ، وَإِنَّ اللحنَ لمعبد في الأبيات الأربعة . وقد ذُكِرَ أَنَّ هذا الشعر لرجل من
مُرَادٍ ، وَرُويَ لَهُ فِيهِ حَدِيثٌ طَوِيلٌ . وقد أُخْرِجَ خَبْرُهُ فِي ذَلِكَ وَخَبَرُ مَالِكِ بْنِ أَبِي كَعْبٍ
الْخَزْرَجِيِّ أَبِي كَعْبِ بْنِ مَالِكِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَآلِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَفْرَدَ لَهُ ؛ إِذْ كَانَتْ
لَهُ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ ، وَلِأَجْلِهِ لَا تَصْلُحُ أَنْ تُذَكَرَ هَاهُنَا .

[معبد وابن محرز]

رجع الخبر إلى معبد ؛ أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُونُسَ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو
غَسَّانَ عَنْ يُونُسَ الْكَاتِبِ قَالَ : أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ مَعْبَدٍ ، فَلَقِيتُنِي ابْنَ مُحَرَّزٍ يَبْطَحَانُ¹ ، فَقَالَ : مَنْ
أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ عِنْدِ أَبِي عَبَّادٍ . فَقَالَ : مَا أَخَذْتَ عَنْهُ ؟ قُلْتُ : غَنَى صَوْتاً فَأَخَذْتَهُ . قَالَ :
وَمَا هُوَ ؟ قُلْتُ :

مَاذَا تَأْمَلُ وَاقِفٌ جَمَلًا فِي رُبْعِ دَارٍ عَابَهُ قِدْمَةٌ

الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد ، فقال لي : ادْخُلْ مَعِيَ دَارَ ابْنِ هَرَمَةَ وَالْقَهْ عَلَيَّ ،
فَدَخَلْتُ مَعَهُ ، فَمَا زِلْتُ أَرُدُّدُهُ عَلَيْهِ حَتَّى غَنَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : ارْجِعْ مَعِيَ إِلَى أَبِي عَبَّادٍ ، فَرَجَعْنَا
فَسَمِعَهُ مِنْهُ ، ثُمَّ لَمْ نَفْتَرِقْ حَتَّى صَنَعَ فِيهِ ابْنُ مُحَرَّزٍ لَحْنًا آخَرَ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

مَاذَا تَأْمَلُ وَاقِفٌ جَمَلًا فِي رُبْعِ دَارٍ عَابَهُ قِدْمَةٌ

أَقْوَى وَأَقْفَرُ غَيْرَ مُتَنَصِّبٍ لِبَدِ الرَّمَادَةِ نَاصِعٍ حُمَمَةٌ

غَنَاهُ مَعْبَدٌ ، وَلَحْنُهُ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَّابةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى . وَفِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ
بِالْوَسْطَى يُنْسَبُ إِلَى الْغَرِيضِ وَإِلَى ابْنِ مُحَرَّزٍ . وَذَكَرَ عُمَرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّ الثَّقِيلَ الْأَوَّلَ
لِلْغَرِيضِ . وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ فِيهِ لِمَالِكِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى . وَفِيهِ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى يُنْسَبُ إِلَى
سَائِبِ خَثَرٍ ، وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّهُ لِإِسْحَاقَ .

[ارتداد ابن سريج والغريض عن المدينة بعد سماعهما صوت معبد]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ حَمَّادٍ : قَالَ أَبِي قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : قَدِيمُ ابْنُ

1 بطحان : (مع اختلاف في ضبطه) أحد أودية المدينة الثلاثة ، وهي العقيق ويطحان وقناة .

سُرَيْج والغَرِيضُ المدينة يتعرَّضان لمعروفِ أهلها ، ويزوران مَنْ بها من صَدِيقَهما من قريشٍ وغيرهم . فلمَّا شارفاها تقدَّما ثَقَلْهُما ليرْتادا منزلاً ، حتى إذا كانا بالمَغْسِلَةِ ، وهي جَبَانَةٌ على طَرَفِ المدينة يُغَسَّلُ فيها الثياب ، إذا هما بغلامٍ مُلتَحِفٍ بإزارٍ وطَرَفُهُ على رأسه ، بيده حِبَالَةٌ يَتَصَيَّدُ بها الطيرَ وهو يتغنَّى ويقول :

القصرُ فالنخلُ فالجَمَاءُ بينهما أَشْهَى إلى النفسِ من أبوابِ جَيْرُونِ
وإذا الغلامُ مَبْدُ . قال : فلمَّا سمعَ ابنُ سُرَيْجٍ والغَرِيضُ معبداً مالا إليه واستعاداه الصوتَ فأعاداه ، فسمعَا شيئاً لم يَسْمَعَا بمثله قط . فأقبل أحدهما على صاحبه فقال : هل سمعتَ كالْيَوْمِ قَطُّ ؟ قال : لا والله ! فما رأيك ؟ قال ابنُ سُرَيْجٍ : هذا غناءُ غلامٍ يَصِيدُ الطيرَ ، فكيف بمنْ في الجوبة ! يعني المدينة . قال : أمَّا أنا فَتَكَلَّمْتُه والدُّهُ إن لم أرجع . قال : فكراً راجعين .

[قدوم معبد مكة ومشاهدة الغريض]

قال : وقال معبد : قَدِمْتُ مَكَّةَ ، فذهب بي بعضُ القُرَشِيِّينَ إلى الغريض ، فدخلنا عليه وهو متصَبِّحٌ² ، فانتبه من صُبْحَتِهِ وقَعَدَ ، فسَلَّمَ عليه القرشي ، وسأله فقال له : هذا معبدٌ قد أتيتُك به ، وأنا أَحِبُّ أن تسمعَ منه . قال : هَاتِ ، فغَنَّتْهُ أصواتاً . فقال بِمِدْرَى³ معه في رأسه ، ثم قال : إنَّكَ يا معبدُ لَمَلِيحُ الغناء . قال : فَأَحْفَظُنِي ذَلِكَ ، فَجَثَّوْتُ على رُكْبَتَيْ ، ثم غَنَّتْهُ من صَنَعَتِي عشرين صوتاً لم يُسْمَعْ بمثليها قط ، وهو مُطَرِّقٌ واجِمٌ قد تَغَيَّرَ لَوْنُهُ حَسَداً وخجلاً .

[ابن معبد وحكم الوادي]

قال إسحاق : وأخبرتُ عن حَكَمِ الوادي قال : كنتُ أنا وجماعةٌ من المغنِّينَ نَخْتَلِفُ إلى معبدٍ نأخذُ عنه ونتعلَّمُ منه ، فغنَّانا يوماً صوتاً من صِنْعَتِهِ وأَعْجَبَ به ، وهو :

القصرُ فالنخلُ فالجَمَاءُ بينهما

فاستحسنَّاهُ وَعَجِبْنَا منه . وكنتُ في ذلك اليومِ أوَّلَ من أخذَه عنه واستحسنه مِنِّي فَأَعْجَبْتَنِي نفسي . فلمَّا انصرفتُ من عندِ معبدٍ عَمِلْتُ فيه لَحْناً آخرَ وبَكَرْتُ على معبدٍ مع أصحابي وأنا مُعْجَبٌ بِلَحْنِي . فلمَّا تَغَنَّنَا أصواتاً قلتُ له : إنِّي قد عَمِلْتُ بعدَكَ في الشعرِ الذي غَنَّتَناه لَحْناً ، واندفعتُ فغَنَّتْهُ صوتي ؛ فوجَمَ معبدٌ ساعةً يتعجَّبُ مِنِّي ثم قال : قد كنتُ أُمسُ أرجى مِنِّي لك اليومَ ، وأنتَ اليومَ عندي أبعدُ من الفلاح . قال حَكَمٌ : فَأُنْسِيتُ ، يعلمُ الله ، صوتي ذلك منذُ تلك الساعة فما ذكرتهُ إلى وقتي هذا .

1 لعلَّها الحومة .

2 التصبُّح : النوم بالغداة .

3 المدرى : المشط .

[معبد والأسود]

قال إسحاق : وقال معبد : بَعَثَ إِلَيَّ بَعْضُ أُمَرَاءِ الْحِجَازِ ، وَقَدْ كَانَ جُمِيعٌ لَهُ الْحَرَمَانُ ، أَنْ أَشْخَصُ إِلَى مَكَّةَ ، فَشَخَصْتُ . قَالَ : فَتَقَدَّمْتُ غُلَامِي فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ ، وَاشْتَدَّ عَلَيَّ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى خِيَاءٍ فِيهِ أَسْوَدٌ وَإِذَا حِيَابُ¹ مَاءٍ قَدْ بُرَّدَتْ ، فَمَلْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : يَا هَذَا ، اسْقِنِي مِنْ هَذَا الْمَاءِ . فَقَالَ لَا . فَقُلْتُ : فَأَذِّنْ لِي فِي الْكِينِ² سَاعَةً . قَالَ لَا . فَأَنْخَسْتُ نَاقَتِي وَلَجَّاتُ إِلَى ظِلِّهَا فَاسْتَرْتُ بِهِ ، وَقُلْتُ : لَوْ أُحْدِثْتُ لِهَذَا الْأَمِيرِ شَيْئاً مِنَ الْغَنَاءِ أَقْدَمُ بِهِ عَلَيْهِ ، وَلَعَلِّي إِنْ حَرَّكَتُ لِسَانِي أَنْ يُيْلَ حَلَقِي رِيقِي فَيُخَفِّفَ عَنِّي بَعْضَ مَا أَجِدُهُ مِنَ الْعَطَشِ ! فَتَرَنَّمْتُ بِصَوْتِي :

القصرُ فالنخلُ فالجماءُ بينهما

فَلَمَّا سَمِعَنِي الْأَسْوَدُ ، مَا شَعَرْتُ بِهِ إِلَّا وَقَدْ احْتَمَلَنِي حَتَّى أَدْخَلَنِي خِيَاءَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّ ، يَا بَأْبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! هَلْ لَكَ فِي سَوِيْقِ السُّلْتِ³ بِهَذَا الْمَاءِ الْبَارِدِ ؟ فَقُلْتُ : قَدْ مَنَعَنِي أَقْلٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَشَرِبَتُهُ مَاءً تَجَرُّنِي . قَالَ : فَسَقَانِي حَتَّى رَوَيْتُ ، وَجَاءَ الْغُلَامُ فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ إِلَى وَقْتِ الرُّوْحِ . فَلَمَّا أَرَدْتُ الرِّحْلَةَ قَالَ : أَيُّ ، يَا بَأْبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! الْحَرُّ شَدِيدٌ وَلَا أَمْنٌ عَلَيْكَ مِثْلَ الَّذِي أَصَابَكَ ، فَأَذِّنْ لِي [فِي] أَنْ أَحْمِلَ مَعَكَ قَرِيبَةً مِنْ مَاءٍ عَلَى عُنُقِي وَأَسْعَى بِهَا مَعَكَ ، فَكَلَّمَا عَطِشْتَ سَقَيْتُكَ صَحْنًا وَغَنَيْتَنِي صَوْتًا ! قَالَ : قُلْتَ ذَاكَ لَكَ . فَوَاللَّهِ مَا فَارَقَنِي يَسْقِينِي وَأَغْنِيهِ حَتَّى بَلَغْتَ الْمَنْزَلَ .

[معبد وابن سريج يلتقيان ببطن مر]

نَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ جَعْفَرِ بْنِ قُدَّامَةَ بِخَطِّهِ : حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الزُّبَيْرِ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ : كَانَ مَعْبِدٌ خَارِجاً إِلَى مَكَّةَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَسَمِعَ فِي طَرِيقِهِ غَنَاءً فِي «بَطْنِ مَرٍّ»⁴ فَقَصَّدَ الْمَوْضِعَ ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ عَلَى حَرْفِ بَرَكَةٍ فَارِقٌ شَعْرُهُ حَسَنُ الْوَجْهِ ، عَلَيْهِ دُرَاعَةٌ قَدْ صَبَغَهَا بِزَعْفَرَانٍ ، وَإِذَا هُوَ يَتَغَنَّى :

صوت

حَنَّ قَلْبِي مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَنَا بَا وَدَعَا الْهَمَّ شَجْوُهُ فَأَجَابَا
ذَاكَ مِنْ مَنْزِلٍ لِسُلْمَى خَلَاءٍ لَا يَسُ مِنْ خَلَائِهِ جِلْبَابَا

1 جمع حُبَّ وهو الجرة .

2 الكين : ما وقاك من حرٍّ أو برد .

3 السُّلْت : شعير لا قشر له .

4 بطن مر : موضع على مرحلة من مكة ويقال له : «مر الظهران» .

عُجْتُ فِيهِ وَقَلْتُ لِلرَّكْبِ عُوْجُوا طَمَعاً أَنْ يَرُدَّ رُبْعُ جَوَابَا
فَاسْتَثَارَ الْمَنَسِيَّ مِنْ لَوْعَةِ الْحَدِّ بَّ وَأَبْدَى الْهَمُومَ وَالْأَوْصَابَا
فَقَرَعَ مَعْبِدٌ بَعْضَاهُ وَغَنَّى : [من الكامل]

مَنَعَ الْحَيَاةَ مِنَ الرِّجَالِ وَنَفَعَهَا حَدَقْتُ تُقَلِّبُهَا النِّسَاءُ مِرَاضُ
وَكُنَّ أَفْئِدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءُ لِنَبْلِهَا أَغْرَاضُ
فَقَالَ لَهُ ابْنُ سُرَيْجٍ : بِاللَّهِ أَنْتَ مَعْبِدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، [فَسَأَلْتُهُ] وَبِاللَّهِ أَنْتَ ابْنُ سُرَيْجٍ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، وَوَاللَّهِ لَوْ عَرَفْتُكَ مَا غَنَيْتَ بَيْنَ يَدَيْكَ .

نسبة هذين الصوتين وأخبارهما

صوت

[من الخفيف]

حَنَّ قَلْبِي مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَنَابَا وَدَعَا الْهَمَّ شَجْوُهُ فَأَجَابَا
فَاسْتَثَارَ الْمَنَسِيَّ مِنْ لَوْعَةِ الْحَدِّ بَّ وَأَبْدَى الْهَمُومَ وَالْأَوْصَابَا
ذَاكَ مِنْ مَنَزَلٍ لِسُلْمَى خَلَاءِ مُكْتَسٍ مِنْ عَقَائِهِ جِلْبَابَا
عُجْتُ فِيهِ وَقَلْتُ لِلرَّكْبِ عُوْجُوا طَمَعاً أَنْ يَرُدَّ رُبْعُ جَوَابَا
ثَانِياً مِنْ زِمَامٍ وَجَنَاءِ عَنَسٍ قَانِياً لَوْنُهَا يُخَالُ خِضَابَا
جَدَّهَا الْفَالِجَ الْأَشْمُ مِنَ الْبُخْرِ سَتِ وَخَالَاتُهَا انْتُخِنَ عَرَابَا
الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُرَيْجٍ ، وله فيه لحنان : رَمَلٌ بِالسَّبَّابَةِ فِي مَجْرَى
الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ ، وَخَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو .

صوت

[من الكامل]

مَنَعَ الْحَيَاةَ مِنَ الرِّجَالِ وَنَفَعَهَا حَدَقْتُ تُقَلِّبُهَا النِّسَاءُ مِرَاضُ
وَكُنَّ أَفْئِدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءَ لِنَبْلِهَا أَغْرَاضُ
الشعر للفرزدق ، والغناء لمعبدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ عَنْ الْهَشَامِيِّ .
أرسله معبد إلى الأهواز

أخبرني محمد بن مَزِيد بن أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَيَاطِ قَالَ
حَدَّثَنِي يُونُسُ الْكَاتِبُ قَالَ : كَانَ مَعْبِدٌ قَدْ عَلَّمَ جَارِيَةً مِنْ جَوَارِي الْحِجَازِ الْغِنَاءَ ، تَدْعَى ظَبِيَّةَ ،

وُعني بتخريجها ، فاشتراها رجلٌ من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك ، فاشتراها رجل من أهل الأهواز ، فأعجب بها وذهبت به كل مذهب وغلبت عليه ، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده بُرهةً من الزمان وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ؛ فكان لُحْبَتُهُ إِيَّاهَا وأسفه عليها لا يزالُ يسأل عن أخبار معبدٍ وأين مستقرُّه ، ويظهر التعصُّب له والميل إليه والتقديم لغناؤه على سائر أغاني أهل عصره إلى أن عُرف ذلك منه . وبلغ معبدٌ خبره ، فخرج من مكة حتى أتى البصرة ، فلما وردها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينة . وجاء معبد يلتبس سفينة ينحدر فيها إلى الأهواز ، فلم يجد غير سفينة الرجل ، وليس يعرفُ أحدٌ منهما صاحبه ، فأمر الرجل المَلَّاح أن يُجلسه معه في مؤخر السفينة ففعل وانحدروا . فلما صاروا في فَم نهر الأبله¹ تغدَّوا وشربوا ، وأمر جواريه فغنَّين ، ومعبدٌ ساكتٌ وهو في ثياب السفر ، وعليه فَرُو وخفَّان غليظان وزِيٌّ جافٍ من زِيٍّ أهل الحجاز ، إلى أن غنَّت إحدى الجواري : [من البسيط]

صوت

بانَتْ سَعَادُ وَأَمْسَى حُبُّهَا انصَرَمَا واحتَلَّتْ العَوْرَ فالأَجْرَاعُ من إضْمَا²
إحدى بَلِيٍّ وما هام الفؤادُ بها إلَّا السَّفَاةُ وإلَّا ذُكْرَةٌ حُلْمَا

قال حماد : والشعر للنابعة الذبياني ، والغناء لمعبد ، وخفيفٌ ثقيلٌ أوَّلُ بالبِئسر ، وفيه لغيره ألحانٌ قديمة ومُحدثة ، فلم تُجدِ أداءه ، فصاح بها معبد : يا جارية ، إنَّ غناءك هذا ليس بمستقيم . قال : فقال له مولاها وقد غضب : وأنت ما يُدريك الغناء ما هو ؟ ألا تُمسِكُ وتلزم شأنك ! فأمسك ، ثم غنَّت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكتٌ لا يتكلَّم ، حتى غنَّت :

صوت

با ابنة الأزديّ قلبي كَتِيبُ مُسْتَهَامٌ عندها ما يُنِيبُ
ولقد لاموا فقلتُ دَعُونِي إنَّ مَنْ تَنْهَوْنَ عنه حَبِيبُ
إنَّما أَبْلَى عِظَامِي وجِسْمِي حُبُّها والحبُّ شَيْءٌ عَجِيبُ
أيُّها العائبُ عِنْدِي هَوَاها أنتَ تَفْدِي مَنْ أراكَ تَعِيبُ³

والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر ، والغناء لمعبد ثقيلٌ أوَّلُ بالسَّبَّابة في مَجْرَى البِئسر ، قال :

1 الأبله : بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة .

2 الأجراع : الرمال الطيبة . إضم : الوادي الذي تقع فيه المدينة المنورة .

3 مَنْ لعلَّ صوابها «الذي» .

فَأَخَلَّتْ بَعْضُهُ ، فَقَالَ لَهَا مَعْبُدٌ : يَا جَارِيَّةُ ، لَقَدْ أَخَلَلْتَ بِهَذَا الصَّوْتِ إِخْلَالًا شَدِيدًا . فَغَضِبَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ ! مَا أَنْتَ وَالْغَنَاءُ ! أَلَا تَكُفُّ عَنْ هَذَا الْفُضُولِ ؟ فَأَمْسَكَ . وَغَنَّى الْجَوَارِي مَلِيًّا ، ثُمَّ غَنَّتْ إِحْدَاهُنَّ :

[من الطويل]

صوت

خَلِيلِيَّ عُوْجَا فَأَبْكِيَا سَاعَةً مَعِيَ عَلَى الرَّبْعِ نَقْضِي حَاجَةً وَنُودَعُ¹
وَلَا تُعْجِلَانِي أَنْ أُلِمَّ بِدِمْنَةٍ لِعِزَّةٍ لَاحَتْ لِي بِبَيْدَاءٍ بَلَقَعِ
وَقُولَا لِقَلْبٍ قَدْ سَلَا : رَاجِعِ الْهَوَى وَلِلْعَيْنِ : أَذْرِي مِنْ دَمُوعِكَ أَوْدَعِي
فَلَا عَيْشَ إِلَّا مِثْلُ عَيْشِ مَضَى لَنَا مَصِيفًا أَقْمَنَا فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَرْبَعِ

الشعر لكثير ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى ، وفيه رمل للغريض . قال : فلم تصنع فيه شيئاً . فقال لها معبد : يا هذه ، أما تقوين² على أداء صوت واحد ؟ فغضب الرجل وقال له : ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة ! وأقسم بالله لئن عاودت لأخرجنك من السفينة ، فأمسك معبد ؛ حتى إذا سكنت الجواري سكنت اندفع يغني الصوت الأول حتى فرغ منه ، فصاح الجواري : أحسنت والله يا رجل ! فأعده . فقال : لا والله ولا كرامة . ثم اندفع يغني الثاني ، فقلن لسيدهن : ويحك ، هذا والله أحسن الناس غناء ، فسلكه أن يعيده علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذه عنه ؛ فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً . فقال : قد سمعتن سوء رده عليكن وأنا خائف مثله منه ، وقد أسلفناه الإساءة ، فاصبرن حتى نُداريه . ثم غنى الثالث . فزلزل عليهم الأرض . فوثب الرجل فخرج إليه وقبل رأسه وقال : يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال له : فهَبْكَ لم تعرف موضعي ؛ قد كان ينبغي لك أن تثبت ولا تسرع إلي بسوء العشرة³ وجفاء القول . فقال له : قد أخطأت وأنا أعتذر إليك مما جرى ، وأسألك أن تنزل إلي وتخلط بي . فقال : أما الآن فلا . فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه . فقال له الرجل : ممن أخذت هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز ، فمن أين أخذه جواريك ؟ فقال : أخذه من جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة ، وكانت قد أخذت عن أبي عبادة معبد وغني بتخريجها ، فكانت تحل مني محل الروح من الجسد ، ثم استأثر الله عز وجل بها ، وبقي هؤلاء الجواري وهن من تعليمها ، فأنا إلى الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعاً وأفضل

1 ديوان كثير : 410 .

2 ل : تقومين .

3 ل : تسرع إلى سوء العشرة .

صنعتَه على كلِّ صنعة . فقال له معبد : أو إنك لأنت هو ! أفتعرفني ؟ قال لا . قال : فصكَّ معبدٌ بيده صلعتَه ثم قال : فأنا والله معبدٌ ، وإليك قدمت من الحجاز ، ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز ، والله لا قصَّرتُ في جواريك هؤلاء ، ولأجعلنَّ لك في كلِّ واحدةٍ منهنَّ خلفاً من الماضية . فأكبَّ الرجلُ والجواري على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون : كتمنَّا نفسك طول هذا اليوم حتى جفوناك في المخاطبة ، وأسأنا عَشْرَتَكَ ، وأنت سيِّدنا ومَن نتمنَّى على الله أن نلقاه . ثم غيَّر الرجلُ زِيَّه وحاله وخلع عليه عِدَّة خِلَع ، وأعطاه في وقته ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا بمثلها ، وانحدر معه إلى الأهواز ، فأقام عنده حتى رضي حِذْقَ جواريه وما أخذنه عنه ، ثم ودَّعه وانصرف إلى الحجاز .

[غناء معبد للوليد بن يزيد]

أخبرني الحسن بن عليَّ الخفاف وعبد الباقي بن قانع قالا : حدَّثنا محمد بن زكريَّا الغلابيُّ¹ قال حدَّثني مهديُّ بن سابق قال حدَّثني سليمان بن غزوان مولى هشام قال حدَّثني عمر القاري بن عديٍّ قال : قال الوليد بن يزيد يوماً : لقد اشتقت إلى معبد ، فوجَّه البريد إلى المدينة فأتى بمعبد ، وأمر الوليد ببركة قد هُبِّئت له فملئت بالخمير والماء ، وأتى بمعبد فأمر به فأجلس والبركة بينهما ، وبينهما سِتْر قد أُرْخِيَ ؛ فقال له غنَّيْ يا معبد : [من البسيط]

صوت

لَهْفِي عَلَى فِتْيَةِ ذَلِّ الزَّمَانِ لَهُمْ	فَمَا أَصَابَهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا
مَا زَالَ يَعْدُو عَلَيْهِمْ رَيْبُ دَهْرِهِمْ	حَتَّى تَفَانَوْا وَرَيْبُ الدَّهْرِ عَدَاءُ
أَبْكِي فِرَاقَهُمْ عَيْنِي وَأَرْقُهَا	إِنَّ التَّفَرُّقَ لِلْأَحْبَابِ بَكَاءُ

الغناء لمعبد خفيفٌ ثَقِيلٌ ، وفيه ليحيى المكيُّ رَمْلٌ ، ولسليمان هزجٌ ، كلَّها رواية الهشاميِّ . قال : فغنَّاه إِيَّاه ، فرفع الوليد السِّتْر ونزع ملاءةً مُطَيَّبةً كانت عليه وقذف نفسه في تلك البركة ، فنهل فيها نهلةً ، ثم أتى بأثوابٍ غيرها وتلقَّوه بالمحاجر والطَّيب ، ثم قال غنَّيْ : [من الكامل]

صوت

يَا رَبُّعُ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مَتِيماً	قَدْ عَاجَ نَحْوُكَ زَائِراً وَمُسَلِّماً
جَادَتَكَ كُلُّ سَحَابَةٍ هَطَّالَةٍ	حَتَّى تُرَى عَنْ زَهْرَةٍ ² مَتَبَسِّماً

1 الغلابي : أبو بكر محمد بن زكريا بن دينار الغلابي .

2 الزهرة : البهجة والنضارة .

الغناء لمعبدٍ ثانيٍ ثَقِيلٍ بالوسطى والخنصر عن ابن المكيّ . وفيه لَعْلُوهُ ثانيٍ ثَقِيلٍ آخر بالبصر
في مجراها عنه . قال : فغناه فدعا له بخمسة عشر ألفَ دينارٍ فصَبَّها بين يديه ، ثم قال : انصرف
إلى أهلك واكنم ما رأيْت .

وأخبرني بهذا الخبر عمِّي فجاء ببعض معانيه وزاد فيه ونقص ، قال : حدَّثني هارون بن
محمد بن عبد الملك الزيات قال حدَّثني سليمان بن سعد¹ الحلبي قال : سمعتُ القاري بن عديّ
يقول : اشتاق الوليد بن يزيد إلى معبد ، فوجَّه إليه إلى المدينة فأحضر . وبلغ الوليد قدومه ، فأمر
ببركة بين يدي مجلسه فمُلئت ماء وردٍ قد خلط بمسك وزعفران ، ثم فرَّش للوليد في داخل
البيت على حافة البركة ، ووسَّط لمعبد مقابله على حافة البركة ، ليس معهما ثالثٌ ، وجيء بمعبد
فراى سِتراً مُرَحىً ومجلس رجلٍ واحد . فقال له الحجاب : يا معبد ، سلِّم على أمير المؤمنين
واجلس في هذا الموضع ؛ فسَلِّم فردَّ عليه الوليد السلامَ من خلف السِّتر ، ثم قال له : حيَّاك الله يا
معبد ! أتدري لِمَ وَجَّهْتُ إليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرْتُكَ فأحبَّبتُ أن أسمع
منك . قال معبد : اأغني ما حضر أم ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال : بل غنَّني : [من البسيط]

ما زال يَعدُّو عليهم ريبُ دهرِهِمْ حتى تفانوا وريبُ الدهر عَداءُ

فغناه ، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السَّجَف ، ثم خرج الوليد فألقى نفسه في البركة
فغاص فيها ثم خرج منها ، فاستقبله الجواري بثياب غير الثياب الأولى ، ثم شرب وسقى
معبدًا ، ثم قال له : غنَّني يا معبد :

يا ربُّعُ ما لك لا تُجِيبُ متيِّماً قد عاج نحوك زائراً ومسلِّماً
جادتكَ كلُّ سحابةٍ هَطَّالَةٍ حتى تُرى عن زهرةٍ متبسِّماً
لو كنتَ تَدْرِي مَنْ دعاكَ أجبتَه وبكيتَ من حُرِّقٍ عليه إذا دَمَا

قال : فغناه ، وأقبل الجواري فرفعن السِّتر ، وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة
فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثياباً غير تلك ، ثم شرب وسقى معبدًا ، ثم قال له : غنَّني .
فقال : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال غنَّني :

عَجِبْتُ لِمَا رَأَيْتِي أُنْدُبُ الرِّبْعَ المُحِيلَا
واقفاً في الدارِ أبكي لا أرى إلَّا طُلُولا
كيف تَبْكِي لأَناسٍ لا يَمْلُونِ الذَّمِيلَا²

1 ل : سعيد .

2 الذميل : نوع من سير الإبل .

كَلَّمَا قَلْتُ اطْمَأْنَنْتُ دَارُهُمْ قَالُوا الرَّحِيلَا¹

قال : فلَمَّا غَنَاهُ أَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْبَرَكَةِ ثُمَّ خَرَجَ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ ثِيَابَهُ ، ثُمَّ شَرَبَ وَسَقَى مَعْبَدًا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ فَقَالَ لَهُ : يَا مَعْبَدُ ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَزِدَادَ عِنْدَ الْمَلُوكِ حِظَّوَةً فَلْيَكُنْ أَسْرَارَهُمْ . فَقُلْتُ : ذَلِكَ مَا لَا يَحْتَاجُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى إِبْصَائِي بِهِ . فَقَالَ : يَا غَلَامُ ، احْمِلْ إِلَى مَعْبِدِ عَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ تَحْصِلْ لَهُ فِي بَلَدِهِ وَأَلْفِي دِينَارٍ لِنَفَقَةِ طَرِيقِهِ ، فَحُمِلَتْ إِلَيْهِ كُلُّهَا ، وَحُمِلَ عَلَى الْبَرِيدِ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ .

[مَعْبَدُ وَالشَّيْخُ الشَّامِي]

قال إِسْحَاقُ : وَقَالَ مَعْبَدُ : أُرْسِلَ إِلَيَّ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ فَأُشْخِصَتْ إِلَيْهِ . فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا فِي بَعْضِ حَمَامَاتِ الشَّامِ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ لَهُ هَيْبَةٌ وَمَعَهُ غِلْمَانٌ لَهُ ، فَاطَّلَى وَاشْتَغَلَ بِهِ صَاحِبُ الْحَمَامِ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ أُطْلِعْ هَذَا عَلَى بَعْضِ مَا عِنْدِي لِأَكُونَ بِمَرْجَرِ الْكَلْبِ ؛ فَاسْتَدْبَرْتُهُ حَيْثُ يَرَانِي وَيَسْمَعُ مِنِّي ، ثُمَّ تَرَنَّمْتُ ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ لِلْغِلْمَانِ : قَدِّمُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ مَا هَا هُنَا ، فَسَارَ جَمِيعُ مَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ عِنْدِي . قَالَ : ثُمَّ سَأَلَنِي أَنْ أُسِيرَ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَأُجِيبَتْهُ ، فَلَمْ يَدَعْ مِنْ ابِرٍّ وَالْإِكْرَامِ شَيْئًا إِلَّا فَعَلَهُ ، ثُمَّ وَضَعَ النَّبِيذَ ، فَجَعَلْتُ لَا آتِي بِخَسَنِ إِلَّا خَرَجْتُ إِلَى مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ وَهُوَ لَا يَرْتَاحُ وَلَا يَحْفَلُ لَمَّا يَرَى مِنِّي . فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِ أَمْرِي قَالَ : يَا غَلَامُ ، شَيْخُنَا شَيْخُنَا ، فَأَنِّي بِشَيْخٍ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ شَرَّ إِلَيْهِ ، فَأَخَذَ الشَّيْخُ الْعُودَ ثُمَّ انْدَفَعَ يُغْنِي :

سَلَوُزٌ فِي الْقِدْرِ وَيْلِي عُلُوهُ جَاءَ الْقِطُّ أَكَلَهُ وَيْلِي عُلُوهُ

السَّلَوُزُ : السَّمَكُ الْجَرِّيُّ بَلُغَةُ أَهْلِ الشَّامِ . قَالَ : فَجَعَلَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ يُصَفِّقُ وَيَضْرِبُ بِرِجْلِهِ طَرْدًا وَسُرُورًا . قَالَ : ثُمَّ غَنَاهُ :

وَتَرَمِينِي حَبِيبَةٌ بِالْدُّرَاقِ وَتَحْسِينِي حَبِيبَةٌ لَا أَرَاهَا

الدُّرَاقُ : اسْمُ الْخَوْخِ بَلُغَةُ أَهْلِ الشَّامِ . قَالَ : فَكَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ جِلْدِهِ طَرْدًا . قَالَ : وَانْسَلَلَتْ مِنْهُمْ فَانْصَرَفْتُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِي . فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطُّ غَنَاءً أَضِيعُ ، وَلَا شَيْخًا أَجْهَلُ !

[مَعْبَدُ وَابْنُ نَائِشَةَ]

قال إِسْحَاقُ : وَذَكَرَ لِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعْدٍ : أَنَّ ابْنَ عَائِشَةَ كَانَ يُلْقَى عَلَيْهِ وَعَلَى رُبَيْحَةِ الشَّمَّاسِيَّةِ ، فَدَخَلَ مَعْبَدٌ فَأَلْقَى عَلَيْهِمَا صَوْتًا ، فَانْدَفَعَ ابْنُ عَائِشَةَ يُغْنِيهِ وَقَدْ أَخَذَهُ مِنْهُ فَغَضِبَ مَعْبَدٌ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا ابْنَ عَاهِرَةِ الدَّارِ ، تُفَاخِرُنِي ! فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، جَعَلَنِي

الله فداءك يا أبا عباد ، ولكنني أقتبس منك ، وما أخذته إلا عنك ، ثم قال : أنشدك الله يا ابن شماس ، هل قلت لك : قد جاء أبو عباد فاجمع بيني وبينه أقتبس منه ؟ قال : اللهم نعم .
 أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : قيل لابن عائشة ، وقد غنى صوتاً أحسن فيه فقال : أصبحت أحسن الناس غناءً ، فقيل له : وكيف أصبحت أحسن الناس غناءً ؟ قال : وما يمنعني من ذلك وقد أخذت من أبي عباد أحد عشر صوتاً ، وأبو عباد مُغْنِي أهل المدينة والمقدّم فيهم !

[قدوم معبد إلى مكة والتقاؤه بالمغنين بها]

أخبرنا وكيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال حدثني أيوب ابن عباية عن رجل من هذيل قال : قال معبد : غنيت فأعجبني غنائي وأعجب الناس وذهب لي به صيتٌ وذكر ، فقلت : لآتين مكة فلا أسمعَنَّ من المغنين بها ولا أغنيَنَّهُمْ ولا تُعرَفَنَّ إليهم ، فابتعت حماراً فخرجت عليه إلى مكة . فلما قدمتها بعثت حماري وسألت عن المغنين أين يجتمعون ؟ فقيل : بقُعَيْقَعَان¹ في بيت فلان ؛ فجنّت إلى منزله بالجلس فقرعت الباب ؛ فقال : من هذا ؟ فقلت : انظر عافاك الله ، فدنا وهو يُسَبِّحُ ويستعيز كأنه يخاف ، ففتح فقال : من أنت عافاك الله ؟ قلت : رجلٌ من أهل المدينة . قال : فما حاجتك ؟ قلت : أنا رجلٌ أشتهي الغناء ، وأزعم أنني أعرف منه شيئاً ، وقد بلغني أنّ القوم يجتمعون عندك ، وقد أحببتُ أن تُنزلني في جانب منزلك وتخلطني بهم ؛ فإنه لا مؤونة عليك ولا عليهم مني . فلوى شيئاً ثم قال : انزل على بركة الله . قال : فنقلت متاعي فنزلت في جانب حُجْرته . ثم جاء القوم حين أصبحوا واحداً بعد واحدٍ حتى اجتمعوا ، فأنكروني وقالوا : من هذا الرجل ؟ قال : رجلٌ من أهل المدينة خفيفٌ يشتهي الغناء ويضطربُ عليه ، ليس عليكم منه غبنٌ ولا مكروه . فرحبوا بي وكلمتهم ، ثم انبسطوا وشربوا وغنّوا ، فجعلت أعجبُ بغنائهم وأظهر ذلك لهم ويُعجبهم مني ، حتى أقمنا أياماً ، وأخذتُ من غنائهم وهم لا يدرون أصواتاً وأصواتاً وأصواتاً . ثم قلت لابن سريج : أي فديتك ، أمسك علي صوتك :

قُلْ لَهْدِي وَتَرْبِهَا قَبْلَ شَحْطِ النَّوَى غَدَا

قال : أو تحسن شيئاً ؟ قلت : تنظر وعسى أن أصنع شيئاً ، واندفعتُ فيه فغنيته ، فصاح وصاحوا وقالوا : أحسنت قاتلك الله ! قلتُ : فأمسك علي صوت كذا فأمسكوه علي ، فغنيته ، فازدادوا عجباً وصياحاً . فما تركت واحداً منهم إلا غنيته من غناؤه أصواتاً قد تخيرتها . قال :

1 قعيقعان : قرية قرب مكة .

فصاحوا حتى عَلتْ أصواتُهم وهَرَفُوا بي¹ وقالوا : لأنت أحسن بأداء غِنائنا عَنَّا مِنَّا . قال : قلت : فأمسِكوا عليّ ولا تَضْحَكُوا بي حتى تسمِعُوا مِن غِنائي ، فأمسِكوا عليّ ؛ فغَنَيْت صوتاً مِن غِنائي فصاحوا بي ، ثم غَنَيْتَهُم آخِرَ وَآخِرَ فَوَثُوا إِلَيَّ وقالوا : نَحْلِفُ بِاللَّهِ إِنَّ لَكَ لَصَيْتاً واسماً وَذِكْراً ، وَإِنَّ لَكَ فِيمَا هَاهُنَا لَسَهْماً عظيماً ، فَمَنْ أَنْتَ ؟ قلت : أَنَا مُعَبِد . فَقَبَّلُوا رَأْسِي وقالوا : لَفَقَتَ عَلَيْنَا وَكُنَّا نَتَهَاوَن بِكَ وَلَا نَعْلُكَ شَيْئاً وَأَنْتَ أَنْت . فَأَقَمْتَ عِنْدَهُمْ شَهْراً آخِذُ مِنْهُمْ وَيَأْخِذُونَ مِنِّي ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الخفيف]

قُلْ لِهِنْدٍ وَتَرْبِهَا	قَبْلَ شَحْطِ النَّوَى غَدَا
إِنْ تَجُودِي فَطالما	بِتُ لَيْلِي مُسَهِّدَا
أَنْتِ فِي وُدِّ بَيْنِنَا	خَيْرُ مَا عِنْدَنَا يَدَا
حِينَ تُدْلِي مُضَفِّراً	حَالِكِ اللَّوْنِ أَسُودَا

الشعر لعمَر بن أبي ربيعة² ، والغناء لابن سُرَيْج عن حمَّاد ولم يُجَنِّسه . وفيه لِمَالِك خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبَنْصَرِ فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاق . وقال الهِشَامِيُّ : فِيهِ لَابِنٌ مُحَرِّزٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى .

ومن الثلاثة الأصوات المختارة

صوت فيه أربعة ألحان من رواية علي بن يحيى

[ثاني الثلاثة الأصوات المختارة]

[من الطويل]

تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَرِيَّ لَمَّا جَهَدَتْهُ	وَبَيِّنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَ
لِذَلِكَ أُذْنِي دُونَ خَيْلِي مَكَانَهُ	وَأَوْصِي بِهِ أَلَّا يُهَانَ وَيُكْرَمَا
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ أَلْقَ لِلْعَيْنِ قُرَّةً	فَهَانَ عَلَيَّ أَنْ تَكُلَّ وَتَسَامَا

1 هرف به : غالى في مدحه .

2 ديوان عمر : 115 (ط . دار صادر - بيروت) 1961 .

عَدِمْتُ إِذَا وَفَّرِي وَفَارَقْتُ مُهْجَتِي لَنْ لَمْ أَقُلْ قَرْنًا إِنْ اللَّهُ سَلَّمَ¹

عروضه من الطويل . قوله : «لَنْ لَمْ أَقُلْ قَرْنًا» ، يعني أَنَّهُ يَجِدُ فِي سِيرِهِ حَتَّى يَقِيلُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ ، وَهُوَ قَرْنُ الْمَنَازِلِ ، وَكَثِيرًا مَا يَذْكُرُهُ فِي شَعْرِهِ .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة² المخزومي ، والغناء في هذا اللحن المختار لابن سريج ، ثاني ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى . وَفِيهِ لِإِسْحَاقَ أَيْضًا ثَانِيٌ ثَقِيلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ . وَفِيهِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ يُقَالُ إِنَّهُ لِيَحْيَى الْمَكِّي . وَفِيهِ خَفِيفٌ رَمَلٌ يُقَالُ إِنَّهُ لِأَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الْمَنْجَمِ . وَفِيهِ لِلْمَعْتَضِدِ ثَانِيٌ ثَقِيلٌ آخَرٌ فِي نَهَايَةِ الْجُودَةِ . وَقَدْ كَانَ عَمْرِو بْنُ بَانَةَ صَنَعَ فِيهِ لَحْنًا فَسَقَطَ لِسُقُوطِ صَنْعَتِهِ .

أَخْبَرَنِي جِحْظَةُ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَشَامِيُّ قَالَ : صَنَعَ عَمْرِو بْنُ بَانَةَ لَحْنًا فِي «تَشَكَّى الْكُمَيْتِ الْجَرِي» فَأَخْبَرَنِي بَعْضُ عَجَائِزِنَا بِذَلِكَ ، قَالَتْ ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَعْرُضَهُ عَلَى مَتَيْمٍ لِنَعْلَمَ مَا عِنْدَهَا فِيهِ ، فَقَلْنَا لِبَعْضِ مَنْ أَخَذَهُ عَنْ عَمْرِو : غَنِّ «تَشَكَّى الْكُمَيْتِ الْجَرِي» فِي اللَّحْنِ الْجَدِيدِ ؛ فَقَالَتْ مَتَيْمٌ : أَيْشِرْ هَذَا اللَّحْنُ الْجَدِيدُ وَالْكُمَيْتُ الْمَحْدَثُ ؟ قَلْنَا : لَحْنٌ صَنَعَهُ عَمْرِو بْنُ بَانَةَ . فَغَنَّتْهُ الْجَارِيَةُ ، فَقَالَتْ مَتَيْمٌ لَهَا : اقْطِعي اقْطِعي ، حَسْبُكَ حَسْبُكَ هَذَا ! وَاللَّهِ لِحَمَارِ حُتَيْنِ الْمَكْسُورِ أَشْبَهَ مِنْهُ بِالْكُمَيْتِ .

1 أَقُلْ : مِنَ الْقِيلُولَةِ ؛ وَقَرْنٌ : اسْمُ مَوْضِعٍ ، ذَكَرَهُ فِي الْمَتَنِ .

2 دِيوَانُ عَمْرِو : 341 .

[5] - ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه

[نسب عمر بن أبي ربيعة]

هو عُمَرُ بن عبد الله بن أبي ربيعة . واسم أبي ربيعة : حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . وقد تقدّم باقي النسب في نسب أبي قطيفة . ويُكنّى عمر بن أبي ربيعة «أبا الخطّاب» . وكان أبو ربيعة جدّه يسمّى «ذا الرُّمحين» ؛ سُمّي بذلك لطوله ، كان يقال : كأنّه يمشي على رُمحين .

أخبرني بذلك الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكار قال حدّثني عمّي ومحمد بن الضّحّاك عن أبيه الضّحّاك عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي . وقيل : إنّهُ قاتلَ يوم عُكاظ برُمحين فسُمّي «ذا الرُمحين» لذلك .

وأخبرني بذلك أيضاً عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن مصعب الزبيريّ والمدائنيّ والمُسَيَّبِيّ ومحمد بن سلام ، قالوا وفيه يقول عبد الله بن الزُّبَيْرَى :

لَدَتْ أُخْتُ بَنِي سَهْمٍ	أَلَا لِلّهِ قُـوْمٌ وَ
مَنَافٍ مِدْرَهُ الْخَصْمُ ¹	هِيْشَامٌ وَأَبُو عَبْدِ
عَلَى الْقُوَّةِ وَالْحَزْمِ ²	وَذُو الرُّمَحَيْنِ أَشْبَاكَ
وَذَا مِنْ كَثْبٍ يَرْمِي	فَهَذَا يَذُودَانِ
نَ مَنَاعُونَ لِلْهَضْمِ ³	أُسُودٌ تَزْدَهِي الْأَقْرَا
نَعُوا النَّاسَ مِنَ الْهَزْمِ	وَهُمْ يَوْمَ عُكَازٍ مَ
بَسْرٌ الْحَسْبِ الضَّخْمِ ⁴	وَهُمْ مَنْ وَلَدُوا أَشْبَوَا
هَ لَا أَحْلَفُ عَلَى إِثْمِ	فَإِنْ أَحْلَفَ وَبَيْتِ الدِّ
قُصُورِ الشَّامِ وَالرَّدَمِ	لَمَّا مِنْ إِخْوَةٍ بَيْنَ
سَ أَوْ أَوْزَنَ فِي الْحِلْمِ	بَازُكَيٍّ مِنْ بَنِي رَيْطَ

1 المدرة : زعيم القوم .

2 يقال أشباك بفلان كما يقال حبسك بفلان .

3 تزدهي الأقران : تستخف بهم .

4 يقال : أشبى فلان إذا وُلِدَ ولد كيّس .

أبو عبد مناف : الفاكهة بن المغيرة . ورِيطة هذه التي عنها هي أم بني المغيرة ، وهي بنت سعيد بن سعد بن سَهْم ، ولدت من المغيرة هشاماً وهاشماً وأبا ربيعة والفاكة .

وأخبرني أحمد بن سليمان بن داود الطُّوسي والحِرْمِي بن أبي العلاء قالا : حدثنا الزبير بن بَكَار قال حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال أخبرني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نَهْشَل عن أبيه قال : قال لي أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وجئتُه أطلب منه مَغْرَماً ، يا خال ، هذه أربعة آلاف درهم وأنشد هذه الأبيات الأربعة وقل : سمعتُ حَسَّان يُنْشِدها رسول الله ﷺ . فقلت : أعوذ بالله أن أفترِي على الله ورسوله ، ولكن إن شئت أن أقول : سمعتُ عائشة تُنْشِدها فعلتُ . فقال : لا ، إلا أن تقول : سمعتُ حَسَّان يُنْشِدها رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالسٌ ، فأبى عليّ وأبئتُ عليه ، فأقمنا لذلك لا نتكلم عدّة ليالٍ . فأرسل إليّ فقال : قل أبياتاً تمدح بها هشاماً ، يعني ابن المغيرة ، وبني أمية . فقلت : سَمَّهم لي ، فسَمَّاهم وقال : اجعلها في عكاظ واجعلها لأبيك . فقلت : [من الهزج]

ألا لله قـوـمٌ و لدتُ أختُ بني سَهْم

... الأبيات . قال : ثم جئتُ فقلتُ : هذه قالها أبي . فقال : لا ، ولكن قل : قالها ابن الزُّبَيْرِ . قال : فهي إلى الآن منسوبة في كتب الناس إلى ابن الزُّبَيْرِ .

قال الزبير : وأخبرني محمد بن الحسن المخزومي قال : أخبرني محمد بن طلحة أن عمر بن أبي ربيعة قائلُ هذه الأبيات :

ألا لله قـوـمٌ و لدتُ أختُ بني سَهْم

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهَلْبِي قالا : حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبد العزيز بن عمران قال حدثني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشل عن أبيه بمثل ما رواه الزبير عنه . وزاد فيه عمر بن شَبَّة : قال محمد بن يحيى : وأختُ بني سهم التي عنها رِيطة بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب ، وهي أم بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهم : هشام وهاشم وأبو ربيعة والفاكة ، وعدّة غيرهم لم يُعقبوا ، وإياهم يعني أبو ذؤيب بقوله : [من الكامل]

صَحِبُ الشَّوَارِبِ لَا يَزَالُ كَانَتْهُ عَبْدُ لَالِ أَبِي ربيعة مُسْبَعُ

ضَرَبَ بَعْزُهُم المَثَلَ . قال : وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة في الجاهلية بِحِيرًا ، فسَمَّاه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم عبدَ الله ؛ وكانت قريش تلقبه «العِدْل» ؛ لأنَّ قريشاً كانت تكسُو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنّةً ، ويكسوها هو من ماله سنّةً ، فأرادوا بذلك أنّه وحده عِدْلٌ لهم جميعاً في ذلك . وفيه يقول ابن الزُّبَيْرِ :

[من الطويل]

بَحِيرُ بْنُ ذِي الرُّمَحِينَ قَرَّبَ مَجْلِسِي وَرَاحَ عَلَيَّ خَيْرُهُ غَيْرَ عَاتِمٍ
وقد قيل : إِنَّ الْعِدْلَ هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ .

وكان عبد الله بن أبي ربيعة تاجراً مُوسِراً ، وكان مَتَجِرُهُ إِلَى الْيَمَنِ ، وكان من أَكْثَرِهِمْ
مَالاً . وَأُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ مُخْرَبَةَ ، وَقِيلَ : مُخْرَمَةٌ ، وَكَانَتْ عَطَّارَةً يَأْتِيهَا الْعِطْرُ مِنَ الْيَمَنِ .
وقد تزوجها هشام بن المغيرة أيضاً ، فولدت له أبا جهل والحارث ابني هشام ؛ فهما أُمُهُما
وَأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ وَعِيَّاشُ ابْنِي أَبِي رَبِيعَةَ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ وَالطُّوسِيُّ قَالَا : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ الْوَاقِدِيِّ قَالَ : كَانَتْ
أَسْمَاءُ بِنْتُ مُخْرَبَةَ تَبِيعَ الْعِطْرَ بِالْمَدِينَةِ . فَقَالَتْ الرُّبَيْعُ بِنْتُ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءِ الْأَنْصَارِيَّةِ ، وَكَانَ
أَبُوهَا قَتَلَ أَبَا جَهْلٍ بَنَ هِشَامَ يَوْمَ بَدْرٍ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَقِيلَ : بَلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ ، فَذَكَرْتُ أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ مُخْرَبَةَ دَخَلَتْ عَلَيْهَا وَهِيَ تَبِيعُ عِطْراً لَهَا فِي
نِسْوَةٍ ، قَالَتْ : فَسَأَلْتُ عَنْهَا ، فَاتَسَبَّحْنَا لَهَا . فَقَالَتْ : أَنْتِ ابْنَةُ قَاتِلِ سَيِّدِهِ ؟ تَعْنِي أبا جَهْلٍ .
قُلْتُ : بَلَى أَنَا بِنْتُ قَاتِلِ عَبْدِهِ . قَالَتْ : حَرَامٌ عَلَيَّ أَنْ أَبِيعَكَ مِنْ عِطْرِي شَيْئاً . قُلْتُ : وَحَرَامٌ
عَلَيَّ أَنْ أَشْتَرِيَ مِنْهُ شَيْئاً ؛ فَمَا وَجَدْتَ لِعِطْرٍ تَنْتَنُ غَيْرَ عِطْرِكَ ، ثُمَّ قُمْتُ ؛ وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ
عِطْراً أَطْيَبَ مِنْ عِطْرِهَا ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُعِيبَهُ لِأَغِيظَهَا .

وكان لعبد الله بن أبي ربيعة عبيدٌ من الحبشة يتصرفون في جميع المَهَنَ ، وكان عددهم
كثيراً ؛ فَرُوي عن سفيان بن عيينة أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ : هَلْ لَكَ فِي
حَبَشَ بَنِي الْمُغِيرَةِ تَسْتَعِينُ بِهِمْ ؟ فَقَالَ : «لَا خَيْرَ فِي الْحَبَشِ إِنْ جَاعُوا سَرَقُوا وَإِنْ شَبِعُوا زَنَوْا ، وَإِنْ
فِيهِمْ لَخَلَّتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَالْبَأْسُ يَوْمَ الْبَأْسِ» . وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
أَبِي رَبِيعَةَ عَلَى الْجَنْدِ وَمَخَالِفِهَا ، فَلَمْ يَزَلْ عَامِلاً عَلَيْهَا حَتَّى قُتِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ . هَذَا مِنْ رِوَايَةِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَمِّهِ . قَالَ : وَحَدَّثَنِي ابْنُ الْمَاجِشُونِ عَنْ عَمِّهِ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ ، اسْتَعْمَلَهُ أَيْضاً عَلَيْهَا .

[أُمُّ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَأَخُوهُ الْحَارِثُ]

وَأُمُّ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ أُمُّ وَلَدٍ يُقَالُ لَهَا «مَجْدُ» ، سَبَّيَّةٌ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ وَيُقَالُ مِنْ حِمَيْرٍ .
قَالَ أَبُو مُحَلَّمٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ : هِيَ مِنْ حِمَيْرٍ ، وَمِنْ هُنَاكَ أَتَاهُ الْغَزَلُ ؛ يُقَالُ : غَزَلَ يَمَانٍ ،
وَدَلَّ حِجَازِيٌّ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ شَبَّةٍ : أُمُّ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ أُمُّ وَلَدٍ سَوْدَاءٍ مِنْ حَبَشٍ يُقَالُ لَهُمْ : فَرَسَانٌ¹ .

1 فَرَسَانٌ : مِنْ جَزَائِرِ الْيَمَنِ .

وهذا غلطٌ من أبي زيد¹ . تلك أمُّ أخيه الحارث بن عبد الله الذي يقال له : «القُبَاعُ» ، وكانت نصرانية . وكان الحارث بن عبد الله شريفاً كريماً ذنباً وسيّداً من سادات قريش . قال الزبير بن بَكَّار : ذكره عبد الملك بن مروان يوماً وقد ولّاه عبدُ الله بن الزبير ، فقال : أَرْسَلَ عَوْفاً وَقَعْدَ ! «لا حُرَّ بوادي عَوْف» . فقال له يحيى بن الحكم : ومن الحارث ابن السَّوداء ! فقال له عبد الملك : ما ولدتُ والله أُمّةٌ خيراً ممّا ولدتُ أمُّهُ ! وأخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبير والمدائني والمسيبي : أن أمّه ماتت نصرانية وكانت تُسَيِّرُ ذلك منه . فحضر الأشراف جنازتها ، وذلك في عهد عمر بن الخطّاب ، رحمة الله عليه ، فسمع الحارث من النساء لَغَطاً ، فسأل عن الخبر ، فعرف أنّها ماتت نصرانية وأنّه وُجِدَ الصليب في عنقها ، وكانت تَكْتُمُهُ ذلك . فخرج إلى الناس فقال : انصرفوا رحمكم الله ؛ فإنّ لها أهلَ دينٍ هم أولى بها منّا ومنكم ؛ فاستحسن ذلك منه وعجِبَ الناسُ من فعله .

[الغناء في «ألا لله قوم» . . .]

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من الهزج]

ألا لله قومٌ و لدتُ أختُ بني سَهْمٍ
هشامٌ وأبو عبْدٍ منافٍ مِدرَةُ الخَصْمِ
وذو الرُّحَين أشبَاكَ على القوّة والحَزْمِ
فهذان يذودان وذا من كَتَبَ يَرْمِي

عروضه من مكفوف الهزج . الغناء لمعبد خفيف رملٍ من رواية حماد .

[رأي يزيد بن عبد الملك في غناء معبد وابن سريج]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكَيْعٌ قال قال إسماعيل بن مُجَمِّع أخبرنا المدائني عن رُسْتَم بن صالح قال : قال يزيد بن عبد الملك يوماً لمعبد : يا أبا عبّاد ، إنّي أريد أن أخبرك عن نفسي وعنك ، فإن قلتُ فيه خلاف ما تعلم فلا تتحاشر أن تردّه عليّ ، فقد أذنت لك . قال : يا أمير المؤمنين ، لقد وضعك ربُّك بموضع لا يعصيك إلا ضالٌّ ، ولا يردُّ عليك إلا مخطيء . قال : إنّ الذي أجده في غنائك لا أجده في غناء ابن سريج . أجد في غنائك متانة ، وفي غنائها انحاثاً وليناً . قال معبد : والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته ، وارتضاه لعباده ، وجعله أميناً على أُمّة نبيّه ﷺ ، ما عدا

1 أبو زيد : كنية عمر بن شبّة .

صفتي وصفة ابن سريج ، وكذا يقول ابن سريج وأقول ؛ ولكن إن رأى أمير المؤمنين أن يعلمني هل وضعني ذاك عنده فعل . قال : لا والله ، ولكنني أوتر الطرب على كل شيء . قال : يا سيدي فإذا كان ابن سريج يذهب إلى الخفيف من الغناء وأذهب أنا إلى الكامل التام ، فأغرب أنا ويُشرّق هو ، فمتى نلتقي ؟ قال : أفتقدر أن تحكي رقيق ابن سريج ؟ قال نعم ؛ فصنع من وقته لحناً من الخفيف في :

أَلَا لِلَّهِ قُـوْمٌ وَلَدَتْ أُخْتُ بَنِي سَهْمٍ

الأربعة الأبيات . وغنّاه ، فصاح يزيد : أحسنت والله يا مولاي ! أعد فذاك أبي وأمي ، فأعاد ، فردّ عليه مثل قوله الأول ، فأعاد . ثم قال : أعد فذاك أبي وأمي ، فأعاد ، فاستخفّه الطرب حتى وثب وقال لجواريه : افعلن كما أفعل ، وجعل يدور في الدار ويدرن معه وهو يقول :

يَا دَارُ دَوْرِنِسِي يَا قَرَقَرُ امسكيني
أَلَيْتَ مُنْذُ حِينَ حَقّاً لَتَصْرِمِينِي
وَلَا تُوَاصِلِينِي بِاللَّهِ فَارْحَمِينِي
لَمْ تَذْكُرِي يَمِينِي

قال : فلم يزل يدور كما يدور الصبيان ويدرن معه ، حتى خرّ مغشياً عليه ووقع فوقه ما يعقل ولا يعقلن ، فابتدره الخدم [فأقاموه] وأقاموا من كان على ظهره من جواريه ، وحملوه وقد جاءت نفسه أو كادت .

[جوان بن عمر]

رجع الخبر إلى ذكر عمر بن أبي ربيعة . وكان لعمر بن أبي ربيعة ابن صالح يقال له «جوان» ، وفيه يقول العرجي :

شَهِيدِي جُؤَانُ عَلَى حَبِّهَا أَلَيْسَ بَعْدَلٍ عَلَيْهَا جُؤَانُ
فَأَخْبِرْنِي الْحَرْمِيَّ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَوْبَانَ
قال : جاء جوان بن عمر بن أبي ربيعة إلى زياد بن عبد الله الحارثي وهو إذ ذاك أمير على الحجاز ، فشهِد عنده بشهادة ؛ فتمثّل :

شَهِيدِي جُؤَانُ عَلَى حَبِّهَا أَلَيْسَ بَعْدَلٍ عَلَيْهَا جُؤَانُ
وهذا الشعر للعرجي . ثم قال : قد أجزنا شهادتك ، وقيل . وقال غير الزبير : إنه جاء إلى العرجي فقال له : يا هذا ! ما لي وما لك تُشَهِّرُنِي فِي شِعْرِكَ ! متى أشهدتني على صاحبك هذه ؟ ومتى كنت أنا أشهد في مثل هذا ! قال : وكان امرأ صالحاً .

وأخبرني الحرُمي قال حَدَّثَنَا الزبير قال حَدَّثَنِي بكار بن عبد الله قال : استعمل بعض وُلاة مكة جوان بن عمر على تَبَالَةٍ¹ ، فحمل على خَتْنَمٍ في صدقات أموالهم حملاً شديداً ؛ فجعلت ختعم سنة جوانٍ تاريخاً ؛ فقال ضُبارة بن الطفيل : [من الطويل]
أَتَلَبَّسْنَا لَيْلَى عَلَى شَعَثٍ بَنَا من العامِ أَوْ يُرْمَى بَنَا الرَّجَوَانُ²

صوت

[من الطويل]

رَأْتَنِي كَأَشْلَاءِ اللَّجَامِ وَرَاقَهَا أَخُو غَزَلٍ ذُو لِمَّةٍ وَدِهَانٍ
ولو شَهِدْتَنِي فِي لَيْالٍ مَضَيْنَ لِي لِعَامَيْنِ مَرّاً قَبْلَ عَامِ جُوانٍ
رَأْتَنَا كَرِيمَي مَعَشِرٍ حُمٍّ بَيْنَنَا هَوَى فحَفِظْنَاهُ بِحُسْنِ صِيَانٍ³
نَدَوُذُ النَفُوسِ الحَائِمَاتِ عَنِ الصَّبَا وَهَنَّ بِأَعْنَاقٍ إِلَيْهِ ثَوَانِي
ذكر حَبَشٌ أَنَّ الغناء في هذه الأبيات للغريض ثاني ثَقِيلٍ بِالْبِنْصَرِ ، وذكر الهشامي أَنَّهُ لقراريط .

[أمة الواحد بنت عمر]

قالوا : وكان لعمر أيضاً بنتٌ يقال لها : «أمة الواحد» ، وكانت مُسْتَرْضَعَةً فِي هَذِيل ، وفيها يقول عمر بن أبي ربيعة ، وقد خرج يطلبها فَضَلَّ الطريق : [من السريع]

لَمْ تَدْرِ وَلِيَعْفِرَ لَهَا رَبُّهَا مَا جَشَمْتَنَا أَمَةُ الْوَاحِدِ⁴
جَشَمْتَ الْهَوْلَ بَرَاذِينَا نَسْأَلُ عَنْ بَيْتِ أَبِي خَالِدٍ
نَسْأَلُ عَنْ شَيْخِ بَنِي كَاهِلٍ أَعْيَا خَفَاءَ نَشْدَةِ النَّاشِدِ

[مولد عمر]

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المَرْزبان عن أبي بكر العامري أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبیب بن نصر المَهَلَّبِي قالا : حَدَّثَنَا عمر بن شَبَّة قال حَدَّثَنِي يعقوب بن القاسم قال حَدَّثَنَا أسامة بن زيد بن الحكم بن عوانة عن عوانة بن الحكم ، قال : أراه عن الحسن ، قال : وُلِدَ عمرُ بن أبي ربيعة ليلة قُتِلَ عمر بن الخطاب ، رحمة الله عليه ، فَأَيُّ حَقٍّ رُفِعَ ، وَأَيُّ باطلٍ وُضِعَ ! . قال عوانة : ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها .

1 تبالة : بلدة من أرض تهامة .

2 يرمي به الرجوان : يستهان به ، والرجوان جانبنا البشر .

3 حمٌ : أتيج وقدر .

4 ديوان عمر : 116 .

أخبرني الجوهري والمهلبّي قالا : حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني يعقوب بن القاسم قال حدّثني عبد الله بن الحارث عن ابن جريج عن عطاء قال : كان عمر بن أبي ربيعة أكبر مني كأنّه وُلد في أوّل الإسلام .

[عمر وابن عباس وابن الأزرق]

أخبرني الجوهري والمهلبّي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزهري قال : حدّثنا ابن أبي ثابت ، وحدّثني به عليّ بن صالح بن الهيثم عن أبي هفّان عن إسحاق عن المسيبي والزبيري والمدائني ومحمد بن سلام ، قالوا : قال أيوب بن سيّار ، وأخبرني به الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني محمد بن الحسن المخزوميّ عن عبد العزيز بن عمران عن أيوب بن سيّار عن عمر الركاء قال : بينا ابن عبّاس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه ، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين مُورّدين أو مُمَصَّرين¹ حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عبّاس فقال أنشدنا فأنشده : [من الطويل]

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرٌ غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرٌ

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال : الله يا ابن عبّاس ! إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتناقلُ عنّا ، ويأتيك غلام مُتَرَفٌ من مُتَرَفِي قريش فينشدك :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَخْزِي وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْسَرُ
فقال : ليس هكذا قال . قال : فكيف قال ؟ فقال : قال :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ

فقال : ما أراك إلّا وقد حَفِظْتَ البيت ؛ قال : أَجَلٌ ، وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها . قال فإنّي أشاء ؛ فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها . وفي غير رواية عمر بن شبّة : أنّ ابن عبّاس أنشدها من أولّها إلى آخرها ، ثم أنشدها من آخرها إلى أولّها مقلوبة ، وما سمعها قطّ إلّا تلك المرأة صَفْحًا . قال : وهذا غاية الذكاء . فقال له بعضهم : ما رأيت أذكى منك قطّ . فقال : لكنني ما رأيت قطّ أذكى من عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام . وكان ابن عبّاس يقول : ما سمعتُ شيئاً قطّ إلّا رويته ، وإنّي لأسمع صوت النائحة فأسدُّ أذني كراهة أن أحفظ ما تقول . قال : ولأمله بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة : «أَمِنْ آلِ نَعْمٍ . . .» . فقال : إنا نستجيدُها . وقال الزبير في خبره عن عمّه : فكان ابن عبّاس بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أحدث هذا

1 ثوب ممصّر : فيه بعض صفرة .

المُعِيرِي شَيْئاً بَعْدَنَا ؟

قال : وحدثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال : كان عبد الله بن الزبير إذا سمع قول عمر بن أبي ربيعة :

فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيُخْصِرُ

قال : لا ، بل :

فَيَخْزِي وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيُخْسِرُ

قال عمر بن شُبَّة وأبو هَفَّان والزبير في حديثهم : ثم أقبل على ابن أبي ربيعة فقال : أنشد ، فأنشده¹ :

تَشْطُ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا

وسكت ؛ فقال ابن عباس :

وَلَلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَبَدُ

فقال له عمر : كذلك قلت ، أصلحك الله ، أسمعته ؟ قال : لا ، ولكن كذلك ينبغي .

[شهادات الشعراء في شعر عمر]

أخبرنا الحرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن إسحاق قال : كان العرب تُقَرِّ لقريش بالتقدم في كل شيء عليها إلا في الشعر ؛ فإنها كانت لا تُقَرُّ لها به ، حتى كان عمر بن أبي ربيعة ، فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها شيئاً .

قال الزبير : وسمعتُ عمِّي مُصْعَباً يحدث عن جدي أنه قال مثل هذا القول . قال : وحدثني عِدَّةٌ من أهل العلم أن النُصَيْب قال : لعمُر بن أبي ربيعة أوصفنا لربات الحِجَال .

قال المدائني قال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة : ما يمنعك من مدحنا ؟ قال : إني لا أمدح الرجال ، إنما أمدح النساء . قال : وكان ابن جُرَيْج يقول : ما دخل على العواتق في حِجَالهن شيءٌ أضر عليهن من شعر عمر بن أبي ربيعة .

قال الزبير وحدثني عمِّي عن جدي ، وذكره أيضاً إسحاق فيما رويناه عن أبي هَفَّان عنه عن المدائني ؛ قال قال هشام بن عروة : لا تُرَوُّوا فتياتكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطاً ، وأنشد :

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها خُذي حَدَرَكَ
وقُولي في مُلاطفةٍ لزَيْنَبَ : نَوِّي عُمَرَكَ

أخبرنا علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق عن الزبير¹ قال حدثني أبي عن سمرة الدوماني² من حمير قال : إني لأطوف بالبيت فإذا أنا بشيخ في الطواف ، فقيل لي : هذا عمر بن أبي ربيعة . فقبضت على يده وقلت له : يا ابن أبي ربيعة . فقال : ما تشاء ؟ قلت : أكل ما قلته في شعرك فعلته ؟ قال : إليك عني . قلت : أسألك بالله قال : نعم وأستغفر الله .

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن حماد الراوية : أنه سئل عن شعر عمر بن أبي ربيعة فقال : ذاك الفستق المقتشر³ .

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن عمه قال : سمع الفرزدق شيئاً من نسيب عمر فقال : هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ، ووقع هذا عليه . قال : وكان بالكوفة رجلاً من الفقهاء تجتمع إليه الناس فيتذاكرون العلم ؛ فذكر يوماً شعر عمر بن أبي ربيعة فهجته . فقالوا له : بمن ترضى ؟ ومر بهم حماد الراوية فقال : قد رضيت بهذا . فقالوا له : ما تقول في من يزعم أن عمر بن أبي ربيعة لم يحسن شيئاً ؟ فقال : أين هذا ؟ اذهبوا بنا إليه . قالوا : نصنع به ماذا ؟ قال ننزّو على أمه لعلها تأتي بمن هو أمثل من عمر .

قال إسحاق : وقال أبو المقوم الأنصاري : ما عصي الله بشيء كما عصي بشعر عمر بن أبي ربيعة .

قال إسحاق : وحدثني قيس بن داود قال حدثني أبي قال : سمعت عمر بن أبي ربيعة يقول : لقد كنت وأنا شاب أعشق ولا أعشق ، فاليوم صرت إلى مُداراة الحسان إلى الممات . ولقد لقيتني فتان مرة فقالت لي إحداها : أذن مني يا ابن أبي ربيعة أسير إليك شيئاً . فدنوت منها وذنّت الأخرى فجعلت تعضني ، فما شعرت بعض هذه من لذة سرار هذه .

قال إسحاق : وذكر عبد الصمد بن الفضل الرقاشي عن محمد بن فلان الزهري ، سقط اسمه ، عن إسحاق عن عبد الله بن مسلمة بن أسلم قال : لقيت جريراً فقلت له : يا أبا حزرّة ، إن شعرك رُفع⁴ إلى المدينة وأنا أحب أن تُسمعني منه شيئاً . فقال : إنكم يا أهل المدينة يُعجبكم النسب ، وإن أنسب الناس المخزومي ؛ يعني ابن أبي ربيعة .

قال إسحاق : وذكر محمد بن إسماعيل الجعفري عن أبيه عن خاله عبد العزيز بن عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة قال : أشرف عمر بن أبي ربيعة على أبي قُبَيْس ، وبنو أخيه معه وهم

1 هو مصعب بن ثابت بن عبد الله الزبيري .

2 دوماني : نسبة إلى دومان ، وهي بطن من همدان .

3 ل : الفاسق المفسد .

4 ل : وقع .

مُحَرِّمون ، فقال لبعضهم : خُذْ بِيَدِي فَأُخِذْ بِيَدِهِ ؛ وقال : وَرَبُّ هَذِهِ الْبَنِيَّةُ¹ مَا قُلْتُ لَامْرَأَةٍ قَطُّ شَيْئاً لَمْ تَقْلَهُ لِي ، وَمَا كَشَفْتُ ثَوْباً عَنْ حَرَامٍ قَطُّ . قال : وَلَمَّا مَرَضَ عُمَرُ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَزَعُ أَخُوهِ الْحَارِثِ جَزَعاً شَدِيداً . فقال له عمر : أَحْسِبُكَ إِنَّمَا تَجْزَعُ لِمَا تَنْظُنُّ بِي ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنِّي رَكَبْتُ فَاحِشَةً قَطُّ ! فقال : مَا كُنْتُ أَشْفَقُ عَلَيْكَ إِلَّا مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ سَلَّيْتُ عَنِّي .

قال إسحاق : حَدَّثَنِي مُصْعَبُ الزَّيْبِرِيِّ قَالَ قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزَّيْبِرِ : خَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِرِينَ أَوْ حَاجِّينَ ؛ فَلَمَّا طُفْنَا بِالْبَيْتِ مَضَيْنَا إِلَى الْحِجْرِ نُصَلِّي فِيهِ ، فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ فَرَجَ² بَيْنِي وَبَيْنَ أَخِي فَأَوْسَعْنَا لَهُ . فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : مَنْ أَنْتُمَا ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ . فَرَحَّبَ بَنَا وَقَالَ : يَا ابْنِي أَخِي ، إِنِّي مُوَكَّلٌ بِالْجَمَالِ أَتُبِعُهُ ، وَإِنِّي رَأَيْتُكُمَا فِرَاقَتِي حُسْنُكُمَا وَجَمَالَكُمَا ، فَاسْتَمِعَا بِشَبَابِكُمَا قَبْلَ أَنْ تَنْدَمَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَامَ ؛ فَسَأَلْنَا عَنْهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ .

أَخْبَرَنَا الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ : عَاشَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ثَمَانِينَ سَنَةً ؛ فَتَكَ مِنْهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَنَسَكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

قال الزبير وحدثني إبراهيم بن حمزة ومحمد بن ثابت عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : حَجَجْتُ مَعَ أَبِي وَأَنَا غُلَامٌ وَعَلَيَّ جُمَّةٌ . فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ جِئْتُ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَجَلَسْتُ مَعَهُ ، فَجَعَلَ يَمُدُّ الْخُصْلَةَ مِنْ شَعْرِي ثُمَّ يُرْسِلُهَا فَيَرْجِعُ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَيَقُولُ : وَاشْبَاهَا ! حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ مَرَاراً . ثُمَّ قَالَ لِي : يَا ابْنَ أَخِي ، قَدْ سَمِعْتَنِي أَقُولُ فِي شَعْرِي : قَالَتْ لِي وَقُلْتُ لَهَا ، وَكُلُّ مَمْلُوكٍ لِي حُرٌّ إِنْ كُنْتُ كَشَفْتُ عَنْ فَرْجٍ حَرَامٍ قَطُّ ! فَفَقِمْتُ وَأَنَا مُتَشَكِّكٌ فِي يَمِينِهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْ رَقِيقِهِ فَقِيلَ لِي : أَمَّا فِي الْحَوْكِ فَلَهُ سَبْعُونَ عَبْدًا سِوَى غَيْرِهِمْ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرِيُّ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي طَبِيبَةُ مَوْلَاةِ فَاطِمَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ مُصْعَبٍ قَالَتْ : مَرَرْتُ بِجَدِّكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ وَأَنَا دَاخِلَةٌ مِنْزِلَهُ وَهُوَ بِفَنَائِهِ وَمَعِيَ دَفْتَرٌ ، فَقَالَ : مَا هَذَا مَعَكَ ؟ وَدَعَانِي . فَجِئْتُهُ وَقُلْتُ : شَعْرُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ . فَقَالَ : وَيَحْكُ ! تَدْخُلِينَ عَلَى النِّسَاءِ بِشَعْرِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ !! إِنْ لَشَعْرَهُ لَمَوْقِعًا مِنَ الْقُلُوبِ وَمَدْخَلًا لَطِيفًا ، لَوْ كَانَ شَعْرٌ يَسْحَرُ لَكَانَ هُوَ ، فَارْجِعِي بِهِ . قَالَتْ : فَفَعَلْتُ .

قال إسحاق : وَأَخْبَرَنِي الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيِّ قَالَ : قَدِمْتُ امْرَأَةً مَكَّةَ وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ . فَبَيْنَا عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ يَطُوفُ إِذْ نَظَرَ إِلَيْهَا فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ ؛ فَدَنَا مِنْهَا فَكَلَّمَهَا ، فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيْهِ . فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ جَعَلَ يَطْلُبُهَا حَتَّى أَصَابَهَا . فَقَالَتْ لَهُ : إِلَيْكَ عَنِّي يَا هَذَا ، فَإِنَّكَ

1 ل : الكعبة .

2 ل : فرق .

في حَرَمِ اللَّهِ وفي أَيَّامِ عَظِيمَةِ الْحُرْمَةِ . فَأَلَحَّ عَلَيْهَا يُكَلِّمُهَا حَتَّى خَافَتْ أَنْ يُشَهِّرَهَا . فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الْآخَرَى قَالَتْ لِأَخِيهَا : أَخْرِجْ مَعِيَ يَا أَخِي فَأَرِنِي الْمَنَاسِكَ ؛ فَإِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهَا ، فَأَقْبَلْتُ وَهُوَ مَعَهَا . فَلَمَّا رَأَاهَا عَمَرَ أَرَادَ أَنْ يَعْرِضَ لَهَا ، فَنَظَرَ إِلَى أَخِيهَا مَعَهَا فَعَدَلَ عَنْهَا ؛ فَتَمَثَّلَتِ الْمَرْأَةُ بِقَوْلِ النَّابِغَةِ :

تَعْدُو الذَّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الْحَامِي¹
 قَالَ إِسْحَاقُ : فَحَدَّثَنِي السَّنْدِيُّ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ ، وَقَدْ حَدَّثَ بِهَذَا الْخَبَرِ ، وَدِدْتُ أَنَّهُ لَمْ تَبْقَ فِتْنَةٌ مِنْ قَرِيشٍ فِي خِدْرِهَا إِلَّا سَمِعْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ .
 قَالَ إِسْحَاقُ : قَالَ لِي الْأَصْمَعِيُّ : عَمَرَ حُجَّةً فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَلَمْ يُوْخِذْ عَلَيْهِ إِلَّا قَوْلُهُ :

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بِهِرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ
 وَلَهُ فِي ذَلِكَ مَخْرَجٌ ؛ إِذْ قَدْ أَتَى بِهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْبَارِ . قَالَ : وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ :

قِيلَ لِي هَلْ تُحِبُّهَا قُلْتُ بِهِرًا

[شعر عمر الذي غنى فيه المغنون]

نسبة ما مضى في هذه الأخبار
 من الأشعار التي قالها عمر بن أبي ربيعة وغنى فيها المغنون إذ كانت
 لم تُنسب هناك لطول شرحها

منها ما يُغنى فيه من قوله² :

[من الطويل]

صوت

أَمِنْ آلِ نَعَمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ	غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمَهْجَرُ
لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا	فَتُبْلَغَ عُذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعْذَرُ
أَشَارَتْ بِمَدْرَاهَا وَقَالَتْ لِأُخْتِهَا	أَهَذَا الْمُغِيرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذَكَّرُ ؟
فَقَالَتْ : نَعَمْ لَا شَكَّ غَيْرَ لَوْنِهِ	سُرَى اللَّيْلِ يَطْوِي نَصَهُ وَالتَّهْجَرُ
رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ	فَيُضْحِي وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيُخْصَرُ

1 الحامي في ل : الضاري ؛ وانظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص 84 .

2 ديوان عمر : 120-127 .

أخا سفر جَوَّابَ أرضٍ تقاذفتُ به فَلَواتُ فَهُوَ أَشَعْتُ أَغْبَرُ
 وليلةَ ذي دُورَانِ جَشَمْتَنِي السُّرَى وقد يَجْشُمُ الهولَ المُحِبُّ المَعْرُأُ
 فقلتُ : أبادِيهم فإمَّا أفوْتهم وإمَّا يَنالُ السيفُ ثأراً فيثأُرُ

هذه الأبياتُ جُمعت على غير تَوَالٍ ؛ لأنَّه إنَّما ذُكر منها ما فيه صنعةٌ . غنى في الأوَّل والثاني من الأبيات ابن سُرَيْج خفيف رَمَلٍ بالبِنْصر عن أحمد بن المَكِّي وذكر حبشٌ أنَّ فيهما لمعبدٌ لحناً من الثَّقِيل الأوَّل بالبِنْصر . وغنى ابن سُرَيْج في الثالث والرابع أيضاً خفيف ثَقِيل بالوسطى ، وذكر حبشٌ أنَّ فيهما لحناً من الهزج بالوسطى لِحَكَم . وغنى ابن سُرَيْج في الخامس والسادس لحناً من الرَّمَل بالوسطى عن عمرو بن بَناة . وذكر يونس أنَّ في السابع والثامن لابن سُرَيْج لحناً ولم يذكر طريقته ، وذكر حبشٌ أنَّ فيهما لِمَالِك لحناً من الثَّقِيل الثاني بالبِنْصر .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزبان قال أخبرني محمد بن إِسحاق قال أخبرني محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبي : أنَّ عمرَ بن أبي ربيعة أتى عبد الله بن عَبَّاس وهو في المسجد الحرام فقال : متَّعني الله بك ! إنَّ نفسي قد تَأَقَّتْ إلى قول الشَّعر ونازعني إليه ، وقد قلتُ منه شيئاً أحببتُ أن تسمعه وتستره عليَّ . فقال : أنشدني ، فأنشده :

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ

فقال له : أنت شاعرٌ يا ابن أخي ، فقل ما شئت . قال : وأنشد عمر هذه القصيدة طَلَحَة بن عبيد الله بن عوف الزُّهري وهو راکبٌ ، فوقف وما زال شائفاً ناقته حتى كُتِبَتْ له .

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزبان قال حدَّثني الحسين بن إِسماعیل قال حدَّثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان جرير إذا أنشد شعرَ عمر بن أبي ربيعة قال : هذا شعرٌ تَهاميُّ إذا أُنجِد وجَدَ البرَدَ ، حتى أنشد قوله :

رأت رجلاً أمَّا إذا الشمسُ عارضتُ فيضْحى وأمَّا بالعِشيَّ فيخْضَرُ
 قليلاً على ظَهرِ المطيَّةِ ظلُّه سيوى ما نفى عنه الرداءُ المُحِبُّ
 وأعجبها من عيشها ظلُّ غُرْفَةٍ وريَّانٌ مُلتفٌ الحدائقِ أخْضَرُ
 ووال كفاها كلُّ شيءٍ يَهْمُها فليستُ لشيءٍ آخرَ الليلِ تَسْهَرُ

فقال جرير : ما زال هذا القُرْشيَّ يَهْذي حتى قال الشعر .

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني أبو عبد الله اليماميُّ قال حدَّثني الأصمعيُّ قال : قال لي الرشيد : أنشدني أحسنَ ما قيل في رجلٍ قد لَوَّحه السفرُ ؛ فأنشدته قولَ عمر بن أبي ربيعة

حيث قال :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحي وأما بالعشي فيخصر
أخا سفر جَوَّابَ أرض تقاذفت به فلوات فهو أشعث أغبر
... الأبيات كلها . قال : فقال لي الرشيد : أنا والله ذلك الرجل . قال : وهذا بعقب
قدومه من بلاد الروم .

أخبرني الفضل بن الحباب الجمحي أبو خليفة في كتابه إليّ : قال حدثنا محمد بن
سلام قال أخبرني شعيب بن صخر قال : كان بين عائشة بنت طلحة وبين زوجها
عمر بن عبيد الله بن معمر كلام ، فسهرت ليلة فقالت : إن ابن أبي ربيعة لجاهل بليلتي
هذه حيث يقول :

ووال كفأها كل شيء يهملها فليست لشيء آخر الليل تسهر

[مجن عمر]

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان قال حدثني إسحاق عن المدائني قال : عرض
يزيد بن معاوية جيش أهل الحرّة ، فمرّ به رجل من أهل الشام معه ترس خلقت سمج ، فنظر
إليه يزيد وضحك وقال له : ويحك ! ترس عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من ترسك . يريد
قول عمر :

فكان مجنيّ دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعيان ومعصير

[جمين صاحب النوادر وشعر عمر]

أخبرنا جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال : سمع أبو
الحارث جُمَيْنٌ مُغْنِيَةً تُغَنِّي :

أشارت بمدراها وقالت لأختها أهذا المعيري الذي كان يُذكر ؟
فقال جُمَيْنٌ : امرأته طالق إن كانت أشارت إليه بمدراها إلا لتفقأ بها عينه ، هلاً أشارت
إليه بنفاق مطرف بالخرذل ، أو سنْبوسجة مغموسة في الخل ، أو لوزينجة شرقة بالدّهْن !
فإن ذلك أنفع له ، وأطيب لنفسه ، وأدل على مودة صاحبه .

أخبرني الحرّميّ قال : حدثنا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن أبي أويس عن عطاء بن
خالد الوابصي عن عبد الرحمن بن حرملة قال : أنشد سعيد بن المسيّب قول عمر بن أبي
ربيعة :

وغاب قُمَيْرٌ كنت أرجو عُيُوبَهُ وَرَوَّحَ رُغِيَّانَ وَنَوَّمَ سَمْرَ

[شعر عمر في ابنة الأشعث]

فقال : ما له قاتله الله ! لقد صغّر ما عظم الله ! يقول الله عز وجل : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ﴾

مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿[يس 36] .

ومنها ما فيه غناء لم يُنسَب في موضعه من الأخبار فنُسب هاهنا¹ : [من المتقارب]

صوت

تَشْطُ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا وَلَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ
إِذَا سَلَكَتْ غَمْرُ ذِي كَنْدَةٍ مَعَ الصَّبْحِ قَصْدٌ لَهَا الْفَرْقَدُ²
عِرَاقِيَّةٌ ، وَتَهَامِي الْهَوَى يَغُورُ بِمَكَّةَ أَوْ يُنْجِدُ
وَحَثَّ الْحِدَاةُ بِهَا عَيْرَهَا سِرَاعاً إِذَا مَا وَتَتْ تُطْرُدُ
هَنَالِكَ إِمَّا تُعْزِي الْفَوَادَ وَإِمَّا عَلَى إِثْرِهَا تَكْمُدُ
وَلَيْسَتْ بِبِدْعٍ إِذَا دَارُهَا نَأَتْ وَالْعَزَاءُ إِذَا أَجَلَدُ³
صَرَمْتُ وَوَاصَلْتُ حَتَّى عِلْمِ تِ أَيْنَ الْمَصَادِرُ وَالْمُورِدُ
وَجَرَيْتُ مِنْ ذَاكَ حَتَّى عَرَفَ تِ مَا أَتَوَقَّى وَمَا أَحْمَدُ
فَلَمَّا دَنَوْنَا لِحَرَسِ النَّبَا حِ وَالضَّوْءِ ، وَالْحَيُّ لَمْ يَرْفُدُوا
[نَأِينَا عَنْ الْحَيِّ حَتَّى إِذَا تَوَدَّعَ مِنْ نَارِهَا الْمَوْفِدُ]⁴
بَعَثْنَا لَهَا بَاغِيّاً نَاشِداً وَفِي الْحَيِّ بُغْيَةً مَن يَنْشُدُ
أَتْنَا تَهَادَى عَلَى رَقَبَةٍ مِنَ الْخَوْفِ أَحْشَاوَهَا تُرْعَدُ
تَقُولُ وَتُظْهِرُ وَجْداً بِنَا وَوَجْدِي وَإِنْ أَظْهَرْتُ أَوْجَدُ
لَمِمَّا شَقَائِي تَعَلَّقْتُكُمْ وَقَدْ كَانَ لِي عِنْدَكُمْ مَقْعَدُ
وَكَفَّتْ سَوَابِقَ مَنْ عَبْرَةٍ عَلَى الْخَدِّ يَجْرِي بِهَا الْإِثْمَدُ
فَإِنَّ الَّتِي شَيَعْتَنَا الْغَدَاةَ مَعَ الْفَجْرِ قَلْبِي بِهَا مُقْصَدُ
كَأَنَّ أَقَاحِيَّ مَوْلِيَّةً تَحَدَّرُ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ نَدِي⁵

غَنَى مَعْبُدٌ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالثَّالِثِ مِنَ الْأَبْيَاتِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مِنْ أَصْوَاتٍ قَلِيلَاتٍ الْأَشْبَاهُ

عَنْ إِسْحَاقَ . وَغَنَى فِيهَا أَشْعَبُ الْمَعْرُوفِ بِالطَّامِعِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى ، عَنْ الْمَشَامِيِّ . وَلِلْغَرِيضِ
فِي الْأَبْيَاتِ الْأَرْبَعَةِ الْأَوَّلِ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى⁶ عَنْ عَمْرٍو . وَابْنُ سُرَيْجٍ فِي الرَّابِعِ عَشَرَ وَهُوَ :

1 ديوان عمر : 90-92 في فاطمة بنت الأشعث .

2 غمر ذي كندة : موضع على مسيرة يومين من مكة .

3 وليست بيدع إذا في ل : وليست نزوعاً لئن .

4 سقط البيت من ل .

5 في البيت إقواء ، ولعله دخيل على ما قبله من أبيات (ولم يرد في الديوان) .

6 ل : بالبنصر .

وكفّت سوابق من عبّرة

ثم الأوّل والتاسع رَمَلٌ بالوسطى عن ابن المكيّ . ومالك ، ويقال إنّه لمعبد ، خفيف ثقيل في الرابع عشر والثالث عشر والأوّل عن الهشاميّ . وفي السابع والثامن والأوّل لابن جامع ثقيلٌ أوّلٌ بالوسطى عن الهشاميّ . وفي الأوّل والحادي عشر لابن سريج رَمَلٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، وفيهما ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر أحمد بن المكيّ أنّه لأبيه . وفي الرابع والخامس رَمَلٌ لمعبد عن ابن المكيّ ، وقيل : إنّه من منحول أبيه إلى معبد . وفي الثالث عشر والسادس ليونس خفيف رمل عن الهشاميّ . وفي الأوّل والثاني عشر ثاني ثقيل تشترك فيه الأصابع عن ابن المكيّ ، وقال أيضاً : فيه للأبجر لحنٌ آخر من الثقيل الثاني . ولمعبد في الرابع والسادس ثاني ثقيل آخر عنه ، وفيهما أيضاً رَمَلٌ لابن سريج عنه وعن حبش . ولإسحاق في الأوّل والثاني رمل من كتابه . ولعلّية بنت المهدي في الثالث عشر والأوّل ثقيلٌ أوّل . ولابن مسجج في الثاني عشر والأوّل رَمَلٌ ، ويقال إنّه للرطاب ، وذكر حبش أنّه لابن سريج . وفي الخمسة الأبيات الأولى متوالية خفيف رمل بالوسطى يُنسب إلى معبد وإلى يحيى المكيّ ، وزعم حبش أنّ فيها رَمَلًا بالوسطى لابن محرز . والذي ذكره يونس في كتابه أنّ في :

تَشْطُ غَدًا دارُ جيراننا

خمسة أَلحان : اثنان لمعبد ، واثنان لمالك ، وواحد ليونس . وذكر أحمد بن عبيد أنّ الذي عُرِفَ صحته من الغناء فيه سبعة أَلحان : ثقيلٌ أوّل ، وثاني ثقيل ، وخفيف ثقيل ، ورَمَلٌ ، وخفيفه . أخبرني بعض أصحابنا عن أبي عبد الله بن المزيان أنّ الذي أحصى فيه إلى وقته ستّة عشر لحنًا . والذي وجدته فيه ممّا جمعته ها هنا ، سوى ما لم يذكر يونس طريقته ، تسعة عشر لحنًا : منها في الثقيل الأوّل لحنان ، وفي خفيف الثقيل لحنان ، وفي الثقيل الثاني ستّة ، وفي الرَّمَل سبعة ، وفي خفيف الرَّمَل لحنان .

وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من ولد الأشعث بن قيس حجّت فهِوِيَهَا وراسلها ، فواصلته ودخل إليها وتحدّث معها وخطبها ، فقالت : أمّا هاهنا فلا سبيل إلى ذلك ، ولكن إن قَدِمْتَ إلى بلدي خاطباً تزوّجتك ، فلم يفعل .

[عمر يخدع بُدِيحاً]

أخبرني بهذا الخبر الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الحسن المخزوميّ عن محرز بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه قال : سمعت بُدِيحاً يقول : حجّت بنت محمد بن الأشعث الكِنْدِيّة ، فراسلها عمر بن أبي ربيعة ووعدّها أن يتلقّاها مساء الغد ، وجعل

الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد ، إن لم يمكنه أن يُرسل رسولاً ، يُعلمها بمصيره إلى المكان الذي وعدّها . قال بُدَيْح : فلم أشعر به إلا مُتَلَثِّماً ، فقال لي : يا بديح ، انتِ بنت محمد بن الأشعث فأخبرها أنّي قد جئت لموعدها ؛ فأبيتُ أن أذهب وقلت : مثلي لا يُعين على مثل هذا . فغَيَّبَ بغلته عني ثم جاءني فقال لي : قد أضللت بغلتي فانشدها لي في زُقاق الحاج . فذهبت فنشدتها ، فخرجت عليّ بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية ، فأنته لموعده ؛ وذلك قوله :

وآية ذلك أن تسمعي إذا جئْتُكم ناشداً ينشدُ

قال بديح : فلما رأيته مقبلةً عرفتُ أنّه قد خدعني بنشدي البغلة ، فقلت له : يا عمر ، لقد صدقتِ التي قالت لك :

فهذا سحرُك النسوة ن ، قد خبّرني خبرك

قد سَحَرْتَنِي¹ وأنا رجل ، فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن وما آمنك بعدها ، ولو دخلت الطواف ظننت أنّك دخلته لبليّة . قال : وحدّتها بخديشي ، فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني .

قال الزبير : فحدّثني أبو الهذام² مولى الرّبعيين عن أبي الحارث بن عبد الله الرّبعيّ قال : لقي ابن أبي عتيق بديحاً فقال له : يا بديح ، أهدعك ابن أبي ربيعة أنّه قرشي ؟ فقال بُدَيْح : نعم ! وقد أخطأه ذلك عند القسري وصواحيه . فقال ابن أبي عتيق : ويحك يا بديح ! إن من تغابي لك ليغبي عنك ، فقد ضمت عليه قبضتك إن كان لك ذهنٌ ، أمّا رأيت لمن كانت العاقبة ؟ والله ما بالي ابن أبي ربيعة أوقع عليهن أم وقعن عليه ! .

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعد الكُراني قال حدّثنا العُمري عن كعب بن بكر الحاربيّ : أنّ فاطمة بنت محمد بن الأشعث حجّت ، فراسلها عمر بن أبي ربيعة فواعدته أن تزوره ، فأعطى الرسول الذي بشره بزيارتها مائة دينار .

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هفّان عن إسحاق عن رجاله المذكورين ، قالوا : حجّت بنتٌ لمحمد بن الأشعث [هكذا قال إسحاق وهو عندي الصحيح] ، وكانت معها أمّها وقد سمعت بعمر بن أبي ربيعة فأرسلت إليه ، فجاءها فاستنشدته ، فأنشدها : [من المتقارب]

تَشْطُ غداً دارُ جيراننا ولَدَارُ بعدَ غداً أبعدُ

1 ل : قد سخرت مني (وهو خطأ) .

2 لعل الصواب «أبو الهذام» .

وذكر القصة¹ بطولها . قال : وقد كانت لما جاءها أرسلت بينها وبينه سترًا رقيقًا تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يُحدّثها حتى استنشده ، فأنشدها هذه القصيدة ، فاستخفّها الشعر فرفعت السّجف ، فرأى وجهًا حسنًا في جسم نازل ، فخطبها وأرسل إلى أمّها بخسمائة دينار ، فأبت وحجبتّه وقال للرسول : تعود إلينا . فكأنّ الفتاة غمّها ذلك ، فقالت لها أمّها : قد قتلك الوجد به فتزوّجيه . قالت : لا والله لا يتحدّث أهل العراق عني² أنّي جئتُ ابن أبي ربيعة أنخطبه ، ولكن إن أتاني إلى العراق تزوّجته . قال : ويقال : إنّها راسلته وواعدته أن تزوره ، فأجمّر³ بيته وأعطى المشرّ مائة دينار ، فأثته وواعدته إذا صدر الناس أن يُشيّعها ، وجعلت علامة ما بينهما أن يأتيها رسوله ينشدها ناقة له . فلمّا صدر الناس فعل ذلك عمر . وفيه يقول وقد شيّعها⁴ :

صوت

قال الخَلِيطُ غداً تَصَدُّعُنَا	أو بعده ، أفلا تُشَيِّعُنَا
أما الرَّحِيلُ فدونَ بعد غدٍ	فمتى تقول الدارَ تَجْمَعُنَا
لِتَشُقُّنَا هَندٌ وقد علمتُ	علماً بأنّ البينَ يُفَزِّعُنَا ⁵
عجباً لمَوْفَقِنَا ومَوْفَقِهَا	وبسَمْعِ تَرْبِيئِهَا تُرَاجِعُنَا !
ومَقَالِهَا سرٌّ لَيْلَةٌ مَعَنَا	نَعْهَدُ فَإِنَّ البينَ فَاجِعُنَا ⁶
قلتُ العيونُ كثيرةٌ معكم	وأظنُّ أنّ السَّيرَ مانِعُنَا
لا بلْ نَزورُكُمْ بأَرْضِكُمْ	فِيْطَاعُ قَائِلِكُمْ وشَافِعُنَا
قالتُ أشيءٌ أنتَ فاعلُهُ	هذا لَعَمْرُكَ أمْ تُخَادِعُنَا ؟
بالله حَدَّثْتُ ما تُؤمِّلُهُ	واصدُقْ فَإِنَّ الصَّدْقَ واسِعُنَا
اضْرِبْ لَنَا أَجلاً نَعِدْ لَهُ	إِخْلَافُ موعِدِهِ تقاطِعُنَا

الغناء لابن سُرَيْجٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلُوقٌ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ ، وَذَكَرَ عَمْرُو أَنَّهُ لِلْغَرِيضِ بِالْوَسْطَى . وفيه لابن سُرَيْجٍ خَفِيفٌ رَمَلٌ عَنِ الْمِشَامِيِّ ، وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّهُ لِمُوسَى شَهَوَاتٌ .

1 ل : القصيدة .

2 ل : خلفي .

3 أجمر البيت : بثّ فيه بخوراً .

4 ديوان عمر : 434 .

5 يفزعنا في الديوان : فاجعنا (وهو وهم) .

6 فاجعنا في ل : شائعنا .

[شعره في زينب بنت موسى الجمحية]

ومنها مما لم يُنسب أيضاً :

[من مجزوء الوافر]

صوت

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها : خُذي حَدْرَكَ¹
 وقُولي في مُلاطفةٍ لزَيْنَبَ : نَوِّلي عُمَرَكَ
 فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَباً وقالت : مَنْ بِذا أَمَرَكَ
 أَهَذَا سِحْرُكَ النَّسْوَ نَ ، قد خَبَّرَنِي خَبْرَكَ²

غنى فيها ابن سريج خفيف رمل بالنصر عن عمرو ، وقال قومٌ : إنه للغريض . وفيها لملك خفيف ثقيل عن ابن المكي . وفي هذا الشعر ألحان كثيرة ، والشعر فيها على غير هذه القافية ؛ لأن هذه الأبيات لعمر من قصيدة رائية موصولة الرأاء بالفي ، إلا أن المغنين غيروا هذه الأبيات في هذين اللحنين ، فجعلوا مكان الألف كافاً ؛ وإنما هي :

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها : خُذي حَدْرَا
 وأَوَّل القصيدة³ :

صوت

تَصَالَى الْقَلْبُ وَادَّكَرَا صِيَاهُ وَلَمْ يَكُن ظَهْرَا
 لَزَيْنَبَ إِذْ تُجِدُّ لَنَا صفاء لم يكن كَدِرَا
 أَلَيْسَتْ بِالتِّي قَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا ظُهُرَا
 أَشِيرِي بِالسَّلَامِ لَهُ إِذَا هُوَ نَحُونَا خَطْرَا
 لَقَدْ أَرْسَلْتُ جَارِيتِي وقلتُ لها : خُذي حَدْرَا
 وقُولي في مُلاطفةٍ لزَيْنَبَ : نَوِّلي عُمَرَا
 فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَباً وقالت : مَنْ بِذا أَمَرَا !
 أَهَذَا سِحْرُكَ النَّسْوَ نَ ، قد خَبَّرَنِي الْخَبْرَا

غنى ابن سريج في الثالث والرابع والخامس والأول خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى النصر من رواية إسحاق . وذكر عمرو بن بانه في نسخته الأولى أنه لابن سريج ، وأبو إسحاق ينسبه في نسخته الثانية إلى دحمان . وللغريض في الأول من الأبيات لحن من

1 ديوان عمر : 213 وفيه «بعثت وليدني سحراً» .

2 سحرِكَ في ل : خدعكَ .

3 ديوان عمر : 194 والبيتان الأخيران ليسا في الديوان وكذلك الخامس .

القَدْرُ الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها ، أضاف إليه بيتين ليسا من هذه القصيدة وهما¹ :

طَرَبْتُ وَرَدَّ مَنْ تَهَوَّى جِمَالُ الْحَيِّ فابْتَكِرَا
فَقُلْ لِلْمَالِكِيَّةِ لَا تَلُومِي الْقَلْبَ إِنْ جَهَرَا²

وذكر يونس أن لمعبد في هذا الشعر الذي أوله :

تَصَابِي الْقَلْبُ وَادْكِرَا

لحنين لم يذكر جنسيهما ؛ وذكر الهشامي³ : أن أحدهما خفيف ثقيل والآخر رمل . وفي الأبيات التي غنى فيها الغريض رمل⁴ لدحمان عن الهشامي ، قال : ويقال إنه لابنه الزبير . وزينب التي ذكرها عمر بن أبي ربيعة هاهنا يقال لها : زينب بنت موسى أخت قدامة بن موسى الجُمَحِي .

أخبرني بذلك محمد بن حَلَف بن المَرْزُبَان عن أبي بكر العامري . وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بَكَار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال حدثني عمي عمران بن عبد العزيز قال : شَبَّ⁵ عمر بن أبي ربيعة بزینب بنت موسى الجُمَحِيَّة في قصيدته التي يقول فيها⁶ :

صوت

يَا خَلِيلِي مِنْ مَلَامٍ دَعَانِي وَالْمَا الْعَدَاةَ بِالْأَطْعَانِ⁵
لَا تَلُومَا فِي آلِ زَيْنَبٍ إِنْ أَلَّ قَلْبَ رَهْنٍ بِآلِ زَيْنَبٍ عَانِي
مَا أَرَى مَا بَقِيَتْ أَنْ أَذْكَرُ الْمَوَّ قِفَ مِنْهَا بِالْخَفِيفِ إِلَّا شَجَانِي

غنى في هذه الأبيات الغريض خفيف رمل بالبنصر عن عمرو :

لَمْ تَدْعُ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي حَظًّا غَيْرَ مَا قُلْتُ مَازِحًا بِلِسَانِي
هِيَ أَهْلُ الصَّفَاءِ وَالْوُدِّ مِنِّي وَإِلَيْهَا الْهَوَى فَلَ تَعْدُلَانِي
حِينَ قَالَتْ لِأُخْتِهَا وَلِأُخْرَى مِنْ قَطِينٍ مُوَلَّدَ : حَدَّثَانِي⁶

1 انظر الديوان : 193-194 .

2 للمالكية في ل : للبربرية .

3 ل : نسب .

4 ديوان عمر : 416 .

5 ملام في ل : م الملام .

6 لأختها في ل : لتربها .

كيفَ لي اليومَ أن أرى عُمَرَ المُرَّ سِلَّ سِرًّا في القولِ أن يَلْقَانِي ؟
 قَالَتَا : نَبْتَغِي رَسُولاً إِلَيْهِ وَنُمِيتُ الْحَدِيثَ بِالْكَيْتَمَانِ
 إِنَّ قَلْبِي بَعْدَ الَّذِي نِلْتُ مِنْهَا كَالْمُعْمَى عَنْ سَائِرِ النُّسَوَانِ¹

[عمر وابن أبي عتيق]

قال : وكان سببُ ذكره لها أن ابنَ أبي عتيق ذكرها عنده يوماً فاطَّراها ، ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها ، فقال فيها الشعر وشبَّ بها ؛ فبلغ ذلك ابنَ أبي عتيق ، فلامه فيه وقال له : أتَنطِقُ الشعرَ في ابنةِ عمِّي ؟ فقال عمر² : [من الخفيف]

صوت

لَا تَلْمُنِي عَتِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي إِنَّ بِي يَا عَتِيقُ مَا قَدْ كَفَانِي
 لَا تَلْمُنِي وَأَنْتَ زَيْنَتْهَا لِي أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ
 إِنَّ بِي دَاخِلًا مِنَ الْحَبِّ قَدْ أَبَدَ لِي عِظَامِي مَكُونُهُ وَبِرَانِي
 لَوْ بَعِينِيكَ يَا عَتِيقُ نَظَرْنَا لَيْلَةَ السَّفْحِ قَرَّتِ الْعَيْنَانِ
 إِذْ بَدَا الْكَشْحُ وَالْوَشَاحُ مِنَ الدُّ رٍّ وَفَصْلٌ فِيهِ مِنَ الْمَرْجَانِ
 قَدْ قَلَى قَلْبِي النِّسَاءُ سِوَاهَا غَيْرَ مَا قَلْتُ مَازِحًا بِلِسَانِي³

وأول هذه القصيدة :

إِنِّي الْيَوْمَ عَادَ لِي أَحْزَانِي وَتَذَكَّرْتُ مَا مَضَى مِنْ زَمَانِي⁴
 وَتَذَكَّرْتُ ظُبِيَّةً أُمَّ رِئِمٍ هَاجَ لِي الشَّوْقُ ذِكْرُهَا فَشَجَانِي⁵
 غَنَّى أَبُو الْعَنْبَسِ بْنُ حَمْدُونَ فِي «لَا تَلْمُنِي عَتِيقُ . . .» لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ الْمُطْلَق . وفيه رملٌ طنبوريٌّ مجهولٌ .

أخبرني الحرَّمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّيْبِرُ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ يَوْسُفَ بْنِ الْمَاجِشُونَ قَالَ : أَنشَدَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ قَوْلَهُ :

يَا خَلِيلِي مِ الْمَلَامِ دَعَانِي وَالْمَا الْغَدَاةَ بِالْأَطْعَانِ

1 كالمُعْمَى في الديوان : كالمُعْمَى .

2 ديوان عمر : 417 .

3 الشطر الثاني في الديوان : بعد ما كانت مغرماً بالغواني .

4 وتذكرت ما مضى في الديوان : وتذكرت ميعتي .

5 أم ريم في ل : أم زيد .

لا تلوما في آل زينب إنَّ الـ قلبَ رهنٌ بآل زينب عاني
... القصيدة . قال : فبلغ ذلك أبا وداعة السَّهميَّ فأنكره وغضب . وبلغ ذلك ابن أبي
عتيق وقيل له : إنَّ أبا وداعة قد اعترض لابن أبي ربيعة من دون زينب بنت موسى ، وقال : لا
أقرُّ لابن أبي ربيعة أن يذكُر امرأةً من بني هُصَيْنٍ في شعره . فقال ابن أبي عتيق : لا تلوموا
أبا وداعة أن يُعِظَ من سمرقندَ على أهل عدنَّ !

قال الزبير : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهريَّ قال حدثني عمِّي
عمران بن عبد العزيز قال : شبَّب عمر بن أبي ربيعة بزَيْنَب بنت موسى في أبياته التي يقول
فيها :

لا تلوما في آل زينب إنَّ الـ قلبَ رهنٌ بآل زينب عاني
فقال له ابن أبي عتيق : أمَّا قلبُك فقد عُيِّبَ عَنَّا ، وأمَّا لسانُك فشاهدٌ عليك .
قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عمران بن عبد العزيز : عدَلَ ابنُ أبي عتيق عمر في ذكره
زينب في شعره ؛ فقال عُمر :

لا تَلْمِني عتيقُ حَسْبِي الذي بي إنَّ بي يا عتيقُ ما قد كفاني
لا تلمني وأنْتَ زَيْنَتها لي

قال : فبدره ابن أبي عتيق ، فقال :

أنت مثلُ الشيطان للإنسانِ

فقال ابن أبي ربيعة : هكذا وربُّ البيتِ قلته . فقال ابن أبي عتيق : إنَّ شيطانك وربُّ
القبرِ¹ ربَّما ألَمَّ بي ، فيجدُ عندي من عَصِيانِه خلافَ ما يجدُ عندك من طاعته ، فيُصِيبُ مني
وأصِيبُ منه .

أخبرني الحرَّميَّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال حدثني قدامة بن
موسى قال : خرجتُ بأختي زينبَ إلى العُمرَة ، فلمَّا كنتُ بِسَرْفٍ² لقيني عمر بن أبي ربيعة على
فرس فسَلَّم عليَّ . فقلت له : إلى أينَ أراك متوجَّهًا يا أبا الخطَّاب ؟ فقال : ذُكِرَتْ لي امرأةٌ من
قومي بَرَزَة الجمال ، فأردتُ الحديثَ معها . فقلت : هل علمتَ أنَّها أُختي ؟ فقال : لا !
واستحيا وثنى عُنقَ فرسه راجعاً إلى مكَّة .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العُمريُّ عن لَقِيط بن

1 يعني قبر الرسول ﷺ .

2 سرف : موضع قريب من مكَّة .

بكر المحاربى قال : أنشدني ابن أبي عتيق قول عمر¹ :

[من الطويل]

صوت

مَنْ لَسَقِيمٍ يَكْتُمُ النَّاسَ مَا بِهِ لَزِينَبَ نَجَوَى صَدْرِهِ وَالْوَسَاوِسُ
أَقُولُ لِمَنْ يَنْجِي الشُّفَاءَ مَتَى تَجِيءُ بَزِينَبَ تُدْرِكُ بَعْضَ مَا أَنْتَ لَامِسُ
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَشْفِ مِنْ سَقَمِي بِهَا فَإِنِّي مِنْ طِبِّ الْأَطْبَاءِ آيسُ
وَلَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةَ الدَّارِ مَجْلِسًا لَزِينَبَ حَتَّى يَغْلُو الرَّأْسَ رَامِسُ
فَلَمَّا بَدَتْ قَمَرَاوُهُ وَتَكَشَّفَتْ دُجَّتُهُ وَغَابَ مَنْ هُوَ حَارِسُ
وَمَا نِلْتُ مِنْهَا مَحْرَمًا غَيْرَ أَنَا كِلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمُرْدِّ لَابِسُ
نَجِيئِ نَقْضِي اللَّهَوَ فِي غَيْرِ مَأْتَمٍ وَإِنْ رَغِمَتْ مِ الْكَاشِحِينَ الْمَعَاطِسُ

قال : فقال ابن أبي عتيق : أمنا يسخرُ ابن أبي ربيعة فأَيُّ مَحْرَمٍ بَقِيَ ؟ ثم أتى عمرَ فقال له :
يا عمرُ ، أَلَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّكَ مَا أَتَيْتَ حَرَامًا قَطُّ ؟ قال بلى ! قال : فأخبرني عن قولك : [من الطويل]

كِلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمُرْدِّ لَابِسُ

ما معناه ؟ قال : والله لأخبرنك ! خرجتُ أريد المسجدَ وخرجتُ زينبُ تريده ، فالتقينا
فأتعدنا لبعض الشُّعَابِ ، فلَمَّا تَوَسَّطْنَا الشُّعْبَ أَخَذْتَنَا السَّمَاءُ ، فكَرِهْتُ أَنْ يُرَى بِثِيَابِهَا بَلَلُ
المَطَرِ ، فيقال لها : أَلَا اسْتَرْتِ بِسَقَائِفِ الْمَسْجِدِ أَنْ كُنْتَ فِيهِ ، فَأَمَرْتُ غِلْمَانِي فَسَتَرُونَا بِكِسَاءِ
خَزٍّ كَانَ عَلَيَّ ؛ فَذَلِكَ حِينَ أَقُولُ :

كِلَانَا مِنَ الثَّوْبِ الْمَطَارِفِ لَابِسُ²

فقال له ابن أبي عتيق : يا عاهرُ ، هذا البيت يحتاج إلى حاضنة !

الغناء في هذه الأبيات التي أولها :

[من الطويل]

مَنْ لِسَقِيمٍ يَكْتُمُ النَّاسَ مَا بِهِ

لِرَذَاذٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ ؛ وكان بعض المحدثين ممن شاهدناه يدعي أنه له ، ولم يُصَدِّق .

أخبرني الحرَّمِيُّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن
الماجشون قال : قال عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى³ :

[من الخفيف]

1 ديوان عمر : 217 .

2 الثوب في ل : من اثواب .

3 ديوان عمر : 226 .

صوت

طال من آل زينب الإعراضُ للتعدي وما بها الإبغاض¹
 ووليدَيْن كان عُلَّقَها القلْد ب² إلى أن علا الرؤوسَ بياض²
 جبلُّها عندنا متينٌ وحَبْلِي عندها واهِنُ القوي أنقاض³

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحَرِّزٍ خفيف رَمَلٍ بالبِنْصر عن عمرو . وقال الهشامِيّ : فيه لابن جامع خفيف رَمَلٍ آخر .

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير قال قال عبد الرحمن بن عبد الله وحدَّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال : لَمَّا قال عمر بن أبي ربيعة في زينب : [من الخفيف]

لم تَدْعُ للنساء عندي نصيباً غير ما قلتُ مازحاً بلساني
 قال له ابن أبي عتيق : رَضِيتَ لها بالمودَّة ، وللنساء بالدهْفَشَة . قال : والْدَهْفَشَة : التَّجْمِيشُ
 والخديعة بالشيء اليسير . وقال غير الزبير في هذا الخبر : الدهْقَشَة ، مكان الدهْفَشَة .
 ومَّا قاله عمر في زينب وغنِّي فيه قوله³ : [من الخفيف]

صوت

أيُّها الكاشِيعُ المعيرُ بالصُّر م تَزَحَّزْخُ فما لها الهِجْرَانُ
 لا مُطَاعٌ في آل زينبَ فارْجِعْ أو تَكَلِّمْ حَتَّى يَمَلَّ اللِّسَانُ
 نجعلُ الليلَ موعِداً حينَ نُمسي ثم يُخْفِي حَدِيثَنَا الكِتْمَانُ
 كيفَ صَبْرِي عن بعضِ نَفْسِي وهل يَصُدُّ بَرٌّ عن بعضِ نَفْسِهِ الإنسانُ !
 ولقد أَشْهَدُ المَحْدَثَ عند الـ قَصْرٍ فِيهِ تَعَفُّفٌ وَبَيَانُ
 في زَمَانٍ مِنَ المَعِيشَةِ لَدُنْ قد مَضَى عَصْرُهُ وَهَذَا زَمَانُ

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو ودنانير . وذكر يونس أن فيه لحناً لابن مُحَرِّزٍ ولحناً لابن عباد الكاتب ، أوّل لحن ابن عباد الكاتب :

لا مُطَاعٌ في آل زينبَ

وأوّل لحن ابن مُحَرِّز :

ولقد أَشْهَدُ المَحْدَثَ

1 وما بها في د : وما بنا .

2 بياض في د : البياض .

3 ديوان عمر : 420-421 باختلاف في ترتيب الأبيات .

وَمَا غُنِّيَ فِيهِ لَابِن مُحَرِّزٍ مِنْ أَشْعَارِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فِي زَيْنَبِ بِنْتِ مُوسَى
قوله¹ :

صوت

يَا مَنْ لِقَلْبٍ مُتَمِّمٍ كَلَفٍ يَهْذِي بِخَوْدٍ مَرِيضَةٍ النَّظَرِ
تمشي الهوينا إذا مشتَ فُضْلاً² وَهِيَ كَمِثْلِ الْعُسْلُوجِ فِي الشَّجَرِ³
للغريض في هذين البيتين خفيف رملٍ بالوسطى ، ولابن سريج رملٌ بالبنصر عن الهشامي
وحبش :

ما زالَ طَرْفِي يَحَارُ إِذْ بَرَزَتْ
أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا
ما إِنْ طَمَعْنَا بِهَا وَلَا طَمِعْتُ
بِضًا حَسَانًا خَرَائِدًا قُطْفًا⁴
قَدْ فُزْنَ بِالْحَسَنِ وَالْجَمَالِ مَعًا
يُنْصِتْنَ يَوْمًا لَهَا إِذَا نَطَقَتْ
قَالَتْ لِيَتْرَبَ لَهَا تُحَدِّثُهَا
قُومِي تَصَدِّقِي لَهُ لِيَعْرِفْنَا
قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمَزْتُهُ فَأَبِي
مَنْ يُسْقَ بَعْدَ الْمَنَامِ رِيْقَتَهَا
حتى رأيتُ النقصانَ في بَصَرِي
يمشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ
حَتَّى التَقِينَا لَيْلًا عَلَى قَدَرٍ
يَمْشِينَ هَوْنًا كَمِشْيَةِ الْبَقْرِ
وَفُزْنَ رِسْلًا بِالْذَّلِّ وَالْخَفَرِ
كَيْمًا يُشْرِفُنَهَا عَلَى الْبَشَرِ
لِنُفْسِدَنَّ الطَّوْفَافَ فِي عُمُرِ
ثُمَّ اغْمِزِيهِ يَا أُخْتَ فِي خَفَرٍ
ثُمَّ اسْبَطَرْتُ تَسْعَى عَلَى أَثَرِي⁵
يُسْقَ بِمِسْكِ وَبَارِدٍ خَصِيرٍ⁶
[غُنِّيَ فِي هَذَا الشَّعْرِ الْغَرِيضُ خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وَغُنِّيَ فِيهِ ابْنُ سَرِيجَ
رَمَلًا بِالْبَنْصَرِ عَنْ الْهَشَامِيِّ وَحَبَشَ] .
[ومنها]⁵ :

صوت

أَلَا يَا بَكْرُ قَدْ طَرَقَا خِيَالُ هَاجٍ لِي أَرْقَا⁶

1 ديوان عمر : 68-69 .

2 فضلاً في ل : قُطْفًا .

3 اسبطرت : أسرع .

4 بعد المنام ريقتها في ل : بعد الكرى بريقتها . الشطر الثاني في ل : يسق بكأس ذي لذة .

5 ديوان عمر : 269-270 .

6 أرقاً في د : الأرقا .

لزينب إنها همّي فكيف بجلبها خلّقا
 خدلّجة إذا انصرفت رأيت وشاحها قلّقا
 وساقاً تملأ الخلخا ل فيه تراه مُختِقا
 إذا ما زينبُ ذُكرتُ سكبتُ الدمع مُتسّقا
 كأنّ سحابةً تهْمِي بماءٍ حُمِلتْ غَدَقا

الغناء لحنين رَمَلٌ عن الهشامي . وفيه لابن عباد خفيف ثقيل ، ويقال : إنه ليونس . ومما قاله [فيها] أيضاً وغنّي فيه :

صوت¹

أَلَمْ بَزِينَبَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا قَلَّ التَّوَاءُ لَيْنَ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا²
 قَدْ حَلَفْتُ لَيْلَةَ الصَّوْرَيْنِ جَاهِدَةً وَمَا عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا الْحَلْفُ مَجْتَهِدَا
 لِأُخْتِهَا وَلِأُخْرَى مِنْ مَنَاصِفِهَا لَقَدْ وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدَا³
 لَوْ جُمِعَ النَّاسُ ثُمَّ اخْتِيرَ صَفْوُهُمْ شَخْصاً مِنَ النَّاسِ لَمْ أُعْدِلْ بِهِ أَحَدَا

الغناء لابن سُرَيْج رَمَلٌ بالسَّبَابَةِ والبِصْرَ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي عَنْ يَحْيَى الْمَكِّي ، وَلَهُ فِيهِ أَيْضاً خَفِيفٌ رَمَلٌ بِالْوَسْطَى فِي الثَّانِي وَالثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ عَنْ عَمْرٍو ، وَلِمَعْبُدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي عَنْ الْهَشَامِيِّ . وَفِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ يُنْسَبُ إِلَى الْغَرِيضِ وَمَالِك .

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو هَفَّانٍ عَنْ إِسْحَاقَ عَنْ مُصْعَبِ الزُّبَيْرِيِّ قَالَ : اجْتَمَعَ نِسْوَةٌ فَذَكَرْنَ عَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَشَعْرَهُ وَظَرْفَهُ وَمَجْلِسَهُ وَحَدِيثَهُ ، فَتَشَوَّقْنَ إِلَيْهِ وَتَمَنَّيْنَهُ . فَقَالَتْ سُكَيْنَةُ : أَنَا لَكُنَّ بِهِ ؛ فَبِعِثْتُ إِلَيْهِ رَسُولاً أَنْ يُوَافِيَ الصَّوْرَيْنِ⁴ لَيْلَةً سَمَّتَهَا ، فَوَافَاهُنَّ عَلَى رَوَاجِلِهِ ، فَحَدَّثَتْهُنَّ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ وَحَانَ انْصِرَافُهُنَّ . فَقَالَ لَهَا : وَاللَّهِ إِنِّي لَمُحْتَاجٌ إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِهِ ، وَلَكِنِّي لَا أَحِلُّطُ بِزِيَارَتِكَ شَيْئاً . ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى مَكَّةَ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

أَلَمْ بَزِينَبَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا

وذكر الأبيات المتقدمة .

أعود إلى شهادة جرير والنصيب وغيرهما في شعر عمر

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنَا الْكُرَّانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الْعُمَرِيُّ عَنْ لَقِيطٍ قَالَ : أَنْشَدَ جَرِيرٌ قَوْلَ عَمْرِ بْنِ

1 ديوان عمر : 109 .

2 أفد : قرب ودنا .

3 المناصف : الخدم .

4 الصوران : موضع ببيق المدينة .

أبي ربيعة¹ :

[من الخفيف]

صوت

سائلا الربعَ بالبليِّ وقولا هيجتَ شوقاً لي الغداة طويلاً²
 أين حيَّ حُلوكَ إذ أنتَ مخفُو فبهم أهلاً أراكَ جميلاً ؟
 قال ساروا فأمعنوا واستقلوا وبرغمي لو استطعتُ سيلاً
 سئموننا وما سئمنا مقاماً وأحبوا دماً سهولاً

فقال جرير : إن هذا الذي كنّا ندورُ عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشي . وفي هذه الأبيات رملان : أحدهما لابن سريج بالسَّبابة في مجرى الوسطى ، والآخر لإسحاق مطلق في مجرى البنصر جميعاً من روايته . وذكر عمرو : أن فيها رَملاً ثالثاً بالوسطى لابن جامع . وقال الهشامي : فيها ثلاثة أرمال لابن سريج ، وابن جامع ، وإبراهيم . ولأبي العَبَس بن حمدون فيها ثاني ثَقِيل . وفيها هزجٌ لإبراهيم الموصلي من جامع أغانيه .

أخبرني الجَرْمِي قال حَدَّثَنَا الزبير قال : وجدتُ كتاباً بخط محمد بن الحسن ذكر فيه أَنَّ فُلَيْح بن إِسْمَاعِيل حَدَّثَهُ عَنْ مَعَاذٍ صَاحِبِ الْمَرْوِيِّ أَنَّ النُّصَيْب قال : عمر بن أبي ربيعة أوصَفْنَا لِرَبَّاتِ الْحِجَال .

أخبرني الطوسي : قال حَدَّثَنَا الزبير قال حَدَّثَنِي ظُمِيَاءُ مَوْلَاةُ فَاطِمَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ مُصْعَبٍ قَالَتْ : سَمِعْتُ جَدَّكَ يَقُولُ وَقَدْ أَنْشَدَ قَوْلَ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ⁴ :

[من البسيط]

صوت

يا ليتني قد أَجَزْتُ الحبلَ نَحْوَكُم حَبْلَ الْمَعْرِفِ أَوْ جَاوَزْتُ ذَا عُشْرِ
 إِنَّ الثَّوَاءَ بِأَرْضٍ لَا أُرَاكِ بِهَا فَاسْتَيْقِنِيهِ ثَوَاءً حَقٌّ ذِي كَدَرٍ
 وَمَا مَلَيْتُ وَلَكِنْ زَادَ حُبُّكُم وَمَا ذَكَرْتُكَ إِلَّا ظَلْتُ كَالسَّدْرِ⁵
 وَلَا جَدَلْتُ بِشَيْءٍ كَانَ بَعْدَكُمْ وَلَا مَنَحْتُ سِوَاكِ الْحَبَّ مِنْ بَشَرٍ

الغناء في هذه الأربعة الأبيات لِسَلَام بن الْعَسَّائِي رَمَلٌ بالسَّبابة في مجرى الوسطى عن إِسْحَاق . وفيه لابن جامع وَقَفًا النجار لحنان من كتاب إبراهيم ولم يُجَنِّسهما . وتمام

1 ديوان عمر : 333 .

2 البلي : اسم تل .

3 ل : خالي .

4 ديوان عمر : 145 .

5 السدر : المتحير .

الآبيات :

[من البسيط]

أَدْرِِي الدُمُوعَ كَذِي سَقَمٌ يُخَامِرُهُ وما يُخَامِرُنِي سَقَمٌ سِوَى الذِّكْرِ
 قَدْ ذَكَرْتُكَ لَوْ أَجْدَى تَذَكُّرِكُمْ يَا أَشْبَهَ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ بِالْقَمَرِ
 قالت : فقال جَدَّكَ : إِنَّ لَشَعْرٍ عَمَرَ بِنَ أَبِي رِبِيعَةَ لَمَوْقِعاً فِي الْقَلْبِ ، وَمَخَالَطَةً لِلنَّفْسِ لَيْسَا
 لغيره ، وَلَوْ كَانَ شَعْرٌ يَسْحَرُ لَكَانَ شَعْرُهُ سَحْراً .

أخبرني، الحَرَمِيُّ قال حَدَّثَنَا الزَّيْبِرُ قال حَدَّثَنِي عِمَامَةُ بْنُ عَمْرِو¹ قال : رَأَيْتُ عَامَرَ بْنَ صَالِحِ بْنِ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزَّيْبِرِ يَسْأَلُ الْمُسَوَّرَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ شَعْرِ عَمَرَ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ ، فَجَعَلَ يَذْكُرُ
 لَهُ شَيْئاً لَا يَعْرِفُهُ ، فَيَسْأَلُهُ أَنْ يُكَيِّبَهُ إِيَّاهُ فَيَفْعَلُ ، فَرَأَيْتُهُ يَكْتُبُ وَيُدْهِ تُرْعَدُ مِنَ الْفَرَحِ .
 [مفاضلة بين شعر عمر وشعر الحارث بن خالد]

أخبرني، الحَرَمِيُّ قال حَدَّثَنَا الزَّيْبِرُ قال حَدَّثَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمَاجِشُونِ عَنْ عَمِّهِ
 يَوْسُفَ قَالَ : ذَكَرَ شَعْرُ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ وَشَعْرُ عَمَرَ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ فِي مَجْلِسٍ
 رَجُلٍ مِنْ بَنِي خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ ، فَقَالَ : صَاحِبُنَا ، يَعْنِي الْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ ، أَشْعَرُهُمَا .
 فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : بَعْضُ قَوْلِكَ يَا ابْنَ أَخِي ، لِشَعْرِ عَمَرَ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ لَوْطَةٌ² فِي الْقَلْبِ ،
 وَغُلُوقٌ بِالنَّفْسِ ، وَدَرْكٌ لِلْحَاجَةِ لَيْسَتْ لِشَعْرٍ ، وَمَا عُصِيَّ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ بِشَعْرِ أَكْثَرِ مِمَّا عُصِيَّ
 بِشَعْرِ ابْنِ بَنِي رِبِيعَةَ ، فَخُذْ عَنِّي مَا أَصِيفُ لَكَ : أَشْعَرُ قَرِيشٍ مَنْ دَقَّ مَعْنَاهُ ، وَلُطْفٌ مَدْخَلُهُ ،
 وَسَهْلٌ مَخْرَجُهُ ، وَمَتْنٌ حَشْوُهُ ، وَتَعْطُفٌ حَوَاشِيهِ ، وَأَنَارَتُ مَعَانِيهِ ، وَأَعْرَبَ عَنْ حَاجَتِهِ . فَقَالَ
 الْمَفْضَلُ لِلْحَارِثِ : أَلَيْسَ صَاحِبُنَا الَّذِي يَقُولُ³ :

إِنِّي وَمَا نَحْرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجِمَارِ يُوودُهَا الْعَقْلُ⁴
 لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا سُفْلًا وَأَصْبَحَ سُفْلُهَا يَعْلُو
 فَيَكَاذُ يَعْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحِلُّ⁵
 لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ
 فقال له ابن أبي عتيق : يا ابن أخي ، اسْتَرْتُ عَلَى نَفْسِكَ ، وَاکْتَمْتُ عَلَى صَاحِبِكَ ، وَلَا تُشَاهِدِ
 الْحَافِلَ بِمَثَلِ هَذَا ؛ أَمَّا تَطَيَّرَ الْحَارِثُ عَلَيْهَا حِينَ قَلَبَ رِبْعَهَا فَجَعَلَ عَلَيْهِ سَافِلَهُ ! مَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ

1 ل : عمرو .

2 لوطه : تَلَقَّ والتصاق ؛ ويقال : نوطه والمعنى واحد .

3 ديوان - حارث 77-78 .

4 يوودها : يتقلها .

5 يعرفها في ل : ينكرها .

يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارةً من سجيل . ابن أبي ربيعة كان أحسن صُحبةً للربيع من صاحبك ، أجمل مخاطبة حيث يقول :

سائلا الربيع بالبليي وقولا هيجت شوقاً لي الغداة طويلاً

وذكر الأبيات الماضية . قال : فانصرف الرجل خجلاً مُدْعِناً .

[شيء من أخبار الحارث بن أبي ربيعة الملقب بالقباع]

أخبرني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق عن رجاله المسمين ، وأخبرني به الحرمي عن الزبير عن عمه عن جدّه ، قالوا : كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أخو عمر بن أبي ربيعة رجلاً صالحاً ديناً من سروات قريش ؛ وإنما لُقّب القُباع لأنّ عبد الله بن الزبير كان ولّه البصرة ، فرأى مكيالاً لهم فقال : إنّ مكيالكم هذا لقُباع ، قال : وهو الشيء الذي له قعر ، فلُقّب بالقُباع .

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبّي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني عبد الله بن محمد الطائي قال حدثنا خالد بن سعيد قال : استمع ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة ، فأتوه بمكيال لهم ، فقال لهم : إنّ مكيالكم هذا لقُباع ، فغلب عليه . وقال أبو الأسود الدؤلي ، وقد عتب عليه ، يهجوهُ ويُخطب ابن الزبير :

أمر المؤمنين جريت خيراً أرحنا من قُباع بني المُغيره
بلوناه ولُمناه فأعيا علينا ما يُمرُّ لنا مَريه
على أنّ الفتى نكح أكل على أنّ مذهبهُ كثيره

[عمر في اليمن تشوّق إلى مكّة]

قالوا : وكان الحارث ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه ، فأعطاه ألف دينار على ألا يقول شعراً ؛ فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلحج وأبين¹ مخافة أن يهيجهُ مقامهُ بمكة على قول الشعر . فطرب يوماً فقال² :

[من البسيط]

صوت

هيئت من أمة الوهاب منزلاً إذا حللنا بسيف البحر من عدن³

1 لحج وأبين : مخلافان باليمن .

2 ديوان عمر : 413-414 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

3 سيف البحر : ساحله .

واحتلَّ أهْلُكَ أَجْيَاداً وليس لنا
لو أَنَّهَا أَبْصَرْتُ بِالْجَزَعِ عِبْرَتَهُ
إِذَا رَأَتْ غَيْرَ مَا ظَنَنْتُ بِصَاحِبِهَا
مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ يَوْمَ الْخَيْفِ مَوْقِفَهَا
وَقَوْلَهَا لِلثَّرِيَا وَهِيَ بَاكِئَةٌ
بِاللَّهِ قَوْلِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ
إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ ظَفِرْتَ بِهَا
إِلَّا التَّذَكُّرُ أَوْ حِظٌّ مِنَ الْحَزَنِ¹
مَنْ أَنْ يُغَرِّدَ قُمْرِيٌّ عَلَى فَنَنِ
وَأَيَقُنْتَ أَنْ لَحْجاً لَيْسَ مِنْ وَطَنِي
وَمَوْقِفِي وَكَلَانَا ثَمَّ ذُو شَجَنِ
وَالدَّمْعُ مِنْهَا عَلَى الْخَدَيْنِ ذُو سُنَنِ²
مَاذَا أَرَدْتَ بَطُولَ الْمُكْثِ فِي الْيَمَنِ
فَمَا أَخَذْتَ بَتْرَكِ الْحِجِّ مِنْ ثَمَنِ³

قال : فسارت القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث ، فقال : هذا والله شعر عمر ، قد فتك وغدر . قال : وقال ابن جريج⁴ : ما ظننت أن الله عز وجل ينفع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن مُنْشِداً يُنْشِدُ قوله :
[من البسيط]

بِاللَّهِ قَوْلِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ
إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ ظَفِرْتَ بِهَا
مَاذَا أَرَدْتَ بَطُولَ الْمُكْثِ فِي الْيَمَنِ
فَمَا أَخَذْتَ بَتْرَكِ الْحِجِّ مِنْ ثَمَنِ

فحرّكني ذلك على الرجوع إلى مكة ، فخرجتُ مع الحاجِّ وحجّجت .
غنّى في أبيات عمر هذه ابن سريج ، ولحنه رَمَلٌ بِالْبِنْصَرِ في مجراها عن إسحاق . وفيها
للغريض ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عن عمرو .

[عمر مع الوليد يعرفه أحوال الطائف]

أخبرني علي بن صالح قال حدّثنا أبو هفّان قال حدّثني إسحاق عن السعدي⁵ قال : قدّم الوليد بن عبد الملك مكة ، فأراد أن يأتي الطائف فقال : هل [لي] في رجلٍ علّم بأموال الطائف فيُخبرني عنها ؟ فقالوا : عمر بن أبي ربيعة . قال : لا حاجة لي به . ثم عاد فسأل فذكروه له فردّه . ثم عاد فسأل فذكروه له ثم ردّه . ثم عاد فسأل فذكروه له ؛ فقال : هاتوه . فركب معه يحدّثه ، ثم حرّك عمر رداءه ليُصلّحه على كتفه ، فرأى على منكبيه أثراً . فقال : ما هذا الأثر ؟ فقال : كنتُ عند جارية لي إذ جاءتنني جارية برسالةٍ من عند جاريةٍ أخرى ، فجعلتُ تُسارّني ، فغارت التي كنتُ أحدثها فعضّتْ منكبي ؛ فما وجدتُ ألمَ عضّها من لذة ما كانت تلك تنفّث

1 أجياد : مكان بمكة .

2 سنن : طرق .

3 ظفرت في ل : رضيت .

4 ل : ابن جرير .

5 ل : السعدي .

في أذني ، حتى بلغت ما ترى ، والوليد يضحك . فلما رجع عمر قيل له : ما الذي كنت تضحك أمير المؤمنين به ؟ فقال : ما زلنا في حديث الزنا حتى رجعنا .
[المفاضلة بين عمر وعبد الله بن قيس الرقيات]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن عبد الله البكريّ وغيره عن عبد الجبار بن سعيد المساحقيّ عن أبيه قال : دخلتُ مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مساحق ؛ فإنه لمعتمدٌ على يدي ، إذ مررنا بسعيد بن المسيّب في مجلسه وحوله جلساؤه ، فسلمنا عليه فردّ علينا ، ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد ، مَنْ أشعرُ : صاحبنا أم صاحبكم ؟ يريد : عبد الله بن قيس ، أو عمر بن أبي ربيعة . فقال نوفلٌ : حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟ قال : حين يقول صاحبنا¹ :

خليليّ ما بال المطايا كأنّما نراها على الأدبار بالقوم تنكّصُ
وقد قطعت أعناقهنّ صباةً فأنفسنا ممّا يلاقين شخصُ
وقد أتعب الحادي سراهنّ وانحى بهنّ فما يألُو عَجولٌ مقلّصُ²
يزدّن بنا قريباً فيزداد شوقنا إذا زاد طول العهد والبعد ينقصُ

ويقولُ صاحبك ما شئت . فقال له نوفلٌ : صاحبكم أشعرُ في الغزل ، وصاحبنا أكثرُ أفانين شعر . فقال سعيد : صدقت . فلما انتضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيدٌ يستغفر الله ويعقد يده حتى وقى مائة . فقال البكريّ في حديثه عن عبد الجبار ، قال مُسلم : فلما انصرفنا قلت لنوفل : أترأه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ؟ فقال : كلاّ هو كثيرُ الإنشاد والاستنشاد للشعر فيه ، ولكن أحسبُ ذلك للفخر بصاحبه .
[مفاضلة بين جميل وعمر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال أبو عبيدة حدّثنا عوانة بن الحكم وأبو يعقوب الثّقفيّ : أنّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لأصحابه ذات ليلة : أيُّ بيت قالته العرب أغزل ؟ فقال بعضهم : قولُ جميل³ :

يموتُ الهوى مني إذا ما لقيتها ويحيّا إذا فارقتها فيعودُ

وقال آخر : قول عمر بن أبي ربيعة⁴ :

[من البسيط]

1 ديوان عمر : 218 .

2 مقلّص : مشمر ثيابه .

3 ديوان جميل (دار صادر) : 40 .

4 ديوان عمر : 100 .

كَأَنَّنِي حِينَ أُمْسِي لَا تُكَلِّمُنِي ذُو بُغْيَةٍ يَتَغَيَّ مَا لَيْسَ مَوْجُودًا
فَقَالَ الْوَلِيدُ : حَسْبُكَ وَاللَّهِ بِهَذَا ! أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّبِيرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي
مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِهِ عَنْ أَبِي الْحَارِثِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ
الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، قَالَ : وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ : [من الرمل]

يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرٌ فَاتَمَرٌ أَمَرَ رَشِيدٌ مُؤْتَمَنٌ
قَالَ : شَهِدْتُ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَجَمِيلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ الْعُدْرِيِّ ، وَقَدْ اجْتَمَعَا
بِالْأَبْطَحِ ؛ فَأَنَشَدَ جَمِيلٌ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا¹ : [من الطويل]

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي بُثَيْنَةٌ أَوْ أَبَدَتْ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ
يَقُولُونَ مَهْلًا يَا جَمِيلُ وَإِنِّي لَأَقْسِمُ مَالِي عَنْ بُثَيْنَةٍ مِنْ مَهْلٍ
حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا ، ثُمَّ قَالَ لِعُمَرَ : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا الرَّوْيِ شَيْئًا ؟ قَالَ
نَعَمْ . قَالَ : فَأَنَشِدْنِيهِ ؛ فَأَنَشَدَهُ قَوْلُهُ² : [من الطويل]

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا	فَقَرَّ بَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي ³
فَطَارَتْ بَحْدًا مِنْ فَوَادِي وَقَارَنْتِ	قَرِينَتَهَا حَبْلَ الصَّفَاءِ إِلَى حَبْلِي ⁴
فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا عَرَفْتُ الَّذِي بِهَا	كَمَثَلِ الَّذِي بِي حَدَوَكَ النُّعْلَ بِالنُّعْلِ
فَقُلْنَا لَهَا هَذَا عِشَاءٌ وَأَهْلُنَا	قَرِيبُ الْمَا تَسَامِي مَرْكَبَ الْبَغْلِ
فَقَالَتْ فَمَا شِئْنُ قَلْبِنَا لَهَا أَنْزَلِي	فَلِلْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ وَقُوفٍ عَلَى رَحْلِ
نُجُومٍ دَرَارِيٍّ تَكْنُفْنَ صُورَةَ	مِنَ الْبَدْرِ وَافَتْ غَيْرُ هُوجٍ وَلَا عُجَلٍ
فَسَلَّمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خَيْفَةً أَنْ يَرَى	عَدُوٌّ مُقَامِي أَوْ يَرَى كَاشِحٌ فِعْلِي
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السُّتْرِ إِنَّمَا	مَعِيَ فَتَكَلَّمُ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَهِمْ مِنْ تَرَقُّبٍ	وَلَكِنْ سِرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مَثَلِي
فَلَمَّا اقْتَصَرْنَا دُونَهُنَّ حَدِيثَنَا	وَهُنَّ طَبِيبَاتٌ بِحَاجَةِ ذِي الشُّكْلِ ⁵

1 ديوان جميل : 98 .

2 ديوان عمر : 293-294 .

3 الحصاب أو الخصب : موضع رمي الجمار .

4 فوادي في ل : سهامي .

5 الشُّكْل : الدُّل .

عَرَفَنَ الَّذِي تَهْوَى فُقُلَنَ آذَنِي لَنَا نَطْفُ سَاعَةً فِي بَرْدِ لَيْلٍ وَفِي سَهْلٍ¹
 فَقَالَتْ فَلَا تَلْبَثَنَّ قُلْنَ تَحَدَّثِي أَتَيْنَاكَ ، وَانْسَبْنَ انْسِيَابَ مَهَا الرَّمْلِ
 وَقُمْنَ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللَّبِّ أَنَّمَا أَتَيْنَ الَّذِي يَأْتِيَنَ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَجْلِي
 فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أبا الخطاب ، لا أقول والله مثل هذا سجيسَ الليالي² ، والله ما
 يخاطب النساءَ مخاطبتك أحدٌ . وقام مُشمرًا .

قال أبو عبد الله الزبير قال عمِّي مُصعب : كان عمر يُعارض جميلًا ؛ فإذا قال هذا قصيدة
 قال هذا مثلها . فيقال : إنه في الرائية والعينية أشعرُ من جميل ، وإن جميلًا أشعرُ منه في اللامية ،
 وكلاهما قد قال بيتًا نادرًا ظريفًا ؛ قال جميل :

خَلِيلِي فِيمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
 وقال عمر :

فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السِّتْرِ إِنَّمَا مَعِيَ فَتَكَلَّمْ غَيْرَ ذِي رِقَبَةٍ أَهْلِي
 [حين سمع الفرزدق بيتاً لعمر]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق عن المدائني قال : سمع الفرزدقُ
 عمر بن أبي ربيعة يُنشد قوله :

جَرَى نَاصِحٌ بِالوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي
 [ولمّا بلغ قوله :

فَقُمْنَ وَقَدْ أَفْهَمْنَ ذَا اللَّبِّ أَنَّمَا أَتَيْنَ الَّذِي يَأْتِيَنَ مِنْ ذَاكَ مِنْ أَجْلِي
 صاح الفرزدق : هذا والله الذي أرادته الشعراءُ فأخطأته ، وبكت على الديار .

نسبة ما في هذه الأشعار من الغناء

منها في قصيدة جميل التي أنشدتها عمر ، واستنشدته ما له في وزنها :

صوت
 خَلِيلِي فِيمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي
 أَيْتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذُوو فَضْلٍ³

1 تهوى قد تقرأ : تهوى .

2 سجيس الليالي : أبد الدهر .

3 الهلاك : المتسولون أو طالبو المعروف .

أَفِقْ أَتَيْهَا الْقَلْبُ الْمَلْجُوجُ عَنِ الْجَهْلِ وَدَعْ عَنْكَ «جُمْلًا» لَاسَبِيلَ إِلَى جُمْلٍ
فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَايِهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو في الأول والثاني من الأبيات . وذكر الهشامي الأبيات كلها ووصف أن الثقيل الثاني الذي يُغنى به فيها لمبعد . وذكر يحيى المكي : أن لابن مُحَرَّر في الثالث وما بعده من الأبيات ثاني ثقيل بالخنصر والبِنصر . وفي هذه الأبيات التي أولها الثالث هزج بالبِنصر يمان عن عمرو . وفي الرابع والخامس لابن طنبورة خفيف رمل عن الهشامي . وفيها لإسحاق ثقيل أول عن الهشامي أيضا . وذكر حماد عن أبيه : أن لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر في هذه الأبيات لحناً ، ولم يُجَنِّسه . وذكر حبش أن الثقيل الأول لابن طنبورة . ومنها في شعر جميل أيضاً :

صوت

لَقَدْ فَرَحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي بُثْنَةً أَوْ أَبَدْتُ لَنَا جَانِبَ الْبَخْلِ
فَلَوْ تَرَكَتْ عَقْلِي مَا طَلَبْتُهَا وَلَكِنْ طَلَايِهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي
الغناء لابن مِسْجَح ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي .

ومنها في شعر عمر بن أبي ربيعة المذكور في أول الخبر :

صوت

فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السَّتْرِ إِنَّمَا مَعِيَ فَتَحَدَّثْتُ غَيْرَ ذِي رِقْبَةٍ أَهْلِي
فَقُلْتُ لَهَا مَا بِي لَهْمٍ مِنْ تَرَقُّبٍ وَلَكِنْ سَرِّي لَيْسَ يَحْمِلُهُ مِثْلِي
جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِ

غنى في هذه الأبيات ابن سريج ، ولحنه رمل مطلق في معجى البِنصر عن إسحاق وعمرو . وذكر يونس : أن فيه لحناً للمالك لم يُجَنِّسه ، وذكر الهشامي : أن لحن مالك خفيف ثقيل . وذكر حبش : أن لمبعد فيه لحناً من الثقيل الأول بالبِنصر ، ولابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى . [وليس حبش ممن يعتمد في هذا على روايته] .

[رأى مشيخة قريش في شعر عمر]

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال : أدركت مشيخة من قريش لا يزنون بعمر بن أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النسيب ، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه ، والتحلي بمودته ، والابتيار في شعره . والابتيار : أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره ويفخر به . والابتهار : أن يقول ما لم يفعل .

[نقد ابن أبي عتيق أبياتا لعمر]

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني عبد الله بن عمر وغيره عن إبراهيم بن المنذر الحزامي عن عبد العزيز بن عمران قال : قال ابن أبي عتيق لعمر وقد أنشده قوله¹ : [من الرمل]

صوت

بينما يُنْعَتْنِي أَبْصَرْتَنِي دُونَ قَيْدِ الْمِيلِ يَعْذُو بِي الْأَعْرَ
قالتِ الكبرى أتعرفنَ الفتى قالتِ الوُسْطى نعمَ هذا عمرُ
قالتِ الصغرى وقد تيممتها قد عرفناه وهل يخفى القمرُ

الغناء في هذه الأبيات لابن سُرَيْج خفيف رَمَلٍ بالبنصر . فقال له ابن أبي عتيق : وقد أنشدتها ، أنت لم تنسب بها ، وإنما نسبتَ نفسك ؛ كان ينبغي أن تقول : قلتُ لها فقالت لي ، فوضعتُ خَدِّي فوطئتُ عليه .

أخبرني الحرَمي قال حدَّثنا الزبير بن بَكَار قال : لم يذهب على أحدٍ من الرواة أن عمر كان عفيفاً يَصِفُ ولا يقف² ، ويحوم ولا يرد .

[عمر والوليد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن خلف قال حدَّثنا أحمد بن منصور عن ابن الأعرابي ، وحدَّثني علي بن صالح قال حدَّثنا أبو هَفَّان عن إسحاق الموصلي عن رجاله ، قالوا : كان ابن أبي ربيعة قد حجَّ في سنة من السنين . فلما انصرف من الحجَّ ألقى الوليد بن عبد الملك وقد فُرشَ له في ظهر الكعبة وجلس ، فجاءه عمرُ فسَلَّم عليه وجلس إليه . فقال له : أنشدني شيئاً من شعرك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر ، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد ، وهما يرويان كلَّ ما قلتُ وهما لك . قال : ائني بهما ففعل ؛ فأنشده قوله : [من الطويل]

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ

فطرب الوليدُ واهتزَّ لذلك ، فلم يزالا يُنشدانه حتى قام ، فأجزل صلتَه ورَدَّ الغلامين إليه .

[عدد من مميزات شعر عمر]

حدَّثني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب الملقَّب «كَيْلَجَةَ» قال حدَّثني أبو هَفَّان قال حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن مُصعب بن عبد الله الزبيري ، وأخبرني الحرَمي بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بَكَار عن عمِّه مصعب أنه قال : راق عمرُ بن أبي ربيعة الناس

1 ديوان عمر : 174 .

2 في رواية : يصف ويقف .

وفاق نظرائه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسر ، وحُسن الوصف ، ودقة المعنى ، وصواب
المصدر ، والقصد للحاجة ، واستتطابق الربع ، وإنطاق القلب ، وحُسن العزاء ، ومخاطبة
النساء ، وعفة المقال ، وقلة الانتقال ، وإثبات الحجّة ، وترجيح الشك في موضع اليقين ،
وطُلاوة الاعتذار ، وفتح الغزل ، ونهج العِلل ، وعطف المساءة على العُدال ، وحُسن
التفجّع ، وبخل المنازل ، واختصر الخبر ، وصدق الصّفاء ؛ إن قدّح أوري ، وإن اعتذر أبرأ ،
وإن تشكّى أشجى ، وأقدم عن خيرة ولم يعتذر بغيرة ، وأسرّ النوم ، وغمّ الطير ، وأغذ السير ،
وحير ماء الشباب ، وسهل وقول ، وقاس الطوى فأربى ، وعصى وأخلى وحالف بسمعه
وطرفه ، وأبرم نعت الرسل وحذر ، وأعلن الحبّ وأسرّ ، وبطن به وأظهر ، وألحّ وأسفّ ،
وأنكح النوم ، وجنى الحديث ، وضرب ظهره لبطنه ، وأذلّ صعبه ، وقنع بالرجاء من الوفاء ،
وأعلى قاتله ، واستبكى عاذله ، ونفض النوم ، وأغلق رهن مئى ، وأهذر قتلاه ؛ وكان بعد هذا
كله فصيحاً .

فمن سهولة شعره وشدة أسره قوله¹ :

صوت

فلما تواقفنا وسلّمتُ أشرقتُ وجوه زهاها الحسنُ أن تتقنأ
تبألهنّ بالعرفان لَمّا رأينني وقُلنَ امرؤٌ باغٍ أكلٌ وأوضعا

الغناء لابن عبّادٍ رَمَلٌ عن المشامي . وفيه لابن جامع لحنٌ غيرُ مُجنّسٍ عن إبراهيم .

ومن حسن وصفه قوله² :

لها من الرّيم عيناه وسنته ونخوة السابق المختال إذ صهلا³

ومن دقة معناه وصواب مصدره قوله⁴ :

صوت

عوجا نُحَيّ الطلّلَ المَحُولَا والرّبّعَ مِنْ أسماء والمنزلا
بسابعِ البوّابةِ لم يعدّه تقادُمُ العهدِ بأن يوهلا⁵

1 ديوان عمر : 228 .

2 ديوان عمر : 308 .

3 سنته في رواية : ولفنته .

4 ديوان عمر : 310 .

5 البوّابة : الفلاة .

الغناء لابن سُرَيْج ثاني ثَقِيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إِسْحاق . قال إِسْحاق بن إبراهيم : يعني أَنَّهُ لم يُوْهَل فيعوده تقادم العهد . وقال الزبير : قال بعض المَدِينِيْنَ : يُحْيِيهِ بَأَن يُوْهَل ، أَي يدعوه له بذلك .
ومن قصده للحاجة قوله¹ :

[من الخفيف]

صوت

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثَّرِيَّا سُهَيْلاً عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ²
هي شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلْتُ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي
ويُروى : «هي غوريَّة» . الغناء للغريض خفيف ثَقِيل بالبصر عن عمرو وابن المَكِّي .
ومن استنطاقه الربع قوله :

[من الخفيف]

صوت

سَائِلَا الرَّبْعَ بِالْبَلْيِ وَقُولَا هَجَّتْ شَوْقاً لِي الْغَدَاةَ طَوِيلاً
أَيْنَ حَيٍّ حُلُوكَ إِذْ أَنْتَ مُحْفُو فَبِهِمْ أَهْلٌ أَرَاكَ جَمِيلاً
قال ساروا فَاْمَعَنُوا وَاسْتَقَلُّوا وَبِرَغْمِي لَوْ قَدْ وَجَدْتُ سَبِيلاً
ويُروى :
سَيُّمُونَا وَمَا سَيَّمْنَا جَوَاراً وَأَحْبُوا دَمَائَةً وَسُهُولاً
فيه رَمْلَان : أحدهما لابن سُرَيْج بالسبابة في مجرى الوسطى عن إِسْحاق . والآخر
لِإِسْحاق مطلق في مجرى البصر ، وفيه لأبي العَبَّاسِ ابن حمدون ثاني ثَقِيل . وقد شرحتُ
نسبته مع خبره في موضع آخر . قال إِسْحاق : أَنشِدَ جَرِيرٌ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الَّذِي
كُنَّا نَدُورُ عَلَيْهِ فَأَخْطَأْنَاهُ .
ومن إنطاقه القلب قوله³ :

[من المديد]

قال لي فِيهَا عَتِيقٌ مَقَالاً فَجَرْتُ مِمَّا يَقُولُ الدَّمُوعُ
قال لي وَدَّعْتُ سُلَيْمِي وَدَعَهَا فَأَجَابَ الْقَلْبُ : لَا اسْتَطِيعُ
الغناء للهِدْلِيِّ ثاني ثَقِيل بالوسطى عن الهشامي . قال : وفيه ليحيى المَكِّي ثَقِيلٌ أَوَّلُ نُسَبٍ
إِلَى مَعْبُدٍ وَهُوَ مِنْ مَنْحُولِهِ .

1 ديوان عمر : 438 .

2 الثريا بنت علي بن عبد الله الأموية تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .

3 ديوان عمر : 247 .

4 * كتاب الأغاني - ج 1

ومن حسن عَزَائِهِ قَوْلُهُ¹ :

[من الطويل]

أَلْحَقُّ إِنْ دَارُ الرَّبَابِ تَبَاعَدْتُ أَوْ انْتَبَتْ حَبْلٌ أَنْ قَلْبَكَ طَائِرُ
أَفِقْ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ وَفَارَقُوا الـ هَوَى وَاسْتَمَرَّتْ بِالرَّجَالِ الْمَرَائِرُ²
زَعِ النَّفْسَ وَاسْتَبَقِ الْحَيَاءَ فَإِنَّمَا تُبَاعِدُ أَوْ تُدْنِي الرَّبَابَ الْمَقَادِرُ³
أَمِتْ حُبَّهَا وَاجْعَلْ قَدِيمَ وَصَالِهَا وَعِشْرَتَهَا كَمَثَلِ مَنْ لَا تُعَاشِرُ
وَهَبْهَا كَشْيءٍ لَمْ يَكُنْ أَوْ كَنَازِحِ بِهِ الدَّارُ أَوْ مَنْ غَيَّبَتْهُ الْمَقَابِرُ
وَكَالنَّاسِ غُلِقَتْ الرَّبَابَ فَلَا تَكُنْ أَحَادِيثَ مَنْ يَبْدُو وَمَنْ هُوَ حَاضِرُ

الغناء في بعض هذه الأبيات وأولُه «زَعِ النفس» لابن سريج ثقيلٌ أولٌ بالبصرة عن عمرو .
وفيه لعمري الوادي رملٌ بالبصرة عن ابن المكي . وفيه لـ «قَدَارٍ» لحنٌ من كتاب إبراهيم غيرُ
مُجَنِّس . وهذه الأبيات يرويها بعض أهل الحجاز لكثير⁴ ، ويرويها الكوفيون للكميت بن
معروف الأسدي ، وذكر بعضها الزبير بن بكار عن أبي عبيدة لكثير في أخباره ؛ [ولكلٍ فيها
أخبار قد ذكرتها في مواضعها] .

ومن حسن غزله في مخاطبة⁵ النساء ، قال مُصْعَبُ الزبيري : وقد أجمع أهلُ بلدنا مَن له
علمٌ بالشعر أن هذه الأبيات أغزلُ ما سمعوا ؛ قوله⁶ :

صوت

تَقُولُ غَدَاةَ التَّقَيْنَا الرَّبَابُ أَيَاذَا أَفْلَتَ أَفُولَ السَّمَاءِ
وَكَفَّتْ سَوَابِقُ مَنْ عَبْرَةٍ كَمَا ارْفَضَ نَظْمُ ضَعِيفِ السَّلَاكِ
فَقُلْتُ لَهَا مَنْ يُطِيعُ فِي الصَّدِيقِ أَعْدَاءَهُ يَجْتَنِيهِ كَذَاكِ
أَغْرَكِ أَنِّي عَصَيْتُ الْمَلَامَ فَيْلُ وَأَنْ هَوَانَا هَوَاكِ
وَأَلَّا أَرَى لَذَّةً فِي الْحَيَاةِ تَقَرُّ بِهَا الْعَيْنُ حَتَّى أَرَاكِ
فَكَانَ مِنَ الذَّنْبِ لِي عِنْدَكُمْ مُكَارَمَتِي وَاتِّبَاعِي رِضَاكِ

1 ديوان عمر : 133 .

2 بالرجال في ل : بالرحيل .

3 زع : فعل أمر من وزع أي كف وزجر .

4 ل : وهذه الأبيات تنسب لكثير .

5 ل : مخاطبته .

6 ديوان عمر : 287 .

فليت الذي لامَ في حُبِّكم وفي أن تُزاري بقرنٍ وقاكِ¹
هُمُومَ الحياةِ واسقامَها وإن كان حَتَفُ جَهِيْزٍ فذاكِ
الغناء لابن سريج ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى . وذكر إبراهيمُ أن فيه لحناً لحكم . وقيل : إن فيه
لحناً آخر لابن جامع .
ومن عِفَّةٍ مقالَه قوله² :

[من الخفيف]

صوت

طالَ لَيْلِي واعتادَني اليومَ سَقَمُ
حُرَّةُ الوجهِ والشمائلِ والجو
وأصابَتْ مَقَاتِلَ القلبِ نَعْمُ
وحرَّ تكليمُها لمن نال غُنى
وحدثَ بمثلِه تُنَزَّلُ العُصْدُ
مُ رَخِيمِ يَشُوبُ ذلكَ حِلْمُ
هكذا وَصَفُ ما بدا لي منها
ليس لي بالذي تَغَيَّبَ عِلْمُ
إن تَجُودِي أو تَبْخَلِي فبِحَمْدِ
لست يا نَعْمُ فيهما مَن يُدْمُ
الغناء لابن سريج رَمَلٌ عن الهشامي .
ومن قَلَّةٍ انتقالَه قوله³ :

[من المديد]

صوت

أيَّها القائلُ غيرَ الصوابِ
واجتنبني واعلمن أن سَتُعَصِي
أَمْسِكِ النُصْحَ وأَقْلِلِ عِتَابِي
إن تَقُلْ نُصْحاً فعن ظَهْرِ غِشٍّ
ولَخَيْرٌ لَكَ طولُ اجتنابي
ليس بي عِيٌّ بما قلتَ إنِّي
دَائِمُ الغَمْرِ بعيدِ الذَّهابِ⁴
إِنَّمَا قُرَّةُ عيني هواها
عالمٌ أَفْقُهُ رَجَعَ الجوابِ
لا تَلْمِني في الرِّبَابِ وأَمْسَتْ
فَدَعَ اللّوَمَ وِكلَّني لِمَا بي
هي والله الذي هو ربي
عَدَلْتُ للنفسِ بَرْدَ الشَّرَابِ
أَكْرَمُ الأحياءِ طُرّاً علينا
صادقاً أَحْلِفُ غيرَ الكِذَابِ
عند قُرْبِ منهم واجتنابِ

1 قرن : اسم مكان وهو قرن المنازل .

2 ديوان عمر : 374 .

3 ديوان عمر : 60 .

4 الغمر : الحقد .

خاطبتني ساعةً وهي تبكي ثم عَزَّتْ خُلَّتِي في الخِطَابِ¹
وكفى بي مِدْرَهَا لخصومٍ لسواها عند حَدِّ تَبَائِي²
الغناء لكَرَدَمٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بالسبابة في مَجْرَى الوُسْطَى عن إِسْحاق في الأوَّل والخامس ثم
الثاني والثالث . وفيه لمبعد خفيف ثَقِيل بالبنصر عن يَحْيَى المكي .
ومن إثباته الحُجَّة قوله³ :

[من الطويل]

خَلِيلٌ بَعْضُ اللوم لا تَرَحَّلَا به رفيقكما حتى تقولَا على عِلْمٍ⁴
خَلِيلٍ مَنْ يَكْلِفُ بآخِرَ كالذي كَلِفْتُ به يَدْمُلُ فَوَادًا على سُقْمٍ
خَلِيلٍ ما كانت تُصَابُ مَقَاتِلِي ولا غِرَّتِي حتى وَقَعْتُ على نُعْمٍ
خَلِيلٍ حتى لُفَّ حَبْلِي بخَادِعٍ مُوقَى إِذَا يُرْمَى صَيُودٍ إِذَا يُرْمَى
خَلِيلٍ لو يُرْفَى خَلِيلٌ من الهوى رُقِيتُ بما يُدْنِي النُّوَارَ من العُصْمِ
خَلِيلٍ إِن بَاعَدْتُ لَأَنْتَ وَإِن أَلَنْ تُبَاعِدُ فَلَمْ أَتُبَلَّ بِخَرْبٍ وَلَا سَلَمٍ

[من الطويل]

ومن ترجيحه الشكُّ في موضع اليقين قوله⁵ :

صوت

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحْصَبِ مِنْ مَنِي ولي نَظَرْتُ لولا التَّحَرُّجُ عَارُمُ
فَقُلْتُ : أَشْمَسُ أَمْ مَصَابِيحُ بِيَعَةٍ بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمُ
بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لَنَوْفَلٍ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ⁶
وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقِيَتْهَا على عَجَلٍ تَبَاعُهَا والخَوَادِمُ
فَلَمْ أُسْتَطِعْهَا غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا عَشِيَّةَ رَاحَتٍ وَجْهَهَا والمعاصمُ
مَعَاصِمُ لَمْ تَضْرِبْ عَلَى الْبَهْمِ بِالضُّحَى عَصَاهَا وَوَجْهَ لَمْ تُلْحَهُ السَّمَائِمُ⁷

1 عَزَّتْ : بخلت .

2 المِدره : القوي الحجة .

3 ديوان عمر : 357 .

4 لا ترحلا به رفيقكما : لا ثقلا عليه به (أي باللوم) .

5 ديوان عمر : 348-349 .

6 بعيدة مهوى القرط : يعني أن عنقها طويل .

7 البهم : الصغير من أولاد الضأن والمعز .

نُضَار تَرَى فِيهِ أُسَارِيعَ مَائِهِ صَبِيحٌ تُغَادِيهِ الْأَكُفُ النُّوَاعِمُ¹
 إِذَا مَا دَعَتْ أَتْرَابَهَا فَاکْتَفَنَهَا تَمَائِلُنْ أَوْ مَالَتْ بِهِنَّ الْمَاكِمُ
 طَلَبْنَ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَنَهُ نَزَعْنَ وَهَنَ الْمُسْلِمَاتِ الظُّلُمُ
 الغناء لمعبد ثقيل² أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وابن المكي . وفيها لابن
 سريج رمل³ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق أيضاً . وفيها للغريض [خفيف] ثقيل
 بالوسطى عن الهشامي .
 ومن طلاوة اعتذاره قوله² :
 [من الخفيف]

صوت

عَاوَدَ الْقَلْبَ بَعْضُ مَا قَدْ شَجَاهُ مِنْ حَبِيبٍ أَمْسَى هَوَانَا هَوَاهُ
 يَا لِقَوْمِي فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَمَّنْ لَا تَرَى النَّفْسُ طَيْبَ عَيْشٍ سِوَاهُ
 أَرْسَلْتُ إِذْ رَأْتُ بَعَادِي أَلَّا يَقْبَلْنَ بِي مُحَرَّشًا إِنْ أَتَاهُ³
 دُونَ أَنْ يَسْمَعَ الْمَقَالَةَ مِنَّا وَلِيُطْعِنِي فَإِنْ عِنْدِي رِضَاهُ
 لَا تُطْعُ بِي فَدَتَكَ نَفْسِي عِدْوًا لَحْدِيثٍ عَلَى هَوَاهُ افْتَرَاهُ
 لَا تُطْعُ بِي مَنْ لَوْ رَأَانِي وَإِيَّاكَ أُسِيرِي ضَرُورَةً مَا عَنَاهُ
 مَا ضِرَارِي نَفْسِي بِهِجْرِي مَنْ لِي س مُسِيئًا وَلَا بَعِيدًا ثَرَاهُ⁴
 وَاجْتَنَابِي بَيْتَ الْحَبِيبِ وَمَا الْخُدُّ دُ بِأَشْهَى إِلَيَّ مَنْ أَنْ أَرَاهُ

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثاني
 ثقيل بالوسطى عن عمرو . وقال عمرو : فيه خفيف ثقيل بالوسطى للهذلي . وفيه لابن محرز
 ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وابتدأه نشيد⁵ أوله : «ما ضراري نفسي» . وقال الهشامي :
 وفيه لعلية بنت المهدي وسعيد بن جابر لحنان من الثقيل الثاني .
 [ومن نهجه العلل]

ومن نهجه العلل قوله⁵ :

[من المتقارب]

1 نضار : صافٍ أو نضير . أساريع : طرائق .

2 ديوان عمر : 440 .

3 المحرش : المحرض .

4 ثراه في ل : نواه .

5 ديوان عمر : 91 .

وَأَيُّهُ ذَلِكَ أَنْ تَسْمَعِي إِذَا جَتُّكُمْ نَاشِدًا يَنْشُدُ¹
 فَرُحْنَا سِرَاعًا وَرَاحَ الْهَوَى دَلِيلًا إِلَيْهَا بِنَا يَقْصِدُ²
 فَلَمَّا دَنَوْنَا لِحَرَسِ النَّبَا حِ وَالصَّوْتِ ، وَالْحَيُّ لَمْ يَرْقُدُوا
 بَعَثْنَا لَهَا بَاغِيًا نَاشِدًا وَفِي الْحَيِّ بُغْيَةٌ مِنْ يَنْشُدُ³
 وَقَدْ نُسِبَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ إِلَى مَنْ غَنَّى فِيهَا مَعَ :
 تَشِيطُ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا

ومن فتحه الغزل قوله² :
 [من الطويل]
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعُشْقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الْهَوَى فَكُنْ حَجْرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَمَدًا
 [من الخفيف]
 وَمِنْ عَطْفِهِ الْمَسَاءَ عَلَى الْعُدَالِ قَوْلُهُ³ :

صوت

لَا تَلْمَنِي عَتِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي إِنَّ بِي يَا عَتِيقُ مَا قَدْ كَفَانِي
 لَا تَلْمَنِي وَأَنْتَ زَيْنَتُهَا لِي أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ
 الْغَنَاءُ لِأَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ حَمْدُونَ ثَقِيلٌ أَوَّلُ مُطْلَقٌ مِنْ مَجْمُوعِ أَغَانِيهِ . وَفِيهِ رَمْلٌ طَنْبُورِيٌّ
 مُحَدَّثٌ . وَفِيهِ هَزَجٌ لِأَبِي عَيْسَى ابْنِ الْمُتَوَكِّلِ .
 وَمِنْ حَسَنِ تَفْجَعُهُ قَوْلُهُ⁴ :

صوت

هَجَرْتَ الْحَبِيبَ الْيَوْمَ مِنْ غَيْرِ مَا اجْتَرَمَ وَقَطَّعْتَ مِنْ ذِي وَدَّكَ الْحَبْلَ فَانْصَرَمَ
 أَطَعْتَ الْوُشَاةَ الْكَاشِحِينَ وَمَنْ يُطِيعُ مَقَالَةً وَاشِ يَقْرَعِ السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ⁵
 أَنَا نِي رَسُولٌ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ شَفِيقٌ عَلَيْنَا نَاصِحٌ كَالَّذِي زَعَمَ
 فَلَمَّا تَبَاثُنَا الْحَدِيثَ وَصَرَّحْتَ سَرَائِرُهُ عَنْ بَعْضِ مَا كَانَ قَدْ كَتَمَ
 تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْمُحَرَّشَ كَاذِبٌ فَعَنْدِي لَكَ الْعُتْبَى عَلَى رَغَمٍ مِنْ رَغَمٍ

1 ناشدًا ينشد في رواية : منشداً ينشد .

2 ديوان عمر : 118 .

3 ديوان عمر : 417 .

4 ديوان عمر : 356 .

5 الوشاة في ل : عدو ، وفي ديوانه «الوشاة» .

فَمِلَّانَ لُمْتُ النَّفْسَ بَعْدَ الَّذِي مَضَى وبعد الذي آلتْ وآلَيْتُ مِنْ قَسَمٍ¹
 ظَلَمْتُ وَلَمْ تُعْتَبْ وَكَانَ رَسُولُهَا إليك سريعاً بالرُّضَا لَكَ إِذْ ظَلَمْتُ
 الغناء لابن سريج رَمَلٌ مطلقٌ في مجرى البصر عن إسحاق . وقال يونس : فيه لابن سريج
 الحنان ، وذكر الهشامي أَنَّ لَحْنَهُ الْآخِرَ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ ، وَأَنَّ لَعْلُوِيَّ فِيهِ رَمَلًا آخِر .
 ومن تبخيله المنازل قوله² :

صوت

عَرَفْتُ مَصِيفَ الْحَيِّ وَالْمُتَرَبِّعَا بِيْطْنِ حُلَيَّاتٍ دَوَارِسَ بَلْقَعَا³
 إِلَى السَّرْحِ مِنْ وَادِي الْمَغْمَسِ بُدِّلَتْ معالِمُهَا وَبِلَاءٌ وَنُكْبَاءٌ زَعَزَعَا⁴
 فَيُخْلَنَ أَوْ يُخْبِرَنَّ بِالْعِلْمِ بَعْدَمَا نَكَانَ فَوَادًا كَانَ قَدَمًا مُفْجَعَا
 الغناء للغريض ثاني ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى .
 ومن اختصاره الخبر قوله⁵ :

صوت

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ غَدَاةٍ غَدٍ أَمْ رَائِحٍ فَمُهَجِّرُ
 لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا فُتْبِلُغَ عَذْرًا وَالْمَقَالَةَ تُعْذِرُ
 أَشَارَتْ بِمَدْرَاهَا وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا أَهَذَا الْمُغَيْرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذَكِّرُ
 لَنْ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا عَنِ الْعَهْدِ وَالْإِنْسَانِ قَدْ يَتَغَيَّرُ
 الغناء لابن سريج رَمَلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَصْرِ ، وَلَهُ أَيْضًا فِي بَيْتَيْنِ آخَرَيْنِ مِنْ هَذِهِ
 القصيدة ، وهما قوله :

وَلَيْلَةٌ ذِي دَوْرَانَ جَشَمْتَنِي السُّرَى وَقَدْ يَجْشُمُ الْهَوْلَ الْحَبُّ الْمَغْرُرُ
 فَقُلْتُ أَبَادِيهِمْ فِيمَا أَفَوْتُهُمْ وَإِمَّا يَنْالُ السَّيْفُ ثَأْرًا فَيَثَارُ
 رَمَلٌ آخَرٌ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو . قَالَ الزَّبِيرُ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : قُلْتُ لِأَعْرَابِيٍّ مَا
 مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ أَبِي رِبْعَةَ :

1 فَمِلَّانَ : فَمِنْ الْآنَ .

2 ديوان عمر : 227 .

3 حليات : اسم موضع ، لَعْلَهُ قَرَبُ مَكَّةَ .

4 المغمس : موضع قرب مَكَّةَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الطَّائِفِ .

5 ديوان عمر 120-127 .

لحاجة نفسٍ لم تَقُلْ في جوابها فتبلغُ عُذراً والمقالة تُعذِرُ
فقال : قام كما جلس .

ومن صدقه الصفاء قوله¹ :

[من الخفيف]

كلُّ وصلٍ أُمسى لديك لأُنثى غيرِها وصلُها إليها أداءُ
كلُّ أنثى وإن دنت لوصالٍ أو نأت فَنَبِيَّ للرَّبَّابِ الفِداءِ

وقوله² :

[من المتقارب]

صوت

أَجِبْ لِحَبِّكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ صَفِيّاً لِنَفْسِي وَلَا صَاحِباً
وَأَبْذُلْ مَالِي لِمَرْضَاتِكُمْ وَأُعْتَبُ مَنْ جَاءَ كَمْ عَاتِباً
وَأَرْغَبُ فِي وَدِّ مَنْ لَمْ أَكُنْ إِلَى وَدِّهِ قَبْلَكُمْ رَاغِباً
وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبِ مِنْ الْأَرْضِ وَاعْتَزَلْتُ جَانِباً
لَيَمَّمْتُ طَيْتَهَا إِنَّنِّي أَرَى قُرْبَهَا الْعَجَبَ الْعَاجِباً

الغناء لابن القفاص رملٌ عن الهشاميّ ويحيى المكيّ ، وفيه للرّبعيّ لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مُجَنّس .

ومما قدَحَ فيه فأورَى قوله³ :

[من الرمل]

صوت

طَالَ لَيْلِي وَتَعَنَانِي الطَّرَبُ واعتراني طولُ همٍّ ووصَبُ
أُرْسَلَتْ أَسْمَاءُ فِي مَعْتَبَةٍ عَتَبَتِهَا وَهِيَ أَحْلَى مَنْ عَتَبُ
أَنْ أَتَى مِنْهَا رَسُولٌ مُوَهِّناً وَجَدَ الْحَيَّ نِيَاماً فَانْقَلَبُ
ضَرَبَ الْبَابَ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ يَفْتَحُ بَاباً إِذْ ضَرَبُ
قَالَ : أَيْقَاضٌ ، وَلَكِنْ حَاجَةٌ عَرَضَتْ تُكْتَمُ مِنَّا فَاحْتَجِبُ
وَلَعَمْرَدَا رَدَّنِي ، فَاجْتَهَدْتُ بِيَمِينٍ حَلْفَةً عِنْدَ الْغَضَبِ

1 ديوان عمر : 14 .

2 ديوان عمر : 66 .

3 ديوانه 28-29 .

يَشْهَدُ الرَّحْمَنُ لَا يَجْمَعُنَا سَقَفُ بَيْتٍ رَجَبًا بَعْدَ رَجَبٍ
قُلْتُ حَيًّا فَأَقْبَلِي مَعْدِرَتِي مَا كَذَا يَجْزِي مُجِبٌّ مَنْ أَحَبَّ
إِنَّ كَفِّي لَكَ رَهْنٌ بِالرُّضَا فَأَقْبَلِي يَا هِنْدُ ، قَالَتْ قَدْ وَجَبَ

الغناء لملك خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لدحمان خفيف ثقيل أول بالنصر عن عمرو . وفيه لمعبد لحن من كتاب يونس لم يُجَنِّسه ، وذكر الهشامي أنه خفيف ثقيل . وفيه لابن سريج رمل عن الهشامي .

قال من حكينا عنه في صدر أخبار عمر روايته التي رواها علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله والحرمي عن الزبير عن عمه : كان عمر بن أبي ربيعة يهوى امرأة يقال لها «أسماء» ، فكان الرسول يختلف بينهما زماناً وهو لا يقدر عليها . ثم وعدته أن تزوره ، فتأهب لذلك وانتظرها ، فأبطأت عنه حتى غلبته¹ عينه فنام ، وكانت عنده جارية له تخدمه ؛ فلم تلبث أن جاءت ومعها جارية لها ، فوقفت حجرة² وأمرت الجارية أن تضرب الباب ، فضربته فلم يستيقظ . فقالت لها : تطلعي فانظري ما الخبر ؟ فقالت لها : هو مُضطجع وإلى جنبه امرأة ، فحلفت لا تزوره حوْلاً ؛ فقال في ذلك :

طال ليلى وتَعَنَّي الطَّرْبُ

قال أبو هفان في حديثه : وبعث إليها امرأة كانت تختلف بينه وبين معارفه ، وكانت جَزَلَةً³ من النساء ، فصدقتها عن قصته وحلفت لها أنه لم يكن عنده إلا جاريته ، فرضيت . وإياها يعني عمر بقوله :

فَأَتَتْهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ تَخْلُطُ الْجِدَّ مِرَارًا بِاللَّعِبِ
تُغْلِظُ الْقَوْلَ إِذَا لَانَتْ لَهَا وَتُرَاحِي عِنْدَ سَوَارِ الْغَضَبِ
لَمْ تَزَلْ تَصْرِفُهَا عَنْ رَأْيِهَا وَتَأْتَاهَا بِرِفْقٍ وَأَدَبِ

قال إسحاق في خبره : وحدثني ابن كُنَاسَةَ قال أخبرني حماد الراوية قال : استشهدني الوليد بن يزيد ، فأنشدته نحواً من ألف قصيدة ، فما استعادي إلا قصيدة عمر بن أبي ربيعة :

طال ليلى وتَعَنَّي الطَّرْبُ

1 ل : حملته .

2 حجرة : ناحية .

3 جزلة : عاقلة .

فلما أنشدته قوله : [من الرمل]

فَاتَتْهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ تَخْلُطُ الْجِدَّ مِرَاراً بِاللَّعِبِ

إلى قوله :

إِنَّ كَفِّي لَكَ رَهْنٌ بِالرَّضَا فاقْبَلِي يَا أُخْتَ قَالَتْ قَدْ وَجِبَ¹

فقال الوليد : وَيَحْكُ يَا حَمَاد ! أَطْلُبُ لِي مِثْلَ هَذِهِ أَرْسِلْهَا إِلَى سَلْمَى . يعني امرأته سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، وكان طَلَّقَهَا لِيَتَزَوَّجَ أُخْتَهَا ثُمَّ تَبَعَتْهَا² نَفْسُهُ .

قال إسحاق وحدثني جماعة منهم الحرمي والزيري وغيرهما : أَنَّ عَمْرَ أنشد ابن أبي عتيق هذه القصيدة ؛ فقال له ابن أبي عتيق : الناس يطلبون خليفة مذ قُتِلَ عثمان في صفة قَوَادَتِكَ هذه يدبرُ أمورهم فما يجدونه ! .

رَجَعَ إِلَى خَيْرِ عَمْرِ الطَّوِيلِ

قالوا : ومن شعره الذي اعتذر فيه فأبرأ قوله³ : [من الخفيف]

فَالْتَقِينَا فَرَحَّبْتُ حِينَ سَلَّمْتُ وَكَفَّتْ دَمْعاً مِنَ الْعَيْنِ مَاراً⁴
ثُمَّ قَالَتْ عِنْدَ الْعِتَابِ رَأَيْنَا مِنْكَ عَنَّا تَجَلُّدًا وَازْوَارَا
قُلْتُ كَلَّا لَاهُ ابْنُ عَمِّكَ بَلْ خِفْتُ سَنَا أُمُوراً كُنَّا بِهَا أَغْمَاراً⁵
فَجَعَلْنَا الصَّدُودَ لَمَّا خَشِينَا قَالَةَ النَّاسُ لِلْهَوَى اسْتَارَا
لَيْسَ كَالْعَهْدِ إِذْ عَهَدْتُ وَلَكِنْ أَوْقَدَ النَّاسُ بِالنَّمِيمَةِ نَارَا
[فَلِذَاكَ الْإِعْرَاضُ عَنْكَ وَمَا آ ثَرُ قَلْبِي عَلَيْكَ أُخْرَى اخْتِيَارَا]
مَا أُبَالِي إِذَا النُّوَى قَرَّبَتْكُمْ فَدَنَوْتُمْ مَنْ حَلَّ أَوْ مَنْ سَارَا
فَالِإِيَالِي إِذَا نَأَيْتَ طَوَالَ وَأَرَاهَا إِذَا قُرُبْتَ قَصَارَا

ومن تشكيه الذي أشجى فيه قوله⁶ :

1 يا أُخْتَ في رواية : يا هند .

2 ل : تبعته .

3 ديوان عمر : 160-163 .

4 مار الدمع : جرى .

5 لاه ابن عمك : لله ابن عمك .

6 ديوان عمر : 48-49 .

صوت

لَعَمْرُكَ مَا جاورَتْ غُمْدانَ طائِعاً وقَصَرَ شَعُوبٍ أَنْ أَكُونَ بِهِ صَباً¹
ولَكِنْ حُمَّى أَضْرَعَتْنِي ثَلَاثَةً مُجْرَمَةً ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ بِنَا غَبّاً²
وحتى لو أَنَّ الْخُلْدَ تَعْرِضُ إِنْ مَشَتْ إلى البابِ رَجُلِي مَا نَقَلْتُ لَهَا إِرْبَا
فإنَّكَ لو أَبْصَرْتَ يَوْمَ سَوَيْقَةٍ مُنَاخِي وَحَبْسِي الْعِيسَ دَامِيَةً حُدْباً³
وَمَصْرَعٍ إِخْوانٍ كَأَنَّ أَتْنَهُم أَنِينُ الْمَكَائِي صَادَفَتْ بِلْداً خِصْباً
إِذاً لَأَقْشَعِرَّ الرَّأْسُ مِنْكَ صَبَابَةً ولا سَفَرُغْتَ عَيْنَاكَ مِنْ سَكْبَةٍ غَرَباً⁴

غَنَى فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ هَذِهِ الْأَيَّاتِ مَعْبُدٌ وَلَحْنُهُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ
عَمْرٍو . وَفِيهِمَا لِلْمَلِكِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ عَنِ الْهَشَامِيِّ ، وَنَسَبُهُ يُونُسَ إِلَى مَالِكٍ وَلَمْ يُجَنِّسْهُ .

وَمِنْ إِقْدَامِهِ عَنْ خَبْرَةٍ وَلَمْ يَعْتَذِرْ بَغَرَّةً قَوْلُهُ⁵ :

صَرَمْتُ وَوَاصَلْتُ حَتَّى عَرَفْتُ سَتُ أَيْنَ الْمَصَادِرُ وَالْمَوْرِدُ
وَجَرَبْتُ مِنْ ذَاكَ حَتَّى عَرَفْتُ سَتُ مَا أَتَوَقَّى وَمَا أَعْمِدُ
وَمِنْ أَسْرِهِ النَّوْمَ قَوْلُهُ⁶ :

نَامَ صَحْبِي وَبَاتَ نَوْمِي أُسِيرَا أَرْقُبُ النَّجْمَ مَوْهِنًا أَنْ يَغُورَا
وَمِنْ غَمِّهِ الطَّيْرِ قَوْلُهُ⁷ :

فَرَحْنَا وَقَلْنَا لِلْغَلَامِ أَفْضَلَ حَاجَةً لَنَا ثُمَّ أَذْرَكْنَا وَلَا تَتَغَيَّرُ
سِرَاعًا تَغْمُ الطَّيْرُ إِنْ سَنَحَتْ لَنَا وَإِنْ تَلَقَّنَا الرُّكْبَانُ لَا تَتَخَيَّرُ
نَتَغَيَّرُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : غَبَرُ فُلَانٍ أَيْ لَبِثَ .

وَمِنْ إِغْدَاذِهِ السَّيْرِ قَوْلُهُ⁸ :

[مِنْ الْخَفِيفِ]

1 غمدان وشعوب : قصران باليمن .

2 أضرعنتني : أذلتني . ثلاث مجرمات : ثلاثة أعوام كاملات .

3 حدبا في ل : جربا .

4 صباة في ل : عجاجة .

5 ديوان عمر : 90 .

6 ديوان عمر : 160 .

7 ديوان عمر : 130 .

8 ديوان عمر : 160-163 .

قَلْتُ سِيرَا وَلَا تُقِيمَا بِبُصْرَى وَخَفِيرٍ فَمَا أُحِبُّ خَفِيرًا¹
وَإِذَا مَا مَرَرْتُمَا بِمَعَانٍ فَأَقْلَأْ بِهِ النَّوَاءَ وَسِيرَا
إِنَّمَا قَصْرُنَا إِذَا حَسَرَ السَّبِيحُ رُبُّ بَعِيرًا أَنْ نَسْتَجِدَّ بَعِيرًا²
ومن تخيره ماء الشباب قوله³ :

[من الخفيف]

صوت

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا تَحِبُّهَا قَلْتُ بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيَرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
الغناء لمحمد بن عائشة خفيف ثقيل بالبصرة . وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر عن المشامي ،
وقيل : بل هو هذا .

ومن تقويله وتسهيله قوله⁴ :

قَالَتْ عَلَى رِقْبَةٍ يَوْمًا لَجَارَتِهَا مَا تَأْمُرِينَ فَإِنَّ الْقَلْبَ قَدْ تَبَلَا
وَهَلْ لِي الْيَوْمَ مِنْ أُخْتٍ مُوَاخِيَةٍ مِنْكَنَّ أَشْكُو إِلَيْهَا بَعْضَ مَا فَعَلَا
فَرَاغَتْهَا حَصَانٌ غَيْرَ فَاخِشَةٍ بَرَجَعِ قَوْلٍ وَلُبٌّ لَمْ يَكُنْ خَطَلَا
لَا تَذْكُرِي حُبَّهُ حَتَّى أُرَاجِعَهُ إِنِّي سَأَكْفِيكَهُ إِنْ لَمْ أُمْتَ عَجَلَا
فَاقْنِي حَيَاءُكَ فِي سِتْرٍ وَفِي كَرَمٍ فَلَسْتُ أَوَّلَ اثْنَى عُلُقْتُ رَجُلَا
وَأَمَّا مَا قَاسَ فِيهِ الْهَوَى فَقَوْلُهُ⁵ :

[من البسيط]

وَقَرَّبَنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمَتِّمٍ يَقِيسُ ذِرَاعًا كَلِمًا قِيسَ إَصْبَعَا
ومن عصيانه وإخلائه قوله⁶ :

وَأَنْصُ الْمَطْيَى يَتْبَعَنَّ بِالرَّكْ بِ سِرَاعًا نَوَاعِمَ الْأَطْعَانِ

[من الخفيف]

1 بصري : مدينة بالشام . خفير : نهر بالأردن .

2 قصرنا : غابتنا . حسره : جعله حسيراً أي ضعيفاً مجهداً .

3 ديوان عمر : 59 .

4 ديوان عمر : 315-317 .

5 ديوان عمر : 228 .

6 ديوان عمر : 419 .

فَنَصِيدُ الْغَرِيرِ مِنْ بَقَرِ الْوَحْدِ شِ وَلَهُوَ بِلَدَّةِ الْفَتِيَانِ
فِي زَمَانٍ لَوْ كُنْتَ فِيهِ ضَجِيعِي غَيْرَ شَكٍّ عَرَفْتَ لِي عَصِيَانِي
وَتَقَلَّبْتَ فِي الْفِرَاشِ وَلَا تَدُ رِينَ إِلَّا الظُّنُونُ أَيْنَ مَكَانِي

ومن مخالفته بسمعه وطرفه قوله¹ :

سَمْعِي وَطَرْفِي حَلِيفَاهَا عَلَى جَسَدِي فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ سَمْعِي وَعَنْ بَصَرِي
لَوْ طَاوَعَانِي عَلَى الْآأُ أَكَلَّمَهَا إِذَا لَقِصْتُ مِنْ أَوْطَارِهَا وَطَرِي

ومن إبرامه نعت الرسل قوله² :

فَبَعَثْتُ كَاتِمَةَ الْحَدِيدِ سِ رَفِيقَةً بِجَوَابِهَا
وَحَشِيَّةً خَرَّاجَةً مِنْ بَابِهَا
فَرَقْتُ فَسَهَّلْتُ الْمَعَا رِضَ مِنْ سَبِيلِ نِقَابِهَا

ومن تحذيره قوله³ :

صوت

لَقَدْ أُرْسِلْتُ جَارِيَتِي وَقُلْتُ لَهَا خُذِي حَدَرَكَ
وَقُولِي فِي مُلَاطَفَةٍ لَزِينَبَ نَوْلِي عُمَرَكَ
فَإِنْ دَاوَيْتِ ذَا سَقَمٍ فَأَخْزَى اللَّهُ مَنْ كَفَرَكَ
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَبًا وَقَالَتْ مَنْ بِذَا أَمْرِكَ
أَهَذَا سِحْرُكَ النَّسْوَا نَ ، قَدْ خَبَّرَنِي خَبْرَكَ
وَقُلْنَ إِذَا قَضَى وَطَرًا وَأَدْرَكَ حَاجَةً هَجَرَكَ

غنى ابن سريج في هذه الأبيات ، ولحنه خفيف ثقيل . ولابن المكِّي فيها هزج بالوسطى .
وفيهما رملٌ ذكر ذكاء وجه الرُّزَّة عن أحمد بن أبي العلاء عن مخارق أنه لابن جامع ، وذكر
قُمَرِيَّ أنه له وأن ذكاء أبطل في هذه الحكاية .

قال الزبير : حدَّثني عمِّي قال حدَّثني أبي قال : قال شيخ من قريش : لا تُرَوُّوا نساءكم

1 ديوان عمر : 140 .

2 ديوان عمر : 27 .

3 ديوان عمر : 213 .

شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورطن في الزنا تورطاً ؛ وأنشد :
 [من مجزوء الوافر]
 لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها خُذي حَذَرَكَ
 . . . الأبيات .

ومن إعلانه الحب وإساره قوله¹ :
 [من الطويل]
 شكوتُ إليها الحبَّ أُعلنُ بعضه وأخفيتُ منه في الفؤادِ غليلاً
 ومّا أبطن به وأظهر قوله² :
 [من الرمل]
 حُبُّكم يا آل لَيْلى قَاتِلِي ظهرَ الحبُّ بجسمي وبطنُ
 ليس حُبٌّ فوقَ ما أَحْبَبْتُكُمْ غيرَ أنْ أَقْتَلَ نفسي أو أُجَنَّ
 ومّا ألحَّ فيه وأسفَّ قوله³ :
 [من الخفيف]
 لَيْتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ العينِ منها وكثيرٌ منها القليلُ المَهْنَا
 أو حديثٌ على خِلاءٍ يُسَلِّي ما يُجِنُّ الفؤادَ منها ومِنَا
 كَبُرَتْ رَبِّ نِعْمَةٌ مِنْكَ يوماً أنْ أراها قبلَ المماتِ ومِنَا
 ومن إنكاحه النومَ قوله⁴ :
 [من الكامل]

صوت

حتّى إذا ما الليلُ جَنَّ ظلامه ونظرتُ غَفْلَةً كاشحٍ أن يغفلا
 واستنكحَ النومُ الذينَ نخافهم وسقى الكرى بَوَائِهِمْ فاستثقلا
 خرجتُ تَأَطَّرُ في الثيابِ كأنّها أيّمْ يسبُّ على كَثِيبٍ أَهْيَلَا⁵
 الغناء لمبعد خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه ألحانٌ لغيره وقد
 نُسبت في غير هذا الموضع مع قوله :

وَدَعْ لُبَابَةَ قَبْلِ أَنْ تَتَرَحَّلَا

[من الخفيف] ومن جَنِّهِ الحديثَ قوله :

1 ديوان عمر : 313 .

2 ديوان عمر : 414 .

3 ديوان عمر : 406 .

4 ديوان عمر : 312 .

5 الأيم : الحية .

وَجَوَارٍ مُسَاعِفَاتٍ عَلَى اللَّهِ
صَيْدٍ لِلرَّجَالِ يَرُشِقْنَ بِالطَّرِّ
قَدْ دَعَانِي وَقَدْ دَعَاهُنَّ لِلَّهِ
فَاجْتَنَيْنَا مِنَ الْحَدِيثِ ثَمَارًا
وَمِنْ ضَرْبِهِ الْحَدِيثُ ظَهَرَهُ لِبَطْنِهِ قَوْلُهُ¹ :

[من الخفيف]

فَبَشَّشْنَا غَلِيلَنَا وَاشْتَفَيْنَا
وَأَتَيْنَا مَنْ أَمَرْنَا مَا اشْتَهَيْنَا
فِي قَضَاءٍ لِدِينِنَا وَاقْتَضَيْنَا
وَمِنْ إِذْلالِهِ صَعَبَ الْحَدِيثِ قَوْلُهُ² :

[من الطويل]

وَعَادَ لَنَا صَعَبُ الْحَدِيثِ ذُلُّوْا
وَأَخْفَيْتُ مِنْهُ فِي الْفَوَادِ غَلِيلًا
وَمِنْ قَنَاعَتِهِ بِالرَّجَاءِ مِنَ الْوَفَاءِ قَوْلُهُ³ :

[من الخفيف]

فِعِدِّي نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تُنِيلِي
قَالَ الزَّبِيرُ : هَذَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ كَثِيرٍ⁴ :

[من الطويل]

وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلٍ بِنَائِلٍ
وَمِنْ إِعْلَانِهِ قَاتَلَهُ قَوْلُهُ⁵ :

[من الكامل]

فَبَعَثْتُ جَارِيَتِي وَقُلْتُ لَهَا اذْهَبِي
قُولِي يَقُولُ تَحْرَجِي فِي عَاشِقٍ
وَيَقُولُ إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ بِأَنْكُكُمْ
فُكِّي رَهَيْتَهُ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلِي
فَاشْكِي إِلَيْهَا مَا عَلِمْتَ وَسَلِّمِي
كَلِّفِي بِكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ مُتِّمِ
أَصْبَحْتُمْ يَا بَشْرُ أَوْجَعَهُ ذِي دَمٍ
فَاعْلِي عَلَى قَتْلِ ابْنِ عَمِّكَ وَسَلِّمِي

1 ديوان عمر : 430 .

2 ديوان عمر : 313 .

3 ديوان عمر : 15 .

4 لم يرد البيت في ديوان كثير .

5 ديوان عمر : 364-365 .

فتضاحكت عَجَباً وقالت حَقُّهُ أَلَا يُعَلِّمُنَا بِمَا لَمْ نَعْلَمِ
علمي به ، والله يَغْفِرُ ذَنْبَهُ ، فيما بدا لي ، ذو هَوًى مُتَقَسِّمِ
طَرِيفٌ يُنَارِعُهُ إِلَى الْأَدْنَى الْهَوَى وَيُتُّ خُلَّةٌ ذِي الْوِصَالِ الْأَقْدَمِ¹

ومن تنفيذه النومَ قوله² :

[من الطويل]

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئْتُ مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِالْعِشَاءِ وَأَنُورُ
وَوَاحٍ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ وَرُوحٌ رُعْيَانٌ وَنَوْمٌ سُمُرُ
وَنَفَضْتُ عَنِّي النَّوْمَ أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ الْـ حُبَابِ وَرُكْنِي خَشْيَةَ الْقَوْمِ أَزُورُ³

ومن إغلاقه رَهْنٌ مَنَى وَإِهْدَارُهُ قَتْلًا قَوْلُهُ⁴ :

[من الطويل]

فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ مَالٍ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ
وَمِنْ غَلَقٍ رَهْنًا إِذَا لَفَّهُ مَنِي⁵ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى

وكان بعد هذا كله فصيحاً شاعراً مَقُولاً .

أخبرني الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي ، وَأَخْبَرَنَا بِهِ عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ عَنْ أَبِي هَفَّانٍ عَنْ إِسْحَاقَ عَنْ رَجَالِهِ : أَنَّ عَمْرَ بْنَ أَبِي رَيْعَةَ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَكَلِّمُ امْرَأَةً فِي الطَّوَافِ ، فَعَابَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَنْكَرَهُ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّهَا ابْنَةُ عَمِّي . قَالَ : ذَاكَ أَشْنَعُ لَأَمْرِكَ . فَقَالَ : إِنِّي خَطَبْتُهَا إِلَى عَمِّي ، فَأَبَى عَلِيٌّ إِلَّا بِصَدَاقِ أَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَأَنَا غَيْرُ مُطِيقٍ ذَلِكَ ، وَشَكَا إِلَيْهِ مِنْ حَبِّهَا وَكَلَّفَهُ بِهَا أَمْرًا عَظِيمًا ، وَتَحَمَّلَ بِهِ عَلَى عَمِّهِ . فَسَارَ مَعَهُ إِلَيْهِ فَكَلَّمَهُ . فَقَالَ لَهُ : هُوَ مُمْلِقٌ ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أَصْلِحُ بِهِ أَمْرَهُ . فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ : وَكَمْ الَّذِي تَرِيدُهُ مِنْهُ ؟ قَالَ : أَرْبَعِمِائَةِ دِينَارٍ . فَقَالَ لَهُ : هِيَ عَلِيٌّ فَرُوجُهُ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ .

وَقَدْ كَانَ عَمْرٌ حِينَ أَسَنَ حَلْفَ الْأَى يَقُولُ بَيْتَ شَعْرٍ إِلَّا أَعْتَقَ رَقَبَةً . فَانْصَرَفَ عَمْرٌ إِلَى مَنْزِلِهِ يَحْدِثُ نَفْسَهُ ؛ فَجَعَلَتْ جَارِيَةٌ لَهُ تَكَلِّمُهُ فَلَا يَرُدُّ عَلَيْهَا جَوَابًا . فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ لَكَ لَأَمْرًا ، وَأَرَاكَ تَرِيدُ أَنْ تَقُولَ شَعْرًا ؛ فَقَالَ⁶ :

[من الوافر]

1 طرف : ملول .

2 ديوان عمر : 123 .

3 الحجاب : الحية .

4 ديوان عمر : 18 .

5 أباء دمه : أخذ ثأره وقتل قاتله . غلق الرهن : استحقَّ أجله ولم يفك .

6 ديوان عمر : 436 .

صوت

تقول ولديتي لما رأته
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً
وكنتم زعمت أنك ذو عزاء
بربك هل أتاك لها رسول
فقلت شكا إلي أخ محب
فقص علي ما يلقي بهند
وذو الشوق القديم وإن تعزى
وكم من خلّة أعرضت عنها
أردت بعادها فصددت عنها
لو جنّ الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم لكل بيت واحد . الغناء لابن سريج رمل بالنصر عن عمرو والمشامي . وفيه ثقل أول يقال : إنه للغريض . وذكر عبد الله بن موسى أن فيه لدحمان خفيف رمل .

[عمر وعروة]

أخبرني الحرّمي قال حدثنا أحمد بن عبيد أبو عبيدة قال : ذكر ابن الكلبي أن عمر بن أبي ربيعة كان يسائر عروة بن الزبير ويحدثه ، فقال له : وأين زين المواقب ؟ يعني ابنه محمد بن عروة ، وكان يسمى بذلك لجماله . فقال له عروة هو أمامك ؛ فركض يطلبه . فقال له عروة : يا أبا الخطاب ، أولسنا أكفأ كراماً تحدثك ومسائرتك ؟ فقال : بلى بأبي أنت وأمي ! ولكني مغرئ بهذا الجمال أتبعه حيث كان . ثم التفت إليه وقال : [من البسيط]

إني امرؤ مولع بالحسن أتبعه لا حظ لي فيه إلا لذة النظر

ثم مضى حتى لحقه فسار معه ، وجعل عروة يضحك من كلامه تعجباً منه .

[عمر ومالك بن أسماء]

أخبرني محمد بن خلف بن المزيان قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب بن عبد الله قال : رأى عمر بن أبي ربيعة رجلاً يطوف بالبيت قد بهر الناس بجماله وتماحه ، فسأل عنه فقليل له : هذا مالك بن أسماء بن خارجة . فجاءه فسلم عليه وقال له : يا ابن أخي ، ما زلت أتشوقك

مند بلغني قولك :

إنَّ لي عندَ كلِّ نَفْحَةٍ بستا نِ من الوردِ أو من الياسمينِ
نظرةً والتفاتةً أتمنّى أنْ تكوني حللتِ فيما يَلينا
ويروى : « . . . أترجى أنْ تكوني حللتِ . . . » .

[عمر وامرأة أبي الأسود الدؤلي]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا العباس بن هشام عن أبيه قال أخبرني مولى لزياد قال : حجَّ أبو الأسود الدؤلي ومع امرأته وكانت جميلة . فبينما هي تطوف بالبيت إذ عرض لها عمر بن أبي ربيعة ، فأتت أبا الأسود فأخبرته ، فأتاه أبو الأسود فعاتبه . فقال له عمر : ما فعلتُ شيئاً . فلما عادت إلى المسجد عاد فكلمها ، فأخبرت أبا الأسود ؛ فأتاه في المسجد وهو مع قومٍ جالسٌ فقال له :

وإني ليشينني عن الجهل والخنأ وعن شتم أقوامٍ خلائقُ أربعُ
حياءٍ وإسلامٍ وبُقيأ وأنني كريمٌ ومثلي قد يضرُّ وينفعُ
فشتانَ ما بيني وبينك إنني على كلِّ حالٍ أستقيمُ وتظلعُ
فقال له عمر : لستُ أعودُ يا عمُّ لكلامها بعد هذا اليوم . ثم عاود فكلمها ، فأتت أبا الأسود فأخبرته ، فجاء إليه فقال له :

أنت الفتى وابنُ الفتى وأخو الفتى وسيدنا لولا خلائقُ أربعُ
نُكولٌ عن الجلى وقُربٌ من الخنا ويُخلُّ عن الجدوى وأك تَبُعُ
ثم خرجت وخرج معها أبو الأسود مُستَمِلاً على سيف . فلما رآهما عمر أعرض عنها ؛ فتمثَّل أبو الأسود :

تَعْدُو الذئابُ على من لا كِلابَ له وتَتَقِي صَوْلَةَ المستأسدِ الحامي

[رأي الفرزدق في شعر عمر]

أخبرني ابن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم الفراسي قال حدثنا العُمري قال أخبرنا الهيثم بن عدي قال : قَدِمَ الفرزدق المدينة وبها رجلا ن يُقال لأحدهما صُوَيْمٌ ، وللآخر ابن أسماء ، وُصِفَا له فقصدهما ، وكان عندهما قِيَانُ ؛ فسَلَّم عليهما وقال لهما : من أُنتما ؟ فقال أحدهما : أنا فرعون ، وقال الآخر : أنا هامان . قال : فأين منزلُكما في النار حتى أقصدكما ؟ فقالا : نحن جيران الفرزدق الشاعر ؛ فضحك ونزل ، فسَلَّم عليهما وسَلَّمَا عليه وتعاشروا مدَّة . ثم سألهما أن يَجْمعا بينه وبين عمر بن أبي ربيعة ففعلا ، واجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى أن

أنشد عمر قصيدته التي يقول فيها¹ :
 فَلَمَّا التَّقِينَا وَاطْمَأْنَنْتُ بِنَا النُّوَى
 وَغُيِبَ عَنَّا مَسْنُ نَخَافُ وَنُشْفِقُ
 حتى انتهى إلى قوله :

فَقُمْنَ لَكِي يُخْلِينَنَا فَتَرْقُتُ
 وَمَدَامِعُ عَيْنَيْهَا وَظَلَّتْ تَدْفُقُ
 وَقَالَتْ أَمَا تَرْحَمْنِي لَا تَدْعُنِي
 لَدَى غَزَلِ جَمِّ الصَّبَابَةِ يَخْرُقُ
 فَقُلْنَ اسْكُنِّي عِنَّا فَلَسْتُ مُطَاعَةً
 وَخَلُّكِ مِنَّا ، فَاعْلَمِي ، بِكَ أَرْفُقُ
 فصاح الفرزدق : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْخَطَّابِ أَغْرُلُ النَّاسَ ، لَا يُحْسِنُ وَاللَّهِ الشُّعْرَاءُ أَنْ
 يَقُولُوا مِثْلَ هَذَا النَّسِيبِ وَلَا أَنْ يَرْقُوا مِثْلَ هَذِهِ الرُّقِيَةِ ؛ وَودَّعَهُ وَانصَرَفَ .
 [عمر وابن عياش]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الجبار بن سعيد المساحقيّ عن المغيرة بن
 عبد الرحمن عن أبيه : أَنَّهُ حَجَّ مَعَ أَبِيهِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَاتَى عُمَرَ بْنَ
 أَبِي رَبِيعَةَ وَقَدْ أَسْنَى وَشَاخَ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَاءَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَيُّ شَيْءٍ أَحْدَثْتَ بَعْدِي يَا أَبَا
 الْخَطَّابِ ؟ فَأَنْشَدَهُ² :

يَقُولُونَ : إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُكَ الْهُوَى
 وَإِنِّي لَا أَرَعَاكَ حِينَ أُغِيبُ
 فَمَا بَالُ طَرْفِي عَفَا عَمَّا تَسَاقَطُ
 لَهُ أَعْيُنٌ مِنْ مَعْشَرٍ وَقُلُوبُ
 عَشِيَّةٌ لَا يَسْتَنْكِفُ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا
 سَفَاهَ امْرِئٍ مِمَّنْ يُقَالُ لِبَيْبُ
 وَلَا فِتْنَةً مِنْ نَاسِكٍ أَوْ مَضَتْ لَهُ
 بَعِينَ الصَّبَا كَسَلَى الْقِيَامِ لَعُوبُ
 تَرَوِّحَ يَرْجُو أَنْ تُحَطَّ ذُنُوبُهُ
 فَآبَ وَقَدْ زِيدَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ
 وَمَا النَّسْكُ أَسْلَانِي وَلَكِنْ لِلْهُوَى
 عَلَى الْعَيْنِ مَنِي وَالْفَوَادِ رَقِيبُ
 [عمر والنسوة اللاتي واعدنّ بالحق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذميّ قال : واعد
 عمر بن أبي ربيعة نسوةً من قریش إلى العقيق ليتحدّثنّ معه ؛ فخرج إليهنّ ومعه الغريصُ ،
 فتحدّثوا مَلِيًّا وَمُطَرُوا ، فقام عمر والغريص وجاريتان للنسوة فأظْلَمُوا عليهنّ بِمِطْرَفِهِ وَبُرْدَيْنِ لَهُ
 حَتَّى اسْتَتَرْنَ مِنَ الْمَطَرِ إِلَى أَنْ سَكَنَ ، ثُمَّ انصَرَفْنَ . فَقَالَ لَهُ الْغَرِيصُ : قُلْ فِي هَذَا شَعْرًا حَتَّى
 أَغْنِي فِيهِ ؛ فَقَالَ عُمَرُ³ :

[من المتقارب]

1 ديوان عمر : 265 .

2 ديوان عمر : 33 ولم يرد فيه البيت الرابع .

3 ديوان عمر : 330 .

صوت

ألم تسأل المنزلَ المُقْفِرَا بياناً فيكْتُمَ أو يُخْبِرَا
 ذكرتَ به بعض ما قد شَجَاكَ وحقُّ لذي الشَّجْوِ أن يَذْكُرَا
 مُقَامَ الحبيبين قد ظَاهَرَا كِسَاءَ وَبُرْدَيْنِ أن يُمْطَرَا¹
 ومَمْشَى الثلاثِ به مَوْهِنَا خرجن إلى زائرٍ زُورَا
 إلى مجلسٍ من وراء القِبابِ سَهْلَ الرُّبَا طِيبِ أَغْفَرَا
 غَفَّلَنَ عن اللَّيْلِ حتَّى بدتْ تَبَاشِيرُ من واضحٍ أَسْفَرَا
 فَقُمْنَ يُعْقِّينَ آثَارَنَا بأكْسِيَةِ الخَزِّ أن تُقْفَرَا
 مَهَاتَانِ شَيَّعَا جُوذُرَا أَسِيلاً مُقْلَدُهُ أَحْوَرَا²
 وقُمْنَ وقُلْنَ لَوَ آنَ النهارَ مُدَّ له اللَّيْلُ فاستَأخَرَا
 قَضَيْنَا به بعضَ أَشْجَانِنَا وكان الحديثُ به أَجْدَرَا

ذكر ابن المكي أنَّ الغناء في الخمسة الأبيات الأولى لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البَصر ، وذكر الهشامي أنَّ هذا اللحن للغريض ، وأنَّ لحن ابن سريج رَمَلٌ بالوسطى . قال : ولدَحْمَانُ فيه أيضاً ثاني ثقيل آخر بالوسطى . وفيها لابن الهَرْدِ خفيف رَمَلٌ بالسبابة في مجرى الوسطى . وقال حبشٌ : فيها لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى . [عمر وابن أبي عتيق]

أخبرنا محمد بن خَلَفَ بن المَرْزبان قال حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَدِينِيُّ قال أَخْبَرَنَا ابن عائشة قال : حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة وهو يُنشد قوله³ :

وَمَنْ كَانَ مَحْزُونًا بِأَهْرَاقِ عَبْرَةٍ وَهِيَ غَرْبُهَا فَلْيَأْتِنَا نَبْكَهَ غَدَا
 نَعْنَهُ عَلَى الْإِثْكَالِ إِنْ كَانَ ثَاكِلاً وَإِنْ كَانَ مَحْزُوبًا وَإِنْ كَانَ مُقْصَدًا⁴

قال : فلَمَّا أَصْبَحَ ابن أبي عتيق أَخَذَ مَعَهُ خَالِدًا الْخَرَّيْتِ وقال له : قُمْ بِنَا إِلَى عَمْرِ . فَمَضَى إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ ابن أبي عتيق : قد جئناك لموعدك . قال : وأَيُّ مَوْعِدٍ بَيْنَنَا ؟ قال : قَوْلُكَ : «فَلْيَأْتِنَا نَبْكَهَ غَدَا» . قد جئناك ، والله لا نَبْرَحُ أو تَبْكِي إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي قَوْلِكَ ، أو نَنْصَرِفَ عَلَى أَتْكَ

1 الحبيبين في رواية : الحيين .

2 جُوذُرًا في ل : ربراً .

3 ديوان عمر : 114 .

4 مقصداً في رواية «محزونا» . والمقصود : المطعون أو المرمي بسهم .

غير صادق . ثم مضى وتركه . قال ابن عائشة : خالد الخريّث هو خالد بن عبد الله القسريّ .
[عود إلى خلق عمر]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدثنا دماذ عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش
الهمداني قال : لقيتُ عمر بن أبي ربيعة فقلت له : يا أبا الخطاب ، أكلُ ما قلتَه في شعرك فعلته ؟
قال : نعم ، وأستغفر الله .
[عمر ينزل الكوفة على ابن هلال]

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن عبد الله بن مصعب قال : قدِمَ عمر بن
أبي ربيعة الكوفة ، فنزل على عبد الله بن هلال الذي كان يقال له صاحبُ إبليس ، وكان له قِنتان
حاذقتان ، وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما ؛ فقال في ذلك¹ :
[من الكامل]

يا أهلَ بابلَ ما نَفِسْتُ عليكمُ من عَيْشِكُمْ إِلَّا ثَلَاثَ حِلَالٍ
ماءَ الفُراتِ وطيبَ ليلٍ باردٍ وغِنَاءَ مُسْمَعَتَيْنِ لابنِ هِلَالٍ²

[وصف عمر وغيره للبرق]

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن رجاله : أنَّ عمر بن أبي ربيعة
والحارث بن خالد وأبا ربيعة المصْطَلقيّ ورجلاً من بني مخزوم وابن أخت الحارث بن خالد ،
خرجوا يُشَبِّعونَ بعضَ خلفاء بني أُمَيَّة . فلمّا انصرفوا نزلوا «بَسْرِفٍ» فلاح لهم برقٌ ؛ فقال
الحارث : كلُّنا شاعر ، فهَلُمُّوا نَصِفِ البرقَ . فقال أبو ربيعة :

أَرِقْتُ لبرقِ آخِرِ اللَّيْلِ لَامِعٍ جَرَى مِنْ سَنَاهِ ذُو الرُّبَا فِينَابِعٍ³
فقال الحارث :

أَرِقْتُ لَهُ لَيْلَ التَّمَامِ⁴ ودُونِهِ مَهَامُهُ مَوْمَاءٌ وَأَرْضٌ بَلَاغُ⁵
فقال المخزوميّ :

يُضِيءُ عِضَاهُ الشَّوْكَ حَتَّى كَأَنَّهُ مَصَابِيحُ أَوْ فَجَرٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ
فقال عمر :

[من الطويل]

1 ديوان عمر : 336 (م) .

2 مسمعتين في ل : محستين .

3 ينابيع : موضع ببلاد هذيل .

4 ليل التمام : أطول ليلة في الشتاء .

5 نقل جامع شعر الحارث الخبر والأبيات عن الأغاني ص 23 .

أيا رب لا آلو المودةَ جاهداً لأسماء فاصنع بي الذي أنت صانع
ثم قال : مالي وللبرق والشوك !
[تنمة خبر عمر ونسوة واعدنه بالعقيق]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن الهيثم بن عدي قال : كان عمر بن أبي ربيعة وخالد القسري معه ، وهو خالد الخريث ، ذات يوم يمشيان ، فإذا هما بهند وأسماء اللتين كان يُشَبَّبُ بهما عمر بن أبي ربيعة تتماشيان ، فقصداهما وجلسا معهما ملياً ، فأخذتهم السماء ومطّروا . ثم ذكر مثل خبر تقدّم ، ورويته آنفاً عن هاشم بن محمد الخزاعي ، وذكر الأبيات الماضية ، ولم يذكر فيها خبر الغريض . وحكى أنه قال في ذلك ¹ : [من الطويل]

صوت

أفي رَسَمِ دارٍ دَمْعُكَ الْمُتَرَقِّقُ سَفَاهاً وما استنطاق ما ليس يُنْطِقُ
بِحَيْثُ التَّقَى «جَمْعٌ» وَمُنْضَى «مُحَسَّرٌ» مَغَانِي قَدْ كَادَتْ عَلَى الْعَهْدِ تَخْلُقُ
ذَكَرْتُ بِهِ مَا قَدْ مَضَى مِنْ زَمَانَا وَذَكَرُكَ رَسَمَ الدَّارِ مِمَّا يُشَوِّقُ
مَقَاماً لَنَا عِنْدَ الْعِشَاءِ وَمَجْلِساً بِهِ لَمْ يُكْدِرْهُ عَلَيْنَا مُعَوِّقُ
وَمَمْشَى فَتَاةٍ بِالْكِسَاءِ تَكُنُّنَا بِهِ تَحْتَ عَيْنٍ بَرَقَهَا يَتَأَلَّقُ
يُلُّ أَعَالِي الثَّوْبِ قَطْرٌ وَتَحْتَهُ شُعَاعٌ بَدَا يُعْشِي الْعَيُونَ وَيُشْرِقُ
فَأَحْسَنُ شَيْءٍ بَدَأَ أَوَّلَ لَيْلِنَا وَآخِرُهُ حُزْنٌ إِذَا تَنَفَّرَ
ذكر يحيى بن المكي أن الغناء في ستة أبيات متوالية من هذا الشعر لمعبدٍ خفيف ثقيل
بالسبابة والوسطى ، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى .
[عمر ولي بنت الحارث البكرية]

أخبرنا الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال أخبرني مصعب قال : لقي عمر بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عمرو البكرية وهي تسير على بغلة لها ، وقد كان نسب بها ، فقال : جعلني الله فداك ، عَرَّجِي ها هنا أَسْمِعْكِ بعض ما قلته فيك . قالت : أو قد فعلت ؟ قال نعم ، فوقفت وقالت : هات . فأنشدها ² : [من الوافر]

صوت

ألا يا لَيْلُ إِنَّ شِفَاءَ نَفْسِي نَوَالِكُ إِنْ بَخِلْتَ فَنَوَّلِينَا

1 ديوان عمر : 274 .

2 ديوان عمر : 437 .

وقد حضر الرّحيلُ وحانَ منّا فراقك فانظري ما تأمرنا
 فقالت : آمرك بتقوى الله وإيثار طاعته وترك ما أنت عليه . ثم صاحت ببغلتها ومضت .
 وفي هذين البيتين لابن سريج خفيف ثقل بالوسطى عن يحيى المكي ، وذكر الهشامي أنّه
 من منحوه إلى ابن سريج . وفيهما رملٌ طنبوريٌّ لأحمد بن صدقة .
 أخبرني بذلك جحظة عنه . وأخبرني بهذا الخبر عبد الله بن محمد الرّازي قال : حدثنا أحمد بن
 الحارث الخراز عن ابن الأعرابي : أن ليلى هذه كانت جالسةً في المسجد الحرام ، فرأت عمر بن أبي
 ربيعة ، فوجهت إليه مولًى لها فجاءها به . فقالت له : يا ابن أبي ربيعة ، حتى متى لا تزال سادراً في
 حرم الله تُشَبَّبُ بالنساء وتُشيد بذكرهن ؟ أما تخاف الله ؟ قال : دعيني من ذاك واسمعي ما قلت .
 قالت وما قلت ؟ فأنشدها الأبيات المذكورة . فقالت له القول الذي تقدّم أنّها أجابته به . قال :
 وقال لها : اسمعي أيضاً ما قلت فيك ، ثم أنشدها قوله ¹ :

أَمِنَ الرَّسْمَ وَأَطْلَالَ الدَّمَنَ	عاد لي وجدي وعادتُ الحزنَ
إِنَّ حُبِّي آلَ لَيْلَى قَاتِلِي	ظهرَ الحبُّ بجسمي وبطنَ
يَا أَبَا الْحَارِثِ قَلْبِي طَائِرُ	فَاتَمِرْ أَمْرَ رَشِيدٍ مُؤْتَمِنُ
الْتِمَسْ لِلْقَلْبِ وَصلاً عِنْدَهَا	إِنَّ خَيْرَ الْوَصْلِ مَا لَيْسَ يُمَنُّ
عَلِقَ الْقَلْبُ ، وَقَدْ كَانَ صَحَا	من بني بكرٍ غزاً قد شَدَنُ ²
أَحْوَرَ الْمُقْلَةَ كَالْبَدْرِ ، إِذَا	قُلْدُ الدَّرِّ فَقَلْبِي مُمْتَحَنُ
لَيْسَ حُبٌّ فَوْقَ مَا أَحْبَبْتُمْ	غَيْرَ أَنْ أَقْتَلَ نَفْسِي أَوْ أَجَنُ
خُلِقَتْ لِلْقَلْبِ مَنِي فِتْنَةٌ	هَكَذَا يُخْلَقُ مَعْرُوضُ الْفِتَنِ

قال : وفيها يقول ³ :

إِنَّ لَيْلَى وَقَدْ بَلَغَتْ الْمَشْيَا	لَمْ تَدْعُ لِلنِّسَاءِ عِنْدِي نَصِيْبَا
هَاجِرٌ بَيْتَهَا لِأَنْفِي عَنْهَا	قَوْلَ ذِي الْعَيْبِ إِنْ أَرَادَ عِيُوبَا

نسبة ما في هذين الشعرين من الغناء

الغناء في الأبيات الأولى النونية لابن سريج ثاني ثقل بالوسطى عن عمرو . وفيها لابن
 عائشة ثقل أول ، يقال : إنه أول ثقلٍ غناه ، كان يُغني الخفيف ، فعيب بذلك فصنع هذا

1 ديوان عمر : 414 مع اختلاف كبير في الترتيب واللفظ .

2 شدن : شَبَّ .

3 لم يرد البيتان في ديوانه .

الحن . وفيه لعبد الله بن يونس الأبلِّي رَمْلٌ عن الهشامي .

والغناء في : [من الخفيف]

إِنَّ لَيْلى وَقَدْ بَلَغَتْ المَشِيئا

لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لكَرْدَمٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى عن عمرو أيضاً .
وذكر إبراهيم أَنَّ فِيهِ لَحْنًا لِعَطَرْدٍ ، وَلَمْ يَجْنِسْهُ .

[حديث عمر مع النوار]

أخبرني محمد بن خلف بن المزيان قال حدَّثني محمد بن منصور الأزديّ قال حدَّثني
أبي عن الهيثم بن عديّ قال : بينما عمر بن أبي ربيعة منصرفٌ من المزدلفة يريد منى إذ
بَصُرَ بامرأة في رِحَالَةٍ فَفَتِنَ ، وَسمع عَجُوزاً معها تُناديها : يا نَوَارُ اسْتَرِي لا يَفْضَحُكُ ابن
أبي ربيعة . فَاتَّبَعَهَا عمر وَقَدْ شَعَلَتْ قلبه حتّى نزلت بمنى في مِضْرَبٍ قد ضُرِبَ لها ، فنزل
إلى جنب المضرب ، ولم يزل يَتَلَطَّفُ حتّى جلس معها وحادثها ، وإذا أحسنُ الناسُ وجهاً
وأحلاه مَنطِقاً ، فزاد ذلك في إعجاب عمر بها . ثم أراد معاودتها فتعذّر ذلك عليه ،
وكان آخر عهده ؛ فقال فيها¹ :

صوت

وَصَبَا فلم تترك له عقلا	عَلِقَ النَّوَارُ فُؤَادُهُ جَهْلًا
أَمْسَى الفؤادُ يَرى لها مِثْلًا	وَتَعَرَّضْتُ لي في المَسِيرِ فما
تَغْدُو بِسَقَطِ صَرِيمةٍ طِفْلًا ²	ما نَعِجَةٌ من وحشٍ ذِي بَقَرٍ
وَأَرَدْتُ كَشْفَ قِنَاعِها : مَهْلًا	بِالَّذِ مِنْها إِذْ تقول لنا
تَجْزِي وَلَسْتُ بواصلٍ حَبْلًا	دَعْنَا فَإِنَّكَ لا مُكَارِمةَ
أَمْسَى لِقَلْبِكَ ذِكْرُهُ شُغْلًا	وعَلَيْكَ مَنْ تَبَلَّ الفؤادَ وإن
فَدَعَيْ العِتَابَ وأَحْدِثْني بَذْلًا ³	فَأَجَبْتُها إِنَّ المَحَبَّ مُكَلِّفٌ

الغناء لابن مُحَرِّزٍ خفيف ثَقِيلٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ثاني ثَقِيلٌ
بالبنصر ينسب إلى ابن عائشة .

1 ديوان عمر : 334 .

2 النعجة : البقرة . الصريمة : الرملة المنقطعة عن الرمال ، وسقطها : منتهأها .

3 مكلف : مثل كلف .

[عمر وأمّ الحكم]

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو عبد الله السدوسي عن عيسى بن إسماعيل العتكي عن هشام بن الكلبي عن أبيه قال : حجّت امرأة من بني أمية يقال لها أمّ الحكم ، فقدمت قبل أوّل الحجّ معتمرة . فبينما هي تطوف على بغلة لها إذ مرّت على عمر بن أبي ربيعة في نفر من بني مخزوم وهم جلوس يتحدّثون وقد فرّعهم¹ طولاً وجهرهم جمالاً وبهرهم شارةً وعارضةً وبياناً ، فمالت إليهم ونزلت عندهم ، فتحدّثت معهم طويلاً ثم انصرفت . ولم يزل عمر يتردّد إليها إلى أن انقضت أيام الحجّ ، فرحلت إلى الشام . وفيها يقول عمر : [من المتقارب]

تأوّب ليّلي بنصب وهمّ وعاودت ذكرى لأمّ الحكم²
فبت أراقب ليل التمام ، من نام من عاشق لم أنم
فإن تريني على ما عرا ضعيف القيام شديد السقم
قد كتب فوق الفراش ما إن تقلّ قيامي قدّم
بأنسية طيب نشرها هضم الحشا غدبة المتسّم

في أوّل الأبيات الثلاثة غناء . وقبلها وهو أوّل الصوت :

صوت

وفتيان صدق صياح الوجو ه لا يجدون لشيء³ ألم
من آل المغيرة لا يشهدون عند المجازير لحم الوضّم⁴

الغناء في هذه الأبيات لمالك خفيف ثقيل الثاني بالبنصر وهو الذي يقال له الماخوري ، عن عمرو . وفيه ثاني ثقيل يُنسب إلى ابن سريج والغريض ودحمان . وفيه لابن المكّي خفيف رملي .

[حديث عمر مع سكينه بنت الحسين]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفّان عن إسحاق عن أبي عبد الله الزبيري قال : اجتمع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف ، فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه ، فتشوّقن إليه وتمنّينّه ؛ فقالت سكينه بنت الحسين عليهما السلام : أنا لكنّ به . فأرسلت إليه رسولاً وواعدته الصوّرين ، وسمّت له الليلة والوقت ، وواعدت

1 فرعهم : زاد عليهم طولاً .

2 النصب : الغناء . لم ترد هذه الأبيات في الديوان .

3 ديوان عمر : 389 .

4 الوضّم : خشب أو نحوه يقطع فوقه اللحم ؛ ولحم الوضّم : لحم يقطع للميسر ، وهو يفرق على الفقراء .

صواحباتها ؛ فوافاهنَّ عمر على راحلته ، فحدّثنَّ حتى أضاء الفجر وحن انصرافهنَّ . فقال
لهنَّ : والله إنِّي محتاج إلى زيارة قبر رسول الله ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكن لا أخلط
بزيارتكنَّ شيئاً . ثم انصرف إلى مكة وقال¹ :

صوت

قالت سُكَيْنَةُ والدموعُ ذَوَارِفُ منها على الخَدَّيْنِ والجِلْبَابِ
لَيْتَ الْمُغِيرَى الذي لم أَجْزِهِ فيما أطال تصِيدِي وطلايِي
كانت تردُّ لنا المُنَى أَيْامَنَا إذ لا نُلَامُ على هَوَى وتَصَايِي
خَبِرْتُ ما قالتْ فَبِتُّ كَأَنَّمَا تَرْمِي الحِشَا بِنَوَافِدِ النَّشَابِ
أُسْكِنَ ما ماءُ الفُراتِ وطِيبُهُ مِنِّي على ظمِلٍ وفَقْدِ شَرَابِ
بَالَدٌ مِنْكَ وإن نَأَيْتِ وَقَلَّمَا ترعى النساءُ أمانةَ العُيَابِ

الغناء للهذليَّ رَمَلُ بالوسطى عن الهشاميِّ . وفيه للغريض خفيف ثقيل بالوسطى عن
حبشٍ . قال وقال فيها :

صوت

أَحِبُّ لِحَبْلِكَ مَنْ لم يكن صَفِيّاً لِنَفْسِي ولا صاحِبَا
وَأَبْذُلُ نَفْسِي لِمَرْضَاتِكُمْ وَأُعْتَبُ مَنْ جاءَكم عَاتِبَا
وَأَرْغَبُ في وُدِّ مَنْ لم أَكن إلى وُدِّه قَبْلَكم رَاغِبَا
ولو سَلَكَ النَّاسُ في جانبٍ مِنَ الأرضِ واعتزلتْ جانِبَا
لَيَمَمْتُ طَيْبَتَهَا ، إِنَّنِي أَرى قُرْبُهَا العَجَبَ العَاجِبَا
فما ظُيِّبَتْ من طِبَاءِ الأَرَا لِكِ تَقَرُّو دَمِيتِ الرُّبَى عَاشِبَا²
بأحسنَ منها غَدَاةَ الغَمِيمِ وقد أَبَدتِ الخَدَّ والحَاجِبَا³
غَدَاةَ تَقُولُ على رِقَبَةٍ لِحَاجِمِهَا : يا أَحْسِي الرَّاكِبَا
فَقالتْ لها : فِيمَ هذا الكلامُ وَأَبَدتْ لها عَابِساً قَاطِبَا
فَقالتْ كَرِيمٌ أتى زائِراً يَمُرُّ بَكم هَكَذا جانِبَا

1 ديوان عمر : 63 وفيه أنه قالها في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف .

2 يقرؤ : يتبع ، ودميت الربى : السهل اللين منها .

3 الغميم : اسم موضع بين مكة والمدينة .

شريفٌ أتى ربُّعنا زائراً فأكرهه رجعتَه خائباً

[بغوم وأسماء]

غنى في الأوّل والثاني والرابع والخامس من هذه الأبيات ابن القفاص المكيّ ، ولحنه رملٌ من رواية الهشاميّ : وحدثني وكيعٌ وابن المزيان وعمي قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحراميّ قال حدثنا محمد بن معن الغفاريّ قال حدثني سُفيان بن عُيينة قال : بينا أنا ومِسْعَرُ بن كِدَامٍ مع إسماعيل بن أميّة بفناء الكعبة إذا بعجوز قد طلعت علينا عوراء متكئة على عصا يُصَفِّقُ أحدٌ لحبيها على الآخر ، فوقفت على إسماعيل فسلمت عليه ، فردّ عليها السلام ، وساءلها فأحفى¹ المسألة ، ثم انصرفت . فقال إسماعيل : لا إله إلا الله ؛ ماذا تفعل الدنيا بأهلها ؟ ثم أقبل علينا فقال : أتعرفان هذه ؟ قلنا : لا والله ، ومن هي ؟ قال : هذه «بُغُوم» ابن أبي ربيعة التي يقول فيها :

حَبَّذَا أَنْتِ يَا بُغُومُ وَأَسْمَا ۖ وَعِصْ يَكُنُّنَا وَخَلَاءُ²

أنظرا كيف صارت ، وما كان بمكة امرأة أجمل منها . قال : فقال له مِسْعَرُ : لا وربّ هذه البنيّة ، ما أرى أنّه كان عند هذه خيرٌ قطّ . وفي هذه الأبيات يقول عمر³ :

[من الخفيف]

صوت

صَرَمْتُ حَبْلَكَ الْبُغُومُ وَصَدَّتْ	عَنْكَ فِي غَيْرِ رِبِيَّةٍ أَسْمَاءُ
وَالْعَوَانِي إِذَا رَأَيْتُكَ كَهَلًا	كَانَ فِيهِنَّ عَنْ هَوَاكَ التَّوَاءُ
حَبَّذَا أَنْتِ يَا بُغُومُ وَأَسْمَا	ۖ وَعِصْ يَكُنُّنَا وَخَلَاءُ
وَلَقَدْ قُلْتُ لَيْلَةَ الْجَزْلِ لِمَا	أَخْضَلْتُ رُبُطَتِي عَلَى السَّمَاءِ ⁴
لَيْتَ شِعْرِي ، وَهَلْ يَرُدُّنَّ لَيْتٌ ،	هَلْ لِهَذَا عِنْدَ الرَّبَابِ جِزَاءُ
كُلُّ وَصَلٍ أُمْسَى لَدِي لِأَنْتِي	غَيْرِهَا وَصَلُهَا إِلَيْهَا أَدَاءُ
كَلَّ خَلْقٍ وَإِنْ دَنَا لِرُوصَالٍ	أَوْ نَأَى فَهُوَ لِلرَّبَابِ الْفِدَاءُ
فَعِدِّي نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تُنِيلِي	إِنَّمَا يَنْفَعُ الْمَحَبَّ الرَّجَاءُ

1 أحفى المسألة : بالغ وأطال في السؤال .

2 العيص : الشجر الكثيف .

3 ديوان عمر : 15 .

4 الجزل : اسم موضع قرب مكة .

لمعبد في : «ولقد قلت ليلة الجزل . . .» والذي بعده خفيفٌ ثَقِيلٌ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن يونس وإسحاق ودنانير ، [وهو من مشهور غنائه] .

أخبرني الحرَمي قال حدثنا الزبير قال حدثتني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مُصعب عن ذهيبه مولاة محمد بن مصعب بن الزبير قالت : كنتُ عند أمة الواحد أو أمة المجيد بنتِ عمر بن أبي ربيعة في الجُنُبْد¹ الذي في بيت سُكينة بنتِ خالد بن مصعب أنا وأبوها عمر وجاريتان له تُغنيان ، يقال لإحادهما البُغوم ، والأخرى أسماء . وكانت أمةُ المجيد بنت عمر تحت محمد بن مُصعب بن الزبير . قالت : فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في الجُنُبْد هذه الأبيات . فلَمَّا انتهى إلى قوله :

ولقد قلتُ ليلةَ الجزلِ لَمَّا أَخْضَلْتُ رِيطَتِي عَلَى السَّمَاءِ

خرجتِ البُغومُ ثم رجعت إليه فقالت : ما رأيتُ أكذبَ منك يا عمر ! تزعم أنك بالجزلِ وأنت في جُنُبْد محمد بن مصعب ، وتزعم أن السماء أَخْضَلْتُ رِيطَتَكَ وليس في السماء قَرَعَةٌ² ؛ قال : هكذا يستقيم هذا الشأن .

وأخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق عن المُسيَّبِي ومحمد بن سَلَّام أن عمر أنشد ابنَ أبي عتيق قوله :

جَبَدَا أَنْتِ يَا بَغُومُ وَأَسْمَا ۖ وَعِصْ يَكُنُّنَا وَخِلَاءُ

فقال له : ما أبقيتَ شيئاً يُتَمَنَّى يا أبا الخطاب إلا مَرَجَلًا يُسَخِّنُ لَكُمْ فِيهِ الْمَاءُ لِلْغُسْلِ .

[عمر وبنو مروان بن الحكم]

أخبرني ابن المَرْزُبَان قال حدثني إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : حَجَّتْ أُمُّ مُحَمَّدٍ بنتُ مروان بن الحَكَم ، فَلَمَّا قَضَتْ نُسُكَهَا أَتَتْ عمر بن أبي ربيعة وقد أخفتُ نفسها في نِسوة ، فحدثتها مَلِيًّا . فَلَمَّا انصرفت أَتَبَعَهَا عمرُ رسولاً عَرَفَ موضعها وسأل عنها حتى أثبتتها ؛ فعادت إليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إياها . فقالت : نَشَدْتُكَ اللهُ أَنْ تُشَهِّرَنِي بِشِعْرِكَ ؛ وَبَعَثْتَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَبِلَهَا وَابْتَاعَ بِهَا حُلًّا وَطَبِيًّا فَأَهْدَاهُ إِلَيْهَا ، فَرَدَّتْهُ . فقال لها : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَقْبَلِيهِ لِأَنْهَيْتَهُ ، فَيَكُونُ مشهوراً ؛ فَقَبِلْتَهُ وَرَحَلَتْ . فقال فيها³ :

1 الجُنُبْد : بناء مرتفع مستدير .

2 القرع : ما تنثر من الغيم .

3 ديوان عمر : 176 .

صوت

أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُجِدُّ ابْتِكَارَا قَدْ قَضَى مِنْ تِهَامَةٍ الْأُوطَارَا
مَنْ يَكُنْ قَلْبُهُ صَاحِحًا سَلِمًا ففُؤَادِي بِالْخَيْفِ أُمْسَى مُعَارَا
لَيْتَ ذَا الدَّهْرَ كَانَ حَتْمًا عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمَيْنِ حِجَّةً وَاعْتِمَارَا

الغناء لابن مُجَرِّزٍ ولحنه من القَدَرِ الأوسط من الثَّقِيلِ الأوَّلِ بالخِنَصِرِ في مجرى الوُسْطَى عن إِسْحَاقَ ، وفيه أيضاً له خفيف ثقيل بالوُسْطَى عن ابن المَكِّي . وفيه لُذْكَاءُ وَجْهِ الرُّزَّةِ الْمُعْتَمِدِيَّ ثَقِيلِ أَوَّلٍ من جَيْدِ الغناء وفاخِرِ الصَّنْعَةِ ليس لأحد من طبقته وأهل صنعته مثله . وأنشد ابن أبي عتيق قول عمر هذا ، فقال : الله أرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته لَيْتَمَ لك فسُقُوكَ .

[عمر وحميدة جارية ابن تفاعحة]

أخبرني ابن المرزبان قال أخبرني أحمد بن يحيى القرشي عن أبي الحسن الأزدي عن جماعة من الرواة : أن عمر كان يهوى حميدة جارية ابن تفاعحة ؛ وفيها يقول¹ : [من الخفيف]

صوت

حُمِّلَ الْقَلْبُ مِنْ حُمَيْدَةٍ ثَقُلَا إِنَّ فِي ذَاكَ لِلْفُؤَادِ لَشُغْلَا
إِنْ فَعَلْتُ الَّذِي سَأَلْتَ فَقُولِي حَمْدٌ خَيْرٌ وَأَتَّبِعِي الْقَوْلَ فِعْلَا
وَصَلِّينِي فَأُشْهِدُ اللَّهَ أَنِّي لَسْتُ أَصْفِي سِوَاكَ مَا عَشْتُ وَصَلَا

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوُسْطَى عن يحيى المَكِّيِّ والحشامي . وفيها يقول² : [من الكامل]

صوت

يَا قَلْبُ هَلْ لَكَ عَنْ حُمَيْدَةٍ زَاغُرُ أَمْ أَنْتَ مُدَكِّرُ الْحَيَاءِ فَصَابُرُ
فَالْقَلْبُ مِنْ ذِكْرِي حَمِيدَةٌ مُوجَعُ وَالْدَّمْعُ مُنَحْدِرٌ وَعَظْمِي فَاتِرُ
قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّي قَبْلَ الَّذِي فَعَلْتُ عَلَى مَا عِنْدَ حَمْدَةٍ قَادِرُ
حَتَّى بَدَأَ لِي مِنْ حُمَيْدَةٍ خُلَّتِي بَيْنَ وَكُنْتُ مِنَ الْفِرَاقِ أَحَاذِرُ

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البِنَصِرِ عن إِسْحَاقَ .

1 ديوان عمر : 337 .

2 ديوان عمر : 209 وقد سقط فيه البيت الثالث .

[حديث عمر مع بعض جوارى بني أمية في موسم الحج]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم المستملي عن ابن أخي زرقان عن أبيه قال : أدركت مولى لعمر بن أبي ربيعة شيخاً كبيراً ، فقلت له : حدثني عن عمر بحديث غريب ؛ فقال : نعم ، كنت معه ذات يوم ، فاجتاز به نسوة من جوارى بني أمية قد حَجَجْنَ ، فتعرض لهنّ وحادثهنّ وناشدنّ مُدّة أيام حجّهنّ ؛ ثم قالت له إحداهنّ : يا أبا الخطاب ، إنا خارجات في غدٍ فابعث مولاك هذا إلى منزلنا ندفع إليه تذكرة تكون عندك تذكرنا بها . فسرّ بذلك ووجه بي إليهنّ في السحر ، فوجدتهنّ يرْكبن ، فقلنّ لعجوز معهنّ : يا فلانة ، ادفعي إلى مولى أبي الخطاب التذكرة التي اتحفناه بها . فأخرجت إليّ صندوقاً لطيفاً مقللاً مختوماً ؛ فقلنّ : ادفعه إليه وارتحلن . فجئته به وأنا أظنُّ أنه قد أودع طيباً أو جَوْهراً . ففتحه عمر فإذا هو مملوء من المضارب (وهي الكيرنجات)¹ ، وإذا على كل واحد منها اسم رجل من مُجَان مَكّة ، وفيها اثنان كبيران عظيمان ، على أحدهما الحارث بن خالد وهو يومئذ أمير مَكّة ، وعلى الآخر عمر بن أبي ربيعة . فضحك وقال : تماجنّ عليّ ونفد² لهنّ . ثم أصلح مأذبة ودعا كل واحد من له اسم في تلك المضارب . فلما أكلوا واطمانوا للجلوس قال : هات يا غلام تلك الوديعة ، فجئته بالصندوق ؛ ففتحه ودفع إلى الحارث الكيرنج الذي عليه اسمه . فلما أخذه وكشف عنه غطاءه فرزع وقال : ما هذا أخزأك الله ! فقال له : رؤيداً ، اصبر حتى ترى . ثم أخرج واحداً واحداً فدفعه إلى من عليه اسمه حتى فرّقها فيهم ؛ ثم أخرج الذي باسمه وقال : هذا لي . فقالوا له : ويحك ! ما هذا ؟ فحدثهم بالخبر فعجبوا منه ، وما زالوا يتمازحون بذلك دهرًا طويلاً ويضحكون منه .

[قومي تصدي له]

قال وحدثني هذا المولى قال : كنت مع عمر وقد أسنّ وضعف ، فخرج يوماً يمشي متوكئاً على يدي حتى مرّ بعجوز جالسة ، فقال لي : هذه فلانة وكانت إلفاً لي ، وعدل إليها فسلم عليها وجلس عندها وجعل يُحادثها ، ثم قال : هذه التي أقول فيها³ : [من المنسرح]

صوت

أبصرُتها ليلةً ونسوتَها يمشينَ بين المقام والحجرِ

1 الكيرنجات : ما كان في شكل عضو الرجل .

2 نفذ لهن التماجن : أي جاء نافذاً مصيباً .

3 ديوان عمر : 168 مع بعض اختلاف ولم يرد فيه البيت الأخير ضمن هذه الأبيات .

بَيْضاً حِسَاناً نَوَاعِمًا قُطِفَا يَمْشِينَ هَوْنًا كَمِشِيَةِ الْبَقَرِ
 قَالَتْ لِيَرْبِ لَهَا تُلَاطِفُهَا لِنُفْسِدَنَّ الطَّوَافَ فِي عُمَرِ
 قَوْمِي تَصَدِّي لَهُ لِيَعْرِفَنَا ثُمَّ اغْمِزِيهِ يَا أُخْتِ فِي خَفَرِ
 قَالَتْ لَهَا قَدْ غَمَزْتُهُ فَأَبَى ثُمَّ اسْبَطَرْتُ تَشْتَدُّ فِي أَثَرِي¹
 بَلْ يَا خَلِيلِي عَادَنِي ذِكْرِي بَلْ اعْتَرَّتَنِي الْهُمُومُ بِالسَّهَرِ

الغناء لابن سريج في السادس والأول والثاني خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيها
 لِسنانِ الكاتب رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن يونس . وفيها للأبجر خفيف رملٍ بالوسطى عنه .
 وفي :

قالت لتركب لها تُلَاطِفُهَا

لعبد الله بن العباس خفيف رمل بالبصر عن الهشامي ، وفيه للدلال خفيف ثقيل عنه أيضاً .
 ولأبي سعيد مولى فائدٍ في الأول والثاني ثقيل أولٌ عن الهشامي أيضاً ، ومن الناس من ينسب لحنه
 إلى سنان الكاتب وينسب لحن سنان إليه .
 [ملأ فمه ماء ومجّه في وجوهه]

قال : وجلس معها يحدثها ، فأطلعت رأسها إلى البيت وقالت : يا بناتي ، هذا أبو الخطاب
 عمر بن أبي ربيعة عندي ؛ فإن كنتن تشتهين أن تريته فتعالين . فجئن إلى مضرب قد حُجِرَ به
 دون بابها فجعلن يثقبانه ويضعن أعينهن عليه يُبصرن . فاستسقاها عمر ؛ فقالت له : أيُّ الشراب
 أحبُّ إليك ؟ قال : الماء . فأتيت بآناء فيه ماء ، فشرب منه ، ثم ملأ فمه فمجّه عليهن في
 وجوههن من وراء الحاجز ؛ فصاح الجوّاري وتهاربين وجعلن يضحكن . فقالت له العجوز :
 ويلك ! لا تدعُ مُجُونَك وسَفْهَكَ مع هذه السن ! فقال : لا تلوميني ، فما ملكت نفسي لما
 سمعت من حرّكاتهن أن فعلت ما رأيت .

[عمر وامرأة رآها في الطواف]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن منصور بن أبي العلاء الهمداني
 قال حدّثني علي بن طريف الأسدي قال : سمعتُ أبي يقول : بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف
 بالبيت إذ رأى امرأة من أهل العراق فأعجبه جمالها ، فمشى معها حتى عرف موضعها ، ثم
 أتاها فحدثها وناشدها وناشدته وخطبها . فقالت : إن هذا لا يصلح هاهنا ، ولكن إن جئتني
 إلى بلدي وخطبتني إلى أهلي تزوّجتك . فلما ارتحلوا جاء إلى صديق له من بني سَهْمٍ وقال له :

إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً أُرِيدُ أَنْ تُسَاعِدَنِي عَلَيْهَا ؛ فَقَالَ لَهُ نَعَمْ . فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ مَا هِيَ ، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ فَرَكِبَ نَجِيباً لَهُ وَأَرْكَبَهُ نَجِيباً آخَرَ ، وَأَخَذَ مَعَهُ مَا يُصْلِحُهُ ، وَسَارَ لَا يَشْكُ السَّهْمِيَّ فِي أَنَّهُ يَرِيدُ سَفَرَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ؛ فَمَا زَالَ يَحْفَدُ¹ حَتَّى لَحِقَ بِالرُّفْقَةِ ، ثُمَّ سَارَ بِسِرِّهِمْ يُحَادِثُ الْمَرْأَةَ طَوْلَ طَرِيقِهِ وَيُسَايِرُهَا وَيَنْزِلُ عِنْدَهَا إِذَا نَزَلَتْ حَتَّى وَرَدَ الْعِرَاقَ . فَأَقَامَ أَيَّاماً ، ثُمَّ رَاسَلَهَا يَتَنَجَّزُهَا وَعِدَّهَا ؛ فَأَعْلَمَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ مَتَزَوَّجَةً ابْنَ عَمٍّ لَهَا وَوَلَدَتْ مِنْهُ أَوْلَاداً ثُمَّ مَاتَ وَأَوْصَى بِهِمْ وَبِمَالِهِ إِلَيْهَا مَا لَمْ تَتَزَوَّجْ ، وَأَنَّهَا تَخَافُ فُرْقَةَ أَوْلَادِهَا وَزَوَالَ النِّعْمَةِ ؛ وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بِخَمْسَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَاعْتَذَرَتْ ؛ فَردَّهَا عَلَيْهَا وَرَحَلَ إِلَى مَكَّةَ ؛ وَقَالَ فِي ذَلِكَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوْهَاهُ² :

صوت

نَامَ صَحْبِي وَلَمْ أَتُمْ	مِنْ خَيَالٍ بَنَى أَلَمٌ
طَافَ بِالرَّكْبِ مَوْهِناً	بَيْنَ خَاخٍ إِلَى إِضْمٍ ³
ثُمَّ تَبَهَّتْ صَاحِباً	طَيْبَ الْخِيَمِ وَالشَّيْمِ
أُرِيحِيّاً مُسَاعِداً	غَيْرَ نِكْسٍ وَلَا بَرَمٍ
قُلْتُ يَا عَمْرُو شَفَّنِي	لَا عَجْ الْحُبِّ وَالْأَلَمِ
أَيْتَ هِنْدًا فَقُلْ لَهَا	لَيْلَةَ الْخَيْفِ ذِي السَّلَمِ

الغناء لمالك خفيف رَمَلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه لعبد الله بن العباس الرُّبَيْعِيّ خفيف رَمَلٍ من رواية عمرو بن بانه ، وذكر حبش أن لَحْنَ عبد الله بن العباس رَمَلٍ آخر عن الهشامي .

[شهادة جرير في شعر عمر ثانية]

أخبرني محمد بن خلف قال حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنْ ابْنِ عَائِشَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ جَرِيرٌ إِذَا أُنْشِدَ شِعْرَ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ قَالَ : شِعْرٌ تَهَامِيٌّ إِذَا أَتَجَدَ وَجَدَ الْبَرْدَ ، حَتَّى أُنْشِدَ قَوْلَهُ :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْضَرُ

... الأبيات . فقال : ما زال هذا يَهْذِي حَتَّى قَالَ الشَّعْرَ .

1 يحفد : يسعى ويسرع .

2 ديوان عمر : 395 .

3 خاخ وإضم : موضعان .

[عمر والغزل بعد أن نسل]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمّي عن عثمان بن إبراهيم الخاطبيّ ، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن أبان قال أخبرني العنبيّ عن أبي زيد الزبيريّ عن عثمان بن إبراهيم الخاطبيّ قال : أتيتُ عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسلَ بسنين وهو في مجلس قومه من بني مخزوم ، فانتظرتُ حتى تفرّق القوم ، ثم دنوتُ منه ومعني صاحبٌ لي ظريفٌ وكان قد قال لي : تعالَ حتى نهيجَ على ذكر الغزل ، فننظرُ هل بقي في نفسه منه شيء . فقال له صاحبي : يا أبا الخطاب ، أكرمك الله ؛ لقد أحسن العذريّ وأجاد فيما قال . فنظر عمر إليه ثم قال له : وماذا قال ؟ قال : حيث يقول :

لو جُدَّ بالسيفِ رأسي في مودَّتِها لمرَّ يهوي سريعاً نحوها رأسي¹
قال : فارتاح عمر إلى قوله وقال : هاه ! لقد أجاد وأحسن ؛ فقلت : والله درُ جنادة العذري ؛ فقال عمر حيث يقول ماذا ويحك ؟ فقلت : حيث يقول :

سَرَتْ لَعِينُكَ سَلَمَى بعد مَغْفَاها فَبِتْ مُسْتَنبِهاً من بعد مَسْراها
وقلتُ أهلاً وسهلاً مَنْ هَذَاكِ لنا إن كنتِ تَمَثَّلُها أو كنتِ إِيّاها
مِنْ حَبِّها أتمنّى أن يلاقيني مِنْ نَحْوِ بَلَدِها ناعٍ فِينِعاها
كيما أقولَ فراقٌ لا لِقَاءَ له وتُصِمِرُ النفسُ يأساً ثم تَسْلَاها
ولو تموتُ لراعَتَنِي وُقُلتُ ألا يا بُوسَ للموتِ لَيْتَ الموتُ أَبْقَاها
قال : فضحك عمر ثم قال : وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقي ، ولقد هيّجتُما عليّ ساكناً ، وذكّرْتُماني ما كان عني غائباً ، ولأحدتُكما حديثاً حُلواً :

[عمر وهند بنت الحارث المريّة]

بينا أنا منذ أعوام جالسٌ ، إذ أتاني خالدُ الخريّثُ ، فقال لي : يا أبا الخطاب ، مرّت بي أربعُ نُسوةٍ قُبيلَ العشاء يُردُنَ موضعَ كذا وكذا لم أرَ مثلهنّ في بَدْوٍ ولا حَضَرٍ ، فيهنّ هند بنت الحارث المريّة ، فهل لك أن تأتيهنّ متنكراً فتسمع من حديثهنّ وتتمتع بالنظر إليهنّ ولا يعلمنَ مَنْ أنت ؟ فقلت له : ويحك ، وكيف لي أن أخفي نفسي ؟ قال : تلبسَ لبسةً أعراييّ ثم تجلسَ على قَعُودٍ [ثم اتّينهنّ فسَلِمَ عليهنّ] ، فلا يشعرُنَ إلّا بك قد هَجَمَتَ عليهنّ . ففعلتُ ما قال ، وجلستُ على قَعُودٍ ، ثم أتيتهنّ فسَلِمَت عليهنّ ثم وقفتُ بقربهنّ . فسألنني أن أنشدنَّ وأحدثنَّ ، فأنشدتُنَّ

1 مختلف في نسبته . فهو ينسب إلى ريسان العذري أو إلى نجدة بن جنادة العذري .

لَكُثِيرٍ وَجَمِيلٍ وَالْأَحْوصُ وَنُصِيبٌ وَغَيْرُهُمْ . فقلن لي : وَيَحْكُ يا أعرابي ؛ ما أَمْلَحَكَ وَأَظْرَفَكَ !
لو نزلت فتحدّثتَ معنا يوماً هذا ؛ فإذا أُمْسِيتَ انصرفت في حفظ الله . قال : فَأَنْخْتُ بِعِيرِي ثُمَّ
تحدّثتَ معهنّ وأنشدتهنّ ، فسُرِرْنَ بي وَجَدَلْنَ بِقُرْبِي وأعجبهنّ حديثي . قال : ثُمَّ إِنَّهُنَّ تَغَامَزْنَ
وجعل بعضهنّ يقول لبعض : كَأَنَّا نَعْرِفُ هَذَا الْأَعْرَابِي ؛ ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة ! فقالت
إحداهنّ : فهو والله عمر ، فمدّتْ هُنْدُ يَدَهَا فانزعّت عِمَامَتِي فَأَلْقَتْهَا عَنْ رَأْسِي ثُمَّ قَالَتْ لي : هِيَه
بِاللَّهِ يا عمر ؛ أَتُرَاكَ خَدَعْتَنَا مِنْذُ الْيَوْمِ ، بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد ، فأرسلناه إليك
لِتَأْتِيَنَا فِي أَسْوَأِ هَيْئَةٍ وَنَحْنُ كَمَا تَرَى . قال عمر : ثُمَّ أَخَذْنَا فِي الْحَدِيثِ ؛ فقالت هند : وَيَحْكُ يا عمر ؛
اسمع مني ، لو رأيتني منذ أَيَّامٍ وَأَصْبَحْتَ عِنْدَ أَهْلِي ، فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي فِي جِيبِي ، فنظرتُ إِلَى حِرِي
فإذا هو مِلٌّ الْكَفِّ وَمُنِيَّةُ الْمُتَمَنِّي ، فناديت يا عُمَرَا يا عُمَرَا ، قال عمر : فَصَبَحْتُ يَا لَبِيكَا يا
لَبِيكَا¹ ؛ ثلاثاً ومددتُ في الثالثة صوتي ، فضحكتُ . وحادثتهنّ ساعة ، ثُمَّ ودّعتهنّ وانصرفتُ .
فذلك قولي² :

صوت

عَرَفْتُ مَصِيفَ الْحَيِّ وَالمُتَرَبِّعَا	يَبْطُنُ حُلَيَّاتِ دَوَارِسَ بَلْقَعَا
إِلَى السَّفْحِ مِنْ وَادِي الْمَغْمَسِ بَدَلْتُ	مَعَالِمُهُ وَبَلَاءَ وَنَكْبَاءَ زَعَزَعَا
لَهْنِدٍ وَأَتْرَابٍ لَهْنِدٍ إِذِ الْهُوَى	جَمِيعٌ وَإِذْ لَمْ نَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعَا
وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مِزَاجُهُ	كَمَا صَفَّقَ السَّاقِي الرِّحِيقَ الْمُشْعَشَعَا ³
وَإِذْ لَا نَطِيعُ الْكَاشِحِينَ وَلَا نَرَى	لَوْاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الصَّرْمَ مَوْضِعَا ⁴

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن المشاميّ ومن نسخة عمرو الثانية . وفيه لابن
جامع وابن عبّادٍ لحنان من كتاب إبراهيم . وفيها يقول ، وفيه غناء : [من الطويل]

صوت

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقْتُ	وَجُوهَ زَهَاها الْحَسَنُ أَنْ تَتَّقِنَا
تَبَالَهِنَّ بِالْعُرْفَانِ لَمَّا رَأَيْتُنِي	وَقُلْنَ امْرُؤُ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا ⁵

1 ل : يا للبيك للبيك (مع تصحيف) .

2 ديوان عمر : 227-229 .

3 كما في ل : إذا .

4 موضعا في ل : مطمعا .

5 في رواية : لما عرفني . أكل : تعب ؛ أوضعا : أسرع .

وَقَرَّبْنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمُتَيِّمٍ يقيسُ ذِرَاعاً كُلَّمَا قَسَنَ إصْبَعاً
الغناء لابن عَبَّادٍ رَمَلٌ عن الهشامي . وفيه لابن جامع لحنٌ من كتاب إبراهيم غيرُ مجنَّسٍ .
[هذه الأبيات مقرونة بالأولى ، والصنعة في جميعها مختلفة ، يُغني المُنُونُ بعضَ هذه وبعضَ
تلك ويخلطونهما ، والصنعة لمن قَدَّمْتُ ذِكْرَهُ] . وهي قصيدة طويلة ، ذَكَرْتُ منها ما فيه
صنعة .

ومَّا قاله في هند هذه وَغَنِّي فيه قَوْلُهُ¹ :

صوت

ألم تسأل الأطلالَ والمنزلَ الخَلَقَ بَرَقَةَ ذي ضالٍ فيخبرَ إن نطقَ²
ذَكَرْتُ بهِ هنداَ فَظِلْتُ كَأَنِّي أخو نَشْوَةٍ لاقَى الحوانيتَ فاغْتَبَقُ
الغناء لِعَطْرِدٍ ولحنه من القَدْرِ الأوسط من الثَقيلِ الأوَّلِ بالخِصَرِ في مجرى البِنَصْرِ عن
إسحاق . وفيه لمبعدٍ ثَقِيلٌ أوَّلٌ بالوسطى عن الهشامي . وذكر حبشٌ أنَّ فيه للغريض ثاني ثَقِيلٍ
بالوسطى . ومنها³ :

صوت

أصبح القلبُ مَهِيضاً راجعَ الحُبِّ الغَرِيضاً⁴
وأجدُّ الشوقَ وَهْناً أن رأى بَرَقاً وَمِيضاً
ثم باتَ الرُّكْبُ نُوًّا مآ ولم أَطعمَ غُمُوضاً
ذاك من هندٍ قديماً تَرَكُهَا القلبَ مَهِيضاً⁵
وتبدَّتْ ثم أبَدَتْ واضحَ اللُّونِ نَحِيضاً⁶
وعذابَ الطَّعمِ غُرّاً كَأَقاجِي الرَّمْلِ يَبِضاً
الغناء لابن مُحَرِّزٍ خفيفٌ ثَقِيلٌ بالسَّبابَةِ في مَجْرَى البِنَصْرِ . وفيه لحكمٌ هَزَجٌ بالوسطى
عن عمرو ، وقيل : إنه يَمَانٍ . ومن الناس من يَنْسُبُ لحنَ ابن مُحَرِّزٍ إلى ابنِ مِسْجَحٍ .

1 ديوان عمر : 278 .

2 برقة ذي ضال : رملة في ديار بني عذرة .

3 ديوان عمر : 221 .

4 مهیضا في رواية : «مريضاً» .

5 تركها في ل : رجعها .

6 النحيض : الكثير اللحم .

ومنها¹ :

[من الطويل]

صوت

أرَبْتُ إلى هَندٍ وترَبَّينَ مرَّةً² لها إذ تواقفنا بِفرعِ المَقطَعِ³
[لِتَعْرِيجِ يومٍ أو لَتَعْرِيسِ ليلةٍ علينا بِجَمْعِ الشَّمْلِ قبلَ التَّصَدُّعِ
فَقُلْنَ لها لولا ارتقَابُ صَحَابَةِ لنا خَلَفْنَا عُنْجَا ولم تَتَوَرَّعِ]
وقالت فتاةٌ كُنتُ أَحْسِبُ أَنَّها مُغَفَّلَةٌ في مِئْزَرٍ لم تُدَرِّعِ
لهنَّ ، وما شاورَنَّها ، ليس ما أرى بِحُسْنِ جزاءٍ لِلحَبِيبِ المودِّعِ
فَقُلْنَ لها لا شَبَّ قَرْنُكَ فافتَحِي لنا بابَ ما يَخْفَى من الأمرِ نَسْمَعِ⁴

وهي أبياتٌ . الغناء للغريض وَلَحْنُهُ من القَدَرِ الأوسطِ من الثَّقِيلِ الأوَّلِ بالخنصرِ في
مَجْرَى البِصْرِ عن إِسْحاقَ ، وذكر ابنُ المَكِّي أَنَّهُ لابنُ سَريجَ . ومنها⁴ : [من البسيط]

صوت

لَمَّا أَلَمْتُ بِأَصْحَابِي وقد هَجَعُوا حَسِبْتُ وَسَطَ رِحالِ القومِ عَطَّارًا
فَقُلْتُ مَنْ ذا المُحَيِّي واتَّبَعْتُ له وَمَنْ مُحَدِّثُنا هذا الذي زارا ؟
أَلَّا انزِلُوا نَعِمْتَ دارٌ بِقَرِيبِكُمْ أَهلاً وَسَهْلاً بِكُمْ مِنْ زائرٍ زارا
فَبَدَّلَ الرَّبْعُ مَنْ كان يَسْكُنُهُ عُفَرَ الطَّبَّاءِ به يَمَشِينُ أَسطارا

الغناء لابن سَريجَ رَمَلٌ بالخِنصرِ في مَجْرَى البِصْرِ عن إِسْحاقَ . وفيه ليونس خفيف ثَقِيلُ .
وفيه لأبي⁵ فَاَرَةَ هَزَجٌ بالبِصْرِ . وأوَّلُ هذه القصيدة التي فيها ذَكَرُ هَندَ قولُهُ⁶ : [من البسيط]

يا صاحِبِي قِفا نَسْتَخِيرِ الدارا أَقوتُ وَهاجَتْ لنا بِالنَّعْفِ تَدْكارا
وقد أرى مرَّةً سَرِياً بها حَسَنًا مِثْلَ الجادِرِ لم يُمَسِّسَنَّ أَبْكارا
فِيهِنَّ هَندٌ وَهَندٌ لا شَبِيهَ لها فَيَمُنْ أَقامَ مِنَ الأحياءِ أو سارا

1 ديوان عمر : 234 .

2 أرَبْتُ : احتجت واشفقت . فرع المقطع : اسم موضع .

3 لا شَبَّ قَرْنُكَ : لا كبرت .

4 ديوان عمر : 143 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

5 ل : لابن .

6 ديوان عمر : 142-143 .

تقولُ لَيْتَ أبا الخَطَّابِ وافقنا
 فلم يَرُعْهُنَّ إِلَّا العِيسُ طالعةً
 وفارسٌ يحمل البازي فقلن لها
 لما وَقَفْنَا وَعَنَّا رَكابنا
 كي نَلْهُوَ اليَوْمَ أو نُنْشَدَ أشعارا
 بالقومِ يَحْمِلُنَ رُكباناً وأَكواراً¹
 ها هُمُ أولاءِ وما أَكْثَرْنَ إكثارا
 بُدِّلْنَ بِالْعُرْفِ بعد الرَّجْعِ إنكاراً²

ومنها³ :

[من مجزوء الوافر]

صوت

أَلَمْ تَرُبْعُ عَلَى الطَّلَلِ وَمَغْنَى الْحَيِّ كَالْخِلَالِ
 لَهْنِدٍ إِنْ هَنداً حُبُّهَا قَدْ كَانَ مِنْ شُعْلِي
 [فلما أَنْ عَرَفْتُ الدَّاءَ رَ عُبْتُ لِرَسْمِهَا جَمَلِي
 وقلتُ لَصُحْبَتِي عُوجُوا فَعاجُوا هِزَّةَ الإِبِلِ]
 وقالوا قِفْ وَلَا تَعَجِّلْ وَإِنْ كُنَّا عَلَى عَجَلٍ
 قليلٌ فِي هَوَاكَ اليَوْمَ مَ ما نَلْقَى مِنَ الْعَمَلِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقیل مُطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه [له] أيضاً رملٌ
 عن الهشاميّ وحَبَشَ . ومنها⁴ :

صوت

هاج ذا القلبَ منزلُ بِالْبَلْيَيْنِ مُحْوَلُ
 غَيَّرْتُ آيَهُ الصَّبَا وَجُنُوبٌ وَشَمَالُ
 إِنْ هَنداً قَدْ أَرَسَلْتُ وَأَخُو الشَّوْقِ مُرْسِلُ
 أَرَسَلْتُ تَسْتَحِثُّنِي وَتَفْدِي وَتَعْذِلُ
 أَيْنَا باتَ لَيْلَهُ بَيْنَ غُصْنَيْنِ يُوبَلُ
 تحتَ عَيْنٍ يَكُنُّنَا بُرْدُ عَصَبٍ مُهْلَهْلُ

في هذه الأبيات خفيف ثقیل مُطلق في مجرى البِصْر ، ذكر إسحاق أَنَّهُ لِمَالِك ، وذكر

1 أكوار : جمع كور وهو رحل الناقة .

2 وَعَنَّا في ل : وغينا ؛ وعنن الفرس : قلده العنان . الرجوع : ترديد النظر .

3 ديوان عمر : 291 .

4 قارن بديوان عمر : 299-300 وفيه أَنَّ الأبيات في زينب بنت موسى الجمحية مع اختلاف شديد في الرواية .

عمرو أنه لابن مُحَرِّز . وذكر يونس أن فيها لحناً لابن محرز ولحناً لمالك . وقال عمرو في نسخته الثانية : إنه لابن زُرَّز الطائفي خفيفٌ ثقيلٌ بالوسطى ، وروى مثل ذلك دنانير عن فليح . وفيها لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البصر عن إسحاق . وفيها لعبد الله بن موسى الهادي ثاني ثقيل من مجموعته ورواية الهشامي . وفيه لحكم هَزَجٌ بالخِصر والبصر عن ابن المكي . وفيه للحجبي¹ رَمَلٌ عن الهشامي . وفيه ثقيلٌ أولُ نسبه ابن المكي إلى ابن مُحَرِّز ، وذكر الهشامي أنه منحول . وفيه خفيف رَمَلٌ ذكر الهشامي أنه لحن ابن مُحَرِّز . ومنها² : [من الكامل]

صوت

يا صاح هل تدري وقد جَمَدْتُ عَيْنِي بما أَلْقَى من الوجدِ³
لَمَّا رَأَيْتُ دِيَارَهَا دَرَسْتُ وَتَبَدَّلْتُ أَعْلَامَهَا بَعْدِي
وَذَكَرْتُ مَجْلِسَهَا وَمَجْلِسَنَا ذَاتَ الْعِشَاءِ بِمَهْطِ النَّجْدِ
وَرِسَالَةً مِنْهَا تُعَاتِبُنِي فَرَدَدْتُ مَعْبَةً عَلَى هِنْدِ
الغناء ليحيى المكي رَمَلٌ بالوسطى . وفيه لغيره ألحان آخر . ومنها⁴ : [من الرمل]

صوت

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَجِدُ
وَأَسْتَبَدْتُ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُ
وَلَقَدْ قَالَتْ لَجَارَاتٍ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ وَتَعَرَّتْ تَبَرَّدُ

ويروى : زَعَمُوهَا سَأَلْتُ جَارَاتِهَا

أَكْمَا يَنْعَتُنِي تُبْصِرُنِي عَمَرُكُنَّ اللَّهُ أَمْ لَا يَقْتَصِدُ
فَتَضَاحَكُنَّ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ
حَسَدًا حُمْلَنَهُ مِنْ أَجْلِهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

الغناء لابن سريج رمل بالخِصر في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه لحنٌ لمالك من كتاب يونس غيرُ مجلس . وفيه لابن سريج خفيف رمل بالبصر عن عمرو ، وذكره إسحاق في خفيف الثقيل بالخِصر في مجرى البصر ولم ينسبه إلى أحد . وفيه ثاني ثقيل يقال إنه لحنٌ

1 ل : ليحيى .

2 ديوان عمر : 104-105 .

3 ألقى في ل : أخفى .

4 ديوان عمر : 101 .

لمالك ، ويقال إنه مُتِّم . ومنها¹ :

[من مجزوء الرجز]

صوت

هَاجَ الْقَرِيضَ الذَّكَرُ لَمَّا غَدَوْا فَانْشَمَرُوا²
عَلَى بَعَالٍ شُحَّجٍ قَدْ ضَمَّهِنَّ السَّفَرُ³
فِيهِنَّ هَنْدٌ لِيَتْنِي مَا عُمِّرْتُ أَعْمَرُ
حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا حَتَفْتُ أَتَانِي الْقَدَرُ

لابن سُرَيْجٍ فِيهِ لَحْنَانٌ : رَمَلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ ، وَخَفِيفٌ رَمَلٌ عَنْ
الْمُشَامِيِّ . وَمِنْهَا⁴ :

[من السريع]

صوت

يَا مَنْ لِقَلْبٍ دَنَفٍ مُغْرَمٍ هَامَ إِلَى هِنْدٍ وَلَمْ يَظْلَمْ
هَامَ إِلَى رَيْمٍ هَضِيمٍ الْحُشَا عَذَبِ الثَّنَايَا طَيِّبِ الْمُبْسِمِ
لَمْ أَحْسَبِ الشَّمْسَ بَلِيلٍ بَدَتْ قَبْلِي لِذِي لَحْمٍ وَلَا ذِي دَمٍ
قَالَتْ أَلَا إِنَّكَ ذُو مَلَّةٍ يَصْرِفُكَ الْأَذْنَى عَنِ الْأَقْدَمِ
قَلْتُ لَهَا بَلْ أَنْتِ مُعْتَلَّةٌ فِي الْوَصْلِ يَا هَنْدُ لَكِي تَصْرُمِي

الْغَنَاءُ لَابْنِ سُرَيْجٍ رَمَلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ . وَفِيهِ لُبْدِيحٌ لَحْنٌ قَدِيمٌ .
وَقِيلَ : إِنَّ فِيهِ رَمَلًا آخَرَ لِعَمَّارَةَ مَوْلَاةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ . وَمِنْهَا⁵ :

[من الطويل]

صوت

تَصَابِي وَمَا بَعْضُ النَّصَابِي بِطَائِلِ وَعَاوَدَ مِنْ هِنْدٍ جَوَى غَيْرُ زَائِلِ
عَشِيَّةً قَالَتْ صَدَعَتْ غَرْبُهُ النَّوَى فَمَا مِنْ تَلَاقٍ قَدْ أَرَى دُونَ قَابِلِ
وَمَا أَنْسَمَ الْأَشْيَاءَ لَا أَنْسَمَ مَجْلِسًا لَنَا مَرَّةً مِنْهَا بَقَرُنِ الْمَنَازِلِ
بَنَخْلَةٍ بَيْنَ النَّخْلَتَيْنِ يَكُنُنَا مِنَ الْعَيْنِ عِنْدَ الْعَيْنِ بُرْدُ الْمَرَاكِجِ⁶

1 ديوان عمر : 196-197 .

2 انشَمَرُوا : مضوا مسرعين .

3 الشَّحِيجُ : صوت البغل .

4 ديوان عمر : 351 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

5 ديوان عمر : 302 .

6 العين في ل : الغيث .

الغناء للغريض ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْبِنْصَرِ عَنْ عَمْرٍو . وفيه لِلْعُمَانِيِّ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ عَنْ دَنانِيرٍ
والهشامِيِّ . ومنها¹ :

صوت

لَسَجَ قَلْبِي فِي التَّصَايِي وَاَزْدَهَى عَنِّي شَبَابِي
وَدَعَانِي لِهُوَى هِنْدَ سِدِ فَوَازٍ غَيْرُ نَابِي
قَلْتُ لَمَّا فَاضَتْ الْعَيْدَ نَنانٍ دَمْعاً ذَا انْسِكَابِ
إِنْ جَفْتَنِي الْيَوْمَ هِنْدُ بَعْدَ وَدِّ وَاِقْتِرَابِ
فَسَيِّلُ النَّاسَ طُرّاً لِفَنَاءٍ وَذَهَابِ

الغناء لأهل مَكَّةَ رَمَلٌ بِالْوُسْطَى .

[عمر وفاطمة بنت عبد الملك]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزبان قال حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْأَسَدِيُّ ، وَهُوَ بِشَرُّ بنِ مُوسَى بنِ
صَالِح ، قال حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بنُ صَالِح عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْقُرَشِيِّ قال : كَانَ عَمْرُ بنُ أَبِي رَبِيعَةَ جَالِساً
بِمَعْنَى فِي فَنَاءٍ مِضْرَبِهِ وَغُلَامَانَهُ حَوْلَهُ ، إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ بَرْزَةٌ² عَلَيْهَا أَثَرُ النِّعْمَةِ ، فَسَلَّمَتْ ، فَرَدَّ عَلَيْهَا
عَمْرُ السَّلَامَ ، فَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ عَمْرُ بنِ أَبِي رَبِيعَةَ ؟ فَقَالَ لَهَا : أَنَا هُوَ ، فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَتْ لَهُ :
حَيَّاكَ اللَّهُ وَقَرَّبَكَ ! هَلْ لَكَ فِي مُحَادَثَةِ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَتَمِّهِمْ خَلْقًا ، وَأَكْمَلِهِمْ أَدَبًا ،
وَأَشْرَفِهِمْ حَسَبًا ؟ قَالَ : مَا أَحَبُّ إِلَيَّ ذَلِكَ ! قَالَتْ : عَلَى شَرْطٍ . قَالَ : قُولِي . قَالَتْ : تُمَكِّنِي مِنْ
عَيْنِكَ حَتَّى أَشُدَّهُمَا وَأَقْوَدَكَ ، حَتَّى إِذَا تَوَسَّطْتَ الْمَوْضِعَ الَّذِي أُرِيدُ حَلَلْتُ الشَّدَّ ، ثُمَّ أَفْعَلْ ذَلِكَ
بِكَ عِنْدَ إِخْرَاجِكَ حَتَّى أَنْتَهِيَ بِكَ إِلَى مِضْرَبِكَ . قَالَ : شَأْنُكَ ، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِ . قَالَ عَمْرُ : فَلَمَّا
انْتَهَيْتُ بِي إِلَى الْمِضْرَبِ الَّذِي أَرَادَتْ كَشَفَتْ عَنْ وَجْهِهِ ، فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ عَلَى كُرْسِيِّ لَمْ أَرْ مِثْلَهَا قَطُّ
جَمَالًا وَكَمَالًا ، فَسَلَّمْتُ وَجَلَسْتُ . فَقَالَتْ : أَنْتَ عَمْرُ بنِ أَبِي رَبِيعَةَ ؟ قُلْتُ : أَنَا عَمْرُ . قَالَتْ : أَنْتَ
الْفَاضِلُ لِلْحَرَائِرِ ؟ قُلْتُ : وَمَا ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ؟ قَالَتْ : أَلَسْتَ الْقَائِلُ³ : [مِنْ الْكَامِلِ]

صوت

قَالَتْ وَعَيْشُ أَخِي وَنِعْمَةُ وَالِدِي لِأَنْبِئَهُنَّ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ⁴

1 ديوان عمر : 31 .

2 البرزة : التي تجلس إلى الرجال وتحدّثهم .

3 ديوان عمر : 83 وتنسب أيضاً إلى جميل وعروة بن أذينة وغيرهما .

4 ونعمة في ل : وحرمة .

فخرجتُ خَوْفَ يَمِينِهَا فَتَبَسَّمتُ فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَخْرُجْ
فَتَنَاولْتُ رَأْسِي لِتَعْرِفَ مَسَّهُ بِمُخَضَّبِ الْأَطْرَافِ غَيْرِ مُشْنَجٍ¹
فَلْتَمْتُ فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا شُرْبَ الزَّيْفِ يَرُدُّ مَاءَ الْحَشْرِجِ²
الغناء لمعبد ثقیل أول بالبنصر عن يونس وعمر .

ثم قالت : قم فاخرج عني ، ثم قامت من مجلسها . وجاءت المرأة فشددت عيني ، ثم أخرجتني حتى انتهت بي إلى مضربي ، وانصرفت وتركني . فحللت عيني وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله به أعلم . وبث ليلتي ، فلما أصبحت إذا أنا بها ؛ فقالت : هل لك في العود ؟ فقلت : شأنك . ففعلت بي مثل فعلها بالأمس ، حتى انتهت بي إلى الموضع . فلما دخلت إذا بتلك الفتاة على كرسي . فقالت : إيه يا فضأح الحرائر ، قلت : بماذا جعلني الله فداءك ؟ قالت : بقولك .

صوت

[من الطويل]

وَنَاهِدَةَ الثَّدْيَيْنِ قُلْتُ لَهَا أَتَكِي عَلَى الرَّمْلِ مِنْ جَبَانَةٍ³ لَمْ تَوَسِدِ⁴
فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ أَمْرُكَ طَاعَةٌ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ كَلَّفْتُ مَا لَمْ أُعَوِّدِ
فَلَمَّا دَنَا الْإِصْبَاحُ قَالَتْ فَضَحْتَنِي فَقُمُ غَيْرَ مَطْرُودٍ إِنْ شِئْتَ فَازْدِدِ

الغناء لأهل مكة ثقیل أول عن المشامي . ثم قالت قم فاخرج عني . فقممت فخرجت ثم رددت . فقالت لي : لولا وشك الرحيل ، وخوف الفتوت ، ومحبتني لمناجاتك والاستكثار من محادثتك ، لأقصيتك ؛ هات الآن كلمني وحدثني وأنشدني .

فكلمت أدب الناس وأعلمهم بكل شيء . ثم نهضت وأبطأت العجوز وخلا لي البيت ، فأخذت أنظر ، إذا أنا بتور⁵ فيه خلوق⁶ ، فأدخلت يدي فيه ثم خبأتها في ردي . وجاءت تلك العجوز فشددت عيني ونهضت بي تقودني ، حتى إذا صرت على باب المضرب أخرجت يدي فضربت بها على المضرب ، ثم صرت إلى مضربي ، فدعوت غلماني فقلت : أيكم يقفني على باب مضرب عليه خلوق كأنه أثر كف فهو حر وله خمسمائة درهم . فلم ألبث أن جاء بعضهم

1 لتعرف في ل : لتعلم .

2 الزيف : الشديد العطش . الحشرج : النقرة في الجبل يجتمع فيها الماء .

3 الجبانة هنا : الصحراء .

4 الأبيات في ديوان عمر : 113 .

5 تور : إناء صغير .

6 خلوق : طيب .

فقال : قم . فنهضتُ معه ، فإذا أنا بالكفِّ طريئةً ، وإذا المضربُ مضربُ فاطمة بنت عبد الملك بن مروان . فأخذت في أهبة الرّحيل ؛ فلما نفرتُ نفرتُ معها ، فبصرتُ في طريقها بقبابٍ ومضربٍ وهيئة جميلة ، فسألتُ عن ذلك ، فقيل لها : هذا عمر بن أبي ربيعة ؛ فسأها أمره وقالت للعجوز التي كانت تُرسلها إليه : قولي له نشدْتُكَ الله والرّحم أن تصحبني ، ويحك ! ما شأنك وما الذي تريد ؟ انصرف ولا تفضحني وتُشيط بدمك . فسارت العجوز إليه فأدّت إليه ما قالت لها فاطمة . فقال : لستُ بمنصرفٍ أو تُوجّه إليّ بقميصها الذي يلي جلدها ؛ فأخبرتها ففعلت ووجّهت إليه بقميصٍ من ثيابها ؛ فزاده ذلك شغفاً . ولم يزل يتبعهم لا يُخالطهم ، حتى إذا صاروا على أميالٍ من دمشق انصرف وقال في ذلك ¹ : [من الكامل]

ضاق الغداةً بحاجتي صدري ويئستُ بعد تقاربِ الأمرِ
وذكرتُ فاطمةً التي علّقْتُها عَرَضاً فيا لحوادثِ الدَّهرِ

وفي هذه القصيدة ممّا يُغنى فيه قوله :

[من الكامل]

صوت

ممكورةً ردّعُ العبير بها جَمُ العِظام لطيفةُ الخَصْرِ²
وكانَ فاهَا عند رَقَدَتِها تَجْرِي عليه سُلَافَةُ الخَمْرِ³

الغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقليلٍ من جامعهِ . وفيهِ لَتَمِّمَ رَمْلٌ من جامعها أيضاً . وتمام الأبيات وليست فيه صنعة :

فسبّتُ فؤادي إذ عَرَضْتُ لها يومَ الرّحيلِ بساحةِ القَصْرِ
بمُزَيْنٍ ردّعُ العبير به حَسَنَ التّرائبِ واضحِ النّحرِ
وبجيدِ آدَمَ شادينِ خرقٍ يَرعى الرّياضَ ببلدةٍ قَفَرٍ⁴
لَمّا رأيتُ مَطِيئَها حَزَقاً خَفَقَ الفؤادُ وكنتُ ذا صَبَرٍ⁵
وتبادرتُ عَيْنايَ بعدهم وانهلَ دمعُهما على الصّدْرِ

1 ديوان عمر : 179-180 .

2 ممكورة : مدمجة الخلق . ردع العبير : أثر الطيب .

3 رقدتها في ل : بعد رقدتها .

4 آدم : أسمر . والشادن : الظبي . خرق : ذو حيرة .

5 الحرق : الجماعات .

ولقد عصيت ذوي القرباة فيكم طراً وأهل الوُدِّ والصَّهرِ¹
حتى لقد قالوا وما كذبوا أجننت أم بك داخل السَّحرِ

[شعر عمر في فاطمة بنت عبد الملك]

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدَّثني إسحاق عن محمد بن أبان قال حدَّثني الوليد بن هشام القحذمي عن أبي معاذ القرشي قال : لما قدِمْتُ فاطمة بنت عبد الملك بن مروان مَكَّةَ جعل عمر بن أبي ربيعة يدور حولها ويقول فيها الشعر ولا يذكرها باسمها فَرَقاً من عبد الملك بن مروان ومن الحجاج ؛ لأنَّه كان كتب إليه يتوعَّده إن ذكرها أو عرَّضَ باسمها . فلما قضت حجَّها وارتحلت أنشأ يقول² :

صوت

كِدْتُ يَوْمَ الرَّحِيلِ أَقْضِي حَيَاتِي لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ يَوْمِ الرَّحِيلِ
لَا أَطِيقُ الْكَلَامَ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْ فِ وَدَمْعِي يَسِيلُ كُلَّ مَسِيلِ
ذَرَفْتُ عَيْنَهَا وَفَاضَتْ دُمُوعِي وَكَلَانَا يَلْقَى بُلْبُ³ أَصِيلِ⁴
لَوْ خَلَّتْ خُلَّتِي أَصَبْتُ نَوَالاً أَوْ حَدِيثاً يَشْفِي مِنَ التَّنْوِيلِ⁴
وَلَظِلُّ الْخَلْخَالِ فَوْقَ الْحَشَايَا مِثْلَ أَتْنَاءِ حَيَّةٍ مَقْتُولِ
فَلَقَدْ قَالَتِ الْحَبِيبَةُ لَوْلَا كَثَرَةُ النَّاسِ جُدْتُ بِالتَّقْبِيلِ

غنى فيه ابن مخرزٍ ولحنه ثَقِيلٌ أَوَّلُ من أصواتِ قَلِيلَةِ الْأَشْبَاهِ عن إسحاق وفيه لِعَبَادِلَ خَفِيفِ ثَقِيلِ بالبصرة عن عمرو ، ويقال إنه للهذلي . وفيه لعبيد الله بن أبي غسان ثاني ثَقِيلٍ عن الهشامي . أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرني أبو علي الحسن بن الصَّبَّاح عن محمد بن حبيب أنه أخبره : أن عمر بن أبي ربيعة قال في فاطمة بنت عبد الملك بن مروان⁵ : [من المديد]

صوت

يَا خَلِيلِي شَفَّنِي الذَّكْرُ وَحُمُولُ الْحَيِّ إِذْ صَدَرُوا
ضَرَبُوا حُمْرَ الْقِيَابِ لَهَا وَأَدِيرْتُ حَوْلَهَا الْحُجْرُ

1 ذوي القرباة في ل : ذوي أقاربها .

2 ديوان عمر : 296-297 .

3 يلقي في ل : يلهي .

4 التنويل : الاعطاء .

5 ديوان عمر : 184-186 . مع بعض اختلاف في الترتيب واللفظ .

سَلَكُوا شِعْبَ النَّقَابِ بِهَا زُمَرًا تَحْتُهَا زُمَرُ¹
 وَطَرَقْتُ الْحَيَّ مُكْتَمًا وَمَعِيَ عَضْبٌ بِهِ أَثَرُ²
 وَأَخٌ لَمْ أَحْشَ نَبْوَتَهُ بَنَوَاحِي أَمْرِهِمْ خَيْرُ²
 فَإِذَا رِيمٌ عَلَى فُرُشٍ فِي حِجَالِ الْخَزِّ مُخْتَدِرُ²
 حَوْلَهُ الْأَحْرَاسُ تَرْقُبُهُ نُومٌ مِنْ طُولِ مَا سَهَرُوا
 شَبَهُ الْقَتْلَى وَمَا قُتِلُوا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُمْ سَمَرُوا
 فَدَعَتُ بِالْوَيْلِ ، ثُمَّ دَعَتْ حُرَّةٌ مِنْ شَأْنِهَا الْخَفَرُ
 ثُمَّ قَالَتْ لِلَّتِي مَعَهَا وَيَحْ نَفْسِي قَدْ أَتَى عَمْرُ
 مَالَهُ قَدْ جَاءَ يَطْرُقُنَا وَيَرَى الْأَعْدَاءَ قَدْ حَضَرُوا
 لِشِقَائِي كَانَ عَلَقْنَا وَلِحَيْنِي سَاقَهُ الْقَدَرُ
 قُلْتُ عِرْضِي دُونَ عِرْضِكُمْ وَلِمَنْ نَاوَاكُمُ الْحَجَرُ

هذا البيت الأخير مما فيه غناء مع :

وطَرَقْتُ الْحَيَّ مُكْتَمًا

للغريض

وفي : يَا خَلِيلِي شَفِّنِي الذِّكْرُ
 وفي : قُلْتُ عِرْضِي دُونَ عِرْضِكُمْ
 وفي : ثُمَّ قَالَتْ لِلَّتِي مَعَهَا
 وفي : مَالَهُ قَدْ جَاءَ يَطْرُقُنَا

[ثاني ثَقِيلٍ بِالْوُسْطَى عَنْ عَمْرٍو]

وفي : ضَرَبُوا حُمْرَ الْقِبَابِ لَهَا

وما بعده أربعة متوالية خفيف رملٍ بِالْوُسْطَى لِلْهَذَلِيِّ .

وفي : «وطَرَقْتُ» وبعده : «إِذَا رِيمٌ» وبعده : «حوله الأحراس» والبيتين اللذين بعده لابن سريج خفيف ثَقِيلٍ بِالْوُسْطَى عَنْ عَمْرٍو . وفيها بعينها ثَقِيلٌ أَوَّلُ يُقَالُ إِنَّهُ لِلْأَبْجَرِ ، وَيُنَسَبُ إِلَى غَيْرِهِ عَنْ الْهَشَامِيِّ .

1 النقاب : شعب من أعمال المدينة .

2 الحجال : جمع حجلة ، وهي قبة للنساء .

[عمر وعائشة بنت طلحة]

أخبرني الحرّميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن رجل من قريش قال : بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت ، إذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وهي تريد الركن تستلمه ، فبهت لما رآها ورأته ، وعلمت أنّها قد وقعت في نفسه ، فبعثت إليه بجارية لها وقالت : قولي له : اتّق الله ولا تقل هُجراً ؛ فإنّ هذا مقام لا بدّ فيه ممّا رأيت . فقال للجارية : أقرّيها السلام وقولي لها : ابن عمّك لا يقول إلّا خيراً¹ . وقال فيها² :

صوت

لعائشة ابنة التّيميّ عندي	جمي في القلب ما يُرعى حِماها
يُذكرني ابنة التّيميّ ظبيّ	يرودُ بروضةٍ سهّلٍ رباها
فقلتُ له ، وكاد يُراغُ قلبي ،	فلم أر قطّ كالיום اشتباها
سوى حمشٍ يساقك مُستبين	وأنّ شواك لم يُشبهه شواها ³
وأنّك عاطلٌ عارٍ وليست	بعارية ولا عطّل يداها
وأنّك غيرُ أفرعٍ وهي تُدلي	على المتّنين أسحَمَ قد كساها ⁴
ولو قعدت ولم تكلفُ بودّ	سوى ما قد كلفتُ به كفاها
أظلُّ إذا أكلّمها كأنّي	أكلّم حيّةً غلبتُ رفاها
تبيتُ إليّ بعد النوم تسري	وقد أمست لا أخشى سراها

الغناء في البيتين الأوّلين من هذه الأبيات لأبي فارة ثقل أول . وفيهما لعبد الله بن العباس الرّبيعيّ خفيف ثقلٍ جميعاً عن المشاميّ . وذكر إسحاق أنّ هذا الصوت ممّا يُنسب إلى معبد ؛ وهو يُشبه غنائه إلّا أنّه لم يروِه عن ثبّت⁵ ولم يذكر طريقته . قال : وقال فيها أشعاراً كثيرة ، فبلغ ذلك فتیان بني تميم ، أبلغهم إيّاه فتى منهم قال لهم : يا بني تميم بن مرّة ، هالله ليقلّفن بنو مخزوم بناتنا بالعظام وتغفلون ، فمشى ولدُ أبي بكر وولدُ

1 ل : حسناً .

2 ديوان عمر : 442 .

3 حمش : دقة الساقين .

4 أفرع : طويل الشعر .

5 ثبت : ثقة .

طلحة بن عبيد الله إلى عمر بن أبي ربيعة فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم . فقال لهم :
والله لا أذكرها في شعرٍ أبداً . ثم قال بعد ذلك فيها ، وكنى عن اسمها ، قصيدته التي
أولها¹ :

صوت

يا أمّ طَلْحَةَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفْدَا قَلَّ الثَّوَاءَ لَيْنُ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَا²
أَمْسَى الْعِرَاقِي لَا يَذَرِي إِذَا بَرَزَتْ مَنْ ذَا تَطَوَّفَ بِالْأَرْكَانِ أَوْ سَجَدَا

الغناء لمعبد ثقیل أول بالبصر عن عمرو ويونس . قال ولم يزل عمر ينسب بعائشة أيام الحج
ويطوف حولها ويتعرض لها وهي تكره أن يرى وجهها ، حتى وافقها وهي ترمي الجمار
سافرة ، فنظر إليها فقالت : أما والله لقد كنتُ لهذا منك كارهة يا فاسقُ ، فقال³ : [من الكامل]

صوت

إِنِّي وَأَوَّلَ مَا كَلِفْتُ بِذِكْرِهَا عَجَبٌ وَهَلْ فِي الْحَبِّ مِنْ مُتَعَجَّبٍ⁴
نَعَتَ النِّسَاءَ فَقُلْتُ لَسْتُ بِمُبْصِرٍ شَبَّهَا لَهَا أَبَدًا وَلَا بِمُقَرَّبٍ
فَمَكُنْتُ حِينًا ثُمَّ قُلْنَ تَوَجَّهَتْ لِلْحَجِّ ، مَوْعِدُهَا لِقَاءَ الْأَخْشَبِ⁵
أَقْبَلْتُ أَنْظُرُ مَا زَعَمَنَ وَقُلْنَ لِي وَالْقَلْبُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذَّبٍ⁶
فَلَقِيْتُهَا تَمْشِي تَهَادِي مَوْهِنًا تَرْمِي الْجِمَارَ عَشِيَّةً فِي مَوْكِبٍ
غَرَاءَ يُعْشِي النَّاطِرِينَ بِيَاضُهَا حَوْرَاءَ فِي غُلُوَاءِ عَيْشٍ مُعْجِبٍ
إِنَّ التِّي مِنْ أَرْضِهَا وَسَمَائِهَا جَلِبَتْ لِحَيْنِكَ لَيْتَهَا لَمْ تُجَلَبِ

الغناء لمعبد في الأول والثاني والرابع والسابع ثقیل أول بالوسطى عن عمرو . وفيها
للغريض خفيف ثقیل عن الهشامي ، يُبدأ فيه بالثالث .

أخبرني علي بن صالح قال حدثنا أبو هفان عن إسحاق قال أخبرني مُصْعَبُ الزبيري : أن
عمر بن أبي ربيعة لقي عائشة بنت طلحة بمكة وهي تسير على بغلة لها ، فقال لها : قفي حتى

1 ديوان عمر : 109 .

2 أفد : اقرب .

3 ديوان عمر : 49 ، 50 .

4 في الحب في ل : في الدهر .

5 الأخشب : أحد جبلين بمكة .

6 زعمت في ل : عزم .

أُسمِعك ما قلتُ فيك . قالت : أَوْ قَدْ قُلْتُ¹ يا فاسق ؟ قال : نعم ، فوقفْتُ فأنشدتها² : [من البسيط]

صوت

يا رَبَّةَ البَغلةِ الشَّهَاءِ هل لك في أن تُنشِري مَيْتًا لا تُرهِّقي حَرَجًا³
[ويروى : هل لَكُمْ في عاشقٍ دَنِفٍ]
قالت بدائك مُتْ أو عِشْ تُعالِجْهُ فما نَرى لك فيما عندنا فَرَجًا
قد كَتَّ حَمَلَتْنَا غِيظًا نُعالِجْهُ فإن تُقَدِّنا فقد عَنَيْتَنَا حَجَجًا⁴
حَتَّى لَوْ اسْطِيعُ مَّا قَدْ فَعَلْتَ بِنَا أَكَلْتُ لِحْمَكَ من غِيظٍ وما نَضِجَا

الغناء لابن سريج ثقیل أول مطلق في مجرى البصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج ثلاثة ألحانٍ ذكرها إسحاق ولم يُجنس منها إلا واحداً ، وذكر المشامي أن أحدها خفيف رملٍ بالوسطى ، [وذكر عمرو أن الثالث هَزَجٌ بالوسطى] . وإسحاق فيها هزج من مجموع صنعته ، فقالت : لا وربُّ هذه البَيْتَةِ ! ما عَنَيْتَنَا طَرْفَةً عَيْنٍ قَطُّ . ثم قالت لبغلتها : عَدَسٌ⁵ ، وسارت . وتمام هذه الأبيات :

فقلتُ لا والذي حَجَّ الحَجِيجُ له ما مَحَّ حُبُّكَ من قلبي ولا نَهَجًا
ولا رأى القلبُ من شيءٍ يُسرُّ به مُدَّ بَانَ منزلُكم مَنَا ولا تَلَجًا
ضَنْتُ بنائِلها عنه فقد تَرَكَتُ في غير ذنبِ أبا الخطَّابِ مُخْتَلَجًا
قال : فلم تَزَلْ عائشة تُداريه وترفق به خوفاً من أن يتعرَّض لها حتى قضت حجَّها وانصرفت إلى المدينة . فقال في ذلك⁶ :

إِنَّ مَنْ تَهَوَّى مع الفجرِ طَعَنَ لِلْهَوَى والقلبُ مِتْبَاعُ الْوَطَنِ
بانَتِ الشمسُ وكانت كلِّما ذُكِرَتْ للقلبِ عاودتُ الدَّدَنَ⁷

1 ل : أَوْ قَدْ فَعَلْتَ .

2 ديوان عمر : 81 .

3 أرهقه : كلفه .

4 أقاد به : قابله بالقصاص ؛ عناه : أرهقه .

5 عدس : لفظة يزجر بها البغل .

6 ديوان عمر : 410 والأبيات الثلاثة التي تلي هذين البيتين من قصيدة أخرى في الديوان ص 414 .

7 الددن : اللهو واللعب .

صوت

[من الرمل]

يا أبا الحارثِ قلبي طائرٌ فأتَمِرُ أَمَرَ رَشِيدٍ مُؤْتَمِنٌ
نظَرْتُ عَيْنِي إِلَيْهَا نَظْرَةً تَرَكْتُ قَلْبِي لَدَيْهَا مُرْتَهَنٌ
ليس حُبٌّ فَوْقَ مَا أَحْبَبْتُهَا غَيْرَ أَنْ أَقْتُلَ نَفْسِي أَوْ أُجَنِّ

فيها ثاني ثقل بالوسطى نسبه عمرو بن بانة إلى ابن سُرِيج ، ونسبه ابن المكِّي إلى الغريض . وفيها رمل لأهل مَكَّة .

ومَّا يُغْنَى فِيهِ مِنْ أَشْعَارِهِ فِي عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ قَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا¹ : [من الخفيف]

صوت

مَنْ لِقَلْبٍ أُمْسَى رَهِينًا مُعْنَى مُسْتَكِينًا قَدْ شَقَّهَ مَا أَجَنَّا²
إِثْرَ شَخْصٍ نَفْسِي فَدَتْ ذَاكَ شَخْصًا نَارِحَ الدَّارِ بِالْمَدِينَةِ عَنَّا
لَيْتَ حَظِّي كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيرٌ مِنْهَا الْقَلِيلُ الْمُهَنَّا

الغناء لإبراهيم خفيف ثقل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

[عمر وكلثم بنت سعد المخزومية]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف ومحمد بن خلف قالوا حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني محمد بن عبد الرحمن التميمي عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال : كان عمر بن أبي ربيعة يهوى كلثم بنت سعد المخزومية ، فأرسل إليها رسولا فضربتها وحلقتُها وأحلفتها ألا تعاد ؛ ثم أعادها ثانية ففعلت بها مثل ذلك ، فتحامها رسله . فابتاع أمة سوداء لطيفة رقيقة وأتى بها منزله ، فأحسن إليها وكساها وأنسها وعرفها خبره وقال لها : إن أوصلت لي رُقعة إلى كلثم فقرأتها فأنْتِ حُرَّةٌ ولكِ معيشتك ما بَقِيَتْ . فقالت اكتب لي مَكاتِبَةً واكتب حاجتك في آخرها ، ففعل ذلك . فأخذتها ومضت بها إلى باب كلثم فاستأذنت ، فخرجت إليها أمة لها فسألتها عن أمرها ؛ فقالت : مَكاتِبَةٌ³ لبعض أهل مولاتك جئتُ أَسْتَعِينُهَا فِي مَكَاتِبَتِي ، وحادثتها وناشدتها حتى ملأت قلبها ؛ فدخلت إلى كلثم وقالت : إنَّ بالبَابِ مَكاتِبَةً لَمْ أَرَقُ قَطُّ أَجْمَلَ مِنْهَا وَلَا أَكْمَلَ وَلَا آدَبَ . فقالت : ائذني لها ،

1 ديوان عمر : 406 .

2 رهينا في ل : حزينا .

3 المكاتبه : أمة قد كتب لها سيدها أن يجرها لقاء مبلغ تدفعه مقسطا .

فدخلت . فقالت : مَنْ كَاتَبُكَ ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة الفاسق ! فافترئي مكاتبتني . فمدت يدها لتأخذها . فقالت لها : لي عليك عهد الله أن تقرئها ؛ فإن كان منك إلي شيء مما أحبه وإلا لم يلحقني منك مكروه ؛ فعاهدتها وفطنت . وأعطتها الكتاب ، فإذا أوله¹ : [من السريع]

من عاشقٍ صَبَّ يُسِرُّ الهوى قد شَفَّه الوجدُ إلى كلِّهم
رأتكِ عَيْنِي فدعاني الهوى إليك للحين ولم أعلم
قَتَلْتُنَا ، يا حَبْذا أنتم ، في غير ما جُرْمٍ ولا مَاتَمٍ
واللهُ قد أنزَلَ في وَحْيِهِ مَبِيناً في آيِهِ الْمُحْكَمِ
مَنْ يَقْتُلِ النَّفْسَ كذا ظالماً ولم يُقْدها نفسه يَظْلَمِ
وأنتِ ثَارِي فتلافِي دَمِي ثم اجعليه نعمةً تُنْعِمِي
وحَكْمِي عَدَلاً يَكُنْ بَيْنَا أو أنتِ فيما بَيْنَا فاحْكُمِي
وجالسيني مَجْلِساً واحداً من غير ما عارٍ ولا مَحْرَمِ
وخبريني ما الذي عندكم بالله في قتل امرئٍ مُسْلِمِ

قال : فلما قرأت الشعر قالت لها : إنه خداعٌ مَلَقٌ ، وليس لما شكاه أصلٌ . قالت : يا مولاتي ، فما عليك من امتحانه ؟ قالت : قد أذنتُ له ، وما زال حتى ظَفِرَ بِيُعْيَتِهِ ؛ فقولي له : إذا كان المساءُ فَلْيَجْلِسْ في موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسولي . فانصرفت الجارية فأخبرته ؛ فتأهب لها . فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل إليها وقد تهيأت أجمل هيئة ، وزينت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء ستر ، فسلمَ وجلس . فتركته حتى سكن ، ثم قالت له : أخبرني عنك يا فاسق ! ألسْتَ القائل² :

هَلَا اسْتَحْيَيْتَ فترَحِمِي صَبَاً صَدَيَانِ لم تَدْعِي له قَلْباً³
جَشِمْ الزَّيْرَةَ في مَوَدَّتِكُمْ وأرادَ ألا تُرْهَقِي ذَنْبَا
ورَجَا مُصَالِحَةً فكان لكم سَلَمًا وكنْتَ تَرَبُّنُهُ حَرْباً⁴
يا أَيُّهَا الْمُعْطِي مَوَدَّتَهُ مَنْ لَا يَرَاكَ مُسَامِياً خِطْباً⁵

1 ديوان عمر : 389-390 .

2 الأبيات في ديوان عمر : 65 .

3 استحييت في ل : ارعويت .

4 مصالحة فكان لكم في ل : مصالحة فردكم .

5 لا يراك في ل : لا يزال .

لا تَجْعَلَنَّ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا أَحْبَبْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا
 وَصِلِ الْحَبِيبَ إِذَا شَغَفَتْ بِهِ وَاطْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِيًّا
 فَلَذَاكَ أَحْسَنُ مِنْ مُوَاطَبَةٍ لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا
 لَا بَلْ يَمْلُكَ عِنْدَ دَعْوَتِهِ فَيَقُولُ هَاهُ وَطَالَمَا لَبِئْتُ¹

فقال لها : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنَّ الْقَلْبَ إِذَا هَوِيَ نطق اللسان بما يهوى . فمكث عندها شهرًا لا يدري أهله أين هو . ثم استأذنها في الخروج . فقالت له : بعد أن² فَضَحْتَنِي ؟ لا والله لا تخرج إلا بعد أن تتزوجني . ففعل وتزوجها ؛ فولدت منه ابنتين أحدهما جُوَانُ ؛ وماتت عنده .
 [عمر ولبابة بنت عبد الله بن العباس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الجبار بن سعيد قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه : أنَّ عمر رأى لبابة بنت عبد الله بن العباس امرأة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان تطوف بالبيت ، فرأى أحسنَ خلق الله ، فكاد عقله يذهب ، فسأل عنها فأخبر بنسبها ؛ فنسب بها وقال فيها³ : [من الكامل]

صوت

وَدَّعْ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا
 إِلَيْتُ بِعَمْرٍكَ سَاعَةً وَتَأْتِيهَا
 قَالَ ائْتِمِرْ مَا شِئْتَ غَيْرَ مُخَالَفٍ
 لَسْنَا نُبَالِي حِينَ تَقْضِي حَاجَةً
 حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ ظِلَامُهُ
 خَرَجْتُ تَأْطُرُ فِي الثِّيَابِ كَأَنَّهَا
 رَحَبْتُ حِينَ رَأَيْتُهَا فَتَبَسَّمَتْ
 وَجَلَا الْقِنَاعُ سَحَابَةً مَشْهُورَةً
 وَاسْأَلْ فَإِنَّ قُلَالَتهُ أَنْ تَسْأَلَا⁴
 فَلَعَلَّ مَا بَخَلْتَ بِهِ أَنْ يُبْذَلَا
 فِيمَا هَوَيْتَ فَإِنَّا لَنْ نَعْجَلَا
 مَا بَاتَ أَوْ ظَلَّ الْمَطْيِيُّ مُعْقَلَا
 وَرَقَبْتُ غَفْلَةً كَاشِحٍ أَنْ يَمْحُلَا⁵
 أَيْمٌ يَسِيبُ عَلَى كَثِيبٍ أَهْيَلَا⁶
 لَتَحِيَّتِي لَمَّا رَأَيْتَنِي مُقْبِلَا
 غَرَاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أَنْ يَتَأَمَّلَا

1 هاه : كلمة وعيد .

2 ل : أبعد ما .

3 ديوان عمر : 311 .

4 قلالة : قليلة .

5 الشطر الثاني في ل : ونظرت غفلة حارس أن يغفلا .

6 تأطر : تتشى . الأيم : الحية .

فَلَبِثْتُ أَرْقِيهَا بِمَا لَوْ عَاقِلٌ يُرْقَى بِهِ مَا اسْطَاعَ إِلَّا يَنْزِلَا

غَنَى فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَعْبَدٌ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ ، ابْتَدَاؤُهُ نَشِيدٌ . وَفِيهَا لَابْنُ سَرِيحٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقَ أَيْضاً . وَفِيهَا لَابْنُ سَرِيحٍ فِي الْأَوَّلِ وَالرَّابِعِ مِنَ الْأَبْيَاتِ رَمَلَ عَنْ ابْنِ الْمَكِّيِّ ، وَلَأَبِي دُلْفَ الْقَاسِمِ بْنِ عَيْسَى فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ وَالْبَنْصَرِ ، وَابْتَدَاؤُهُ نَشِيدٌ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ الْمَكِّيِّ . وَفِيهِ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ مُصْعَبٍ هَزَجٌ .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدَ بْنِ أَبِي الْأَزْهَرِ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا حَجَّ الْغَمْرُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دَخَلَ إِلَيْهِ مَعْبَدٌ فَغَنَّا :

[مِنَ الْكَامِلِ]

وَدَّعْ لِبَابَةِ قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا

فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مَعَهُ لَمَّا رَحَلَ عَنِ الْمَدِينَةِ ، فَغَنَّا فِي الْمَنْزِلِ بِهِ حَتَّى أَرَادَ الرَّحِيلَ ، فَحَمَلَهُ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَذَهَبَ غَلَامٌ لَهُ يَتَّبِعُهُ ؛ فَقَالَ : إِلَى أَيْنَ ؟ فَقَالَ : أَمْضِي مَعَهُ حَتَّى أَجِيءَ بِالْبَغْلَةِ . فَقَالَ : هِيَ هَاتِ ! ارْجِعْ يَا بَنِي ، ذَهَبَتْ وَاللَّهِ لِبَابَةُ بَيْغَلَةٍ مُوَلَّاكَ . وَقَدْ رُويَ هَذَا الْخَبَرُ لَغَيْرِ الْغَمْرِ بْنِ يَزِيدَ .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء المختار وهو :

[مِنَ الطَّوِيلِ]

تَشْكِي الْكُمَيْتِ الْجَرِّيِّ لَمَّا جَهَّدَتْهُ

[عمر والثريا]

يَقُولُهَا عُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي الثَّرِيَا بِنْتِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أُمَيَّةِ الْأَصْغَرِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ، وَهُمْ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمُ الْعَبَلَاتُ ؛ سُمُّوا بِذَلِكَ لِجَدَّةٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهَا عِبَلَةٌ بِنْتُ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ خَازِلِ بْنِ قَيْسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، وَهِيَ مِنْ بَطْنِ مِنْ تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُمُ الْبَرَاكِمُ ، غَيْرُ بَرَاكِمِ بْنِ أُسْدٍ .

[نسب الثريا بنت علي]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ : كَانَتْ عِبَلَةُ بِنْتُ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ خَازِلِ بْنِ قَيْسِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي جُشَمَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، فَبِعَتْهَا بِأَنْحَاءِ¹ سَمْنٍ تَبِيعُهَا لَهُ بَعَاظُ ، فَبَاعَتْ السَّمْنَ وَرَاحِلَتَيْنِ كَانَا عَلَيْهِمَا ، وَشَرِبَتْ بِشَمْنِهَا الْخَمْرَ . فَلَمَّا نَفِدَ ثَمْنُهَا رَهَنْتَ ابْنَ أَخِيهِ وَهَرَبْتُ ، فَطَلَّقَهَا . وَقَالَتْ فِي شَرْبِهَا الْخَمْرَ :

[مِنَ الْمُتَقَارِبِ]

1 أَنْحَاءُ : جَمْعُ نَحْيٍ وَهُوَ الزَّقُّ .

شَرِبْتُ بِرَاحِلَتِي مِجْحَنٍ فَيَا وَيْلَتِي ، مِجْحَنٌ قَاتِلِي
وَبَابِنِ أَخِيهِ عَلَى لَذَّةٍ وَلَمْ أَحْتَفِلْ عَذَلِ الْعَاذِلِ

قال : فتزوجها عبدُ شمس بن عبد مناف ؛ فولدت له أُمَيَّةُ الأصغر وعبدُ أُمَيَّةَ وَنَوَفَلًا ،
وهم العَبَلَاتُ .

وقد ذكر الزبير بن بَكَار عن عمِّه : أَنَّ الثَّرِيَّا بنتُ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن
أُمَيَّةِ الأصغر ، وَأَنَّهَا أُخْتُ محمد بن عبد الله المعروف بِأبي جِرَابِ العَبَلِيِّ الذي قتله داود بن علي ؛
وهو الذي يقول فيه ابن زياد المَكِّي :

ثَلَاثُ حَوَائِجٍ وَلَهْنٌ جِئْنَا فَقُمُ فِيهِنَّ يَا ابْنَ أَبِي جِرَابِ
فَإِنَّكَ مَاجِدٌ فِي بَيْتِ مَجْدٍ بَقِيَّةُ مَعْشَرٍ تَحْتَ التَّرَابِ

قال : وله يقول ابن زيادِ المَكِّي أيضاً :

إِذَا مُتَّ لَمْ تُوصَلْ بِعُرْفِ قَرَابَةٍ وَلَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا رَجَاءٌ لِسَائِلِ
قال الزبير : وهذا أَشْبَهُ من أن تكون بنت عبد الله بن الحارث ، وعبد الله إِنَّمَا أَدْرَكَ
سلطان معاوية وهو شيخ كبير ، وَوَرِثَ بِقُعْدُودِهِ¹ فِي النَّسَبِ دار عبد شمس بن عبد مناف ،
وَحَجَّ معاويةً فِي خِلافَتِهِ ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى الدَّارِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ عبد الله بن الحارث بِمِجْحَنٍ
لِيُضْرِبَهُ بِهِ وَقَالَ : لَا أَشْبِعُ اللَّهَ بِطَنِكَ ، أَمَا تَكْفِيكَ الْخِلَافَةُ حَتَّى تَطْلُبَ هَذِهِ الدَّارَ ؟ فَخَرَجَ
معاوية يَضْحَكُ .

[ترجيح المؤلف لنسب الثريا]

قال مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ : وَهَذَا غَلَطٌ مِنَ الزَّبِيرِ عِنْدِي ، وَالثَّرِيَّا أَنْ تَكُونَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الْحَارِثِ أَشْبَهُ مِنْ أَنْ تَكُونَ أُخْتُ الَّذِي قَتَلَهُ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ؛ لِأَنَّهَا رَبَّتِ الْغَرِيضَ الْمُغْنِيَّ وَعَلَّمَتْهُ
النُّوحَ بِالْمَرَاثِي عَلَى مَنْ قَتَلَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ مِنْ أَهْلِهَا يَوْمَ الْحَرَّةِ . وَإِذَا كَانَتْ قَدْ رَبَّتِ الْغَرِيضَ
حَتَّى كَبُرَ وَتَعَلَّمَ النُّوحَ عَلَى قَتْلِ الْحَرَّةِ [وهو رجل] ، وَهِيَ وَقَعَةٌ كَانَتْ بِعَقَبِ مَوْتِ مُعَاوِيَةَ ،
فَقَدْ كَانَتْ فِي حَيَاةِ مُعَاوِيَةَ امْرَأَةً كَبِيرَةً ، وَبَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ قَتْلِهِ دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ مِنْ بَنِي أُمَيَّةِ نَحْوُ
ثَمَانِينَ سَنَةً ، وَقَدْ شَبَّ بِهَا عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي حَيَاةِ مُعَاوِيَةَ ، وَأَنشَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ
شِعْرَهُ فِيهَا ، فَكَيْفَ تَكُونُ أُخْتُ الَّذِي قَتَلَهُ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ وَقَدْ أَدْرَكَتْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَهِيَ
امْرَأَةٌ كَبِيرَةٌ ! وَقَدْ اعْتَرَفَ الزَّبِيرُ أَيْضًا فِي خَبَرِهِ بِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ أَدْرَكَ خِلَافَةَ مُعَاوِيَةَ
وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ؛ فَقَوْلُ مَنْ قَالَ : إِنَّهَا بَنَتْهُ ، أَصُوبٌ مِنْ قَوْلِ مَنْ قَرَنَهَا بِمَنْ قَتَلَهُ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ .

وهذا القول الذي قلته قولُ ابن الكلبي وأبي اليقظان ، أخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني عن أبي اليقظان ، قال وحدثني به جماعة من أهل العلم بنسب قريش .

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مسلمة بن إبراهيم بن هشام المخزومي عن أيوب بن مسلمة ، أنه أخبره أن عمر بن أبي ربيعة كان مُسَهَّباً¹ بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكانت غرضة ذلك جَمَلاً وتاماً ، وكانت تصيفُ بالطائف ، وكان عمر يغدو عليها كلَّ غداة إذا كانت بالطائف على فرسه ، فيسأل² الرُكبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار قبلهم . فلقي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ؛ فقال : ما استطرَفنا خبراً ، إلا أنني سمعتُ عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش اسمها اسم نجم في السماء وقد سقط عني اسمه . فقال عمر : الثريا ؟ قال نعم . وقد كان بلغ عمر قبل ذلك أنها عليلّة ، فوجّه فرسه على وجهه إلى الطائف يركضه مِلءَ فروجه وسلك طريق كداء³ ، وهي أحسن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا وقد توقّعتَه وهي تتشوّق له وتُشْرِفُ ، فوجدها سليمة عسيمة ومعها أختها رُضَيّا وأمُّ عثمان ، فأخبرها الخبر ؛ فضحكت وقالت : أنا والله أمرتهم لأختبر ما لي عندك . فقال عمر في ذلك هذا الشعر⁴ :

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرِيَّ لَمَّا جَهَدْتُهُ وَبَيْنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَا⁵
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ أَلْقَ لِلْعَيْنِ قُرَّةً فَهَانَ عَلَيَّ أَنْ تَكِلَ وَتَسَامَا
لِذَلِكَ أَذْنِي دُونَ خَيْلِي رِبَاطُهُ وَأَوْصِي بِهِ أَلَّا يُهَانَ وَيُكْرَمَا
عَدِمْتُ إِذَا وَفَرِي وَفَارَقْتُ مُهْجَتِي لَعَنَ لَمْ أَقِلْ قَرْنًا إِنْ اللَّهُ سَلَمَا

قال مسلمة بن إبراهيم : قلتُ لأيوب بن مسلمة : أكانت الثريا كما يصف عمر بن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصّفة ، كانت والله كما قال عبيد الله بن قيس الرقيّات : [من لخفيف]

حَبَّذا الحِجُّ والثُّرَيَّا وَمَنْ بِالْ خَفِيفٍ مِنْ أَجْلِهَا وَمُلْقَى الرَّحَالِ
يَا سَلِيمَانُ إِنْ تُلَاقِ الثُّرَيَّا تَلَقَّ عَيْشَ الْخُلُودِ قَبْلَ الْهَلَالِ
دُرَّةً مِنْ عَقَائِلِ الْبَحْرِ بِكُرٍّ لَمْ تَشْنِهَا مَثَاقِبُ اللَّالِ

1 المسهب : السقيم من الحب .

2 ل : فيسائل .

3 كداء : جبل في أعلى مكة .

4 ديوان عمر : 341 .

5 ديوان ابن الرقيّات (تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر) : 112-113 .

تَعْقِدُ الْمُتَزَّرَ السُّخَامَ مِنَ الْخِـ زُ عَلَى حَقْوِ بَادِنٍ مِكَسَالٍ¹

[عمر ورملة الخزاعية]

قال إسحاق في خبره عَمَّنْ أَسَدٌ إِلَيْهِ أَخْبَارُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وذكر مثله الزبير بن بكار فيما حَدَّثَنَا بِهِ عَنْهُ الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي مُؤَمِّنُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَفْلَحٍ مَوْلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْرُومٍ قَالَ حَدَّثَنِي بِلَالُ مَوْلَى ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ : أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ قَدِيمَ لِلْحَجِّ ، فَأَتَاهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَأَنَا مَعَهُ . فَلَمَّا قَضَى سَلَامَهُ وَمُسَاءَلَتَهُ عَنْ حَجِّهِ وَسَفَرِهِ ، قَالَ لَهُ : كَيْفَ تَرَكْتَ أَبَا الْخَطَّابِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ؟ قَالَ : تَرَكْتُهُ فِي بُلْهَنِيَّةٍ² مِنَ الْعِيْشِ . قَالَ : وَأَنْتَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : حَجَّتُ رَمْلَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ الْخَزَاعِيَةَ فَقَالَ فِيهَا³ :

صوت

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِيَالِ رَهِينَا	مُقْصِداً يَوْمَ فَارَقَ الطَّاعِنِينَ
قَلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ	أُمَيْدُ سَوَالِكِ الْعَالَمِينَ ⁴
نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا	قَبْلَهُ قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
قَدْ صَدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أُنْزِلُ	تَ عَسَى أَنْ يَجُرَّ شَأْنُ شُؤُونَا
وَنَرَى أَنَّنَا عَرَفْنَاكَ بِالنَّعْدِ	تَ بَظَنٍّ وَمَا قَتَلْنَا يَقِينَا
بَسَوَادِ الثَّنِيَّتَيْنِ وَنَعْتِ	قَدْ نَرَاهُ لِنَظَرٍ مُسْتَبِينَا

غَنَّى مَعْبُدٌ فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلَ بِالْوُسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقَ . وَغَنَّى فِي الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ ابْنُ سَرِيحٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلَ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْهُ أَيْضاً . وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ فِيهِ لِلْغَرِيضِ أَيْضاً لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْبِنْصَرِ . قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ الثُّرَيَّا ، بَلَغَتْهَا إِيَّاهُ أُمُّ نَوْفَلٍ ، وَكَانَتْ غَضَبِي عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ انْتَشَرُ⁵ خَبْرُهُ عَنِ الثُّرَيَّا حَتَّى بَلَغَهَا مِنْ جِهَةٍ أُمُّ نَوْفَلٍ وَأَنْشَدَتْهَا قَوْلَهُ :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِيَالِ رَهِينَا مُقْصِداً يَوْمَ فَارَقَ الطَّاعِنِينَ

1 السخام : اللين .

2 في بلهنية : في عيش مرفه .

3 ديوان عمر : 425-426 .

4 أُمَيْدُ سَوَالِكِ الْعَالَمِينَ : أَقْسَمَ سَوَالِكُ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ .

5 ل : استتر .

فَقَالَتْ : إِنَّهُ لَوَاقِحٌ صَنَعَ¹ بِلِسَانِهِ ، وَلَقَدْ سَلِمْتُ لَهُ لِأَرْدَنَ مِنْ شَأْوِهِ ، وَلَأَثْنَيْنَ مِنْ عِنَانِهِ ،
وَلَأَعْرِفَنَّهُ نَفْسَهُ . فَلَمَّا بَلَغَتْ إِلَى قَوْلِهِ :

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ أُمِّدْ سُؤَالَكَ الْعَالَمِينَ
فَقَالَتْ : إِنَّهُ لَسَأَلٌ مُلِحٌّ ، [قُبْحًا لَهُ] وَلَقَدْ أَجَابَتْهُ إِنْ وَفَتْ . فَلَمَّا بَلَغَتْ إِلَى قَوْلِهِ :
[مِنْ الْخَفِيفِ]

نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا قَبْلَهُ قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
قَالَتْ : غَمَزَتْهُ الْجَهْمَةُ² ، فَلَمَّا بَلَغَتْ إِلَى قَوْلِهِ :

قَدْ صَدَّقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمِنْ أُنْ تَ عَسَى أَنْ يَجْرَّ شَأْنُ شُؤُونَا
قَالَتْ : رَمَتْهُ الْوُرْهَاءُ³ بَأَخْرَ مَا عِنْدَهَا فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ . وَهَجَرَتْ عَمْرَ .
أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزَّبِيرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ : أَنَّ
رَمْلَةَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ حَجَّتْ ، فَتَعَرَّضَ لَهَا عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فَقَالَ فِيهَا : [مِنْ الْخَفِيفِ]
أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحِبَالِ رَهِينَا مُقْصِدًا يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنِينَ
وَقَالَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

فَرَأْتُ حِرْصِي الْفِتَاةُ فَقَالَتْ خَبْرِيهِ ، مِنْ أَجْلِ مَنْ تَكْتُمِينَا ؟
نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ وَكُنَّا قَبْلَهُ قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
قَدْ صَدَّقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمِنْ أُنْ تَ عَسَى أَنْ يَجْرَّ شَأْنُ شُؤُونَا
قَالَ الزَّبِيرُ : وَرَمْلَةُ هَذِهِ أُمُّ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ ، وَهِيَ أُخْتُ طَلْحَةَ
الطَّلَحَاتِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ الْخَزَاعِيِّ .
[كَثِيرٌ يَنْغَزِلُ بِنِسْوَةٍ مِنْ قَرِيشٍ رَدًّا عَلَى عَمْرٍ]

قَالَ : فَبَلَغَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ كَثِيرًا ، فَغَضِبَ لذلِكَ وَقَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ لَا أَتَمَارَى أَنْ سَيَجْرُ شَأْنُ
شُؤُونَا . ثُمَّ ذَكَرَ نِسْوَةَ مِنْ قَرِيشٍ فَسَاقِهِنَّ فِي شَعْرِهِ مِنَ الْحَجِّ حَتَّى بَلَغَ بِهِنَّ إِلَى مَلَلٍ⁴ ، ثُمَّ أَشْفَقَ
فَجَازَ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذلِكَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا⁵ :

1 صنع اللسان : ذلق اللسان .

2 الجهممة : الضعيفة .

3 الورهاء : الحمقاء .

4 ملل : موضع بين مكة والمدينة .

5 ديوان كثير : 395-400 .

ما عَنَّاكَ الْغَدَاةَ مِنْ أَطْلَالٍ . دَارِسَاتِ الْمَقَامِ مُذْ أَحْوَالِ

صوت

قُمْ تَأْمَلْ فَأَنْتَ أَبْصُرْ مِنْي هَل تَرَى بِالْغَمِيمِ مِنْ أَجْمَالِ¹
 قَاضِيَاتِ لُبَانَةٍ مِنْ مُنَاخٍ وَطَوَافٍ وَمَوْقِفٍ بِالْجِبَالِ²
 قَلَنْ عُسْفَانَ ثُمَّ رُحْنَ سِرَاعاً هَابِطَاتٍ عَشِيَّةً مِنْ غَزَالِ³
 وَارِدَاتِ الْكَدِيدِ مُجْتَرِعَاتٍ جُزْنَ وَادِي الْحَجُونِ بِالْأَثْقَالِ⁴
 قَصْدَ لِفْتٍ وَهْنٍ مُتَسِقَاتٍ كَالْعَدُولِيَّ لَاحِقَاتِ التَّوَالِي⁵
 طَالَعَاتِ الْغَمِيمِ مِنْ عَبُودٍ سَالِكَاتِ الْخَوِيِّ مِنْ أُمْلَالِ⁶
 فَسَقَى اللَّهُ مُتَوَى أُمِّ عَمْرٍو حَيْثُ أَمَتْ بِهَا صُدُورُ الرَّحَالِ
 حَبْدًا هُنَّ مِنْ لُبَانَةٍ قَلْبِي وَجَدِيدُ الشَّبَابِ مِنْ سِرْبَالِي
 رَبِّ يَوْمٍ أَتَيْتُهُنَّ جَمِيعاً عِنْدَ بَيْضَاءِ رَخْصَةٍ مِكَسَالِ⁷
 غَيْرَ أَنِّي امْرُؤٌ تَعَمَّمْتُ جِلْمًا يَكْرَهُ الْجَهْلُ وَالصَّبَا أُمَثَالِي

غنى ابن سريج في الثلاثة الأبيات الأول خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ويونس . وذكر
 الهشامي أن فيها للحجبي رملاً بالنصر .

[شعر عمر حين هجرته الثريا]

قالوا : فلما هجرت الثريا عمر قال في ذلك :
 مَنْ رَسُولِي إِلَى الثُّرَيَّا فَإِنِّي ضَيِّقْتُ ذَرْعاً بِهَجْرِهَا وَالْكِتَابِ

فبلغ ابن أبي عتيق قوله ، فمضى حتى أصلح بينهما . وهذه الأبيات تذكر مع ما فيها من
 الغناء ومع خبر إصلاح ابن أبي عتيق بينهما بعد انقضاء خبر رملة التي ذكرها عمر في شعره .

1 الغميم : موضع قرب المدينة .

2 بالجبال يروى أيضاً «بالخيال» .

3 عسفان : موضع قريب من مكة . غزال : قرن غزال وهو وادٍ .

4 الكديد : موضع بين عسفان ورايع .

5 لفت : وادٍ قريب من عقبة هرثى . العدولي : سفن تنسب إلى مكان بالبحرين .

6 غميس : هو غميس الحمام بعد «ملل» وأنت ذاهب إلى بدر من المدينة . وعبود : جبل بين السبالة وملل .

الخوي : اسم وادٍ . وأملال : اسم موضع .

7 أتيتهن في ل : رأيتهن .

قال مُصعب بن عبد الله في خبره : وكانت رملة جَهْمَةً¹ الوجه ، عظيمة الأنف ، حسنة الجسم ، وتزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر ، وتزوج عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وجمع بينهما ، فقال يوماً لعائشة : فعلتُ في محاربة الخوارج مع أبي فُذَيْك² كذا ، وصنعت كذا ، يذكر لها شجاعته وإقدامه . فقالت له عائشة : أنا أعلم أنك أشجعُ الناس ، وأعرف لك يوماً هو أعظمُ من هذا اليوم الذي ذكرته . قال : وما هو ؟ قالت : يوم اجتليت رملة وأقدمت على وجهها وأنفها .

قال مُصعب وحدثني يعقوب بن إسحاق قال : لما بلغ الثريا قولَ عمر بن أبي ربيعة في رملة :

وَجَلَا بُرْدُهَا وَقَدْ حَسَرْتَهُ نُوْرَ بَدْرِ يُضِيءُ لِلنَّاطِرِينَا

قالت : أفُّ له ما أكذبه ! لن ترتفع حسناء بصفته لها بعد رملة .

[رحل بابنته لئلا يشب بها عمر حين تكبر]

وذكر ابن أبي حسان عن الرياشي عن العباس بن بكار عن ابن ذاب : أن هذا الشعر قاله عمر في امرأة من بني جُمَحَ كان أبوها من أهل مكة ، فولدت له جارية لم يولد مثلها بالحجاز حسناً . فقال أبوها : كائني بها وقد كبرت ، فشَبَّ بها عمر بن أبي ربيعة وفضحها ونوّه باسمها كما فعل بنساء قريش ، والله لا أقمتُ بمكة . فباع ضيعةً له بالطائف ومكة ورحل بابنته إلى البصرة ، فأقام بها وابتاع هناك ضيعةً حسنة ، ونشأت ابنته من أجمل نساء أهل زمانها . ومات أبوها فلم ترَ أحداً من بني جُمَحَ حضر جنازته ، ولا وجدت لها مُسْعِداً ولا عليها داخلاً . فقالت لداية لها سوداء : مَنْ نحن ؟ وَمِنْ أَيِّ الْبِلَادِ نحن ؟ فخبرتها . فقالت : لا جرم والله لا أقمتُ في هذا البلد الذي أنا فيه غريبة ! فباعَت الضيعة والدار ، وخرجت في أيام الحج . وكان عمر يقدّم فيعتمر في ذي القعدة ويحلُّ ، ويلبس تلك الخُللَ والوشى ، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القُطُوع³ والديباج ، ويسبل لِمَتَه ، ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق مُحَرَّمات ، ويتلقى المَدَنِيَّاتِ إلى مرٍّ ، ويتلقى الشاميات إلى الكديد . فخرج يوماً للعراقيات فإذا قُبَّةٌ مكشوفةٌ فيها جارية كأنها القمر ، تُعادِلها جارية سوداء كالسُّبْجَة⁴ . فقال للسوداء : مَنْ أنتِ ؟ وَمِنْ أَيْنَ أنتِ يا خالة ؟ فقالت : لقد أطل الله تعبك ،

1 جهمة الوجه : في وجهها غلظ .

2 أبو فذيك : عبد الله بن ثور ، تغلي خرج في البحرين أيام بني أمية .

3 القطوع : الطنافس .

4 السبجة : ثوب أو قميص أسود .

إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ هَذَا الْعَالَمَ مَنْ هُمْ وَمَنْ أَيْنَ هُمْ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَسَى أَنْ يَكُونَ لَذَلِكَ شَأْنٌ .
قَالَتْ : نَحْنُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَأَمَّا الْأَصْلُ وَالْمَنْشَأُ فَمَكَّةُ ، وَقَدْ رَجَعْنَا إِلَى الْأَصْلِ وَرَحَلْنَا إِلَى
بِلْدنَا ؛ فَضَحَكَ . فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى سَوَادِ ثَنِيَّتَيْهِ قَالَتْ : قَدْ عَرَفْنَاكَ . قَالَ : وَمَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ :
عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ . قَالَ : وَبِمَ عَرَفْتَنِي ؟ قَالَتْ : بِسَوَادِ ثَنِيَّتِكَ وَبِهَيْئَتِكَ الَّتِي لَيْسَتْ إِلَّا
لِقْرِيشٍ ؛ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ أُمِّدْ سَوَالِكَ الْعَالَمِينَا

وَذَكَرَ الْأَبْيَاتَ . فَلَمْ يَزَلْ عَمْرُ بِهَا حَتَّى تَزَوَّجَهَا وَوَلَدَتْ لَهُ .

أخبر صلح الثريا وعمر |

قَالَ : فَلَمَّا صَرَمَتِ الثَّرِيَا عَمْرَ قَالَ فِيهَا¹ :

[من الخفيف |

صوت

مَنْ رُسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضَيِّقْتُ ذَرْعًا بِهِجْرَهَا وَالْكِتَابِ
سَلَبْتَنِي مَجَاجَعَةَ الْمِسْكِ عَقْلِي فَسَلُّوْهَا مَاذَا أَحَلَّ اغْتِصَابِي
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحِيَّرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
أُبْرِزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ²

الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أول بالبصرة عن عمرو ، وذكر حبش أنه لملك .

[ابن أبي عتيق يصلح بين عمر والثريا |

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُؤَمِّنُ بْنُ عَمْرِ بْنِ
أَفْلَحَ مَوْلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْوَلِيدِ قَالَ أَخْبَرَنِي بِلَالُ مَوْلَى ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ قَالَ : أَنْشَدَ ابْنُ أَبِي
عَتِيقٍ قَوْلَ عَمْرٍ :

مَنْ رُسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضَيِّقْتُ ذَرْعًا بِهِجْرَهَا وَالْكِتَابِ

فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : إِنِّي أَرَادْتُ بِوَيْ نَوْهٍ ، لَا جَرَمَ وَاللَّهِ لَا أَذُوقُ أَكْلًا حَتَّى أَشْخَصَ فَأُصْلِحَ
بَيْنَهُمَا ، وَنَهَضُ وَنَهَضْتُ مَعَهُ ؛ فَجَاءَ إِلَى قَوْمٍ مِنْ بَنِي الدَّيْلِ بْنِ بَكْرٍ لَمْ تَكُنْ تُفَارِقُهُمْ نَجَائِبُ لَهُمْ
فُرَّةٌ يُكْرَوْنَهَا ، فَاتَكْرَى مِنْهُمْ رَاحِلَتَيْنِ وَأَعْلَى لَهُمْ . فَقُلْتُ لَهُ : اسْتَوَضِعُهُمْ أَوْ دَعْنِي أَمَا كَسَهُمْ ؛
فَقَدْ اسْتَطَوُّوا عَلَيْكَ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمِكَّاسَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ ؟ ثُمَّ رَكِبَ

1 ديوان عمر : 59-60 .

2 عدد القطر في الديوان : عدد النجم .

إحدهما وركبتُ الأخرى ، فسار سَيْرًا شديدًا ؛ فقلتُ : أبقِ على نفسك ؛ فإنَّ ما تريد ليس يَفُوتُكَ . فقال : وَيَحْك ، [من الخفيف]

أَبَادِرُ حَبْلِ الْوَدِّ أَنْ يَتَقَضَّبَا

وما حلاوة الدنيا إنَّ تَمَّ الصَّدْعُ بينَ عَمَرٍ والثَّريَّا ؟ فَقَدِمْنَا مَكَّةَ لَيْلًا غيرَ مُحْرَمِينَ ، فَدَقَّ على عمر بابهُ ، فخرج إليه وسلَّم عليه ولم ينزل عن راحلته ؛ فقال له : اركبْ أَصْلِحَ بَيْنِكَ وبينَ الثَّريَّا ؛ فأنا رسولك الذي سألتَ عنه . فركب معنا وَقَدِمْنَا الطَّائِفَ ، وقد كان عَمَرُ أَرْضَى أُمَّ نُوْفَلٍ فكانت تطلبُ له الحَيْلَ لِإِصْلَاحِهَا فلا يمكنها . فقال ابنُ أبي عتيقِ للثَّريَّا : هذا عمر قد جَشَمَنِي السَّفَرُ من المدينة إليك ، فجئْتُكَ به مُعْتَرِفًا لكَ بِذَنْبٍ لم يَجْنِهِ ، معترفًا إليك من إساءته إليك ؛ فدعيني من التَّعدادِ والتَّردِّادِ ؛ فإنَّه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون ؛ فصالحته أحسنُ صُلْحٍ وأتمَّ وأجملهُ ، وكرَّرْنَا إلى مَكَّةَ ، فلم ينزلها ابنُ أبي عتيقِ حتَّى رحل . وزاد عمر في أبياته¹ :

أَزْهَقْتُ أُمَّ نُوْفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا مُهْجَتِي ، مَا لِقَاتِلِي مِنْ مَتَابِ
حِينَ قَالَتْ لَهَا أَجِيبِي فَقَالَتْ مَنْ دَعَانِي ؟ قَالَتْ أَبُو الْخَطَّابِ
فَاسْتَجَابَتْ عِنْدَ الدَّعَاءِ كَمَا لَبَّ سَى رَجَالٌ يَرْجُونَ حَسَنَ الثَّوَابِ

قال الزبير : وما دَعَتْهَا أُمَّ نُوْفَلٍ إِلَّا لِابْنِ أَبِي عَتِيقٍ ، وَلَوْ دَعَتْهَا لَعَمَرَ مَا أَجَابَتْ . قال : وسألتُ عَمِّي عن أُمَّ نُوْفَلٍ ، فقال : هي أُمُّ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ أَبِي الثَّريَّا . وسألتُه عن قوله :

..... كَمَا لَبَّ سَى رَجَالٌ يَرْجُونَ حَسَنَ الثَّوَابِ

فقال : كَرَّرْتُ فِي التَّلِيَّةِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُحْرِمُ ، فقالت : لَيْلِكَ لَبِيك .
وأخبرني حبيب بن نصر قال حدَّثنا الزبير بن بكار عن عَمِّه أَنَّ بَعْضَ الْمَكِّيِّينَ قَالَ : كَانَتْ الثَّريَّا تَصُبُّ عَلَيْهَا جَرَّةَ مَاءٍ وَهِيَ قَائِمَةٌ فَلَا يُصِيبُ ظَاهِرَ فَخْذَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ عِظْمٍ عَجِيزَتِهَا .
وأخبرني حبيب بن نصر قال حدَّثنا عمر بن شُبَّةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بِخَبَرِ الثَّريَّا هَذَا مَعَ عَمَرٍ ، فَذَكَرَ نَحْوَهُمَا ذَكَرَهُ الزَّبير ، وَقَالَ فِيهِ : لَمَّا أَنَاخَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ بَابَ الثَّريَّا أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ : مَا حَاجْتُكَ ؟ قَالَ : أَنَا رَسُولُ عَمَرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَأَنْشَدَهَا الشَّعْرَ . فقالت : ابنُ أَبِي رَبِيعَةَ فَارِغْ وَنَحْنُ فِي شُغْلٍ ، وَقَدْ تَعَبْتُ فَأَنْزِلْ بِنَا . فقال : مَا أَنَا إِذَا بَرَسُول . ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعًا إِلَى ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بِمَكَّةَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ فَأُصْلِحَ بَيْنَهُمَا .

1 الأبيات في القصيدة السابقة في الديوان .

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم بن إسحاق العنزي قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ ، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية ، وأخبرني به الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن مؤمن بن عمر بن أفلح عن عبد العزيز بن عمران ، قالوا : قدّم عمر بن أبي ربيعة المدينة ، فنزل على ابن أبي عتيق ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، فلما استلقى قال : أوّه ! [من الخفيف]
مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضِيقْتُ ذَرْعاً بِهِجْرَهَا وَالْكِتَابِ

فقال ابن أبي عتيق : كلّ مملوك لي حرٌّ إن بلغها ذاك غيري . فخرج ، حتى إذا كان بالمصلّى مرّ بنصيب وهو واقفٌ فقال : يا أبا محجنٍ . قال لبيك ! قال : أتودّع إلى سلمى شيئاً ؟ قال نعم . قال : وما ذاك ؟ قال : تقول لها يا ابن الصديق : إنك مررت بي فقلت لي : أتودّع إليها شيئاً ، فقلت :

أَتَصْبِرُ عَنْ سَلَمَى وَأَنْتَ صَبُورُ وَأَنْتَ بِحُسْنِ الْعَزْمِ مِنْكَ جَدِيرُ¹
وَكِدْتُ وَلَمْ أُحْلِقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا سَنَى بَارِقٍ نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ
قال : فمرّ بسلمى وهي في قرية يقال لها «القسريّة»² ، فأبلغها الرسالة ؛ ففرّت زفرةً كادت أن تفرّق أضلاعها . فقال ابن أبي عتيق : كلّ مملوك لي حرٌّ إن لم يكن جوابك أحسن من رسالته ، ولو سمعك الآن لنعق وصار غراباً . ثم مضى إلى الثريا فأبلغ الكتاب . فقالت له : أما وجد رسولاً أصغر منك ؟ انزل فأرح . فقال : لست إذا برسول ؛ وسألها أن ترضى عنه ، ففعلت . وقال الزبير في خبره : فقال لها : أنا رسول ابن أبي ربيعة إليك ، وأنشدها الأبيات ، وقال لها : خشيت أن تضيق هذه الرسالة . قالت : أدّى الله عنك أمانتك . قال : فما جواب ما تجشمتُه إليك ؟ قالت : تنشده قوله في رملة :

وَجَلَا بُرْدُهَا وَقَدْ حَسَرَتْهُ ضَوْءٌ بِدِرٍ أَضَاءَ لِلنَّاطِرِينَا
فقال : أعيدك بالله يا ابنة أخي أن تغلّبيني بالمثل السائر . قالت : وما هو ؟ قال : «حريص» لا يرى عمله . قالت : فما تشاء ؟ قال : تكئبين إليه بالرضا عنه كتاباً يصل على يدي ، ففعلت . فأخذ الكتابَ ورجع من فوره حتى قدّم مكة ، فأتى عمر . فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من حيث أرسلتني . قال : وأنتى ذلك ؟ قال : من عند الثريا ، أفرخ روعك ، هذا كتابها بالرضا عنك إليك .

1 الأصوب : سعدى ، كما سيأتي في شعر نصيب . والبيتان في مجموع شعر نصيب (الدكتور داود سلوم) :

[تغنى ابن عائشة بشعر عمر في مجلس حسن بن حسن]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال : اجتمع ابن عائشة ويونس ومالك عند حسن بن حسن بن علي ، عليهم السلام ، فقال الحسن لابن عائشة : غنني «من رسولي إلى الثريا . . .» ؛ فسكت عنه فم يُجبه . فقال له جليس له : أيقول لك غنني فلا تُجيبه ؟ فسكت . فقال له الحسن : مالك ؟ ويحك ، أهلك خبال ؛ كان والله ابن أبي عتيق رضي الله عنه أجود منك بما عنده ؛ فإنه لما سمع هذا الشعر قال لابن أبي ربيعة : أنا رسولك إليها ، فمضى نحو الثريا حتى أدى رسالته ، وأنت معنا في المجلس تبخل أن تغنيه لنا ، فقال له : لم أذهب حيث ظننت ، إنما كنت أتخير لك أي الصوتين أغني : أقوله¹ : [من الخفيف]

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضَافِنِي الهمُّ وَاَعْتَرَتْنِي الهمومُ
يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّنِي مُسْتَهَامٌ بِهِوَائِكُمْ وَأَنَّنِي مَرْحُومٌ

أم قوله :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا فَإِنِّي ضَبَقْتُ ذُرْعًا بِهِجْرَهَا وَالْكِتَابِ

فقال له الحسن : أسأنا بك الظنُّ أبا جعفر ، غنَّ بهما جميعاً ، فغناهما . فقال له الحسن : لولا أنك تغضب إذا قلنا لك : أحسنت ، لقلت لك : أحسنت والله ، قال : ولم يزل يُرددُهما بَقِيَّةَ يَوْمِهِ .

[ينشد عمر ابن أبي عتيق شعره في الثريا]

أخبرنا الحرّمي بن أبي الغلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني يعقوب بن إسحاق الرّبعي عن أبيه قال : أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قوله :

لَمْ تَرَ الْعَيْنُ لِلثَّرِيَا شَبِيهَا بِمَسِيلِ التَّلَاعِ يَوْمَ التَّقِينَا

فلما بلغ إلى قوله :

ثُمَّ قَالَتْ لِأُخْتِهَا قَدْ ظَلَمْنَا إِنْ رَدَدْنَاهُ خَائِبًا وَاعْتَدَيْنَا

قال : أحسنت والهدايا² وأجادت . ثم أنشده ابن أبي عتيق مُتَمَثِّلًا قول الشاعر :

[من الخفيف]

أَرِنِي جَوَادًا مَاتَ هُزْلًا لَعَلَّنِي أَرَى مَا تَرَيْنِ أَوْ بِخِيَلًا مُخَلَّدًا³

1 البيتان في ديوان عمر : 394 .

2 والهدايا : قَسَمٌ ؛ وهي ما ينحر من الحيوان في الحج .

3 ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال) : 230 .

فلما بلغ عمر إلى قوله في الشعر :

في خلَاءٍ من الأُنيسِ وأُمْنٍ

قال ابن أبي عتيق : أمكنتُ للشاربِ الغُدرَ «مَنْ عَالَ بعدها فلا آنَجبر»¹ . فلما بلغ إلى قوله :

فمكَّننا كذاك عَشْرًا تَباعاً في قِضاءٍ لِدَيْنِنا واقتَضَيْنَا

قال : أما والله ما قضيتها ذهباً ولا فضةً ولا اقتضيتها إياه ، فلا عَرَفَكُما اللهُ قبيحاً ! فلما بلغ إلى قوله :

كان ذا في مَسِيرِنا إذ حَجَجْنَا عِلْمَ اللهِ فيه ما قَدْ نَوَيْنَا

قال : إنَّ ظاهرَ أمرِك ليدُلُّ على باطنه ، فأرود² التفسير ، ولئن مُتَّ لأموتنَّ معك ، أفَّ للدينا بعدك يا أبا الخطاب . فقال له عمر : بل عليها بعدك العفاء يا أبا محمد .

قال : فلَقِيَ الحارثُ بن خالد بن أبي عتيق فقال : قد بلغني ما دار بينك وبين ابن أبي ربيعة ، فكيف لم تتحلَّلاً مني³ ؟ فقال له ابن أبي عتيق : يَغْفِرُ اللهُ لك يا أبا عمرو ، إنَّ ابنَ أبي ربيعة يُبرىءُ القَرَحَ ، ويضعُ الهناءَ مواضعَ النقبِ⁴ ، وأنتَ جميلُ الخَفَضِ . فضحك الحارث بن خالد وقال : «جُبِكَ الشيءُ يُعْمَى ويُصِمُّ» . فقال : هيهاتَ أنا بالحُسنِ عالمٌ نظَّار !

[خبر السواد في ثنيتي عمر]

وأما خبر السواد في ثنيتي عمر فإن الزبير بن بكار ذكره عن عمِّه مُصعب في خبره : أنَّ امرأةً غارت عليه فاعترضته بمسواكٍ كان في يدها فضربت به ثنيتيه فاسودَّتا .

وذكر إسحاق الموصلي عن أبي عبد الله المُسيَّبِيِّ وأبي الحسن المدائني : أنَّه أتى الثريا يوماً ومعه صديق له كان يصاحبه ويتوصَّلُ بذكره في الشعر ، فلما كشفت الثريا السَّتر وأرادت الخروج إليه ، رأت صاحبه فرجعت . فقال لها : إنَّه ليس مِّنْ أَحْتَشِمُهُ ولا أُخْفِي عنه شيئاً ؛ واستلقى فضحك ، وكان النساءُ إذ ذاك يتختمنَ في أصابعهنَّ العَشْرَ ، فخرجت إليه فضربت به بظاهر كفِّها ، فأصابَت الخواتيم ثنيتيه العُلَيَّيْنِ فَنَعَضَتَا وكادتا تَسْقُطان⁵ ، فَقَدِمَ البصرة فعُولَجَتَا له ، فَجَبَّتَا واسودَّتا . فقال الحزين الكِنَانِي يُعَيِّرُهُ بذلك ، وكان عدوُّه وقد بلغه خبره :

[من البسيط]

1 من عال بعدها فلا آنجبر : هذا مثل ، أي من افتقر بعد هذا فلا استغنى .

2 أرود : ترفق ؛ وربما قرنت فأورد .

3 تحلل : سأل الآخر أن يجعله في حل .

4 يضع الهناء مواضع النقب : مثل يضرب للدقيق الذي يضع شيء في المكان المناسب .

5 ل : فنعضتا ، وكادت أن تقتلعهما وخاف أن يسقطا .

ما بالُ سِنَّكَ أُم ما بالُ كَسْرَهما أَهْكَذا كُسِرا في غيرِ ما باس¹
 أُم نَفْعَةٌ من فِئاةٍ كُنْتَ تَأْلُفُها أُم نالَها وَسَطٌ شَرِبَ صَدْمَةُ الكاسِ
 قال : ولقيه الحزين الكِناني ، يوماً فأنشده هذين البيتين ؛ فقال له عمر : اذْهَبْ اذْهَبْ ،
 وَيْلَكَ ، فَإِنَّكَ لا تُحَسِّنُ أن تقول² : [من الرمل]

صوت

لَيْتَ هَنداً أَنْجَزْتَنَا ما تَعِدُ وَشَفْتَ أَنْفُسَنَا مَما تَجِدُ
 واستبدت مرةً واحدةً إِنما العاجزُ مَنْ لا يَسْتَبِدُ

لابن سريج في هذا الشعر رملٌ بالخنصر في مجرى البِنْصر عن إسحاق ، وخفيف رملٍ
 [أيضاً] في هذه الإصبع وهذا المجرى عن ابن المكي . ولمالك [فيه] ثَقِيلٌ أَوَّلُ عن الهشامي .
 ولُتَيْمٌ ثاني ثَقِيلٍ عن ابن المعتز . وذكر أحمد بن أبي العلاء عن مُخارق أن خفيف الرمل ليحيى
 المكيّ صنعه وحكى فيه لحن [هذا الصوت] :
 اسْلَمِي يا دارُ مِنْ هَند

أخبر الثريا مع الحارث أخي عمر أ

حدّثني عليُّ بن صالح قال حدّثني أبو هَفان عن إسحاق الموصليّ عن رجاله المذكورين :
 أن الثريّا واعدت عمر بن أبي ربيعة أن تزوره ، فجاءت في الوقت الذي ذكرته ، فصادفت
 أخاه الحارث قد طرّفه وأقام عنده ، ووجّه به في حاجة له ونام مكانه وغطّى وجهه بثوبه ، فلم
 يشعر الحارث إلا بالثريّا قد أَلقتَ نفسَها عليه تُقبّله ، فانتبه وجعل يقول : اغزبي عني فلستُ
 بالفاسق ، أخزأكما الله ، فلما عِلِمْتُ بالقِصّة انصرفت . ورجع عمر فأخبره الحارث بخبرها ؛
 فاغتمّ لما فاتته منها ، وقال : أَمّا والله لا تَمسُكُ النارُ أبداً وقد أَلقتَ نفسَها عليك . فقال له
 الحارث : عليك وعليها لعنة الله .

وأخبرني بهذه القِصّة الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بَكَار عن يعقوب بن إسحاق
 الربيعيّ عن الثقة عنده عن ابن جريج عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفيّ : أن الحارث بن عبد الله زار
 أخاه ، ثم ذكر نحوه من الذي ذكره إسحاق ، وقال فيه : بلغ عمر خبرها ، فجاء إلى أخيه
 الحارث وقال له : جُعِلْتُ فِداءك ، ما لك ولأَمَةِ الوَهّابِ ابنتك ؟ أَتَتَكَ مُسْلِمَةً عليك فلعتّها
 وزجرتها وتهدّدتها ، وما هي تيك باكية . فقال : وإنّها لهي ، قال : ومن تراها تكون ؟ قال :
 فانكسر الحارثُ عنه وعن لومِهِ .

1 ما بالُ كسرهما في ل : أُم ما شأنُ حسنهما .

2 ديوان عمر : 101-102 .

[سهيل يتزوج الثريا]

أخبرني علي بن صالح قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم عن جعفر بن سعيد عن أبي سعيد مولى فائد ، هكذا قال إسحاق ، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني جعفر بن سعيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار . ورواه أيضاً حماد بن إسحاق عن أبيه عن جعفر بن سعيد فقال فيه : عن أبي عبيدة العماري ، ولم يذكر أبا سعيد مولى فائد : قالوا : تزوج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريا ، وقال الزبير : بل تزوجها أبو الأبيض سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، فحملت إليه وهو بمصر . والصواب قول من قال : سهيل بن عبد العزيز ؛ لأنه كان هناك منزله ، ولم يكن لسهيل بن عبد الرحمن هناك موضع . فقال عمر : [من الخفيف]

صوت

أيها المنكحُ الثريا سهيلاً عَمَرَكَ اللهُ كيف يلتقيان

هي شاميةٌ إذا ما استقلتُ وسُهَيْلٌ إذا استقلَّ يَمَانِي

الغناء للغريض خفيف ثقيل بالبنصر . وفيه لعبد الله بن العباس ثاني ثقيل بالبنصر . وأولُ هذه القصيدة¹ :

أيها الطارق الذي قد عَنَانِي بعد ما نام سامِرُ الرُّكْبَانِ

زارَ مِنْ نازِحٍ بغيرِ دليلٍ يَتَخَطَّى إِلَيَّ حَتَّى أَتَانِي

وذكر الرياشي عن ابن² زكريا الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن التميمي عن أبيه عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزومي قال : كان عمر بن أبي ربيعة قد أُلْحَ على الثريا بالهوى . فشَقَّ ذلك على أهلها ، ثم إنَّ مَسْعَدَةَ بنَ عمر أخرج عمر إلى اليمين في أمر عَرَضَ له ، وتزوجت الثريا وهو غائب ، فبلغه تزويجها وخروجها إلى مصر ، فقال :

أيها المنكحُ الثريا سهيلاً عَمَرَكَ اللهُ كيف يلتقيان

وذكر الأبيات . وقال في خبره : ثم حملة الشوق على أن سار إلى المدينة فكتب إليها³ :

كُتِبَتْ إِلَيْكَ مِنْ بَلَدِي كِتَابٌ مُؤَلِّهِ كَمَدٍ

1 ديوان عمر : 438 وقد أفرد البيتان عن الأبيات التي أولها «أيها المنكح» .

2 هو محمد بن زكريا الغلابي .

3 ديوان عمر : 114 .

كَتَبَ وَاكْفِ الْعَيْنِ
يُورِقُهُ لَهَيْبُ الشَّوْ
قِي بَيْنَ السَّحْرِ وَالْكَدِ
وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ بِيَدِ

وكتبه في قُوْهِيَّة² وشنفه وحسنه وبعث به إليها . فلما قرأته بكت بكاءً شديداً ، ثم
تمثلت :

بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِيلُ بِنَفْسِهِ
وَمَنْ هُوَ إِنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعُ³

وكتبت إليه تقول⁴ :

أَتَانِي كِتَابٌ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ
وَقِرْطَاسُهُ قُوْهِيَّةٌ وَرِبَاطُهُ
وَفِي صَدْرِهِ : مَنِي إِلَيْكَ تَحِيَّةٌ
وَعُنْوَانُهُ مِنْ مُسْتَهَامٍ فَوَادُهُ

قال مؤلف هذا الكتاب : وهذا الخبرُ عندي مصنوعٌ ، وشعرُهُ مُضَعَّفٌ يدلُّ على ذلك ،
ولكنِّي ذكرته كما وقع إليَّ .

[الثريا عند الوليد بن عبد الملك]

قال أبو سعيد مولى فائِدٍ وَمَنْ ذكر خبره مع الثريا : فمات عنها سهيلاً أو طَلَّقَهَا ، فخرجت إلى
الوليد بن عبد الملك وهو خليفة بدمشق في دَيْنٍ عليها ؛ فبينما هي عند أُمِّ الْبَنِينِ بنتِ عبد العزيز بن
مروان ، إذ دخل عليها الوليد فقال : مَنْ هذه ؟ فقالت : الثريا جاءتنِي ، تَطْلُبُ إِلَيْكَ فِي قَضَاءِ دَيْنٍ
عليها وحوائج لها . فأقبلَ عليها الوليدُ فقال : أَتُرَوِّينَ من شعرِ عمر بن أبي ربيعة شيئاً ؟ قالت :
نعم ، أما إنه يرحمه الله كان عفيفاً عَفِيفَ الشَّعْرِ ، أُرْوِي قوله⁵ :

صوت

مَا عَلَى الرَّسْمِ بِالْبُلَيْيْنِ لَوْ بَيَّ
مِنْ رَجَعِ السَّلَامِ أَوْ لَوْ أَجَابَا
فإِلَى قَصْرِ ذِي الْعُشَيْرَةِ فَالْصَّا
رِفِ أُمْسَى مِنَ الْأَنْبَسِ يَبَابَا⁶

1 السحر : الرثة .

2 قوهية : قطعة قماش من صنع قوهستان .

3 الشعر والشعراء لابن قتيبة (ط . دار صادر) : 470 ليلي ترثي قيس .

4 انظر خزائن الأدب 1 : 31 وما بعدها .

5 ديوان عمر : 40 .

6 ذو العشيرة : موضع بالصَّمان . الصائغ : من نواحي المدينة .

وبما قد أرى به حيَّ صِدْقٍ ظاهري العيشِ نعمةً وشباباً
إذ فؤادي يَهْوَى الرَّبَّابَ وَأَتَى الدَّ هَرَ حَتَّى المَمَاتِ أَنْسَى الرَّبَّابَا
وحساناً جَوَارِيّاً خَفِرَاتٍ حافظاتٍ عند الهوى الأحسابا
لا يُكْثَرْنَ في الحديثِ ولا يت بعنَ يَنْعَقْنَ بِالْبِهَامِ الظُّرَابَا¹

فقضى حوائجها وانصرفت بما أرادت منه . فلما خلا الوليدُ بأمِّ البَيْنِ قال لها : لله دُرُّ الثريا ، أتدريينَ ما أرادتُ بإنشادها ما أنشدتني من شعر عمر ؟ قالت لا . قال : إني لما عَرَضْتُ لها به عَرَضْتُ لي بأن أمِّي أعراييةٌ . وأمُّ الوليدِ وسليمان ولأدَّة بنتُ العبَّاس بن جزي بن الحارث بن زهير بن جذيمة العبسي .

الغناء في الأبيات التي أنشدتها الثريا الوليد بن عبد الملك لملك بن أبي السَّمَح خفيف ثَقِيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنَصْر . وفيها لابن سريج رمل بالخنصر في مجرى البِنَصْر . وفيها لإبراهيم خفيف ثَقِيلٍ بالسبابة في مجرى البِنَصْر كلها عن إسحاق . وذكر حبش أيضاً أن فيها لابن مِسْجَحٍ خفيفَ رملٍ بالوسطى . وذكر عمرو بن بانة أن لابن مُحرزٍ فيها خفيف ثَقِيلٍ بالوسطى .

ومما يُعْنَى فيه من أشعارِ عمر بن أبي ربيعة التي قالها في الثريا من القصيدة التي أولها «من رسولي» :

صوت

وَبَدَّتْ حَتَّى إِذَا جُنَّ قَلْبِي حال دوني ولأيدُ بالثيابِ
يا خليلي فاعلماً أن قَلْبِي مُسْتَهَامٌ بِرَبَّةِ المِحْرَابِ²

الغناء لابن سريج ثاني ثَقِيلٍ بالوسطى عن عمرو . ومنها :

صوت

أَقْتُلْنِي قَتْلًا سَرِيعاً مُرِجاً لا تَكُونِي عَلَيَّ سَوَطَ عَذَابِ
شَفَّ عَنْهَا مُحَقَّقٌ جَنْدِيٌّ فهي كالشمس من خِلَالِ السَّحَابِ³

الغناء للغريض ثاني ثَقِيلٍ بالبِنَصْر عن عمرو . ومنها :

1 يعني أَنَّهُنَّ لسن راعيات غنم ، يصحن زجراً لها بين الروابي (الظراب) .

2 المحراب هنا : العلية .

3 جندي : ثوب من صنع الجند باليمن ، محقق : عليه صور حق .

صوت

قال لي صاحبي لَيْعَلَمْ ما بي أَتُحِبُّ الْبُتُولَ أُحْتَ الرِّبَابُ¹
 قلتُ وَجَدِي بها كَوَجْدِكَ بالما إِذا ما مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرَابِ
 الغناء للملكِ رَمَلٌ مُطْلَقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . ومنها : [من الخفيف]

صوت

أَذْكَرْتَنِي من بَهْجَةِ الشمسِ لَمَّا بَرَزْتُ من دُجْنَةِ وَسْحَابِ
 أَزْهَقْتُ أُمُّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَتْهَا مُهْجَتِي ، ما لِقَاتِي مِنْ مَتَابِ
 حين قالت لها أَجِيبِي فقالت مَنْ دَعَانِي ؟ قالتْ أَبُو الْخَطَّابِ
 الغناء للغريض خفيفُ رَمَلٍ عن الهشاميِّ وحمَّاد بن إسحاق . ومنها² : [من الخفيف]

صوت

مَرْحَبًا ثم مرحباً بالتني قَا لَتْ غَدَاةَ الْوَدَاعِ عند الرِّحِيلِ
 لِلثَّرِيَا قَوْلِي له أَنْتَ هَمِّي وَمُنَى النَّفْسِ خَالِيًا وَخَلِيلِي
 الغناء لابن مُحَرِّزٍ ثَقِيلٌ مُطْلَقٌ في مجرى البِنْصَرِ عن إسحاق . وفيه لابن سريج خفيف
 رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو . ومنها³ : [من الوافر]

صوت

زَعَمُوا بَانَ الْبَيْنَ بعدَ غَدٍ فَالْقَلْبُ مِمَّا أَزْمَعُوا يَجِفُّ⁴
 تَشْكُو ونشكو ما أَشَتْ بنا كُلُّ لَوْشِكِ الْبَيْنِ يَعْتَرِفُ
 حَلَفُوا لَقَدْ قَطَعُوا بَيْنَهُمْ وَحَلَفْتُ أَلْفًا مِثْلَ ما حَلَفُوا
 الغناء للغريض خفيف ثَقِيلٌ بالوسطى . ومنها⁵ : [من الخفيف]

صوت

فَلَوْتُ رَأْسَهَا ضِرَارًا وَقَالَتْ لَا وَعَيْشِي وَلَوْ رَأَيْتُكَ مُتًا

1 البتول في ل : القبول .

2 ديوان عمر : 301-302 .

3 ديوان عمر : 258 .

4 وجف يجف : خفق .

5 ديوان عمر : 74 .

حِينَ آثَرْتَ بِالْمَوَدَّةِ غَيْرِي وَتَنَاسَيْتَ وَصَلْنَا وَمَلَلْنَا
قَدْ وَجَدْنَاكَ إِذْ خَبِرْتَ مَلُولًا طَرِفًا لَمْ تَكُنْ كَمَا كُنْتَ قُلْنَا¹

الغناء لمالكٍ رمل ثقيلٌ أَوَّلُ بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن سريج خفيف ثقيلٍ عن الهشامي ، وكذا رَوَتْهُ دنانير عن فليح ، وقد نسب قوم لحن مالك إلى الغريض . ومنها² : [من الخفيف]

صوت

يَا خَلِيلِي سَائِلَا الْأَطْلَالَ وَمَحَلًّا بِالرَّوَضَتَيْنِ أَحَالَا³
وَيُرَوَى : بِالْبُلْبُلَيْنِ إِنْ أُحْرَنَ سُؤَالَا⁴

وَسَفَاهُ لَوْلَا الصَّبَابَةُ حَبْسِي فِي رُسُومِ الدِّيَارِ رَكْبًا عَجَلَا
بَعْدَ مَا أَقْفَرْتُ مِنْ آلِ الثَّرِيَا وَأَجَدْتُ فِيهَا النَّعَاجُ ظِلَالَا

الغناء لابن سريج هزج خفيفٌ مُطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحكم الوادي ثقيلٌ أَوَّلُ من جامع أغانيه . وذكر ابن دينار أنَّ فيه لابن عائشة لحنًا لم يذكر طريقته . وذكر إبراهيم أنَّ فيه لدحمان لحنًا ولم يُجنِّسه . وقال حبَّش : فيه لإسحاق ثقيلٌ أَوَّلُ بالوسطى .

[سهيل ينقل الثريا إلى الشام]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو عبد الله التميمي ، يعني أبا العيناء ، عن القَحْدَمِيِّ عن أبي صالح السَّعْدِيِّ قال : لما تزوج سُهَيْل بن عبد العزيز الثريا ونقلها إلى الشام ، بلغ عمر بن أبي ربيعة الخبر ، فأتى المنزل الذي كانت الثريا تنزله ، فوجدها قد رحلت منه يومئذٍ ، فخرج في أثرها فلحقها على مرحلتين ، وكانت قبل ذلك مهاجرة لأمر أنكرته عليه . فلما أدركهم نزل عن فرسه ودفعه إلى غلامه ومشى مُتَنَكِّرًا حتى مرَّ بالخيمة ؛ فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته ، فقالت لحاضتها : كلميه ؛ فسلمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغ الثريا عنه ؛ فاعتذر وبكى ، فبكت الثريا ؛ فقالت : ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرِّجُل . فحادثها إلى وقت طلوع الفجر ثم ودَّعها وبكى طويلاً ، وقام فركب فرسه ووقف ينظر إليهم وهم يرحلون ، ثم اتَّبَعَهُمْ بصره حتى غابوا ؛ وأنشأ يقول⁵ : [من البسيط]

1 الطرف : الملول .

2 ديوان عمر : 321-322 .

3 الروضتان : مثني يرد به المفرد .

4 أحرن : رجعن ، رددن .

5 ديوان عمر : 315-317 مع بعض اختلاف .

عن حال مَنْ حَلَّه بِالْأُمْسِ مَا فَعَلَا
 إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنَ فَاِحْتَمَلَا
 فِي الْفَجْرِ يَحْتَثُّ حَادِي عَيْسِهِمْ زَجَلَا¹
 هَوَاتِفُ الْبَيْنِ وَاسْتَوْلَتْ بِهِمْ أَصْلَا
 بِاللَّهِ لَوْمِيهِ فِي بَعْضِ الَّذِي فَعَلَا
 مَاذَا يَقُولُ وَلَا تَعْيِي بِهِ جَدَلَا
 فِينَا لَدَيْهِ إِلَيْنَا كُلُّهُ نُقَلَا
 فِي بَعْضِ مَعْتَبَةٍ أَنْ تُغْضِبِي الرِّجُلَا²
 وَإِنْ أَتَى الذَّنْبُ مِمَّنْ يَكْرَهُ الْعَدَلَا
 مَا آبَ مُغْتَابُهُ مِنْ عِنْدِنَا جَدَلَا
 وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى ذِي اللَّبِّ مَنْ هَزَلَا
 وَقَدْ أَرَى أَنَّهَا لَنْ تَعْدَمَ الْعِلَلَا³
 وَلَا الْفَوَادُ فَوَادًا غَيْرَ أَنْ عَقَلَا
 فَمَا عَبَّاتُ بِهِ إِذْ جَاءَنِي حَوْلَا⁴
 مَقَالَةَ الْكَاشِحِ الْوَاشِي إِذَا مَجَلَا⁵
 وَقَدْ يَرَى أَنَّهُ قَدْ غَرَّنِي زَلَلَا

يَا صَاحِبِي قِفَا نَسْتَخِيرِ الطَّلَلَا
 فَقَالَ لِي الرَّبْعُ لَمَّا أَنْ وَقَفْتُ بِهِ
 وَخَازَعْتُكَ النَّوَى حَتَّى رَأَيْتَهُمْ
 لَمَّا وَقَفْنَا نُحْيِيهِمْ وَقَدْ صَرَخَتْ
 صَدَّتْ بَعَادًا وَقَالَتْ لَلَّتِي مَعَهَا
 وَحَدَّثِيهِ بِمَا حَدَّثْتَ وَاسْتَمِعِي
 حَتَّى يَرَى أَنَّ مَا قَالَ الْوُشَاةُ لَهُ
 وَعَرَفِيهِ بِهِ كَالْهَزَلِ وَاحْتَفِظِي
 فَإِنَّ عَهْدِي بِهِ وَاللَّهُ يَحْفَظُهُ
 لَوْ عِنْدَنَا اغْتَيْبَ أَوْ نِيلَتْ نَقِصَتُهُ
 قُلْتُ اسْمِعِي فَلَقَدْ أَبْلَغْتَ فِي لَطْفِ
 هَذَا أَرَادَتْ بِهِ بُخْلًا لِأَعْذَرَهَا
 مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إِلَّا مَنْ تَقَلَّبَهُ
 أَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي قَالَتْ أُتِيتَ بِهِ
 مَا إِنْ أَطْعْتُ بِهَا بِالْغَيْبِ قَدْ عَلِمْتُ
 إِنِّي لَأَرْجِعُهُ فِيهَا بِسَخَطْتُهُ

وهي قصيدة طويلة مذكورة في شعره .

[وفاة الثريا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر ومحمد بن خلف بن المزيان
 قالوا حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا محمد بن يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال حدثني
 كثير بن كثير السهمي قال : لما ماتت الثريا أتاني الغريض فقال لي : قل أبيات شعرٍ أنح
 بها على الثريا فقلت :

[من الخفيف]

- 1 زجلاً : رافعاً الصوت بالحداء .
- 2 في بعض في الديوان : في غير .
- 3 لأعذرها في الديوان : لتعذرها .
- 4 الحول : الحيلة .
- 5 محل : سعى به فساداً وكيداً .

صوت

أَلَا يَا عَيْنُ مَا لَكَ تَدْمَعِينَا أَمِنْ رَمَدٍ بَكَيتِ فَتُكْحَلِينَا
 أَمْ أَنْتِ حَزِينَةٌ تَبْكِينَ شَجَوًّا فَشَجْوُكَ مِثْلُهُ أَبْكِي الْعِيُونَا
 غَنَى الْغَرِيضُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَحْنًا مِنْ خَفِيفِ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى عَنْ عَمْرٍو وَيَحْيَى
 الْمَكِّي وَالْمُشَامِيَّ وَغَيْرَهُمْ .
 [وفاة عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الجبار بن سعيد
 المساحقي قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جده عن ثعلبة بن
 عبد الله بن صُعَيْر : أَنَّ عَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ نَظَرَ فِي الطَّوْافِ إِلَى امْرَأَةٍ شَرِيفَةٍ ، فَرَأَى أَحْسَنَ خَلْقِ
 اللَّهِ صُورَةً ، فَذَهَبَ عَقْلُهُ عَلَيْهَا ، وَكَلَّمَهَا فَلَمْ تُجِبْهُ ؛ فَقَالَ فِيهَا : [من البسيط]

الرَّيْحُ تَسْحَبُ أَذْيَالًا وَتَنْشُرُهَا يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِّنْ تَسْحَبِ الرِّيحِ
 كَيْمَا تَجُرُّ بِنَا ذَيْلًا فَتَطْرَحُنَا عَلَى الَّتِي دُونَهَا مُعْبَرَةٌ سُوحُ
 أَنِّي بِقُرْبِكُمْ أَمْ كَيْفَ لِي بِكُمْ هَيْهَاتَ ذَلِكَ مَا أُمْسَتْ لَنَا رُوحُ
 فَلَيْتَ ضِعْفَ الَّذِي أَلْقَى يَكُونُ بِهَا بَلْ لَيْتَ ضِعْفَ الَّذِي أَلْقَى تَبَارِيحُ
 إِحْدَى بُنَيَاتِ عَمِّي دُونَ مَنْزِلِهَا أَرْضُ بَقِيعَانِهَا الْقَيْصُومُ وَالشَّيْحُ
 فَبَلَغَهَا شَعْرُهُ فَجَزَعَتْ مِنْهُ . فَقِيلَ لَهَا : اذْكُرِيهِ لِرُوحِكَ ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْكَرُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ .
 فَقَالَتْ : كَلَّا وَاللَّهِ لَا أَشْكُوهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ . ثُمَّ قَالَتْ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ نَوَّهَ بِاسْمِي ظَالِمًا
 فَاجْعَلْهُ طَعَامًا لِلرَّيْحِ . فَضَرَبَ الدَّهْرُ مِنْ ضَرْبِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ غَدَا يَوْمًا عَلَى فَرَسٍ فَهَبَّتْ رِيحٌ فَنَزَلَ
 فَاسْتَرَّ بِسَلْمَةٍ² ، فَعَصَفَتِ الرِّيحُ فَخَلَدَتْهُ غُصْنٌ مِنْهَا فَدَمِيَ وَوَرِمَ بِهِ وَمَاتَ مِنْ ذَلِكَ .

1 ديوان عمر : 89 .

2 ل : فنزل فاستدري .

[6] - أخبار ابن سريج ونسبه¹

[نسب ابن سريج]

هو عبيد بن سريج ، ويكنى أبا يحيى ، مولى بني نوفل بن عبد مناف . وذكر ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين أنه مولى لبني الحارث بن عبد المطلب .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان قال : ابن سريج مولى لبني ليث ، ومنزله مكة .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : سألت الحسن بن عتبة اللّهي عن ابن سريج فقال : هو مولى لبني عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وفي بني عائذ يقول الشاعر :

فإن تصلح فإنك عائذي وصلح العائذي إلى فساد²

قال إسحاق : وقال سلمة بن نوفل بن عمارة : ابن سريج مولى عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن نوفل ، أو ابن عامر بن الحارث بن نوفل بن عبد مناف .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن أبي أيوب المديني قال : ذكر إبراهيم بن زياد بن عنبسة بن سعيد بن العاص : أن ابن سريج كان آدم أحمر ظاهر الدم سناطاً³ في عينيه قبل⁴ ، بلغ خمساً وثمانين سنة ، وصلح فكان يلبس جمة⁵ مركبة ، وكان أكثر ما يرى مقنعا ، وكان منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر .

وقال ابن الكلبي عن أبيه قال : كان ابن سريج مخنثاً أحول أعمش يُلقب «وجه الباب» ، وصلح فكان يلبس جمة ؛ وكان لا يُغني إلا مقنعا يسبل القناع على وجهه .

وقال ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين : كان ابن سريج أحسن الناس غناء ، وكان يُغني مرتجلاً ويوقع بقضيب ، وغنى في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومات في خلافة هشام بن عبد الملك .

1 ل : ذكر ابن سريج وأخباره ونسبه .

2 من قصيدة لحسان بن ثابت في هجاء بني عابد بالباء كما في الخزائن 6 : 103-104 .

3 سناط : لا يثبت شعر في لحيه .

4 القبل : ضرب من الحول .

5 جمة : شعر مستعار .

قال إسحاق : وكان الحسن بن عتبة اللّهيّ يروي مثل ذلك فيه ، وذكر أنّ قبره بنخلة¹ قريباً من بستان ابن عامر .

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسن قال : كان عبيد بن سريج من أهل مكة وكان أحسن الناس غناء . قال إسحاق قال عمارة بن أبي طرفة الهذليّ : سمعت ابن جريج يقول : عبيد بن سريج من أهل مكة مولى آل خالد بن أسيد .

قال إسحاق وحدثني إبراهيم بن زياد عن أيّوب بن سلمة المخزوميّ قال : كان في عين ابن سريج قبلُ حلّو لا يبلغ أن يكون حوّلًا ، وغنى في خلافة عثمان رضي الله عنه ، ومات بعد قتل الوليد بن يزيد ، وكان له صلّع في جبهته ، وكان يلبس جمّة مركبة فيكون فيها أحسن شيء ، وكان يلقّب «وجه الباب» ولا يغضب من ذلك ، وكان أبوه تركيّاً .

وقال أبو أيّوب المدنيّ : كان ابنُ سريج ، فيما روينا عن جماعة من المكيّين ، مولى بني جندع بن ليث بن بكر ، وكان إذا غنى سدّل قناعه على وجهه حتى لا يرى حوله ، وكان يُوقّع بقضييب ، وقيل : إنّه كان يضرب بالعود ، وكانت علته التي مات منها الجذام .

[ابن سريج أوّل من ضرب بالعود الفارسيّ على الغناء العربيّ.]

قال إسحاق وحدثني أبيّ² قال : أخبرني مَنْ رأى عودَ ابنِ سريج وكان على صنعة عيدانِ الفُرس ، وكان ابن سريج أوّل من ضرب به على الغناء العربيّ بمكة . وذلك أنّه رآه مع العجّمْ الذين قدّم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة ، فأعجب أهل مكة غناؤهم . فقال ابن سريج : أنا أضرب به على غنائي ؛ فضرب به فكان أحذق الناس .

[أمّ ابن سريج]

قال إسحاق وذكر الزبيريّ : أنّ أمّ ابنِ سريج مولاة لآلِ المطّلب يقال لها «رائقة» ، وقيل : بل أمّه هند أخت رائقة ؛ فمنّ ثمّ قيل : إنّه مولى بني المطّلب بن حنطب . وكان ابنُ سريج بعد وفاة عبد الله بن جعفر قد انقطع إلى الحَكَم بن المطّلب بن عبد الله بن المطّلب بن حنطب أحد بني مخزوم ، وكان من سادة قریش ووجوهها . وأخذ ابن سريج الغناء عن ابن مسجّع .

[أصول الغناء العربيّ]

قال إسحاق : وأصلُ الغناء أربعة نفرٍ : مكّيّان ومدنيّان ؛ فالمكّيّان : ابن سريج وابن محرز ، والمدنيّان : معبد ومالك .

1 هي نخلة اليمانية .

2 ل : وحدثني الأصمعي .

[أول شهرة ابن سريج بالغناء]

قال إسحاق وقال سلمة بن نوفل بن عمار : أخبرني بذلك من شئت من مشيختنا : أن يوماً شُهر فيه ابن سريج بالغناء في ختان ابن مولاة عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين . قال لأم الغلام : خفّضي عليك بعض الغُرم والكُلفة ؛ فوالله لألهين نساءك حتى لا يدرين ما جئت به ولا ما عزمت عليه .

[شهادة هشام بن المُرّة في ابن سريج]

قال إسحاق : وسألت هشام بن المُرّة ، وكان قد عُمر ، وكان عالماً بالغناء فلا يُبارى فيه ، فقلت له : من أحذقُ الناس بالغناء ؟ فقال لي : أتجِبُ الإطالة أم الاختصار ؟ فقلت : أحبّ الاختصار الذي يأتي على سؤالي . قال : ما خلق الله تعالى بعد داود النبي عليه الصلاة والسلام أحسن صوتاً من ابن سريج ، ولا صاغ الله عزّ وجلّ أحداً أحذق منه بالغناء ، ويذكلك على ذلك أن معبداً كان إذا أعجمه غناؤه وقال : أنا اليوم سريج .

[شهادة يونس بن محمد الكاتب فيه]

قال وأخبرني إبراهيم ، يعني أباه ، قال : أدركت يونس بن محمد الكاتب فحدثني عن الأربعة : ابن سريج وابن مُحَرِّز والغريض ومعبد . فقلت له : من أحسنُ الناس غناءً ؟ فقال : أبو يحيى . قلت : عبيد بن سريج ؟ قال نعم . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : إن شئت فسرتُ لك ، وإن شئت أجملتُ . قلت : أجمّل . قال : كأنه خُلِقَ من كلِّ قلبٍ ، فهو يغني لكلِّ إنسانٍ ما يشتهي .

[شهادة إبراهيم الموصليّ فيه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحَظَة قال قال حمّاد بن إسحاق : أخبرني أبي عن الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك قال : سألتُ إبراهيم الموصليّ ليلةً وقد أخذ منه النبيذ : من أحسنُ الناس غناءً ؟ فقال لي : من الرجال أم من النساء ؟ فقلت : من الرجال . فقال : ابن مُحَرِّز . قلت : ومن النساء ؟ قال : ابن سريج . ثم قال لي : إن كان ابن سريج إلّا كأنه خُلِقَ من كلِّ قلبٍ فهو يُغني له ما يشتهي !

[شهادة إسحاق الموصليّ فيه]

أخبرني جَحَظَة قال حدثني عليّ بن يحيى المنجم قال : أرسلني محمد بن الحسين بن مصعبٍ إلى إسحاق أسأله عن لحنه ولحن ابن سريج في : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرِّي لَمَّا جَهَدَتْهُ

أَيُّهُمَا أَحْسَنُ ؟ فَصِرْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ بِخِطَامِ رَاحِلَتِهِ فَرَعَزَعْتُهَا وَأَتَحْتُهَا وَقَمْتُ بِهَا فَمَا بَلَغَتْهُ . فَرَجَعْتُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ فَأَخْبَرْتُهُ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ لَحْنَ أَحْسَنُ مِنْ لَحْنِ ابْنِ سَرِيحٍ ، وَلَقَدْ تَحَامَلُ ابْنُ سَرِيحٍ عَلَى نَفْسِهِ ،

ولكن لا يدع تعصُّبه للقدماء . وقد أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى هذا الخبر عن أبيه ، فذكر نحو ما ذكره جَحْظَةُ في خبره ولم يقل : أرسلني محمد بن الحسين إلى إسحاق . وقال جَحْظَةُ في خبره : قال علي بن يحيى : وقد صدق محمد بن الحسين ؛ لأنه قلما غني في صوت واحدٍ لحنانٍ فسقط خيرُهما ، والذي في أيدي الناس الآن من اللحنين لحنُ إسحاق ، وقد ترك لحنُ ابن سريج ، فقلَّ مَنْ يسمعه إلا من العجائز المتقدمات ومشايع المغنين . هذا أو نحوه .

[لحن إسحاق مأخوذ من لحن الأبرج]

وأخبرني يحيى بن علي قال حدثنا أبو أيوب المديني عن إبراهيم بن علي بن هشام قال : يقولون : إن ابتداء غناء إسحاق الذي في ¹ :

[من الطويل]

تَشْكِي الكُمَيْتِ الجَرِي لَمَّا جَهَّدَتْهُ

إنما أخذه من صوت الأبرج :

[من الطويل]

يقولون ما أبكأك والمالُ غامر²

نسبة هذا الصوت صوت

[من الطويل]

يقولون ما أبكأك والمالُ غامر عليك وضاحي الجلد منك كنينُ
فقلت لهم لا تسألوني وانظروا إلى الطربِ النَّزاع كيف يكونُ
غناه الأبرج ثقيلاً أول بالبصر ، عن عمرو ودنانير . وذكر الهشامي أن فيه لعزة المَرْزُوقِيَّة
ثاني ثَقِيلٍ بالوُسْطَى .

[مولد ابن سريج ووفاته واشتغاله بالغناء]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال حدثني إسماعيل بن جامع عن سباط قال : كان ابن سريج أول مَنْ غنى الغناء المُتَقَنَ بالحجاز بعد طويس ، وكان مولده في خلافة عمر بن الخطَّاب ، وأدرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه ، ومات في خلافة هشام . قال : وكان قبل أن يُغني نائحاً ولم يكن مذكوراً ، حتى ورد الخبر مكة بما فعله مُسْرِفُ بن عقبة³ بالمدينة ، فعلا على أبي قُبَيْسٍ وناح بشعرٍ هو

1 ل : الذي فيه الصباح .

2 أبكأك في ل : أهلك (حيث وردت) .

3 اسمه مسلم بن عقبة ولقب مسرفاً لأنه صاحب معركة الحرّة .

اليوم داخل في أغانيه ، وهو :

[من السريع]

يا عينُ جُودِي بالدموعِ السَّفاحِ وابكي على قَتْلِ قُرَيْشِ البَطاحِ
فاستحسن الناس ذلك منه ، وكان أول ما ندب به .

قال ابن جامع : وحدثني جماعة من شيوخ أهل مكة أنهم حدثوا : أن سُكينة بنت الحسين عليهما السلام بعثت إلى ابن سريج بشعرٍ أمرته أن يصوغ فيه لحناً يُناح به ، فصاغ فيه ، وهو الآن داخل في غنائه . والشعر :

يا أرضُ ويحكِ أكرمي أمواتي فلقد ظفرتِ بسادتي وحُماتي
فقدّمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحة مكة والمدينة والطائف .

قال وحدثني ابن جامع وابن أبي الكَنان جميعاً : أن سُكينة بعثت إليه بمملوك لها يقال له عبد الملك ، وأمرته أن يُعلمه النِّياحة ، فلم يزل يُعلمه مدّة طويلة ، ثم توفي عمُّها أبو القاسم محمد بن الحنفية عليه السلام ، وكان ابن سريج غليلاً علة صعبة فلم يقدر على النِّياحة . فقال لها عبدها عبد الملك : أنا أنوح لك نوحاً أنسيك به نوح ابن سريج . قالت : أو تحسن ذاك ؟ قال نعم . فأمرته فناح ؛ فكان نوحه في الغاية من الجودة ، وقال النساء : هذا نوح غريض ؛ فلقّب عبد الملك الغريض . وأفاق ابن سريج من علته بعد أيام وعرف خبر وفاة ابن الحنفية ، فقال لهم : فمن ناح عليه ؟ قالوا : عبد الملك غلام سُكينة . قال : فهل يجوز الناسُ نوحه ؟ قالوا : نعم وقدّمه بعضهم عليك . فحلف ابن سريج ألا ينوح بعد ذلك اليوم ، وترك النوح وعدل إلى الغناء ، فلم ينح حتى ماتت حبابه ، وكانت قد أخذت عنه وأحسنّت إليه فناح عليها ، ثم ناح بعدها على يزيد بن عبد الملك ، ثم لم ينح بعده حتى هلك . قال : ولما عدل ابن سريج عن النوح إلى الغناء عدل معه الغريض إليه ، فكان لا يُغني صوتاً إلا عارضه فيه .

[ابن سريج وعطاء بن أبي رباح]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال : حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وأنا حاضر أن يحيى المكي حدثه أن عطاء بن أبي رباح لقي ابن سريج بذِي طوى¹ ، وعليه ثياب مُصبَّغة وفي يده جِرداة مشدودة الرُّجل بخيطٍ يُطيرها ويجذبها به كلما تخلّفت ؛ فقال له عطاء : يا فتانُ ، ألا تكفُ عما أنت عليه ؟ كفى الله الناس مؤونتك . فقال ابن سريج : وما على الناس من تلويني ثيابي ولعبي بجِرداتي ؟ فقال له : تفتنهم أغانيك الخبيثة . فقال له ابن سريج : سألتك بحق من تبعته من أصحاب رسول الله صلى

1 ذو طوى : موضع عند مكة .

الله عليه وآله وسلّم ، وبحقّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عليك ، إلّا ما سمعت مني بيتاً من الشعر ، فإن سمعت منكراً أمرتني بالإمساك عما أنا عليه . وأنا أقسم بالله وبحقّ هذه البنية لئن أمرتني بعد استماعك مني بالإمساك عما أنا عليه لأفعلن ذلك . فأطمع ذلك عطاء في ابن سريج ، وقال : قل . فاندفع يغني بشعر جرير¹ :

[من الكامل]

صوت

إنّ الذين غدّوا بلبك غادروا وشلاً بعينك لا يزال مَعِيناً²
غَيَضْنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي ماذا لَقِيتَ مِنَ الهوى وَلَقِينَا

لحن ابن سريج هذا ثقیلٌ أوّلٌ بالوسطى عن ابن المكيّ والهشاميّ ، وله أيضاً فيه رمل .
ولإسحاق فيه رملٌ آخرٌ بالوسطى . وفيه هَزَجٌ بالوسطى يُنسب إلى ابن سريج والغريص . قال :
فلما سمعه عطاء اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أريجّة ، فحلف ألا يكلم أحداً بقية يومه إلّا بهذا الشعر ، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام ؛ فكان كلُّ من يأتيه سائلاً عن حلال أو حرام أو خير من الأخبار ، لا يجيبه إلّا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى ويُشدّ هذا الشعر حتى صلّى المغرب ، ولم يُعاود ابن سريج بعد هذا ولا تعرّض له .

[ابن سريج ويزيد بن عبد الملك]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الفضل بن محمد اليزيديّ قال حدّثني إسحاق عن ابن جامع عن سباط عن يونس الكاتب قال : لما قال عمر بن أبي ربيعة :

نظرتُ إليها بالمَحْصَبِ من مَنِي ولي نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ
غَنَى فيه ابن سريج .

قال : وحجّ يزيد بن عبد الملك في تلك السنة بالناس ، وخرج عمر بن أبي ربيعة ومعه ابن سريج على نَجِيَيْنِ رِحَالَتَاهُمَا³ مُلبَّستان بالديباج ، وقد خضبا النجيين ولبسا حُلَّتَيْنِ ، فجعلا يتلقيان الحاجّ ويتعرّضان للنساء إلى أن أظلم الليل ، فعذّلا إلى كَثِيبٍ مُشْرِفٍ والقمر طالعٌ يُضيءُ ، فجلسا على الكثيب ، وقال عمر لابن سريج : غنني صوتك الجديد ؛ فاندفع يغنيه ، فلم يستتمّه إلّا وقد طلع عليه رجلٌ راكبٌ على فرسٍ عتيقٍ ، فسلم ثم قال : أيمنك ، أعزّك

1 ديوان جرير (ط . دار صادر) : 476 .

2 الوشل : الماء القليل . المعين : الجاري .

3 الرحالة : سرج من جلد يتخذ للخيول والإبل .

الله ، أن تَرُدَّ هذا الصوت ؟ قال : نعم وَنُعَمَّةَ عَيْنٍ ، على أن تنزل وتجلس معنا . قال : أنا أَعَجَل من ذلك ، فإن أَجَمَلْتَ وَأَنْعَمْتَ أَعَدَّتْهُ ، وليس عليك من وقوفي شيء ولا مؤونة ، فأعاده . فقال له : بالله أنت ابن سريج ؟ قال نعم . قال : حيَّاك الله ، وهذا عمرُ بن أبي ربيعة ؟ قال نعم . قال : حيَّاك الله يا أبا الخطاب ؛ فقال له : وأنت فحيَّاك الله ، قد عَرَفْنَا فَعَرَفْنَا نَفْسَكَ . قال : لا يمكنني ذلك . فغَضِبَ ابن سريج وقال : والله لو كنتَ يزيد بن عبد الملك لما زاد . فقال له : أنا يزيد بن عبد الملك . فوثب إليه عمر فأعظمه ، ونزل ابن سريج إليه فقبل رِكابه ؛ فنزع حُلَّتَهُ وخاتمه فدفعهما إليه ، ومضى يركض حتى لَحِقَ ثَقَلَهُ . فجاء بهما ابن سريج إلى عمر فأعطاه إِيَّاهما ، وقال له : إنَّ هذين بك أشبهُ منهما بي . فأعطاه عمر ثلثمائة دينارٍ وغدا فيهما إلى المسجد ، فعرَفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويقولون : كأنهما والله حُلَّةُ يزيد بن عبد الملك وخاتمه ، ثم يسألون عمر عنهما فيُخبرهم أنَّ يزيد بن عبد الملك كساه ذلك .

[وقف غناؤه الناس في طريق الحاج]

وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة أيضاً قال وحدثني ابن عبد الله بن أبي سعيد قال حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال : حجَّ عمر بن أبي ربيعة في عام من الأعوام على نجيب له مخضوب بالحناء مشهَّر الرَّحْل بِقَرَابٍ¹ مذهب ، ومعه عبيد بن سريج على بغلة له شقراء ، ومعه غلامه جنادٌ يقود فرساً له أدهم أغرَّ مُحَجَّلًا ، وكان عمر بن أبي ربيعة يُسمِّيه «الكوكب» ، في عُنْقِهِ طوق ذهب ، وجنادٌ هذا هو الذي يقول فيه عمر² : [من الطويل]

صوت

فقلتُ لجنادٍ خذِ السيفَ واشتملْ
عليه برفقٍ وارقبِ الشمسَ تغربْ
وأسرج لي الدُّهْمَاءَ واعجلْ بمِمْطَرِي
ولا تعلِمْنَ خَلْقًا من الناس مَذْهَبِي³

الغناء لزرزُرٍ غلامٍ المارقي خفيفٌ ثَقِيلٌ وهو أجود صوتٍ صنعه ، قال : ومع عمر جماعة من حَسَمِهِ وَغِلْمَانِهِ وَمَوَالِيهِ وعليه حُلَّةٌ مَوْشِيَّةٌ يَمَانِيَّةٌ ، وعلى ابن سريج ثوبان هَرَوِيَّان⁴ مرتفعان ، فلم يَمَرُّوا بأحدٍ إلَّا عَجِبَ من حسن هَيْئَتِهِمْ ، وكان عمر من أَعْظَرَ الناس وَأَحْسَنِهِمْ هَيْئَةً ، فخرجوا من مَكَّةَ يومَ التَّروِيَةِ بعد العَصْرِ يريدون مَنًى ، فَمَرُّوا بِمَنْزَلِ رَجُلٍ من بني عبد منافٍ بِمَنًى قد ضُرِبَتْ عليه فِساطِيطُهُ وَخِيَمُهُ ، ووافى الموضع عمرُ فأبصر بنتاً للرجل قد خرجت من

1 القراب : شبه الجراب .

2 ديوان عمر : 55-56 .

3 الممطر : معطف يتقي به المطر . خلقاً في الديوان : حياً .

4 ثوب هروي : من صنع مدينة هراة .

قُبَّتْهَا ، وسَتَرَ جوارِها دون القُبَّة لثلاً يراها مَنْ مَرَّ . فأشرف عمر على النَّجِيب فنظَرَ إليها ، وكانت من أحسن النساء وأجملهن . فقال لها جوارِها : هذا عمر بن أبي ربيعة . فرَفَعَتْ رأسها فنظرت إليه ، ثم سَتَرَتْها الجوارِى وولائدها عنه وِطْطَنَ دونها بِسَجْفِ القُبَّة حتى دخلت . ومضى عمر إلى منزله وفساطِطِطَه بِمِنَى ، وقد نَظَرَ من الجارية إلى ما تَيَمَّه ومن جمالها إلى ما حَيَّرَه ، فقال فيها¹ :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمَحْصَبِ مِنْ مِّنَى	وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ
فَقُلْتُ أَشْمَسُ أَمْ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ	بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ
بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لَنَوَقُلْ	أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ
وَمَدَّ عَلَيْهَا السَّجْفَ يَوْمَ لَقِيْتُهَا	عَلَى عَجَلٍ تَبَاغُهَا وَالْخَوَادِمُ
فَلَمْ أَسْتَطِعْهَا غَيْرَ أَنْ قَدْ بَدَا لَنَا	عَلَى الرَّغْمِ مِنْهَا كَفُّهَا وَالْمَعَاصِمُ ²
مَعَاصِمٌ لَمْ تَضْرِبْ عَلَى الْبَهْمِ بِالضُّحَى	عَضَاهَا وَوَجْهٌ لَمْ تَلْخُهِ السَّمَائِمُ
نَضِيرٌ تَرَى فِيهِ أَسَارِيعَ مَائِهِ	صَبِيحٌ تُغَادِيهِ الْأَكْفُ النَّوَاعِمُ
إِذَا مَا دَعَتْ أَتْرَابَهَا فَاكْتَفَنُهَا	تَمَائِلُنَ أَوْ مَالَتْ بِهِنَ الْمَآكِمُ
طَلَبْنَ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصْبَنَ	نَزَعْنَ وَهَنَ الْمُسْلِمَاتُ الظُّوَالِمُ

ثم قال عمر لابن سريج : يا أبا يحيى ، إِنِّي تَفَكَّرْتُ فِي رَجوعنا مع العَشِيَّة إلى مَكَّة مع كثرة الرِّحَام والغبار وجَلَبَةِ الْحَاجِّ فتقل عليّ ، فهل لك أن تَرُوحَ رَوَاحاً طَيِّباً معترلاً ، فَنَرَى فيه من راح صادراً إلى المدينة من أهلها ، ونرى أهلَ العراق وأهلَ الشَّام ونتعلَّل في عَشِيَّتِنَا وليلتنا ونستريح ؟ قال : وأنتَ ذلك يا أبا الخطَّاب ؟ قال : على كَثِيبِ أَبِي شَحْوَةَ³ المُشْرِف على بطن يَاجْجٍ⁴ بين مِني وسُرف ، فَنُبْصِرَ مرورَ الْحَاجِّ بنا ونراهم ولا يَرُونَا . قال ابن سريج : طَيِّبٌ والله يا سيِّدي . فدعا بعضُ خدمه فقال : اذهبوا إلى الدار بمَكَّة ، فاعملوا لنا سُفْرةً واحملوها مع شرابٍ إلى الكَثِيب ، حتى إذا أَبْرَدْنَا ورمينا الجمرَةَ صرنا إليكم ؛ قال : والكَثِيب على خمسة أميال من مَكَّة مُشْرِفٌ على طريق المدينة وطريق الشام وطريق العراق ، وهو كَثِيبٌ شامخٌ مُسْتَدِقُّ أعلاه منفردٌ عن الكَثبان ؛ فصارا إليه فأكلَا وشربَا . فلمَّا انتشيا أخذ ابن سريج

1 ديوان عمر : 348-349 .

2 على الرغم منها في الديوان : عشية راحت .

3 أبو شحوة : كذلك هو عند ياقوت .

4 ياجج : موضع قريب من مَكَّة .

الدُّفَّ فنقره وجعل يغني وهم ينظرون إلى الحاج . فلما أمسيا رفع ابن سريج صوته يغني في الشعر الذي قاله عمر ، فسمعه الركبان فجعلوا يصيحون به : يا صاحب الصوت أما تتقي الله قد حيست الناس عن مناسكهم ؛ فيسكت قليلاً ، حتى إذا مضوا رفع صوته وقد أخذ فيه الشراب فيقف آخرون ، إلى أن مرّت قطعة من الليل ، فوقف عليه في الليل رجل على فرس عتيق عربي مرح مستن¹ فهو كأنه تميل ، حتى وقف بأصل الكتيب وثني رجله على قربوس² سرجه ، ثم نادى : يا صاحب الصوت ، أيسهل عليك أن ترد شيئاً مما سمعته ؟ قال : نعم ونعمة عين ، فأيتها تريد ؟ قال : تُعيد عليّ :

ألا يا غراب البين ما لك كلما نَعَبْتَ بفقدان عليّ تحوم³
أبالين من عفرأ أنت مخبري عَدِمْتُكَ مِنْ طَيْرٍ فَأَنْتَ مَشُوم⁴

قال : والغناء لابن سريج ، فأعاده ، ثم قال له ابن سريج : ازدّد إن شئت . فقال : غنّني :

أَمْسَلَمَ إِنِّي يَا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ ويا فارسَ الهيجا ويا قَمَرَ الأرض⁵
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشَّكَرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى وما كُلُّ مَنْ أَقْرَضَتْهُ نِعْمَةٌ يَقْضِي⁶
وَنَوَّهْتُ لِي بِاسْمِي وَمَا كَانَ خَامِلاً ولكنَّ بعضَ الذِّكْرِ أَنَّهُ مِنْ بَعْضِ⁷

فغناه ، فقال له : الثالث ولا أَسْتزِيدُكَ . فقال : قل ما شئت . فقال : تُغنّني .

[من المنسرح]

يَا دَارُ أَقْوَتَ بِالْجِزْعِ فَالْكَثْبِ بين مَسِيلِ الْعُذَيْبِ فَالْرُحْبِ⁸
لَمْ تَتَّقَعْ بِفَضْلٍ مِثْرَهَا دَعْدٌ وَلَمْ تُسَقْ دَعْدٌ فِي الْعَلْبِ⁹

فغناه . فقال له ابن سريج : أَبْقَيْتَ لَكَ حَاجَةً ؟ قال : نعم ، تنزل إليّ لأخاطبك شفاهاً بما أريد . فقال له عمر : انزل إليه ، فنزل . فقال له : لولا أنّي أريد وداع الكعبة وقد تقدّمني ثقلّي وغلّمني لأطلتُ المقام معك ولنزلتُ عندكم ، ولكنّي أخافُ أن يفضحني الصبحُ ، ولو كان ثقلّي

1 مستن : مرح نشيط .

2 قربوس السرج : مقدمه ومؤخره .

3 نداء «مسلمة» مرخم .

4 حبل في رواية : «جزء» .

5 الشطر الثاني في ل : وأحييت لي ذكري وما كان ميتاً .

6 الكتب : اسم وادٍ . انظر ديوان جرير : 67 .

7 العلب : جمع علبة ، إثناء لحفظ اللين (يعني أنها ليست بدوية) .

معي لَمَا رَضِيتُ لَكَ بِالْهُوَيْنَا ، ولكن خذ حُلَّتِي هذه وخَاتَمِي ولا تُخَدِّعْ عَنْهُمَا ؛ فَإِنْ شَرَاءَهُمَا
أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةُ دِينَارٍ . وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره حماد بن إسحاق .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من الطويل]

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمَحْصَبِ مِنْ مَنِيٍّ وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ
فَقُلْتُ أَشْمَسُ أَمْ مَصَابِيحُ بَيْعَةٍ بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمٌ
بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لَنَوَفَلٍ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ
الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمعبدٍ ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ .
وفيه لابن سريج رَمْلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْهُ . وَقَدْ نُسِبَ فِي مَوَاضِعَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

صوت

[من الطويل]

أَلَا يَا غُرَابَ الْبَيْنِ مَالِكَ كُلَّمَا نَعَبْتَ بِفَقْدَانٍ عَلَيَّ تَحُومٌ
أَبَالْبَيْنِ مِنْ عَفْرَاءٍ أَنْتَ مُخْبِرِي عَدِمْتُكَ مِنْ طَيْرٍ فَأَنْتَ مَشُومٌ
الشعر لقيس بن ذريح ، وقيل : إِنَّهُ لَغَيْرُهُ¹ . والغناء لابن سريج رَمْلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ
الْهَشَامِيِّ .

صوت

[من الطويل]

أَمْسَلَمَ إِنِّي يَا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ وَيَا فَارِسَ الْهَيْجَا وَيَا قَمَرَ الْأَرْضِ²
شَكَرْتُكَ إِنْ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التَّقَى وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضِي
وَنَوَهْتَ لِي بِاسْمِي وَمَا كَانَ خَامِلاً وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبُهُ مِنْ بَعْضٍ
الشعر لأبي نُخَيْلَةَ الْحِمَايِيِّ . والغناء لابن سريج ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى ، وَقَدْ أُخْرِجَ هَذَا
الصَّوْتُ مَعَ سَائِرِ أَخْبَارِ نُخَيْلَةَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ .

[إجلال المغنين لابن سريج]

حَدَّثَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمَحِيُّ
قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي خَلِيفَةَ قَالَ : كَانَ أَبِي نَازِلاً فِي عُلُوٍّ ، فَكَانَ الْمَغْنُونُ يَأْتُونَهُ . قَالَ فَقُلْتُ :

1 لَعَلَّهُ لِعُرْوَةَ بْنِ حَزَامٍ ، فَعَفْرَاءُ صَاحِبَتِهِ ، وَلَابِنُ ذَرِيحٍ لَبْنِي .

2 وَيَا قَمَرَ فِي رِوَايَةِ «وَيَا جَبَل» .

فأيُّهم كان أحسنَ غناءً ؟ قال : لا أدري ، إلّا أنّي كنتُ أراهم إذا جاء ابن سريج سكّثوا .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال حدّثني الزبيريّ ، يعني عبد الله بن مُصعب ، عن عمرو بن الحارث ، قال إسحاق : وحدّثني المدائنيّ ومحمد بن سلام عن الحرز بن جعفر عن عمر¹ بن سعد مولى الحارث بن هشام قال : خرج ابن الزبير ليلةً إلى أبي قُبَيْسٍ فسمعَ غناءً ، فلمّا انصرف رآه أصحابه وقد حال لونه ، فقالوا : إنّ بك لشرّاً . قال : إنّ ذلك . قالوا : ما هو ؟ قال : لقد سمعتُ صوتاً إن كان من الجنّ إنّهُ لَعَجَبٌ ، وإن كان من الإنس فما انتهى مُنتهاه شيء ! قال فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنّى :

صوت

أَمِنْ رَسْمِ دَارِ بَوَادِي غُدْرٍ لَجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِي مُضَرٍّ²
خَدَلْجَةَ السَّاقِ مَمْكُورَةٍ سَلُوسَ الْوِشَاحِ كَمَثَلِ الْقَمَرِ³
تَزِينُ النِّسَاءَ إِذَا مَا بَدَتْ وَيُهِتُّ فِي وَجْهَهَا مَنْ نَظَرَ⁴

الشعر ليزيد بن معاوية . والغناء لابن سريج رمل بالبنصر عن يونس وحَبَشٍ .

قال إسحاق : وذكر المدائنيّ في خبره أنّ عمر بن عبد العزيز مرّ أيضاً فسمع صوت ابن سريج وهو يتغنّى :

بَتَّ الْخَلِيطُ قُوَى الْحَبْلِ الَّذِي قَطَعُوا

فقال عمر : لله دَرُ هذا الصوت لو كان بالقرآن ، قال المدائني : وبلغني من وجه آخر أنّه سمعه يُغنّى :

قَرَّبَ جِيرَانُنَا جِمَالَهُمْ لِبَلَاءٍ فَأَضْحَوْا مَعاً قَدْ ارْتَفَعُوا⁵
مَا كُنْتُ أَدْرِي بَوْشَلِكُ بَيْنَهُمْ حَتَّى رَأَيْتُ الْخُدَاةَ قَدْ طَلَعُوا

فقال هذه المقالة .

1 ل : عمير .

2 غدر : من مخاليف اليمن .

3 خدلجة : مثلثة الذراعين . سلوس : (الوشاح) لَيِّنَتِهِ .

4 يهت : يدهش .

5 ديوان عمر : 243 .

نسبة هذين الصوتين صوت

[من البسيط]

بَتَّ الْخَلِيطُ قُوَى الْحَبْلِ الَّذِي قَطَعُوا إِذْ وَدَّعُوكَ فَوَلَّوْا ثُمَّ مَا رَجَعُوا
وَأَذْنُوكَ بَيْنَ مَنْ وَصَالِهِمْ فَمَا سَلَوْتَ وَلَا يُسْلِيكَ مَا صَنَعُوا
يَا ابْنَ الطَّوِيلِ وَكَمْ آثَرْتَ مِنْ حَسَنِ فِينَا وَأَنْتَ بِمَا حُمِّلْتَ مُضْطَلَعُ
نَحْطِي وَنَبْقَى بِخَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَنَا فَإِنْ هَلَكْتَ فَمَا فِي مَلَجٍ طَمَعُ

الشعر للأحوص ، والغناء لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البصر على إسحاق وذكر حبش أن فيه رملاً بالوسطى عن الهشامي .

نسبة الصوت الآخر صوت

[من المنسرح]

قَرَّبَ جِيرَانُنَا جِمَالَهُمْ لَيْلاً فَأَضْحَوْا مَعاً قَدْ ارْتَفَعُوا
مَا كُنْتُ أَذْرِي بَوْشَكَ بَيْنَهُمْ حَتَّى رَأَيْتُ الْحِدَادَةَ قَدْ طَلَعُوا
عَلَى مِصْكَيْنِ مِنْ جِمَالِهِمْ وَغَتَّرِيسَيْنِ فِيهِمَا خَضَعُ¹
يَا قَلْبُ صَبِراً فَإِنَّهُ سَفَهُ بِالْحُرِّ أَنْ يَسْتَفِزَّهُ الْجَزَعُ

الغناء لابن سريج ثقیل أول من أصوات قليلة الأشباه عن إسحاق . وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر أيضاً فيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه . وذكر الهشامي أن الرمل للغريض وخفيف الرمل لابن المكِّي . وذكرت دنائير والهشامي أن فيه لمعبد ثاني ثقیل . وذكر عمرو بن بانه أن الثقیل الأول للغريض . وذكر عبد الله بن موسى أن لحن ابن سريج خفيف ثقیل .

[عدد الأصوات التي غنى فيها ابن سريج]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلاني قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال : حضرت أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي وعنده إسحاق الموصلي ، فقال إسحاق : غنى ابن سريج ثمانية وستين صوتاً . فقال له أبو إسحاق : ما تجاوز قط ثلاثة وستين صوتاً . فقال بلى . ثم جعلاً ينشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغا ثلاثة وستين صوتاً وهما يتفقان على ذلك ، ثم أنشد

1 العتريس : الناقة القويّة الصلبة . المصك : القوي .

إسحاق بعد ذلك أشعار خمسة أصواتٍ أيضاً . فقال أبو إسحاق : صدقتَ ، هذا من غنائه ، ولكنَّ لحنَ هذا الصوت نقله من لحنه في الشعر الفلاني ، ولحنَ الثاني من لحنه الفلاني ، حتى عدَّ له الخمسة الأصوات . فقال له إسحاق : صدقتَ . ثم قال له إبراهيم : إن ابن سريج كان رجلاً عاقلاً أديباً ، وكان يُغني¹ الناس بما يشتهون ، فلا يُغنيهم صوتاً مُدح به أعداؤهم ولا صوتاً عليهم فيه عارٌ أو غضاضةٌ ، ولكنه يَعدِّل بتلك الألحان إلى أشعار في أوزانها ، فالصوتان واحدٌ لا ينبغي أن نعدَّهما اثنين عند التحصيل مِنَّا لغنائه ، فصدقه إسحاق . فقال له إبراهيم : فأيتها أولى عندك بالتَّقديم ؟ فقال :

وَإِذَا مَا عَثَرْتُ فِي مِرْطَهِهَا نَهَضْتُ بِاسْمِي وَقَالَتْ يَا عُمَرُ
فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَحْسِبُكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، مُتَّعْتُ بِكَ ، مَا أَرَدْتُ إِلَّا مُسَاعِدَتِي . فَقَالَ : لَا ،
وَاللَّهِ مَا إِلَى هَذَا قَصَدْتُ ، وَإِنْ كُنْتُ أَهْوَى كُلَّ مَا قَرَّبَنِي مِنْ مَحَبَّتِكَ . فَقَالَ لَهُ : هَذَا أَحَبُّ
أَغَانِيهِ إِلَيَّ ، وَمَا أَحْسَبُهُ فِي مَكَانٍ أَحْسَنَ مِنْهُ عِنْدِي ، وَلَا كَانَ ابْنُ سَرِيحٍ يَتَغَنَّا أَحْسَنَ مِمَّا يَتَغَنَّا
جَوَارِي . وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ فَمَا هُوَ عِنْدِي فِي حُسْنِ التَّجَزِئَةِ وَالْقِسْمَةِ وَصَحَّتُهُمَا مِثْلُ لَحْنِهِ فِي² :

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة

[من مجزوء الخفيف]

حَيِّياً أُمَّ يَعْمَرَا قَبْلَ شَحْطٍ مِنَ النَّوَى³
أَجْمَعَ الْحَيُّ رَحْلَةً فَقُوَّادِي كَذِي الْأَسَى
قَلْتُ لَا تُعْجِلُوا الرِّوَا حَ فَقَالُوا أَلَا بَلَى

الغناء لابن سريج من القدر الأوسط من الثقل الأول مطلق في مجرى الوسطى . وفيه
لللهذلي خفيف ثقيل بالنصر عن ابن المكي . وفيه لملك ثقيل أول بالنصر عن عمرو . وفيه لحنان
من الثقل الثاني : أحدهما لإسحاق والآخر لأبيه ، ونسبه قومٌ إلى ابن مُحْرَز ، ولم يصح ذلك .
قال : فاجتمعاً معاً على أنَّه أول أغانيه وأحقها بالتقديم . وأمرني أبو إسحاق بتدوين ما يجري
بينهما ويتَّفِقان عليه ، فكتبتُ هذا الشعر . ثم اتَّفقا على أنَّ الذي يَلِيه :

[من الرمل]

وَإِذَا مَا عَثَرْتُ فِي مِرْطَهِهَا نَهَضْتُ بِاسْمِي وَقَالَتْ يَا عُمَرُ

1 ل : يعاشر .

2 ديوان عمر : 16 .

3 أم يعمر في رواية : أم معمر .

فأثبته أيضاً . ثم تناظرا في الثالث فاجتمعا على أنه : [من الكامل]

فتركته جَزَرَ السَّبَاع يُنْشِنُهُ ما بين قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ
فقال إسحاق : لو قدمناه على الأغاني التي تَقَدَّمَتْهَ كُلُّهَا لكان يستحق ذلك . فقال أبو
إسحاق : ما سمعته منذ عرفته إلا أَبْكَاني ؛ لأنِّي إذا سمعته أو ترنمتُ به وجدتُ غَمْرًا على
فؤادي لا يَسْكُنُ حتى أَبْكي . فقال إسحاق : إنَّ مذهبه فيه لِيُوجِبُ ذلك ؛ فدَوَّنْتهُ ثالثًا . ثم
اتَّفقا على الرابع وأَنَّهُ : [من الطويل]

فلم أَرِ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ ولا كليلي الحجِّ أَفْتَنَ ذا هوى
وتحدَّثا بأحاديث لهذا الصوت مشهورة . ثم تناظرا في الخامس ، فاتَّفقا على أَنَّهُ : [من السريع]
عُوجِي عَلينا رَبَّةَ المَوْدَجِ إِنَّكِ إِلَّا تَفْعَلِي تَحْرَجِي
فأثبته . ثم تناظرا في السادس واتَّفقا على أَنَّهُ : [من مجزوء الوافر]

ألا هَلْ هاجَكَ الأَطْعَا نُ إِذْ جَاوَزْنَ مُطَّلَحَا
فأثبته . ثم تناظرا في السابع فاتَّفقا على أَنَّهُ : [من الكامل]
غَيْضُنَ من عَبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لي ماذا لَقِيتَ من الهوى وَلَقِينَا
فأثبته . وتناظرا في الثامن فاتَّفقا على أَنَّهُ : [من الرمل]

تُنَكِّرُ الإِثْمِدَ لا تَعْرِفُهُ غيرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَبَرٍ
فأثبته . وتناظرا في التاسع فاتَّفقا على أَنَّهُ : [من الطويل]
وَمِنْ أَجْلِ ذَاتِ الخالِ أَعْمَلْتُ نَاقِيتِي أَكَلَفْهُا سَيْرَ الكَلالِ مع الطَّلَعِ

نسبة هذه الأصوات وأجناسها

منها : [من الرمل]

صوت

وَإِذَا ما عَثَرَتْ في مِرْطِهَا نَهَضَتْ باسِمي وقالتُ يا عُمَرُ
الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي .
ومنْها : [من الكامل]

صوت

فتركته جَزَرَ السَّبَاع يُنْشِنُهُ ما بين قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ
الشعرُ لعنترَةَ بن شدَّادِ العبَّسي . والغناء لابن سريج ثقيل أوَّل بالوسطى عن

عمرو¹ ومنها :

[من الطويل]

صوت

فَلَمْ أَرَ كَالْتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ وَلَا كِلْيَالِي الْحَجِّ أَفْتَنَ ذَا هَوَى
الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رَمْلٌ بالوسطى عن عمرو . ومنها² :
[من السريع]

صوت

عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهَوْدَجِ إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَحْرَجِي
الشعرُ للعرجي . والغناء لابن سريج ثَقِيلٌ بالوسطى عن عمرو . ومنها³ : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأُظْعَا نُ إِذْ جَاوَزْنَا مُطْلَحَا
الشعرُ لعمر . والغناء لابن سريج ثَقِيلٌ أَوَّلُ مَطْلُوقٌ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وفيه
للغريض لَحْنَانٌ : ثَقِيلٌ أَوَّلُ بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقَ ، وَخَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ
عمرو بن بَانَةَ . وفيه لمُعَبِدٌ ثَقِيلٌ أَوَّلُ ثَالِثٌ بِالْخَنْصَرِ فِي مَجْرَى الْوَسْطَى عَنْ إِسْحَاقَ .
ومنها : [من الكامل]

صوت

غَيْضُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا
الشعرُ لجرير . والغناء لابن سريج رَمْلٌ بِالْبَنْصَرِ . وفيه لِإِسْحَاقَ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى . وفيه
لِلْهُذَلِيِّ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ الْهَشَامِيِّ . ومنها : [من الرمل]

صوت

تَنْكِرُ الْإِثْمِدَ لَا تَعْرِفُهُ غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَبْرٍ
الشعرُ لعبد الرحمن بن حَسَّانَ . والغناء لابن سريج رَمْلٌ بِالْوَسْطَى . ومنها : [من الطويل]

صوت

وَمِنْ أَجْلِ ذَاتِ الْخَالِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي أَكَلْفُهَا سَيْرَ الْكَلَالِ مَعَ الظَّلْعِ
الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رَمْلٌ بِالْبَنْصَرِ . وفيه لِإِسْحَاقَ رَمْلٌ بِالْوَسْطَى .

1 ل : عن الهشامي .

2 ديوان العرجي : 17 (تحقيق رشيد العبيدي وخضر الطائي) بغداد .

3 ديوان عمر : 84 .

[تنافر معبد ومالك إلى ابن سريج]

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني الزبير بن دحمان أن أباه حدثه : أن معبداً تغنى : [من الرمل]

آب لَيْلِي بِهِمُومٍ وَفِكْرُ
مِنْ حَبِيبٍ هَاجَ حُزْنِي وَالسَّهَرُ¹
يَوْمَ أَبْصَرْتُ غَرَاباً وَاقِعاً
شَرَّ مَا طَارَ عَلَى شَرِّ الشَّجَرِ

فعارضه مالك فغنى في أبيات من هذا الشعر ، وهي : [من الرمل]

وَجَرَتْ لِي ظَبْيَةٌ يَتَبُعُهَا
لَيْنُ الْأَطْلَافِ مِنْ حُورِ الْبَقَرِ²
كَلَّمَا كَفَكُفْتُ مِنِّْي عِبْرَةً
فَاضَتْ الْعَيْنُ بِمَنْهَلٍ دَرَرِ³

قال : فتلاحيا جميعاً فيما صنعاه من هذين الصَّوْتَيْنِ ، فقال كل واحد منهما لصاحبه : أنا أجودُ صنعةً منك . فتنافرا إلى ابن سريج فمَضَيَا إليه بمكة . فلَمَّا قَدِمَاها سألَا عنه ، فأخبرَا أنه خرج يَتَطَرَّفُ⁴ بالحناء في بعض بساتينها . فاقْتَفَيَا أثره ، حتى وقفا عليه وفي يده الحناء ، فقالا له : إنا خرجنا إليك من المدينة لِنَحْكُمَ بَيْنَنَا فِي صَوْتَيْنِ صَنَعْنَاهُمَا . فقال لهما : لِيُغْنِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَوْتَهُ . فابتدأ معبد يُغْنِي لَحْنَهُ . فقال له : أحسنت والله على سوء اختيارك للشَّعْر ! يا ويحك ! ما حَمَلَكَ عَلَى أَنْ ضَيَّعْتَ هَذِهِ الصَّنْعَةَ الْجَيِّدَةَ فِي حُزْنٍ وَسَهَرٍ وَهُمُومٍ وَفِكْرٍ ! أربعة ألوانٍ من الحزن في بيت واحد ، وفي البيت الثاني شران في مِصْرَاعٍ واحدٍ ، وهو قولك : [من الرمل]

شَرَّ مَا طَارَ عَلَى شَرِّ الشَّجَرِ

ثم قال للمالك : هاتِ ما عندك ، فغناه مالك . فقال له : أحسنت والله ما شئت ! فقال له مالك : هذا وإنما هو ابن شهْرَه ، فكيف تراه يا أبا يحيى يكون إذا حال عليه الحَوْلُ ؟ قال دحمان : فحدثني معبد أن ابن سريج غَضِبَ عند ذلك غضباً شديداً ، ثم رمى بالحناء من يديه وأصابه وقال له : يا مالك ، ألي تقول ابن شهْرَه ! اسمع مني ابن ساعته ، ثم قال : يا أبا عَبَّاد ، أنشدني القصيدة التي تَغْنِيئُهَا فيها . فأنشدته القصيدة حتى انتهت إلى قوله : [من الرمل]

تُنْكَرُ الْإِثْمِدَ لَا تَعْرِفُهُ
غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَبَرٍ

فصاح بأعلى صوته : هذا خليلي وهذا صاحبي ، ثم تغنى فيه ؛ فانصرفنا مَفْلُوكَيْنِ مَفْضُوحَيْنِ من غير أن نُقِيمَ بمكة ساعةً واحدةً .

1 وفكر في ل : وذكر .

2 لَيْنُ الْأَطْلَافِ فِي ل : لَيْنُ الْأَطْرَافِ .

3 أي كالطر المتتابع .

4 يَتَطَرَّفُ بِالْحَنَاءِ : يَخْضِبُ بِهِ أَطْرَافَ أَصَابِعِهِ .

نسبة هذه الأغاني كلها

صوت

[من الرمل]

آبَ لَيْلِي بِهِمُومٍ وَفَكَرَ من حَبِيبِ هَاجِ حُزْنِي وَالسَّهَرِ
يَوْمَ أَبْصَرْتُ غَرَاباً وَقَعَاً شَرَّ مَا طَارَ عَلَى شَرِّ الشَّجَرِ
يَنْتِفِ الرِّيشَ عَلَى عُبْرِيَّةٍ مُرَّةَ الْمُقْضَمِ مِنْ دَوْحِ الْعُشْرِ¹

الشعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت يقوله في رملة بنت معاوية بن أبي سفيان ، وله معها ومع أبيها وأخيها في تشبيهه بها أخبار كثيرة ستذكر في موضعها إن شاء الله . ومن الناس من ينسب هذا الشعر إلى عمر بن أبي ربيعة ، وهو غلط . وقد بين ذلك مع أخبار عبد الرحمن في موضعه .
والغناء لمبعد خفيف ثقیل أول بالوسطى عن يحيى المكي ، وذكر عمرو بن بانه أنه للغريض ، وله لحن آخر في هذه الطريقة .

صوت

[من الرمل]

وَجَرَتْ لِي ظَبِيَّةٌ يَتْبَعُهَا لَيْنُ الْأُظْلَافِ مِنْ حُورِ الْبَقَرِ²
خَلْفَهَا أَطْلَسُ عَسَالُ الضُّحَى صادفته يوم طلل وخصر³

الغناء لمالك خفيف ثقیل بالنصر في مجراها عن إسحاق .

[من الرمل]

صوت

إِنَّ عَيْنَيْهَا لَعَيْنَا جُوذِرَ أَهْدَبَ الْأَشْفَارِ مِنْ حُورِ الْبَقَرِ
تُنْكِرُ الْإِثْمِدَ لَا تَعْرِفُهُ غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَبَرٍ

الغناء لابن سريج رمل بالسبابة ، عن عمرو ويحيى المكي .

[ابن سريج يميل إلى الأرمال والأهراج]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قال أبي قال محمد بن سعيد : لما ضاد ابن سريج الغريض وناواه ، جعل ابن سريج لا يغني صوتاً إلا عارضه فيه الغريض فغنى فيه لحناً غيره ، وكانت ببعض أطراف مكة داراً يأتيانها في كل جمعة ويجتمع لهما ناس كثير ، فيوضع لكل

1 العبرية : من شجر السدر .

2 الأظلاف في ل : الأطراف .

3 الأطلس : الذئب . العسال : الذي يهتز إذا مشى أو عدا .

واحد منهما كرسيّ يجلس عليه ثم يتناقضان الغناء ويتراذّله . قال : فلما رأى ابن سريج موقع الغريض وغناؤه من الناس لقربه من النّوح وشبّهه به ، مال إلى الأرمال والأهزاج فاستخفّها الناس . فقال له الغريض : يا أبا يحيى ، قصّرت الغناء وحذفتّه وأفسدته . فقال له : نعم يا منخث ، جعلت تنوح على أهلك وأهلك ، ألي تقول هذا ؟ والله لأغنينّ غناءً ، ما غنى أحد أثقل منه ولا أجود . ثم تغنى :

تشكّى الكميت الجريّ لما جهده

[تقدير ابن أبي عتيق لابن سريج]

قال حمّاد : وقرأت على أبي عن هشام بن المُرّية قال : كان ابن أبي عتيق يسوق في كلّ عام عن ابن سريج بدنةً وينحرها عنه ، ويقول : هذا أقلُّ حقّه علينا .

[اعتراف معبد لابن سريج بالسبق]

قال حمّاد : قال أبي وقال مخلد بن خدّاش المهلبى : كنّا بالمدينة في مجلسٍ لنا ومعنا معبدٌ ، فقدم قادمٌ من مكّة إلى المدينة فدخل علينا ليلاً ، فجلس معبد يُسأله عن الأخبار وهو يُخبره ولا نسمع ما يقول . فالتفت إلينا معبد فقال : أصبحتُ أحسنَ الناس غناءً . فقليل له : أو لم تكن كذلك ؟ قال : لا حيث كان ابن سريج حيّاً ، إنّ هذا أخبرني أنّ ابن سريج قد مات . ثم كان بعد ذلك إذا غنى صوتاً فأعجبه غناؤه قال : أصبحتُ اليومَ سُرّيجياً .

[أبو السائب المخزومي وأغاني ابن سريج]

قال حمّاد : حدّثني أبي قال حدّثني أبو الحسن المدائني قال : قال معبد : أتيتُ أبا السائب المخزومي ، وكان يصلي في كلّ يوم ليلة ألف ركعة ، فلما رآني تجوّز¹ وقال : ما معك من مبيكات ابن سريج ؟ قلت قوله :

ولهنّ بالبيت العتيق لبانة
لو كان حيّاً قبلهنّ طعائناً
حيّاً الحطيم وجوههنّ وزمزم
وهنّ على سقرٍ لعمرك ما هنّ
متجاورين بغير دار إقامة
لو قد أجدّ تفرّق لم يندموا

فقال لي : غنّه ، فغنّيته . ثم قام يصلي فأطال ، ثم تجوّز إليّ فقال : ما معك من مطرباتٍ ومُشجّياته ؟ فقلت : قوله :

[من الكامل]

1 تجوّز : خفف في صلاته .

لسنا نبالي حين ندرك حاجة ما بات أو ظل المطي معقلاً
فقال لي : غنه ، فغنيته . ثم صلى وتجوّز إلي وقال : ما معك من مُرَقصاته ؟
فقلت :

[من الطويل]

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كالي الحج أفتن ذا هوى
فقال : كما أنت حتى أتحرّم لهذا بر كعتين .

[تغنى ابن سريج والغريض بسمع من عطاء بن أبي رباح]

قال حماد : وأخبرني أبي عن إبراهيم بن المنذر الحزامي ، وذكر أبو أيوب المدني عن
الحزامي قال حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم المخزومي قال : أرسلتني أمي وأنا غلام أسأل
عطاء بن أبي رباح عن مسألة ، فوجدته في دار يقال لها دار المعلّى ، وقال أبو أيوب في خبره : دار
المقلّ ، وعليه ملحفة مُعَصْفَرَةٌ ، وهو جالس على منبر وقد ختن ابنه والطعام يوضع بين يديه وهو
يأمر به أن يُفَرَّق في الخلق ، فلهوت مع الصبيان ألعب بالجوز حتى أكل القوم وتفرّقوا وبقي مع
عطاء خاصته ، فقالوا : يا أبا محمد لو أذنت لنا فأرسلنا إلى الغريض وابن سريج ! فقال : ما
شئتم ، فأرسلوا إليهما . فلما أتيا قاموا معهما وثبت عطاء في مجلسه فلم يدخل ، فدخلوا بهما
بيتاً في الدار ، فتغنيا وأنا أسمع . فبدأ ابن سريج فنقر بالدّف وتغنى بشعر كثير : [من الطويل]

بليلى وجارات ليلى كأنها نعا ج الملا تُحدى بهنّ الأباغر¹
أمنقطع يا عزّ ما كان بيننا وشاجرني يا عزّ فيك الشواجر²
إذا قيل هذا بيت عزّة قادني إليه الهوى واستعجلتني البوادر²
أصدّ وبني مثل الجنون لكي يرى رواة الخنا أني لبيتك هاجر³

فكان القوم قد نزل عليهم السبات ، وأدركهم الغشي فكانوا كالأموات فما تسمع
حسّاً ، ثم أصغوا إليه بأذانهم وشخصت إليه أعينهم³ وطالت أعناقهم . ثم غنى الغريض
بصوت أنسيته بلحن آخر . ثم غنى ابن سريج وأوقع بالقضيب ، وأخذ الغريض الدّف
فغنى بشعر الأخطل :

[من الطويل]

فقلت اصبحونا لا أبا لأبيكم وما وضعوا الأثقال إلّا ليفعلوا
وقلت اقلوها عنكم بمراجها فأكرم بها مقتولة حين تقتل

1 الملا : مثل الفلا .

2 اللبّادر : الدموع .

3 ل : أحداقهم .

أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَانَتْهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرَّبُوا¹
فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُمْ تَحَرَّكُوا وَلَا نَطَقُوا إِلَّا مُسْتَمِعِينَ لِمَا يَقُولُ . ثُمَّ غَنَّى الْغَرِيضُ بِشَعْرِ آخِرِ
وهو :

هَلْ تَعْرِفُ الرَّسْمَ وَالْأَطْلَالَ وَالِدَمْنَأَ زِدْنَ الْفَوَادَ عَلَى مَا عِنْدَهُ حَزْنَأَ
دَارٌ لَصَفْرَاءَ إِذْ كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا وَإِذْ تَرَى الْوَصْلَ فِيمَا بَيْنَنَا حَسْنَأَ
إِذْ تَسْتَبِيكَ بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهُ وَمُقَلَّتِي جُوذُرٍ لَمْ يَعُدْ أَنْ شَدْنَا
ثُمَّ غَنَّى جَمِيعاً بِلَحْنٍ وَاحِدٍ ؛ فَلَقَدْ خُيِّلَ لِي أَنَّ الْأَرْضَ تَمِيدُ ، وَتَبَيَّنْتُ ذَلِكَ فِي عَطَاءٍ أَيْضاً .
وَعَنَى الْغَرِيضُ فِي شَعْرِ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَهُوَ قَوْلُهُ² :

كَفَى حَزْنًا أَنْ تَجْمَعَ الدَّارُ شَمْلَنَا وَأُمْسِي قَرِيبًا لَا أَزُورُكَ كَثْمَنَا
دَعِيَ الْقَلْبَ لَا يَزِدُّ خَبَالًا مَعَ الَّذِي بِهِ مِنْكَ أَوْ دَاوِي جَوَاهِ الْمُكْتَمَا
وَمَنْ كَانَ لَا يَعْدُو هَوَاهُ لِسَانَهُ فَقَدْ حَلَّ فِي قَلْبِي هَوَاكَ وَخَيْمَا
وَلَيْسَ بِتَزْوِيقِ اللَّسَانِ وَصَوْغِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدَمَا
وَعَنَى ابْنُ سَرِيحٍ أَيْضاً³ :

خَلِيلِيْ غُوجَا نَسْأَلُ الْيَوْمَ مَنَزِلَا أُبَى بِالْبِرَاقِ الْعُفْرِ أَنْ يَتَحَوَّلَا
فَفَرُعِ النَّبِيِّ فَالشَّرَى خَفَّ أَهْلُهُ وَبُدِّلَ أَرْوَاحًا جَنُوبًا وَشَمَالًا⁴
أَرَادَتْ فَلَمْ تَسْطِيعْ كَلَامًا فَأَوْمَأَتْ إِلَيْنَا وَلَمْ تَأْمَنْ رَسُولًا فَتُرْسِلَا
بِأَنْ بَتَ عَسَى أَنْ يَسْتَرْ اللَّيْلُ مَجْلَسًا لَنَا أَوْ تَنَامَ الْعَيْنَ عَنَّا فَتَقْبِلَا⁵
وَعَنَى الْغَرِيضُ أَيْضاً⁶ :

يَا صَاحِبِيْ فَمَا نُقْضُ لُبَانَةً وَعَلَى الظُّعَائِنِ قَبْلَ بَيْنِكُمَا اِعْرِضَا
لَا تُعْجَلَانِي أَنْ أَقُولَ بِحَاجَةٍ رِفْقًا فَقَدْ زُوْدْتُ زَادًا مُجْرَضًا⁷

1 الشاصيات : صفة للزقاق .

2 ديوان عمر : 390 .

3 ديوان عمر : 309 .

4 النبيت والشرى : موضعان . الأرواح : الرياح .

5 فتقبلا في ل : فتغفلا .

6 ديوان عمر : 323-324 .

7 مجرّضاً : يغص بالريق ، وقد تقرأ «محرّضاً» .

ومقالها بالنَّعْفِ نَعْفٍ مُحَسَّرٍ لِفَتَاتِهَا هَلْ تَعْرِفِينَ الْمُعْرِضاً¹
 هذا الذي أُعْطِيَ مَوَاتِقَ عَهْدِهِ حَتَّى رَضِيتُ وَقُلْتُ لِي لَنْ يَنْقُضَا
 وَأَغَانِي أَنْسِيْتُهَا ، وَعَطَاءٌ يَسْمَعُ عَلَى مَنِيرِهِ وَمَكَانِهِ ، وَرَبَّمَا رَأَيْتُ رَأْسَهُ قَدْ مَالَ وَشَفَتَيْهِ
 تَتَحَرَّكَانِ حَتَّى بَلَغَتْهُ الشَّمْسُ ، فَقَامَ يَرِيدُ مَنْزِلَهُ . فَمَا سَمِعَ السَّامِعُونَ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْهُمَا وَقَدْ
 رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا وَتَغَنَّى بِهَذَا . وَلَمَّا بَلَغَتْ الشَّمْسُ عَطَاءً قَامَ وَهُمْ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْغَنَاءِ ،
 فَاطَّلَعَ فِي كُوَّةِ الْبَيْتِ . فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَيُّهُمَا أَحْسَنُ غَنَاءً ؟ قَالَ : الرَّقِيقُ
 الصَّوْتِ ، يَعْنِي ابْنَ سَرِيجٍ .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

[من الكامل]

وَلَهْنٌ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لُبَانَةٌ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُنَّ لَوْ يَتَكَلَّمُ
 لَوْ كَانَ حَيًّا قَبْلَهُنَّ ظُعَانًا حَيًّا الْحَطِيمُ وَجُوهَهُنَّ وَزَمَرُمُ
 وَكَأَنَّهُنَّ وَقَدْ حَسَرْنَ لَوَاغِبًا بَيِّضٌ بِأَكْنَافِ الْحَطِيمِ مُرَكَّمٌ²
 لَبِثُوا ثَلَاثَ مَنَى بِمَنْزِلِ غِبْطَةٍ وَهُمْ عَلَى سَفَرٍ لِعَمْرُكَ مَا هُمُ
 مُتَجَاوِرِينَ بِغَيْرِ دَارٍ إِقَامَةٍ لَوْ قَدْ أَجَدَّ رَحِيلُهُمْ لَمْ يَنْدُمُوا
 عَرُوضُهُ مِنَ الْكَامِلِ . الشَّعْرُ لَابِنِ أُذَيْنَةٍ . وَالْغَنَاءُ لَابِنِ سَرِيجٍ ثَانِي ثَقِيلٍ مُطْلَقٍ فِي مَجْرَى
 الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقٍ . وَأَخْبَارُ ابْنِ أُذَيْنَةٍ تَأْتِي بَعْدَ هَذَا فِي مَوْضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

ومنها الصوت الذي أوله في الخبر :

[من الكامل]

لَسْنَا نُبَالِي حِينَ نُدْرِكُ حَاجَةً

صوت³

[من الكامل]

وَدَّعْ لُبَابَةً قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا وَاسْأَلْ فَإِنْ قَلِيلَهُ أَنْ تَسْأَلَا
 وَانْظُرْ بَعَيْنِكَ لَيْلَةً وَتَأْنَهَا فَلَعَلَّ مَا بَخِلْتَ بِهِ أَنْ يُنْذَلَا⁴

1 محسر : موضع بين مكة وعرفة ؛ والنعف ، ما انحسر عن السفح .

2 لواغيا : متعبات .

3 ديوان عمر : 311-312 .

4 الشطر الأول في الديوان : امكث بعمرِكَ لَيْلَةً وَتَأْنَهَا .

لسنا نبالي حين ندرِكُ حاجةً ما راح أو ظلَّ المَطِيُّ مُعَقَّلاً
حتَّى إذا ما الليلُ جنَّ ظلامه ورجوتُ غفلةَ حارسٍ أن يعقلاً¹
خرجتُ تَاطُرُ في الثيابِ كأنَّها أيمُ يسيبُ على كتيبٍ أهيلاً

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج ثقيلٌ أولٌ بالوسطى في مجراها . وفيه لمبعد
لحنٌ من خفيف الثَّقيلِ الأولِ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، وهو من مختار أغانيه
ونادرها وصُدور صِنْعته وما يُقدِّم على كثيرٍ منها .
[العمر بن يزيد وشعر عمر]

أخبرني أحمدُ بن محمد بن إسحاق الجرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد
الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال : كنتُ أسيرُ مع الغمَرِ بن
يزيد ، فاستنشدني فأنشدته لعمر بن أبي ربيعة :

ودَّعُ لُبَابَةَ قَبْلَ أن ترحَلاً واسألُ فإن قَلِيلَه أن تَسْأَلَا
قال ائْتِمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخَالَفٍ فيما هَوَيْتَ فَإِنَّا لن نَعْجَلَا
نَجْزِي أَيَادِي كَنتَ تَبْذُلُهَا لَنَا حقُّ علينا واجبٌ أن نَفْعَلَا
حتَّى إذا ما الليلُ جنَّ ظلامه ورجوتُ غفلةَ حارسٍ أن يعقلاً
خرجتُ تَاطُرُ في الثيابِ كأنَّها أيمُ يسيبُ على كتيبٍ أهيلاً
رَحَبْتُ لَمَّا أَقْبَلْتُ فَتَعَلَّلْتُ لتحِيَّتِي لَمَّا رَأَيْتَنِي مُقْبِلَا
فَجَلَا القِنَاعُ سَحَابَةً مَشْهُورَةً غَرَاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أن يتأمَلَا
فَظَلَّلْتُ أَرْقِيهَا بِمَا لو عَاقِلٌ يُرْقَى به ما اسطَاعَ ألا يَنْزِلَا
تَدْنُو فَأَطْمَعُ ثم تمنعُ بَذَلُهَا نفسٌ أبتُ للجُودِ أن تَبْخَلَا²

قال : فأمر غلامه فحملني على بغلته التي كانت تحته . فلما أراد الانصراف طلب الغلام
مني البغلة ، فقلتُ : لا أُعْطِيكَهَا ، هو أكرمُ وأشرفُ من أن يحملني عليها ثم ينتزعها مني .
فقال للغلام : دَعُهْ يا بُنَيَّ ، ذهبتُ والله لُبَابَةُ ببغلة مولاك .

[الفرقي يطرب لغناء ابن سريج في شعر عمر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن علي عن هارون بن
الزيات عن حماد عن أبيه قال حدثني عثمان بن حفص الثَّقفي عن إبراهيم بن عبد السلام بن

1 غفلة حارسٍ أن يعقلاً في الديوان : غفلة كاشح أن يمحلا .

2 فأطمعُ . . . في الديوان : فطمع . . . بالجود .

أبي الحارث عن ابن تيزن المغني قال : قال أبو نافع الأسود ، وكان آخرَ مَنْ بَقِيَ من غلمان ابن سريج : إذا أعجزك أن تُطرب القرشيَّ فغنّه غناء ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة فإنك تُرقصه : قال : وأبو نافع هذا أحذقُ غلمان ابن سريج ومَنْ أَخَذَ عنه ، وكان آخرَ رُوَايته صوتاً . ومنها¹ :

صوت

بَلَيْلى وجاراتٍ لِلَّيلى كأنَّها نِعا جُ المَلّا تُحْدَى بهنَّ الأبا عُرُ
أُمنقَطعُ يا عَزَّ ما كان بيننا وشا جَرْنِي يا عَزَّ فيك الشَّوا جِرُ
إذا قيل هذا بيتُ عَزَّة قاذني إليه الهوى واستعجلتني البَوا دِرُ
أُصدُّ وبِي مثلُ الجنونِ لَكِي يَرى رُواةُ الخنا أنِّي لبيتكِ ها جِرُ
أَلَا لَيْتَ حَظِّي منك يا عَزَّ أنْتي إذا بِنْتِ باع الصبرِ لي عنكِ تا جِرُ

عروضه من الطويل . الشعر لكثير . والغناء لمبعدٍ ثَقِيلُ أَوَّلُ بالنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو . وفيه لابن سريج لحنٌ أَوَّلُه : «أُصدُّ وبِي مثلُ الجنونِ» خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق : ومنها² :

صوت

أناخُوا فَجَرُوا شاصِياتٍ كأنَّها رجالٌ من السُّودانِ لم يَتَسَرَّبُوا
فقلتُ اصْبَحُونِي لا أبا لأَيِّكُمْ وما وَضَعُوا الأثقالَ إلَّا لِيَفْعَلُوا
تَمَرُّ بها الأيْدي سَنِحاً وبارحاً وَتُرْفَعُ باللَّهْمَّ حَيَّ وَتَنْزَلُ

عروضه من الطويل . الشاصياتُ : الشَّائِلاتُ قوائمها من امتلائها ، يعني الرِّقاق ؛ يقال : شَصَا يَشْصُو . وشَصَا ببصره إذا رفعه كالشاخص ؛ وأنشد : [من مشطور الرجز]

ورُبَّ رِبٍ خِماصٍ يَظْعُنُ بالصِّياصِي³
يَنْظُرُ من خِصاصٍ باعِصِنِ شَواصِي⁴
كَفَلَقِ الرِّصاصِ تَسْمُو إلى القَنَاصِ

الشعرُ للأخطل ، وذكره يأتي في غير هذا الموضع ، من قصيدة يمدح بها خالد بن عبد الله بن

1 ديوان كثير : 368-370 (تحقيق إحسان عباس) بيروت 1971 .

2 ديوان الأخطل : 3-4 (تحقيق أنطون الصالحاني) بيروت .

3 ررب : قطيع من البقر . خماص : ضامرات جوعاً . الصياصي : القرون .

4 خصاص : فتحات ، كوى .

أسيد بن أبي العيص بن أمية . والغناء للمالك وله فيه لحنان : أحدهما في الأول والثاني رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، والآخر في الثالث والأول والثاني خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن محرز خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها . وفيه رمل آخر لإبراهيم عن عمرو أيضاً . ومنها :
[من البسيط]

صوت

هل تعرفُ الرسمَ والأطْلَالَ والدِّمْنَا

وذكر الأبيات الثلاثة وقد تقدّمت . عروضه من البسيط . الشعرُ لذي الإصْبَعِ العدواني¹ .
والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر . ومنها :
[من الطويل]

صوت

كفى حَزناً أن تجمعَ الدارُ شَمْلَنَا

صوت

وهو من المائة المخارة في رواية جحظة عن أصحابه

[من الطويل]

دعي القلبَ لا يَزْدَدْ حَبالاً مع الذي به منك أو دَاوِي جَوَاهِ الْمُكْتَمَا
وَمَنْ كَانَ لَا يَعْدُو هَوَاهِ لِسَانَهُ فَقَدْ حَلَّ فِي قَلْبِي هَوَاكَ وَخَيْمًا
وليس بتزويق اللسانِ وصَوْغِهِ وَلَكِنَّهُ قَدْ خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدَّمَ
عروضه من الطويل . الشعر للأخوص ، وقيل : إنه لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان . والغناء
لمعبد ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وذكر يونس أن للمالك لحناً فيه : [من الطويل]

أَكَلْتُمْ فُكِّي عَانِيَا بَكَ مُعْرَمًا وَشُدِّي قُوَى حَبْلِ لَنَا قَدْ تَصَرَّمَا
فَإِنْ تُسَعِّفِيهِ مَرَّةً بَنَوَالِكُمْ فَقَدْ طَالَمَا لَمْ يَنْجُ مِنْكَ مُسَلَّمَا
كفى حَزناً أن تجمعَ الدارُ شَمْلَنَا وَأُمْسِي قَرِيباً لَا أَزُورُكِ كَلَّمَا
وبعده هذه الأبيات التي مَضَتْ .

[اتفاق المغنين على تفضيل لحن لابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد وذكر الثقفى عن دحمان قال : تذاكرنا ونحن في المسجد أنا والربيع بن أبي الهيثم الغناء أيّه أحسن ، فجعل يقول وأقول فلا نجتمع على شيء .

1 تنسب أيضاً إلى عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه : 432 .

فقلت : اذهب بنا إلى مالك بن أبي السَّمْح . فذهبنا إليه فوجدناه في المسجد ، فقال : ما جاء بكما ؟ فأخبرناه . فقال : قد جرى هذا بيني وبين معبد وقال وقت ، فجاءني معبد يوماً وأنا في المسجد وقال : قد جئتُك بشيء لا تردُّه . فقلت : وما هو ؟ قال : لحنُ ابن سريج : [من الطويل]

وليسَ بتزويقِ اللسانِ وصَوغِهِ ولكنه قد خالطَ اللحمَ والدِّمَا

ثم قال لي معبد : اُسمِعْكَه ؟ قلت : نعم ، وأريته أنِّي لم أسمعْه قبل ، فقال : اسمعه مِنِّي ، فغَنَّى فيه ونحن في المسجد ، فما سمعتُ شيئاً قطُّ أحسنَ منه ، فافترقنا وقد اجتمعنا عليه .

وقرأتُ في فصلِ إبراهيم بن المهديّ إلى إسحاق الموصليّ . « وكتبْتُ رُفْعَتِي هذه وأنا في غَمْرَةٍ من الحمى تصدِّفُ عن المفترضات . ولولا خَوْفِي من تشنِيعِكَ وتَجَنِّيكِ لم يكن فيَّ لإجابة فضلٍ ، غير أنِّي قد تكلفتُ الجواب على ما الله به عالمٌ من صعوبة علَّتِي وما أقالسيه من الحرارة الحادثة بي .

وليسَ بتزويقِ اللسانِ وصَوغِهِ ولكنه قد خالطَ اللحمَ والدِّمَا

[تفضيل غناء ابن سريج على غناء معبد ومالك]

وقال إسحاق حدَّثني شيخٌ من مَوالي المنصور قال : قَدِمَ علينا فتيان من مَوالي بني أمية يريدون مكة ، فسمعوا معبداً ومالكاً فأعجبوا بهما ، ثم قدموا مكة فسألوا عن ابن سريج فوجدوه مريضاً ، فأتوا صديقاً له فسألوه أن يُسمِعَهم غناؤه ، فخرج معهم حتى دخلوا عليه . فقالوا : نحن فتيانٌ من قريش ، أتيناك مُسلمين عليك ، وأحببنا أن نسمع منك . فقال : أنا مريضٌ كما ترون . فقالوا : إنَّ الذي نكتفي منك به يَسِيرٌ ، وكان ابن سريج أديباً طاهر الخلق عارفاً بأقدار الناس ، فقال : يا جارية ، هاتي جِلْبَابِي وعُودِي ، فأتته خادमे بخامةٍ فسَدَلَهَا على وجهه ، وكان يفعل ذلك إذا تَغَنَّى لِقُبْح وجهه ، ثم أخذ العود فغَنَّاهم ، فأرخص ثوبه على عينيه وهو يغني ، حتى إذا اكتفوا ألقى عودَه وقال : معذرةٌ . فقالوا : نعم ، قد قبل الله عذرَكَ فأحسنَ الله إليك ، ومسح ما بك ، وانصرفوا يتعجبون ممَّا سمِعوا . فمَرُّوا بالمدينة مُنصرَفين ، فسمعوا من معبدٍ ومالكٍ ، فجعلوا لا يَطربون لهما ولا يُعجبون بهما كما كانوا يَطربون . فقال أهلُ المدينة : نَحْلِفُ بالله لقد سمعتم بعدنا ابن سريج قالوا : أجل ! لقد سمعناه فسمعنا ما لم نسمع مثله قطُّ ، ولقد نَغَصَ علينا ما بعده .

[تَغَنَّى رُقْطَاءُ الحِطْيَةِ برمل ابن سريج]

وذكر العتَّابيُّ أنَّ زكريَّا بن يحيى حدَّثه قال حدَّثني عبد الله بن محمد بن عثمان العثمانيُّ

عن بعض أهل الحجاز قال¹ : التقى قنديل الجصاص وأبو الحديد بشعب الصفراء² ، فقال قنديل لأبي الحديد : من أين وإلى أين ؟ قال : مررت برقطاء الحبطية رائحة تترنم برمل ابن سريج في شعر ابن عمارة السلمي³ : [من الطويل]

صوت

سقى مأزمي نجد إلى بئر خالد فوادي نضاع فالقرون إلى عمد³
وجادت بروق الرائحات بمزنة تسح شايبياً بمرتجز الرعد
منازل هند إذ توأصيني بها لياي تسييني بمسطرف الود
ينير ظلام الليل من حسن وجهها وتهدي بطيب الریح من جاء من نجد
الغناء لابن سريج رمل بالبنصر عن الهشامي . فرقت خلفها زيف النعامة ، فما انجلت
غشاوتي إلا وأنا بالمشاش⁴ حسير⁵ فأودعتها قلبي وخلفته لديها ، وأقبلت أهوي كالرخمة بغير
قلب . فقال لي قنديل : ما دفع أحد من المزدلفة أسعد منك ، سمعت شعر ابن عمارة في غناء
ابن سريج من رقطاء الحبطية ؛ لقد أوتيت جزءاً من النبوة . قال : وكانت رقطاء هذه من
أضرب الناس ؛ فدخل رجل من أهل المدينة منزلها فغنته صوتاً . فقال له بعض من حضر : هل
رأيت قط أو ترى أفصح من وتر هذه ؟ فطرب المديني وقال : علي العهد إن لم يكن وترها من
معى بشكست النحوي ، فكيف لا يكون فصيحاً ؟ وبشكست هذا كان نحوياً بالمدينة ، وقتل
مع الشراة⁶ الخارجين مع أبي حمزة صاحب عبد الله بن يحيى الكندي الشاري المعروف
بطالب الحق .

[غناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس]

قال محمد بن الحسن وحدث عن إسحاق عن أبيه أنه كان يقول : غناء كل مغن مخلوق
من قلب رجل واحد ، وغناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جميعاً . وكان يقول : الغناء
على ثلاثة أضرب ، فضرب مله مطرب يحرك ويستخف ، وضرب ثان له شجاً ورقة ،
وضرب ثالث حكمة وإتقان صنعة . قال : وكل هذا مجموع في غناء ابن سريج .

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 61-62 (الفقرة : 85) .

2 الصفراء : اسم واد بناحية المدينة .

3 المأزم : طريق ضيق بين جبال . هذه كلها أسماء مواضع .

4 المشاش : واد يجري بعرفات .

5 حسير : متعب كل عن السير .

6 الشراة : الخوارج ، شروا (أي باعوا) أنفسهم بالجنة .

[النقاء ابن سلمة الزهري والأخضر الجدّي وتغنى ابن سلمة ببناء ابن سريج]

قال العتابي وحدثني زكريا بن يحيى عن عبد الله بن محمد العثماني قال : ذكر بعض أصحابنا الحجازيين قال : التقى ابن سلمة الزهري والأخضر الجدّي بيثر الفصح¹ ، فقال ابن سلمة : هل لك في الاجتماع نَسْتَمِيع بك ؟ فقال له الأخضر : لقد كنتُ إلى ذلك مُشْتَقاً ، قال : فقعدا يتحدّثان ، فمرَّ بهما أبو السائب ، فقال : يا مُطَرِّبِي الحجاز ، أَلْشَيْء كان اجتماعكما ؟ فقالا : لغير موعِدٍ كان ذلك ، أَفْتُونُسْنَا ؟ قال : فقعدوا يتحدّثون . فلَمَّا مضى بعض الليل قال الأخضر لابن سلمة : يا أبا الأزهر ، قد أبهارَ الليل² وساعدك القمر ، فأوقعَ بَقَهْقَهة ابن سريج وأصيب معنك . فاندفع يُغْنِي : [من الطويل]

صوت

تَجَنَّتْ بِلَا جُرْمٍ وَصَدَّتْ تَغْضِبًا وَقَالَتْ لِتَرْبِيَّتِهَا مَقَالَةً عَاتِبَ
سَيَعْلَمُ هَذَا أَتْنِي بِنْتُ حُرَّةٍ سَأَمْنَعُ نَفْسِي مِنْ ظُنُونِ كَوَاذِبِ
فَقُولِي لَهُ عَنَّا تَنَحَّ فَإِنَّا آيَاتُ فُحْشٍ طَاهِرَاتُ الْمُنَاسِبِ
الغناء لابن سريج ولم يذكر طريقته . قال : فجعل أبو السائب يَزِفُن³ ويقول : أَبِشْرُ حَبِيبِي ، فَلَأَنْتَ أَفْضَلُ مِنْ شُهَدَاءِ قَرْوِينَ . قال : ثم قال ابن سلمة للأخضر : نِعْمَ الْمُسَاعِدُ عَلَى هَمِّ اللَّيْلِ⁴ أَنْتَ ؛ فَأَوْقِعْ⁵ بَنُوْح ابن سريج وَلَا تَعُدْ مَعْنَاكَ⁶ . فاندفع يُغْنِي : [من الطويل]

صوت

فَلَمَّا التَّقِينَا بِالْحَجُوجِ تَنَفَّسَتْ تَنَفَّسَ حَزُونِ الْفُؤَادِ سَقِيمِ
وَقَالَتْ وَمَا يَرَقَا مِنَ الْخَوْفِ دَمْعُهَا أَقَاطِنُهَا أَمْ أَنْتَ غَيْرُ مُقِيمِ
فَإِنَّا غَدًا تُحْدَى بِنَا الْعَيْسُ بِالضُّحَى وَأَنْتَ بِمَا نَلْقَاهُ غَيْرُ عَلِيمِ
فَقَطَّعَ قَلْبِي قَوْلُهَا ثُمَّ أَسْلَتْ مَحَاجِرُ عَيْنِي دَمْعُهَا بِسُجُومِ
قال : فجعل أبو السائب يتأفّف ويقول : أُعْتِقْ مَا أَمْلِكُ إِنْ لَمْ تَكُنْ فِرْدَوْسِيَّةَ الطَّيْنَةِ ، وَإِنِّهَا بَعْلِمِهَا لِأَفْضَلُ مِنْ آسِيَّةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ .

1 ل : بيثر الفصح .

2 ابهار الليل : انتصف .

3 يزفن : يرقص .

4 ل : سهر الليل .

5 ل : فوقع .

6 ل : معنك .

7 . كتاب الأغاني - ج 1

[تغني الذلفاء بلحن ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال : بلغني أن أبا ذهبل الجمحي قال : كنت أنا وأبو السائب المخزومي عند مُغنية بالمدينة يقال لها «الذلفاء» ، فغنّتنا بشعر جميل بن معمر العُدري ، واللحن لابن سريج : [من الطويل]

صوت

لَهْنُ الْوَجَى لَمْ كُنْ عَوْنًا عَلَى النَّوَى وَلَا زَالَ مِنْهَا ظَالِعٌ وَكَسِيرٌ
كَأَنِّي سَقَيْتُ السُّمَّ يَوْمَ تَحَمَّلُوا وَجَدَ بِهِمْ حَادٍ وَحَانَ مَسِيرٌ
فقال أبو السائب : يا أبا ذهبل ، نحن والله على خطرٍ من هذا الغناء ، فنسأل الله السلامة وأن يكفيننا كلَّ محدور ، فما آمنُ أن يهجم بي على أمرٍ يهتكني . قال : وجعل يبكي .
[تأثير غناء ابن سريج في الحاج]

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعُ قال حدثنا الزبير بن بكار عن بكار بن رباح عن إسحاق بن مقمّة عن أمّه قالت : سمعتُ ابن سريج على أخشب منى غداة النفر وهو يغني : [من الخفيف]
جَدِّدِي الْوَصْلَ يَا قَرِيبَ وَجُودِي لِحَبِّ فِرَاقِهِ قَدْ أَلَمَّا
لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوا جِمالَهُمْ فَتُرَمَّا
ونسبةُ هذا الصوت تأتي بعد هذه الأخبار - قالت : فيما تشاء أن تسمع من خبءٍ ولا مضربٍ حنيناً ولا أنيناً إلا سمعته .
[مفاضلة أخرى بين معبد وابن سريج]

وذكر يوسف بن إبراهيم أنّه حضر إسحاق بن إبراهيم الموصلي ليلةً وهو يُذاكِرُ إبراهيم بن المهدي ، إلى أن قال إسحاق في بعض مخاطبته إياه : هذا صوتٌ قد تمعّدت فيه ابن سريج . فقال له إبراهيم : ما ظننتُ أنّك يا أبا محمد مع علمك وتقدّمك تقول مثلَ هذا في ابن سريج ، فكيف يجوز أن تقول : تمعّدتُ ابنُ سريج ، وإنما معبدٌ إذا أحسن قال : أصبحتُ سُرَيجياً ، قد أغنى الله ابن سريج عن هذا ورفعَ قدره عن مثله ، وأعيدك بالله أن تستشعر مثله في ابن سريج . قال : فما رأيتُ إسحاق دفع ذلك ، ولا أباه ، ولا زاد على أن قال : هي كلمةٌ يقولها الناس ، لم أقُلها اعتقاداً لها فيه ، وإنما تكلمتُ بها على العادة .
[اعتراف معبد لابن سريج بالتفوق عليه]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعُ قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا محمد بن سلام قال :

قال لي شُعَيْب بن صخر : كان معبدٌ إذا غَنَى فأجاد قال : أنا اليوم سُرِيجِي .
[سكوت المغنين عند حضور ابن سريج]

حدَّثني الحَرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكار قال حدَّثني محمد بن سَلَامٍ قال حدَّثنا شُعَيْب بن صخر قال : كان نعمان المغنِّي عندي نازلاً ، وكان يغني ، وكنتُ أراه يأتيه قومٌ . قال أبو عبد الله : فقلتُ له : فأيتهم كان أحذق ؟ قال : لا أدري ، إلاَّ أنَّهُم كانوا إذا جاء ابن سريج سَكَّتُوا .
[الأحوص وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّادٍ عن أبيه قال حدَّثني الهيثم بن عيَّاش قال حدَّثني عبد الرحمن بن عُيَيْنَةَ قال : بينما نحن بعمى ونحن نريد الغدوَّ إلى عرفاتٍ ، إذ أتانا الأُحوص فقال : أبيتُ بكم الليلة ؟ قلنا : بالرَّحْبِ والسَّعة . فلمَّا جَنَّهُ الليلُ لم يلبث أن غاب عنا ثم عاد ورأسه يقطر ماءً . قلت : ما لك ؟ قال :

صوت

تَعَرَّضُ سَلْمَاكَ لَمَّا حَرَمَ تَ ، ضَلَّ ضَلَالُكَ مِنْ مُحَرَّمٍ !
تُرِيدُ بِهِ الْبِرَّ يَا لَيْتَهُ كَفَافاً مِنَ الْبِرِّ وَالْمَأْتَمِ

الغناء لابن سريج ولم يُجَنِّسه . قال قلت : زُنَيْتَ وَرَبَّ الكعبة ! قال : قُلْ ما بدا لك . ثم لقي ابن سريج فقال : إني قد قلتُ بيتين حسنين أحبُّ أن تُغَنِّيَ بهما . قال : ما هما ؟ فأنشده إِيَّاهما ؛ فغنى بهما من ساعته ، ففَتِنَ مَنْ حضرَ مَنْ سَمِعَ صَوْتَهُ .
[جرير يذهب من المدينة إلى مكة ليسمع غناء ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّادٍ عن أبيه قال حدَّثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال ¹ : قديم جرير بن الخطَفَيَّ المدينة ونحن يومئذٍ شبابٌ نطلبُ الشَّعرَ ، فاحتشدنا له ومعنا أشعْبُ . فبينما نحن عنده إذ قام لحاجة وأقمنا لم نبرح . وجاء الأُحوص بن محمد الشاعر من قُبَاءٍ على حمارٍ فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام لحاجة ، فما حاجتك إليه ؟ قال : أريد والله أن أُعْلِمَهُ أنَّ الفرزدقَ أشعرُ منه وأشرف . قلنا : ويحك ! لا تعرِّضْ له وانصرف ، فانصرف وخرج . فجاء جرير فلم يكن بأسرع من أن أقبل الأُحوص الشاعر فأقبل عليه ، فقال : السلام عليك يا جرير . قال جرير : وعليك السلام . فقال الأُحوص : يا ابن الخطَفَيَّ ، الفرزدقُ أشرفُ منك وأشعر . قال جرير : مَنْ هذا أخزاه الله ؟ قلنا : الأُحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . فقال : نعم ،

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 10-11 (رقم : 6) .

هذا الخبيث ابن الطيب ، أئت القائل :

يَقْرُ بِعَيْنِي مَا يَقْرُ بِعَيْنِهَا وأحسنُ شيء ما به العينُ قرَّتِ
قال نعم . قال : فإنه يَقْرُ بِعَيْنِهَا أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أفَيَقْرُ ذلك بعينك ؟ قال :
وكان الأحوص يُرمي بالحلاقِ فانصرف ، فبعث إليهم بتمر وفاكهة . وأقبلنا على جرير نُسائله ،
وأشعب عند الباب وجرير في مؤخر البيت ، فألحَّ عليه أشعبُ يسأل . فقال : والله إنني لأراك
أَقْبَحَهُمْ وجهاً وأراك الأمهم حسباً ؛ فقد أبرمتني منذ اليوم . قال : إنني والله أنفعهم وخيرهم
لك . فاتبته جرير وقال : ويحك ! كيف ذاك ؟ قال : إنني أُمْلِحُ شعرك وأجيدُ مَقَاطِعَهُ ومبادئه .
فقال : قُلْ ، وَيَحْك ! فاندفع أشعب فنادى بلحن ابن سريج :

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ قبلَ الرِّحِيلِ وقبلَ عَذْلِ العُدْلِ
لو كنتُ أعلمُ أن آخرَ عهدِكم يومُ الرِّحِيلِ فعلتُ ما لم أفعل
فطرب جرير وجعل يزحف نحوه حتى ألصق برُكْبته رُكْبته¹ ، وقال : لعمري لقد
صدقتُ ، إنك لأنفعهم لي وقد حسنته وأجَدته وزَيَّنته ، أحسنت والله ، وصله وكساه . فلما
رأينا إعجاب جرير بذلك الصوت ، قال له بعض أهل المجلس : فكيف لو سمعتَ واضعَ هذا
الغناء ؟ قال : أو إن له لواضعاً غير هذا ؟ فقلنا نعم . قال : فأين هو ؟ قلنا : بمكة . قال :
فلستُ بمفارق حِجَازكم حتى أبلُغهُ . فمضى ومضى معه جماعة ممن يرغب في طلب الشعر
في صحابته وكنت فيهم ، فأتيناه جميعاً ، فإذا هو في فِتيَةٍ من قريش كأنهم المَهَا مع ظَرْفٍ
كثير ، فأدنوا ورحَّبوا وسألوا عن الحاجة ، فأخبرناهم الخبر ، فرحَّبوا بجرير وأدَنوه وسُرُّوا
بمكانه ، وأعظم عبيد بن سريج موضع جرير وقال : سل ما تريد جُعِلْتُ فداءك ! قال : أريد
أن تُغْنِيَنِي لحناً سَعَتَهُ بالمدينة أزعجني إليك . قال : وما هو ؟ قال :

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ قبلَ الرِّحِيلِ وقبلَ عَذْلِ العُدْلِ
فغناه ابن سريج ويده قضيبٌ يُوقِعُ به وَيَنْكُتُ ، فوالله ما سمعتُ شيئاً قط أحسنَ من ذلك .
فقال جرير لله دَرُكُكم يا أهلَ مكة ، ما أعطيتُم ! والله لو أن نازعاً نزع إليكم ليُقيم بين أظهركم
فيسمع هذا صباح مساءً لكان أعظمَ الناسَ حظاً ونصيماً ، فكيف ومع هذا بيتُ الله الحرام ،
ووجوهُكم الحِسانُ ، ورقَّةُ ألسِنَتِكُم ، وحُسنُ شارَتِكُم ، وكثرةُ فوائدِكُم !
[الوليد بن عبد الملك وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن جدِّه إبراهيم قال : كتب الوليد بن عبد

1 ل : حتى مس برُكْبته رُكْبته .

الملك إلى عامل مكة أن أشخص إلي ابن سريج ، فأشخصه . فلما قدم مكث أياماً لا يدعوه ولا يلتفت إليه . قال : ثم إنه ذكره ، فقال : ويلكم ، أين ابن سريج ؟ قالوا : هو حاضر . قال : علي به . فقالوا : أجب أمير المؤمنين . فتهياً وليس وأقبل حتى دخل عليه فسلم . فأشار إليه أن اجلس ، فجلس [بعيداً] . فاستدناه فدنا حتى كان منه قريباً ، وقال : ويحك يا عبید ! لقد بلغني عنك ما حملني على الوفاة بك من كثرة أدبك وجودة اختيارك مع ظرف لسانك وحلاوة منطقتك ومجلسك . فقال : جعلت فداك يا أمير المؤمنين ! «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» . قال الوليد : إني لأرجو ألا تكون أنت ذاك ، ثم قال : هات ما عندك . فاندفع ابن سريج فغنى بشعر الأحوص¹ :

أَمَنْزَلَتِي سَلَمَى عَلَى الْقَدَمِ اسْلَمَا
وَذَكَّرْتُمَا عَصَرَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى
وَإِنِّي إِذَا حَلَّتْ بَيْشٍ مَقِيمَةً
يَمَانِيَةً شَطَطَتْ فَأَصْبَحَ نَفْعُهَا
أَجِبْ دُنُو الدَّارِ مِنْهَا وَقَدْ أَبَى
بَكَاهَا وَمَا يَذْرِي سَوَى الظَّنِّ مَنْ بَكَى
فَدَعَّهَا وَأَخْلَفَ لِلْخَلِيفَةِ مِدْحَةً
فَإِنْ بَكَفَيْهِ مَفَاتِيحَ رَحْمَةٍ
إِمَامٌ أَتَاهُ الْمَلِكُ عَفْوًا وَلَمْ يُثْبِ
تَخِيرُهُ رَبُّ الْعِبَادِ لَخَلْقِهِ
فَلَمَّا قَضَاهُ اللَّهُ لَمْ يَدْعُ مُسْلِمًا
يُنَالُ الْغِنَى وَالْعِزُّ مَنْ نَالَ وَدَّه

فقد هجئتما للشوق قلباً متيمًا
وجدّة وصلّ جبله قد تجدّما
وحلّ بوجّ جالساً أو تنهّما²
رجاء وظناً بالمغيّب مرّجما
بها صدعُ شعّب الدار إلا تثلّما
أحيّاً يُبكي أم تُراباً وأعظّما
تزلّ عنك بُؤسى أو تفيذك أنعمًا³
وغيث حياً يحيا به الناس مرهما⁴
على ملكه مالا حراماً ولا دما
وليّاً وكان الله بالناس أعلّما
لبيعته إلا أجاب وسلّما
ويرهب موتاً عاجلاً من تشامّا

فقال الوليد : أحسنت والله وأحسن الأحوص ؛ علي بالأحوص . ثم قال : يا عبید هيه ؛ فغنّاه بشعر عدي بن الرّقاع العاملي يمدح الوليد⁵ :

- 1 شعر الأحوص : 195-196 (صنعة عادل سليمان جمال) ، القاهرة 1970 .
- 2 بيش : هي بيشة وكانت قديماً من مخاليف اليمن . وج : اسم واد بالطائف . جالساً أي نازلاً للجلس وهو من نجد . تنهّم : نزل تهامة .
- 3 أنعماً في ل : مغنماً .
- 4 مرهما : يوجد بالرهام أي المطر .
- 5 ديوان عدي بن الرقاع : 216-221 (الدكتورين القيس والضامن) ، بغداد 1987 .

صوت

طَارَ الْكَرَى وَالْمُهِمُّ فَانْتَعَا
 كَانَ الشَّبَابُ قِنَاعاً أُسْتَكِنُ بِهِ
 فَاسْتَبَدَلَ الرَّأْسُ شَيْباً بَعْدَ دَاجِيَةٍ
 فَإِنْ تَكُنْ مِيعَةً مِنْ بَاطِلٍ ذَهَبَتْ
 فَقَدْ آيَبْتُ أَرَاعِي الْخَوْدَ رَاقِدَةً
 بِرِاقَةِ الْغُرِّ تَشْفِي الْقَلْبَ لَذَّتْهَا
 كَلَأُفُحُونِ بِضَاحِي الرُّوضِ صَبَّحَهُ
 صَلَّى الَّذِي الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لَهُ
 عَلَى الَّذِي سَبَقَ الْأَقْوَامَ ضَاحِيَةً
 هُوَ الَّذِي جَمَعَ الرَّحْمَنُ أُمَّتَهُ
 عُدْنَا بِذِي الْعَرْشِ أَنْ نَحْيَا وَتَفْقِدَهُ
 إِنَّ الْوَلِيدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ
 لَا يَمْنَعُ النَّاسُ مَا أُعْطِيَ الَّذِينَ هُمْ
 وَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوْمِ فَاثْنَعَا¹
 وَأُسْتَظِلُّ زَمَاناً ثُمْتُ انْقَشَعَا
 فَيَبَانَةٌ مَا تَرَى فِي صُدُغِهَا نَزْعَا²
 وَأَعْقَبَ اللَّهُ بَعْدَ الصَّبُورَةِ الْوَرَعَا
 عَلَى الْوَسَائِدِ مَسْرُوراً بِهَا وَلَعَا³
 إِذَا مُقْبِلُهَا فِي رِيقِهَا كَرَعَا
 غَيْثٌ أَرَشَ بِتَنْضَاحٍ وَمَا نَقَعَا
 وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا مَا جَمَعُوا الْجُمُعَا
 بِالْأَجْرِ وَالْحَمْدِ حَتَّى صَاحِبَاهُ مَعَا
 عَلَى يَدَيْهِ وَكَانُوا قَبْلَهُ شَيْعَا
 وَأَنْ نَكُونَ لِإِرَاعٍ بَعْدَهُ تَبَعَا
 مُلْكٌ عَلَيْهِ أَعَانَ اللَّهُ فَارْتَفَعَا
 لَهُ عِبَادٌ وَلَا يُعْطُونَ مَا مَنَعَا

فقال له الوليد : صدقت يا عبید ! أننى لك هذا ؟ قال : هو من عند الله . قال الوليد : لو
 غیر هذا قلت لأحسنْتُ أدبک . قال ابن سريج : ذلك فضلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ . قال الوليد :
 يزيد في الخلق ما يشاء . قال ابن سريج : هذا من فضلِ ربِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ .
 قال الوليد : لَعَلَّكُمْ وَاللَّهِ أَكْبَرُ وَأَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ غِنَائِكَ ! غَنَّنِي . فغناه بشعر عدي بن
 الرِّقَاع العاملي يمدح الوليد⁴ :

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُمًا فَاثْنَدَاهَا
 وَلِرُبٍّ وَاضِحَةِ الْعَوَارِضِ طَفْلَةً
 مِنْ بَعْدِ مَا شَمِلَ الْبِلَى أَبْلَادَهَا
 كَالرَّيِّمِ قَدْ ضَرَبَتْ بِهَا أَوْتَادَهَا⁵

1 الكنع : حضر .

2 نزع : صلع خفيف .

3 أراعي في ل : أناغي .

4 ديوان عدي بن الرقاع : 82-95 .

5 طفلة في ل : برزة .

إني إذا ما لم تصلني خلتي
صلى الإله على امرئ ودعته
وإذا الربيع تتابعت أنوؤه
نزل الوليد بها فكان لأهلها
أو لا ترى أن البرية كلها
ولقد أراد الله إذ ولأكلها
أعمرت أرض المسلمين فأقبلت
وأصبحت في أرض العدو مصيبة
ظفراً ونصراً ما تناول مثله
فإذا نشرت له الشاء وجدته
وتباعدت مني اغتفرت بعداها
وأنتم نعمته عليه وزادها
فسقى خنصرة الأحص فجادها¹
غيثاً أغاث أنيسها وبلادها
ألقت خزائنها إليه فقادها
من أمة إصلاحها ورشادها
وكففت عنها من يروم فسادها
عمت أقاصي غورها ونجادها
أحد من الخلفاء كان أرادها²
جمع المكارم طيفها وتلادها

فأشار الوليد إلى بعض الخدم ، فغطوه بالخلع ووضعوا بين يديه كيساً من الدنانير وبدراً من الدراهم ، ثم قال الوليد بن عبد الملك : يا مولاي بني نوفل بن الحارث ، لقد أوتيت أمراً جليلاً . فقال ابن سريج : وأنت يا أمير المؤمنين ، لقد آتاك الله ملكاً عظيماً وشرفاً عالياً ، وعزاً بسط يدك فيه فلم يقبضه عنك ولا يفعل إن شاء الله . فأدام الله لك ما ولأك ، وحفظك فيما استرعاك ؛ فإنك أهل لما أعطاك ، ولا نزعك منك إذ رآك له موضعاً . قال : يا نوفلي ، وخطيب أيضاً ؟ قال ابن سريج : عنك نطق ، ولسانك تكلمت ، وبعزك بينت . وقد كان أمر بإحضار الأحوص بن محمد الأنصاري وعدي بن الرقاع العاملي . فلما قديما عليه أمر بإنزالهما حيث ابن سريج ، فأنزلا منزلاً إلى جنب ابن سريج . فقالا : والله لقرب أمير المؤمنين كان أحب إلينا من قربك يا مولاي بني نوفل ، وإن في قربك لما يلدنا ويشغلنا عن كثير مما نريد . فقال لهما ابن سريج : أو قلة شكر ؟ فقال له عدي : كأتك يا ابن اللخاء تمن علينا ! علي وعلى إن جمعنا وإياك سقف بيت أو صحن دار إلا عند أمير المؤمنين . وأما الأحوص فقال : أو لا تحمل لأبي يحيى الزلّة والقفوة ؟ وكفارة يمين خير من عدم المحبة ، وإعطاء النفس سؤلها خير من لجاج في غير منفعة ! فتحول عدي ، وبقي عنده الأحوص . وبلغ الوليد ما جرى بينهم ، فدعا ابن سريج وأدخله بيتاً وأرخصى دونه سيراً ، ثم أمره إذا فرغ الأحوص وعدي من كلمتيهما أن يغني . فلما دخلا وأنشدها مدائح فيه ، رفع ابن سريج

1 خنصرة : بلدة قرب قنسرين في الشام ، وأضافها إلى الأحص وهو مرج قريب منها .

2 هذا البيت آخرها في ل .

صوته من حيث لا يَرُونَهُ وضرب بعوده . فقال عديّ : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي أن أتكلّم ؟ فقال : قل يا عامليّ . قال : أمثلُ هذا عند أمير المؤمنين ، ويبعثُ إلى ابن سريج يتخطّى به رِقَابَ قريشٍ والعرب من تِهَامَةِ إلى الشام ، ترفعه أرضٌ وتَخْفِضُهُ أُخْرَى فيقال : مَنْ هذا ؟ فيقال : عُبيد بن سريج مولى بني نوفلٍ بعثَ أمير المؤمنين إليه ، لِيَسْمَعَ غَنَاءَهُ ؟ فقال : ويحك يا عديّ ! أَوَلَا تعرفُ هذا الصوت ؟ قال : لا والله ما سمعته قطُّ ولا سمعتُ مثله حسناً ، ولولا أنّه في مجلس أمير المؤمنين لقلت : طائفةٌ من الجنِّ يتغنّون . فقال : اخرج عليهم ، فخرج فإذا ابن سريج . فقال عديّ : حَقٌّ لهذا أن يُحمل ؛ حَقٌّ لهذا أن يُحمل ؛ ثلاثاً ، ثم أمر لهما بمثل ما أمر به لابن سريج ، وارتحل القوم . وكان الذي غنّاه ابن سريج من شعرِ عمرَ بن أبي ربيعة¹ :

بالله يا ظبيّ بني الحارثِ	هل من وفى بالعهدِ كالنكاثِ
لا تخذعني بالمنى باطلاً	وأنت بي تلعبُ كالعابثِ
حتى متى أنت لنا هكذا	نفسى فداك لك يا حارثي
يا منتهى همي ويا منيتي	ويا هوى نفسي ويا وارثي

[عتاب ابن سريج في الغناء ثم الرجوع بعد السماع]

قال : وبلغني أن رجلاً من [الأشراف من] قريش من موالى ابن سريج عاتبه يوماً على الغناء وأنكره عليه ، وقال له : لو أقبلت على غيره من الآداب لكان أزينَ بمواليك وبك ؛ فقال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، امرأته طالقُ إن أنت لم تدخل الدار . فقال الشيخ : ويحك ، ما حملك على هذا ؟ قال : جُعِلْتُ فِدَاكَ قد فعلتُ . فالتفت النوفلي إلى بعض من كان معه متعجباً ممّا فعل . فقال له القوم : قد طلّقت امرأته إن أنت لم تدخل الدار . فدخل ودخل القوم معه . فلما توسّطوا الدار قال : امرأته طالقُ إن أنت لم تسمع غنائي . قال : اعزبُ عني يا لكعُ ، ثم بَدَرَ الشيخ ليخرج . فقال له أصحابه : اتطلّق امرأته وتحمل وزرَ ذلك ؟! قال : فوزرَ الغناء أشدُّ . قالوا : كلاً ما سوى الله عزّ وجلّ بينهما . فأقام الشيخ مكانه . ثم اندفع ابن سريج يغني في شعر عمر بن أبي ربيعة في زينب :

أليستَ بالتي قالتُ	لمولاةٍ لها ظهرا
أشيري بالسلام له	إذا هو نحونا خطرا

وَقُولِي فِي مُلَاطِفَةٍ لِرِزْبَ نَوَلِّي عَمْرَا
أَهَذَا سِحْرُكَ النِّسْوَا نَ قَدْ خَبَّرَنِي الْخَبْرَا

فقال للجماعة : هذا والله حسن ، ما بالحجاز مثله ولا في غيره . وانصرفوا .
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال : قال عبد الله بن عمير الليثي لابن سريج : لو تركت الغناء ، وعاتبته على ذلك . فقال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، لو سمعته ما تركته . ثم قال : امرأته طالق ثلاثاً إن لم تدخل الدار حتى تسمع غنائي . فالتفت عبد الله إلى رفيق له كان معه فقال : ما تنتظر ؟ ادخل بنا وإلا طَلَقْتُ امرأة الرجل . فدخلا مع ابن سريج ، فغنى بشعر الأحوص :

صوت

لَقَدْ شَاقَكَ الْحَيُّ إِذْ وَدَّعُوا فَعَيْنُكَ فِي إِثْرِهِمْ تَدْمَعُ
وَنَادَاكَ لِلْبَيْنِ غَرْبَانُهُ فَظَلَّتْ كَأَنَّكَ لَا تَسْمَعُ
ثم قال : امرأته طالق ثلاثاً إن أنت لم تستحسنه لأتركه . فتبسم عبد الله وخرج .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

منها : الصوت الذي أوله في الخبر :

جَدَدِي الْوَصْلَ يَا قَرِيبَ وَجُودِي

أولُه¹ :

صوت

إِنَّ طَيْفَ الْخَيَالِ حِينَ الْمَا
جَدَدِي الْوَصْلَ يَا قَرِيبَ وَجُودِي
لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا
أَنْ يَرُدُّوَا جِمَالَهُمْ فَتَرَمَّا²
وَلَقَدْ قُلْتُ مُخِيفاً لِعَرِيضٍ
هَلْ تَرَى مِثْلَهُ مِنَ النَّاسِ شَخْصاً
هَاجَ لِي ذُكْرَةٌ وَأُحْدَثَ هَمًّا
لُحِبُّ فِرَاقِهِ قَدْ أَلَمَّا
هَلْ تَرَى ذَلِكَ الْغَزَالَ الْأَجَمَّا³
أَكْمَلَ النَّاسِ صُورَةً وَأَتَمَّا⁴

1 ديوان عمر : 393 .

2 والموت في ل : الرحيل والسير (حيث وردت) .

3 الأجم : الذي ليس له قرنان .

4 الناس في ل : اليوم .

عَرَّوْضُهُ مِنَ الْخَفِيفِ . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْوَسْطَى
عَنِ الْهَشَامِيِّ . وفيه للغريض أيضاً ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ .
أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّمَشَقِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ : أُنْشِدَ
جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَوْلَ عُمَرَ : [مِنَ الْخَفِيفِ]

لَيْسَ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ إِلَّا أَنْ يَرُدُّوْا جِمَالَهُمْ فَتُزَمَّ
فَطَرِبَ وَارْتَاحَ وَجَعَلَ يَقُولُ : لَقَدْ عَجَّلُوا الْبَيْنَ ، أَفَلَا يُوَكُّونَ قَرِيبَةً ! أَفَلَا يُودَّعُونَ صَدِيقاً !
أَفَلَا يَشُدُّونَ رَحْلاً ؟ حَتَّى جَرَّتْ دَمَوْعُهُ .
وَحَدَّثَنَا الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ عَنِ الزُّبَيْرِ فَذَكَرَ مِثْلَهُ . وَمِنْهَا : [مِنَ الْكَامِلِ]

صوت

يَا أُخْتِ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ عَذْلِ الْعُدْلِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخَرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ¹
عَرَّوْضُهُ مِنَ الْكَامِلِ . الشعر لجبر ، والغناء لابن سريج ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَجْرَى
الْوَسْطَى عَنْ ابْنِ الْمَكِّيِّ ، وَذَكَرَهُ إِسْحَاقُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَلَمْ يَنْسُبْهُ إِلَى أَحَدٍ . وفيه للغريض ثاني
ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى عَنْ ابْنِ الْمَكِّيِّ أَيْضاً . وَمِمَّا يُشَكُّ فِيهِ أَنَّهُ لِمَعْبُدٍ أَوْ لَكَرْدَمَ ابْنِهِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي وَالْأَوَّلِ
ثَانِي ثَقِيلٌ . وَلَعَرِيبٌ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَحْنٌ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ غَيْرِ مَجْنَسٍ . وَمِنْهَا : [مِنَ الطَّوِيلِ]

صوت

أَمْنَزَلْتَنِي سَلَمَى عَلَى الْقَدَمِ اسْلَمَا فَقَدْ هِجْتُمَا لِلشَّوْقِ قَلْباً مُتَمِّمًا
وَذَكَرْتُمَا عَصَرَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى وَجِدَّةً وَصَلَّ حَبْلُهُ قَدْ تَجَدَّمَا
عَرَّوْضُهُ مِنَ الطَّوِيلِ . وَالشَّعْرُ لِلْأَحْوَصِ ، وَالْغَنَاءُ لَكَرْدَمَ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى ، وَقِيلَ : إِنَّ
هَذَا الثَّقِيلَ الثَّانِي لِحَمْدِ الرَّفِّ ، وَإِنَّ فِيهِ لَحْنًا مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ لَكَرْدَمَ . وَمِنْهَا : [مِنَ الْكَامِلِ]

صوت

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهَمًا فَاعْتَادَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَمِلَ الْبَلَى أَبْلَادَهَا
إِلَّا رَوَاكِدَ كُلِّهِنَّ قَدْ اصْطَلَى حَمْرَاءُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا إِيقَادَهَا²
عَرَّوْضُهُ مِنَ الْكَامِلِ . الشعر لَعَدِيِّ بْنِ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيِّ ، وَالْغَنَاءُ لَابْنِ مُحَرَّزٍ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ مَطْلُوقٌ
فِي مَجْرَى الْبَنْصَرِ عَنْ إِسْحَاقَ . وفيه للمالكِ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بِالْبَنْصَرِ عَنْ عَمْرِو . وفيه لَحْنٌ لِإِبْرَاهِيمَ ،

1 الرحيل في ل : الفراق .

2 رواكد : صفة للأنثى . أكثر في ل : أشعل .

وفي هذه الأخبار أنه لابن سريج ، وذكر حماد في كتاب ابن مُحَرِّزٍ أنه مَّا يُنسب إلى ابن مِسْجَحٍ [أو إلى ابن مُحَرِّزٍ] . ومنها :

صوت

بِاللهِ يَا ظَبْيَ بَنِي الْحَارِثِ هل مَنْ وَفَى بِالْعَهْدِ كَالنَّائِثِ
لَا تَخْذَعْنِي بِالْمُنَى بِاطِلَاءٍ وَأَنْتَ بِي تَلْعَبُ كَالْعَائِثِ

عَرَّضَهُ مِنَ السَّرِيعِ . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ولحنه خفيف ثقيلٍ
أَوَّلُ بِالْوَسْطَى ، وذكر عمرو بن بانة أنه لسياطٍ . وذكر الهشاميّ وَبَذَلَ أَنَّ فِيهِ لِإِبْرَاهِيمَ
الْمَوْصِلِيِّ لَحْنًا آخَرَ . وفيه خفيف رملٍ بِالْبِنْصَرِ ذكر حبشٍ أنه لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَغَيْرُهُ
يُنْسِبُهُ إِلَى إِسْحَاقَ . ومنها :

صوت

وهو الذي أَوَّلَهُ فِي الْخَبَرِ : [من مجزوء الوافر]

أَلَيْسَتْ بِالتِّي قَالَتْ	لِمَوْلَاةٍ لَهَا ظَهْرًا
تَصَالِي الْقَلْبُ فَادَّكَرَا	هَوَاهُ وَلَمْ يَكُنْ ظَهْرًا ¹
لَزَيْنَبَ إِذْ تُجِدُّ لَنَا	صَفَاءَ لَمْ يَكُنْ كَدِرًا
أَلَيْسَتْ بِالتِّي قَالَتْ	لِمَوْلَاةٍ لَهَا ظَهْرًا
أَشِيرِي بِالسَّلَامِ لَهُ	إِذَا هُوَ نَحُونًا نَظَرًا
وَقُولِي فِي مُلَاطَفَةٍ	لَزَيْنَبَ نَوَّلِي عُمَرَا
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَبًا	وَقَالَتْ مَنْ بَدَا أَمْرًا
أَهَذَا سِحْرُكَ النِّسْوَا	نَ قَدْ خَبَّرْتَنِي الْخَبْرَا
طَرِبْتَ وَرَدَّ مَنْ تَهَوَّى	جَمَالُ الْحَيِّ فَاذْكُرَا
فَقُلْ لِلْبَرَبْرِئَةِ لَا	تُلُومِي الْقَلْبَ إِنْ جَهَرَا ²
بَطِرْتَ وَهَكَذَا الْإِنْسَا	نُ ذُو بَطَرٍ إِذَا طَفِرَا
فَأَيْنَ الْعَهْدُ وَالْمِيثَا	قُ لَا تُخَيِّرْ بِنَا بَشَرَا

1 ديوان عمر : 194-195 وهي هنا أكمل ولعلها هنا ملفقة من قصائد متعددة إذا صحّ توزيع القصائد في الديوان .

2 القلب في ل : الصب .

عَرَّوْضُهُ مِنَ الْوَافِرِ . الشَّعْرَ لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رِبْعَةَ ، وَالْغَنَاءَ لِابْنِ سَرِيحٍ فِي الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ وَالْخَامِسِ وَالْأَوَّلِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِّ عَنْ إِسْحَاقَ . وَلِلْغَرِيضِ فِي السَّابِعِ وَالثَّامِنِ وَالْأَوَّلِ لَحْنٌ مِنَ الْقَدْرِ الْأَوْسَطِ مِنَ الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ بِالْوَسْطَى فِي مَجْرَاهَا عَنْ إِسْحَاقَ . وَلَمُعْبِدٍ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ كُلُّهَا لَحْنٌ عَنْ يُونُسَ وَدَنَانِيرَ وَلَمْ يُجَنِّسَاهُ ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ . وَفِي السَّابِعِ وَالثَّامِنِ وَالتَّاسِعِ رَمْلٌ لِذَحْمَانَ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ لِلزُّبَيْرِ ابْنِهِ . وَلِمَالِكٍ لَحْنٌ أَوَّلُهُ :

صوت¹

لَقَدْ أَرْسَلْتُ جَارِيَّتِي وَقَلْتُ لَهَا خُذِي حَدْرَكَ
وَقُولِي فِي مُلَاطَفَةٍ لِرَيْسَبَ نَوَلِي عُمْرَكَ
فَهَزَّتْ رَأْسَهَا عَجَبًا وَقَالَتْ مَنْ بَذَا أَمْرَكَ
أَهَذَا سَحَرُكَ النَّسَوُ نَ قَدْ خَبَرْنِي خَبْرَكَ

وَلَحْنُ مَالِكٍ هَذَا خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالْوَسْطَى مِنْ رَوَايَةِ ابْنِ الْمَكِّيِّ . وَهَكَذَا يَرَوِي الشَّعْرَ وَيَجْعَلُ قَوَافِيَهُ كُلُّهَا عَلَى الْكَافِ . وَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بَعَيْنُهَا عَلَى هَذِهِ الْقَافِيَةِ خَفِيفٌ رَمْلٌ يُنْسَبُ إِلَى ابْنِ سَرِيحٍ وَإِلَى الْغَرِيضِ . وَذَكَرَ حَبِشٌ أَنَّ فِيهِ لَمُعْبِدٍ لَحْنًا مِنَ الرَّمْلِ أَوَّلُهُ الثَّالِثُ مِنَ الْأَبْيَاتِ الْأَوَّلِ الْمَذْكُورَةِ .

رجع الخبر إلى سياقة أحاديث ابن سُرِيح

[ابن سريح أحسن الناس غناء]

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ وَوَكَيْعٌ وَجَحْظَةُ قَالُوا : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ لِي الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى : سَأَلْتُ أَبَاكَ لَيْلَةً وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ الشَّرَابُ عَنْ أَحْسَنِ النَّاسِ غِنَاءً ، فَقَالَ لِي : مِنَ النِّسَاءِ أَمْ مِنَ الرِّجَالِ ؟ قُلْتُ : مِنَ الرِّجَالِ . قَالَ : ابْنُ مُحَرَّرٍ . فَقُلْتُ : فَمِنْ النِّسَاءِ ؟ قَالَ : ابْنُ سَرِيحٍ . قَالَ إِسْحَاقُ لِي : وَيُقَالُ أَحْسَنُ الرِّجَالِ غِنَاءً مَنْ تَشَبَّهَ بِالنِّسَاءِ ، وَأَحْسَنُ النِّسَاءِ غِنَاءً مَنْ تَشَبَّهَ بِالرِّجَالِ . قَالَ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ خَاصَّةً : ثُمَّ كَانَ ابْنُ سَرِيحٍ كَأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ قَلْبٍ كُلِّ وَاحِدٍ ، فَهُوَ يُغْنِي لَهُ بِمَا يَشْتَهِي .

[ابن سريح بيعض أندية مكة]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى قَالَ قَالَ حَمَّادُ : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ : قَالَ ابْنُ

سريج : مررتُ ببعضِ أندية مكة وفيه جماعةٌ ، فحَصِرْتُ فقلتُ : كيف أجوزُهم مع تَعْيِي وما أنا فيه ؟ فسمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ : قد جاء ابن سريج ، فقال بعضهم مَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي : وَمَنْ ابن سريج ؟ فقال : الذي يغني :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَظْعَا نُ إِذْ جَاوَزَنَ مُطَّلَحَا

قال ابن سريج : فلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ قَوَيْتُ نَفْسِي وَاشْتَدَّتْ مُتَنِّي ، ومررتُ بهم أخطِرُ في مُصَبَّغَاتِي . فلَمَّا حَازَيْتُهُمْ قَامُوا بِأَجْمَعِهِمْ فَسَلَّمُوا عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالُوا لِأَحْدَانِهِمْ : امشُوا مع أَبِي يَحْيَى .

[ابن سريج مع فتية من بني مروان]

وقد حَدَّثَنِي عَمِّي بهذا الخبر فقال حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ عَنْ جَرِيرٍ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ سَرِيحَ : دَعَانِي فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي مَرَوَانَ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِمْ وَأَنَا فِي ثِيَابِ الْحِجَازِ الْغِلَاطِ الْجَافِيَةِ ، وَهُمْ فِي الْقُوْهِ وَالْوَشْيِ يَرِفُلُونَ كَأَنَّهُمْ الدَّنَانِيرُ الْمَرْقُوقَةُ ، فَغَنَيْتُهُمْ وَأَنَا مُحْتَقِرٌ لِنَفْسِي عِنْدَهُمْ لَحْنًا لِي ، وَهُوَ :

صوت

أَبِالْفُرْعِ لَمْ تَظْعَنْ مَعَ الْحَيِّ زَيْنُ بِنَفْسِي مِنَ النَّاسِ الْحَبِيبُ الْمُغِيبُ
بَوَجْهِكَ عَنْ مَسِّ التُّرَابِ مَضْنَةٌ فَلَا تَبْعَدِي إِذْ كُلُّ حَيٍّ سَيَعْطُبُ

ولحن ابن سريج هذا رمل بالخنصر في مجرى البنصر . قال : فتضاءلوا في عيني حتى ساوَيْتُهُمْ فِي نَفْسِي لَمَّا رَأَيْتُهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِعْظَامِ لِي . ثُمَّ غَنَيْتُهُمْ :

وَدَّعْ لُبَابَةً قَبْلَ أَنْ تَتَرَحَّلَا وَاسْأَلْ فَإِنْ قُلَالَةً أَنْ تَسْأَلَا
فَطَرَبُوا وَعَظَمُونِي وَتَوَاضَعُوا لِي ، حَتَّى صِرْتُ فِي نَفْسِي بِمَنْزِلَتِهِمْ لَمَّا رَأَيْتُهُمْ عَلَيْهِ ، وَصَارُوا فِي عَيْنِي بِمَنْزِلَتِي . ثُمَّ غَنَيْتُهُمْ :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَظْعَا نُ إِذْ جَاوَزَنَ مُطَّلَحَا

فَطَرَبُوا وَمَثَلُوا بَيْنَ يَدَيَّ وَرَمَوْا بِحُلُلِهِمْ كُلَّهَا عَلَيَّ حَتَّى غَطَوْنِي بِهَا ؛ فَمَثَلْتُ لِي نَفْسِي أَنَّهَا نَفْسُ الْخَلِيفَةِ وَأَنَّهُمْ لِي خَوْلٌ ؛ فَمَا رَفَعْتُ طَرْفِي إِلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ تَبْهًا . وَقَدْ مَضَتْ نَسْبَةُ «وَدَّعْ لُبَابَةً» فِي أَخْبَارِ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَغَيْرِهِ . وَأَمَّا :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَظْعَا نُ نُ

[من الوافر]

فذكر نسبه :

نسبة هذا الصوت

صوت

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَا نُ إِذْ جَاوَزَنَ مُطَّلَحَا
نَعَمْ وَلَوْشَكَ بَيْنَهُمُ جَرَى لَكَ طَائِرٌ سُنْحَا
أَجَزَنَ الْمَاءُ مِنْ رَكَكَ وضوءُ الفَجْرِ قَدْ وَضَحَا
فَقُلْنَا مَقِيلُنَا قَزَنُ نُبَاكِرُ مَاءَهُ صُبْحَا
تَبِعْتُهُمْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ مِنْ حَتَّى قِيلَ لِي افْتَضَحَا
يُودِّعُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَكُلُّ الْهَوَى جُرْحَا
فَمَنْ يَفْرَحُ بَيْنَهُمُ فَنَغِيرِي إِذْ غَدَوْا فَرِحَا

عروضه من الوافر . الشعر لأبي ذهبل الجُمَحِيّ² والغناء للمالك وله فيه لحنان : ثَقِيلٌ أَوَّلُ
بالبنصر عن إسحاق ، وخفيف ثَقِيلٌ بالوسطى عن عمرو . ولمعبد فيه ثَقِيلٌ أَوَّلُ بالخنصر في
مجرى الوسطى . ولابن سريج في الخامس وما بعده ثَقِيلٌ أَوَّلُ مطلق في مجرى البنصر عن
إسحاق . وفيه الغريض ثاني ثَقِيلٌ بالوسطى عن حبش .

[مدح جرير ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : قَدِمَ جريرُ المدينة أو مكة فجلس مع قوم ،
فجعلوا يعرضون عليه غناء رجلٍ من المغنين ، حتى غنوه لابن سريج ، فطرب وقال : هذا
أحسنُ ما أسمعتموني من الغناء كله . قالوا : وكيف قلتَ ذاك يا أبا خزرة ؟ قال : مَخْرَجُ كُلِّ مَا
أسمعتموني من الغناء من الرأس ، ومَخْرَجُ هذا من الصدر .

[تحكيم الأفلح المخزومي في غناء قيتين]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدثني أبي قال حدثني
إبراهيم بن محمد الشافعي قال : جاء سنده الخياط المغني إلى الأفلح المخزومي ، وكان يوصف
بعقلٍ وفَضْلٍ ، فقال له : من أين أقبلتَ ؟ وإلى أين تَمْضِي ؟ فقال : إليك قَصَدْتُ من مجلسٍ
لبعضِ القُرَشِيِّينَ أقبلتُ مُحَاكِماً إليك . قال : فيماذا ؟ قال : كنتُ عند هذا الرجل وحَضَرَتْ
مجلسه رَقَطَاءُ الحَبْطِيِّينَ ، وصفراءُ العَلَقَمِيِّينَ ، فتناولتا بينهما رَمَلِ ابنِ سريج : [من الرمل]

1 ركك : موضع بجبل طيء المسمى «سلمى» .

2 سبق أن نسبته إلى عمر بن أبي ربيعة وانظر ديوانه ص 84 . وينسب أيضاً إلى جعفر بن الزبير وعبد الرحمن بن
أرطاة .

لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَبْقَى سَاعَةً مع ما أُلْقِيَ إِذَا اللَّيْلُ حَضَرَ
 مِنْ يَذُقُ نَوْمًا وَيَهْدَأُ لَيْلُهُ فَلَقَدْ بُدِّلَتْ بِالنَّوْمِ السَّهَرُ
 قُلْتُ مَهْلًا إِنَّهَا جَنِيَّةٌ إِنْ تُخَالِطُهَا تَفْزُ مِنْهَا بَشَرٌ¹

فَعَنَّتَاهُ جَمِيعًا ، وَاخْتَلَفْنَا فِي تَفْضِيلِهِمَا ، فَفَضَّلْتُ كُلُّ فَرِيقٍ مَنَا إِحْدَاهُمَا ، فَرَضِينَا جَمِيعًا بِحُكْمِكَ ، فَاحْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمَا . قَالَ : فَوَجَمَ سَاعَةً ، وَأَهْلُ الْحِجَازِ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْكُمُوا تَأَمَّلُوا سَاعَةً ثُمَّ حَكُمُوا ، فَإِذَا حَكَمَ الْحَكْمُ مَضَى حُكْمُهُ كَأَنَّمَا كَانَ ، فَفَضَّلْتُ مَنْ فَضَّلَهُ وَأَسْقَطْتُ مَنْ أَسْقَطَهُ ، إِذَا تَرَضَى الْخَصْمَانِ بِهِ ، فَكِرَةُ الْأَفْلَحِ أَنْ يُرْضِيَ قَوْمًا وَيُسْخِطَ آخَرِينَ ، فَقَالَ لِسِنْدَةِ : صِفْهُمَا أَنْتَ لِي كَيْفَ كَانَتَا إِذْ غَنَّتَاهُ وَاشْرَحْ لِي مَذْهَبَهُمَا فِيهِ كَمَا سَمِعْتَ ، وَأَنَا أَحْكُمُ بَعْدَ ذَلِكَ . فَقَالَ سِنْدَةُ : أَمَّا جَارِيَةُ الْحَبْطِيِّينَ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَلُوكُ لَحْنَهُ كَمَا يَلُوكُ الْفَرَسُ الْعَتِيقُ لِجَامِهِ ، ثُمَّ تُلْقِيهِ فِي هَامَةِ لَدْنَةٍ ثُمَّ تُخْرِجُهُ مِنْ مَخْرَجٍ² ، وَاللَّهُ مَا ابْتَدَأَتْهُ فَتَوَسَّطَتْهُ وَأَنَا أَعْقِلُ ، وَلَا فَرَعْتُ مِنْهُ فَأَقْفْتُ إِلَّا وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّي رَأَيْتُهُ فِي نَوْمِي . وَأَمَّا صَفْرَاءُ الْعَلَقَمِيِّينَ ، فَإِنَّهَا أَحْسَنُهُمَا حَلَقًا ، وَأَصَحُّهُمَا صَوْتًا ، وَالْيَنُيْهُمَا تَثْنِيًا ، وَاللَّهُ مَا سَمِعْتُ أَحَدًا قَطُّ فَاتَفَعَّعَ بِنَفْسِهِ وَلَا دِينَهُ .

هَذَا مَا عِنْدِي ، فَاحْكُمْ أَنْتَ يَا أَخَا بَنِي مَخْزُومٍ . فَقَالَ : قَدْ حَكَمْتُ بِأَنَّهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنَيْنِ فِي الرَّأْسِ ، فَبِأَيُّهُمَا نَظَرْتُ أَبْصَرْتُ ، وَلَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ عُيُودٍ بَنِي سَرِيحٍ خَلْفٌ لَكَانَتَا . قَالَ : فَانصَرَفُوا جَمِيعًا رَاضِينَ بِحُكْمِهِ .

[ثَاء جَرِيرِ الْمَدِينِيِّ عَلَى ابْنِ سَرِيحٍ]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَحْيَى عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ : سَأَلْتُ جَرِيرًا الْمَدِينِيَّ عَنْ ابْنِ سَرِيحٍ ، فَقَالَ : أَتَذْكُرُهُ وَيَحْكُ بِاسْمِهِ ، وَلَا تَقُولُ : سَيِّدٌ مَنْ غَنَّى وَوَاحِدٌ مَنْ تَرَنَّمَ !

[ثَاء الشَّعْبِيِّ عَلَيْهِ]

قَالَ حَمَّادٌ وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ هَارُونَ³ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَهِيرٍ السَّعْدِيِّ الْكُوفِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عِيَّاشٍ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَمْرِو الْفُقَيْمِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الشَّعْبِيِّ ، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ فِي غُرْفَتِهِ ، إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ غِنَاءٍ ، فَقُلْتُ : أَهَذَا فِي جَوَارِكٍ ؟ فَأَشْرَفَ بِي عَلَى مَنْزِلِهِ ، فَإِذَا بَغْلَامٌ كَأَنَّهُ فَلَقَهُ قَمِيرٌ وَهُوَ يَتَغَنَّى . قَالَ إِسْحَاقُ : وَهَذَا الْغِنَاءُ لِابْنِ سَرِيحٍ : [مِنْ الْخَفِيفِ]

وَقُمَيْرٌ بَدَا ابْنُ خَمْسٍ وَعَشْرٍ مَنْ لَهُ قَالَتْ الْفَتَاتَانِ قُومًا

1 تَفْزُ فِي ل : تُصَبُّ .

2 ل : أَرْن .

3 ل : مَرُوان .

قال : فقال لي الشَّعْبِيُّ : أتعرف هذا ؟ قلتُ لا . فقال : هذا الذي أُوتِيَ الحُكْمَ صَبِيًّا ، هذا ابن سريج .

[ثناء ابن سريج على نفسه]

وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثني أبو أيوب المَدِينِيُّ قال : حدَّثني الهشامِيُّ الربيعيُّ عن إسحاق الموصليِّ قال : تَغَنَّى ابنُ سريج في شعرٍ لعمر بن أبي ربيعة وهو : [من الرجز]

صوت

خَانَكَ مَنْ تَهَوَّى فَلَا تَخُنْهُ وَكُنْ وَفِيًّا إِنْ سَلَوْتَ عَنْهُ
وَاسْلُكْ سَبِيلَ وَصْلِهِ وَصُنْهُ إِنْ كَانَ غَدَارًا فَلَا تَكُنْهُ
عَسَى تَبَارِخُ تَجِيءُ مِنْهُ فِيرْجِعِ الْوَصْلُ وَلَمْ تَشْنِهُ

قال المَكِّيُّونَ : قال ابن سريج : ما تَغَنَّيْتُ بهذا الشعر قطُّ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنِّي أُحْلُ حُلَّ الخليفة .

قال مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج الأصفهاني : وجدت في هذا الشعر لحنين : أحدهما ثقيلٌ أَوَّلُ والآخر رَمَلٌ ، مجهولتين جميعاً ، فلا أدري أيُّهما لحنه .

[وصف ابن سريج للمغني الحسن]

وَنَسَخْتُ مِنْ كِتَابِ الْعَتَّابِيِّ : أَخْبَرَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ عَنْ جَدِّهِ الْفَضْلِ عَنْ ابْنِ جَامِعٍ عَنْ سَيَّاطٍ عَنْ يُونُسَ الْكَاتِبِ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْحِ قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ سَرِيحَ عَنْ قَوْلِ النَّاسِ : فَلَانُ يُصِيبُ وَفَلَانُ يُخْطِئُ ، وَفَلَانُ يُحْسِنُ وَفَلَانُ يُسِيئُ ؟ فَقَالَ : الْمَصِيبُ الْحَسَنُ مِنَ الْمَغْنِيِّنَ هُوَ الَّذِي يُشْبِعُ الْأَلْحَانَ ، وَيَمْلَأُ الْأَنْفَاسَ ، وَيُعَدِّلُ الْأَوْزَانَ ، وَيُفَخِّمُ الْأَلْفَاظَ ، وَيَعْرِفُ الصَّوَابَ ، وَيُقِيمُ الْإِعْرَابَ ، وَيَسْتَوْفِي النَّعْمَ الطَّوَالَ ، وَيُحَسِّنُ مَقَاطِيعَ النَّعْمِ الْقِصَارَ ، وَيُصِيبُ أَجْنَاسَ الْإِيْقَاعِ ، وَيَخْتَلِسُ مَوَاقِعَ النَّبَرَاتِ ، وَيَسْتَوْفِي مَا يَشَاكِلُهَا فِي الضَّرْبِ مِنَ النَّفَرَاتِ . فَعَرَضْتُ مَا قَالَ عَلَى مَعْبِدٍ ، فَقَالَ : لَوْ جَاءَ فِي الْغِنَاءِ قَرَأَنٌ مَا جَاءَ إِلَّا هَكَذَا .

[يزيد بن عبد الملك ومولى حبة المغنية]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَفَّافُ قَالَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّمَشَقِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ عَنْ ظُفْيَةَ : أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ لِحَبَابَةَ يَوْمًا : أتعرفين أحداً هو أطربُ مني ؟ قالت . نعم ، مولاي الذي باعني . فأمر بإشخاصه فأشخص إليه مقيداً . وأعلم بحاله فأذن في إدخاله ، فمثل بين يديه وحبابة وسلامة تغنيان ؛ فغنته سلامة لحن الغريض في : [من المتقارب]

تَشْطُّ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا

فَطَرِبَ وَتَحَوَّكَ فِي أَقْيَادِهِ . ثُمَّ غَنَّتْهُ حَبَابَةُ لَحْنِ ابْنِ سَرِيحٍ الْمَجْرَدُ فِي هَذَا الشَّعْرِ ، فَوَثَبَ وَجَعَلَ يَحْجُلُ فِي قِيدِهِ وَيَقُولُ : هَذَا وَأَبَيْكُمَا مَا لَا تَعْدُلَانِي فِيهِ ، حَتَّى دَنَا مِنَ الشَّمْعَةِ فَوَضَعَ لَحِيَّتَهُ عَلَيْهَا فَاحْتَرَقَتْ ، وَجَعَلَ يَصِيحُ : الْحَرِيقَ الْحَرِيقَ يَا أَوْلَادَ الزُّنَا . فَضَحَكَ يَزِيدُ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطْرَبَ النَّاسِ حَقًّا ، وَوَصَلَهُ وَسَرَّحَهُ إِلَى بَلَدِهِ .

[سَمَاعُ عَطَاءٍ وَابْنُ جُرَيْجٍ لَغْنَاءُ ابْنِ سَرِيحٍ]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا فَضْلُ الْيَزِيدِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ : أَنَّ ابْنَ سَرِيحٍ كَانَ جَالِسًا ، فَمَرَّ بِهِ عَطَاءُ وَابْنُ جُرَيْجٍ . فَحَلَفَ عَلَيْهِمَا بِالطَّلَاقِ أَنْ يُغْنِيَهُمَا ، عَلَى أَنَّهُمَا إِنْ نَهِيَاهُ عَنِ الْغِنَاءِ بَعْدَ أَنْ يَسْمَعَا مِنْهُ تَرَكَهُ . فَوْقًا لَهُ وَغَنَاهُمَا :

إِخْوَتِي لَا تَبْعُدُوا أَبَدًا وَابِلَى وَاللَّهِ قَدْ بَعُدُوا

فَغَنَّنِي عَلَى ابْنِ جُرَيْجٍ ، وَقَامَ عَطَاءُ فَرَقَصَ . وَنَسَبَ هَذَا الصَّوْتُ وَخَبِرَهُ يُذَكِّرُ فِي مَوْضِعٍ آخِرٍ .

[غَنَاءُ ابْنِ سَرِيحٍ عِنْدَ مَوْقِفِ الْحَاجِّ لِلِاسْتِمَاعِ]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ عَنْ إِسْحَاقَ : أَنَّ ابْنَ سَرِيحٍ كَانَ عِنْدَ بَسْتَانَ ابْنِ عَامِرٍ يُغَنِّي :

لِمَنْ نَارٌ بِأَعْلَى الْحَيِّ فِ دُونَ الْبَيْرِ مَا تَخْبُو
أُرِقْتُ لَذِكْرِ مَوْجِعِهَا فَحَنٌّ لَذِكْرِهَا الْقَلْبُ
إِذَا مَا أَخْمَدْتُ الْقَبِي عَلَيْهَا الْمَنْدَلُ الرُّطْبُ

فَجَعَلَ الْحَاجُّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، حَتَّى جَاءَ إِنْسَانٌ مِنْ آخِرِ الْقَطْرَاتِ فَقَالَ : يَا هَذَا ، قَدْ قَطَعْتَ عَلَى الْحَاجِّ وَحَبَسْتَهُمْ ، وَالْوَقْتُ قَدْ ضَاقَ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَقُمْ عَنْهُمْ ، فَقَامَ وَسَارَ النَّاسُ . [ابْنُ سَرِيحٍ يَنَالُ جَائِزَةَ السَّابِقِ فِي الْغِنَاءِ]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا قَالَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ : أَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا حَجَّ سَبَقَ بَيْنَ الْمَغْنَنِ بِدْرَةَ . فَجَاءَ ابْنُ سَرِيحٍ وَقَدْ أَغْلَقَ الْبَابَ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ الْحَاجِبُ ، فَأَمْسَكَ حَتَّى سَكَنُوا وَغَنَّى :

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي

فَقَالَ سَلِيمَانُ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا ابْنُ سَرِيحٍ ، قَالُوا : هُوَ هُوَ ، قَالَ : أَدْخُلُوهُ فَادْخُلْ فَأَمَرَهُ بِإِعَادَةِ الصَّوْتِ فَأَعَادَهُ ، فَقَالَ : خَذِ الْبَدْرَةَ ، وَأَمُرَ لِلْمَغْنَنِ بِأُخْرَى .

نسبة هذا الصوت صوت¹

[من الوافر]

سَرَى هَمِّي وَهَمُّ الْمَرْءِ يَسْرِي وَغَابَ النَّجْمُ إِلَّا قَيْسَ فِتْرٍ
أَرَأَيْتُ فِي الْمَجْرَةِ كُلِّ نَجْمٍ تَعَرَّضَ لِلْمَجْرَةِ كَيْفَ يَجْرِي
لَهُمْ لَا أَزَالُ لَهُ مُدِيمًا كَأَنَّ الْقَلْبَ أُسْعِرَ حَرَّ جَمْرٍ
عَلَى بَكْرٍ أَخِي وَلَّى حَمِيدًا وَأَيُّ الْعَيْشِ يَصْفُو بَعْدَ بَكْرٍ

الشعر لغروة بن أذينة ، والغناء لابن سريج ثاني ثقل بالوسطى . وفيه لأبي عباد² رملٌ بالوسطى ، وذكر الهشامي أن هذا اللحن لصاحب³ الحرّون .
[تاريخ وفاة ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال ابن مِقَمَّةَ : دخلتُ على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه ، فقلتُ : كيف أصبحتَ يا أبا يحيى ؟ فقال : أصبحتُ والله كما قال الشاعر :

كَأَنِّي مِنْ تَذَكُّرٍ مَا أَلَاقِي إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ
سَقِيمٌ مَلَّ مِنْهُ أَقْرَبُوهُ وَأَسْلَمَهُ الْمُدَاوِي وَالْحَمِيمُ

ثم مات .

قال إسحاق : قال ابن مِقَمَّةَ : لَمَّا احْتَضَرَ ابن سريج نظرَ إلى ابنته تبكي فبكى ، وقال : إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي أَنْتِ ، وَأَخْشَى أَنْ تَضِيعِي بَعْدِي . فقالت : لَا تَخَفْ ؛ فَمَا غَنَيْتُ شَيْئًا إِلَّا وَأَنَا أُغْنِيهِ . فقال : هَاتِي . فاندفعت تُغْنِي أصواتاً وهو مُضْغٍ إِلَيْهَا ، فقال : قَدْ أَصَبْتَ مَا فِي نَفْسِي ، وَهَوَّنْتَ عَلَيَّ أَمْرِي . ثم دعا سعيد بن مسعود الهذلي فزوجه إِيَّاهَا ؛ فَأَخَذَ عَنْهَا أَكْثَرَ غَنَاءِ أَبِيهَا وَاتَّحَلَهُ ؛ فَهُوَ الْآنَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ . قال إسحاق : فقال كَثِيرٌ مِنْ كَثِيرِ السَّهْمِيِّ يَرِثُهُ : [من البسيط]

مَا لِلْهُوِّ بَعْدَ عُيَيْدٍ حِينَ يَخْبُرُهُ مَنْ كَانَ يَلْهُو بِهِ مِنْهُ بِمُطْلَبٍ
لِلَّهِ قَبْرُ عُيَيْدٍ مَا تَضُمَّنْ مِنْ لَذَاذَةِ الْعَيْشِ وَالْإِحْسَانِ وَالطَّرِبِ

1 أبيات عروة بن أذينة في ديوانه ص 34 (طبعة دار صادر ، 1996 بيروت) مع بعض اختلاف .

2 ل : لابن عباد .

3 ل : لحاجب .

لولا الغريضة فيه من شمائله¹ مشابه لم أكن فيها بذى أرب¹
قال إسحاق : وحدثنى هشام بن المُرِّيَّة أن قادمًا قدِم المدينة فسارَّ معبدًا بشيء ، فقال معبدٌ :
أصبحتُ أحسنَ الناس غناءً . فقلنا : أو لم تكن كذلك ؟ فقال : ألا تدرون ما أخبرني به هذا ؟
قالوا لا . قال : أعلمني أن عبيد بن سريج مات ، ولم أكن أحسنَ الناس غناءً وهو حيٌّ . وفي ابن
سريج يقول عمر بن أبي ربيعة :

صوت

قالت وعيناها تجودانها صُوحيتَ والله لك الراعي
يا ابن سريج لا تُدعُ سرِّنا قد كنتَ عندي غيرَ مذياع
غنى فيه ابن سريج من رواية يونس .

قال أبو أيوب المَدِينِي : توفِّي ابن سريج بالعلَّة التي أصابته من الجُذام بمكة² ، في
خلافة سليمان بن عبد الملك أو في آخر خلافة الوليد ، بمكة ودُفن في موضع بها يقال له
دَسَم² .

[وقف على قبر ابن سريج بدسم]

أخبرني الحرَمِي بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكار قال أخبرني هارون بن أبي بكر قال
حدَّثني إسحاق بن يعقوب العثماني مولى آل عثمان عن أبيه قال : إنا لبغناء دار عمرو بن عثمان
بالأبطح في صُبح خامسة من الثَّمان ، يعني أيام الحج ، قال : كنت جالساً أيام الحج ، فما إن
درَّيتُ إلا برجلٍ على راحلةٍ على رحلٍ جميلٍ وأداةٍ حسنةٍ ، معه صاحبٌ له على راحلةٍ قد جنب
إليها فرساً وبغلاً ، فوقفا عليّ وسألاني ، فالتسبتُ لهما عثمانياً . فترلا وقالوا : رجلان من أهلِكَ
لهما حاجةٌ ونَجِبٌ أن تقضيهما قبل أن نُشده³ بأمر الحج . فقلتُ ما حاجتكما ؟ قالوا : نريد إنساناً
يَقِفنا على قبر عبيد بن سريج . قال : فنهضتُ معهما حتى بلغتُ بهما محلة بني أبي قارة من
خزاعة بمكة ، وهم موالى عبيد ابن سريج ، فالتسبتُ لهما إنساناً يصحبهُما حتى يَقِفهُما على
قبره بدسم ، فوجدتُ ابن أبي دُبَاكِيلٍ فأنهضتُ معهما . فأخبرني بعد : أنه لما وَقَفهُما على قبره
نزل أحدهما عن راحلته فحسَر عمامته عن وجهه ، فإذا هو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن
مروان ، فعقر ناقته واندفع يندبه بصوتٍ شَجِيٍّ كَلِيلٍ حَسَنِ ويقول :

[من الطويل]

1 شمائله في ل : مشابهه .

2 دسم : موضع على مقربة من مكة .

3 نشده : نشغل .

وَقَفْنَا عَلَى قَبْرِ بَدَسْمٍ فَهَاجَنَا وَذَكَّرْنَا بِالْعَيْشِ إِذْ هُوَ مُصْحَبُ
فَجَالَتْ بِأَرْجَاءِ الْجُفُونِ سَوَافِحُ مِنَ الدَّمْعِ تَسْتَلِي الَّذِي يَتَعَقَّبُ
إِذَا أَبْطَأَتْ عَنْ سَاحَةِ الْخَدِّ سَاقَهَا دَمٌ بَعْدَ دَمْعٍ إِثْرَهُ يَتَصَبَّبُ
فَإِنْ تُسْعِدَا نُنْدُبُ عُيُودًا بَعُولَةً وَقَلَّ لَهُ مَنَا الْبُكَاءِ وَالتَّحُوبُ

ثم نزل صاحبه فعقر ناقته ، وقال له القُرشي : خذ في صوت أبي يحيى ؛ فاندفع
يتغنى¹ :

أُسْعِدَانِي بِعَبْرَةٍ أُسْرَابِ مِنْ دُمُوعٍ كَثِيرَةٍ التَّسْكَابِ
إِنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ قَدْ تَرَكُونِي مُؤْلَهًا مُؤْلَعًا بِأَهْلِ الْحِصَابِ
أَهْلَ بَيْتٍ تَتَابَعُوا لِلْمَنَابِ مَا عَلَى الْمَوْتِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابِ
فَارْقُونِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا مَا لِمَنْ ذَاقَ مَيْتَةً مِنْ إِيَابِ
كَمْ بِذَلِكَ الْحُجُونِ مِنْ أَهْلِ صِدْقٍ وَكُهُولٍ أَعْفَى وَشَبَابِ
سَكَنُوا الْجَزَعَ جَزَعَ يَتِ أَبِي مُو سَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ صَفِيِّ السَّبَابِ
فَلْيَ الْوَيْلُ بَعْدَهُمْ وَعَلَيْهِمْ صِرْتُ فَرْدًا وَمَلَنِي أَصْحَابِي

قال ابن أبي دُبَاكِلٍ : فوالله ما تَمَّ صاحبه منها ثلاثاً حتى غشي على صاحبه ، وأقبل
يُصلح السَّرَجَ على بغلته وهو غير مُعَرَّجٍ عليه . فسأله مَنْ هو ؟ فقال : رجلٌ من جُذَامِ .
قلت : بمن تُعرف ؟ قال : بعبد الله بن المُتَشِيرِ . قال : ولم يزل القُرشي على حاله ساعة ثم
أفاق ، ثم جعل الجذامي ينضح الماء على وجهه ويقول كالمعاتب له : أنت أبداً مَصْبُوبٌ²
على نفسك ! وَمَنْ كَلَّفَكَ مَا تَرَى ؟ ثم قَرَّبَ إليه الفرسَ ، فلَمَّا عَلَاهُ استخرج الجذامي
من خُرْجٍ عَلَى بَغْلٍ قَدْحًا وَإِدَاوَةَ مَاءٍ ، فجعل في القَدْحِ تُرَاباً مِنْ تُرَابِ قَبْرِ ابْنِ سَرِيحٍ وَصَبَّ
عليه ماءً من الإِدَاوَةِ ، ثم قال : هَاكَ فَاشْرَبْ هَذِهِ السَّلْوَةَ فَشَرِبَ ، ثم فعل هو مثل ذلك ،
ورَكِبَ عَلَى الْبَغْلِ وَأَرْدَفَنِي . فخرجا والله ما يُعَرِّضَانِ بِذِكْرِ شَيْءٍ مِمَّا كُنَّا فِيهِ ، وَلَا أَرَى
فِي وَجُوهَهُمَا شَيْئاً مِمَّا كُنْتُ أَرَى قَبْلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا اشْتَمَلَ عَلَيْنَا ابْطَحُ مَكَّةَ قَالَا : انْزِلْ يَا
خُرَاعِي فَنَزَلْتُ . وَأَوَّمَا الْفَتَى إِلَى الْجَذَامِيِّ بِكَلَامٍ ، فمَدَّ يده إِلَيَّ وفيها شيءٌ فأخذته ، فإذا
هو عشرون ديناراً ، ومضيا . فانصرفْتُ إِلَى قَبْرِهِ بِيَعِيرَيْنِ ، فاحتملتُ عليهما أَدَاةَ الرَّاحِلَتَيْنِ
اللتين عَقَرَاهُمَا فَبَعَثُهَا بِثَلَاثِينَ دِينَاراً .

1 الشعر لكثير بن كثير السهمي كما سيأتي في ترجمة حنين الجبري من الأغاني .

2 ل : منصوب .

صوت من المائة المختارة

[ثالث الثلاثة الأصوات المختارة]

وهو الثالث من الثلاثة المختارة¹ : [من الطويل]

أهَاجَ هَوَاكَ الْمَنْزَلَ الْمُتَقَادِمُ نَعَمْ وَبِهِ مِمَّنْ شَجَاكَ مَعَالِمُ
مَضَارِبُ أَوْتَادٍ وَأَشْعَثُ دَائِرُ مُقِيمٌ وَسُفْعٌ فِي الْمَحَلِّ جَوَائِمُ²

عَرَّضَهُ مِنَ الطَّوِيلِ . الشَّعْرُ لِنُصِيبٍ ، والغناء في اللَّحْنِ المختار لابن محرز ثاني ثَقِيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصَرِ ، وله فيه أيضاً هَزَجٌ بالسَّابَةِ في مجرى البِنْصَرِ ، وذكر جَحْظَةً عَنْ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ هُوَ الْمُخْتَارُ ، وَحَكَى عَنْ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْغِنَاءِ كُلُّهُ نَغْمَةٌ إِلَّا وَهِيَ فِي الثَّلَاثَةِ الْأَصْوَاتِ الْمُخْتَارَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا .

وَمِنْ قَصِيدَةِ نُصِيبٍ هَذِهِ مِمَّا يُغْنَى فِيهِ قَوْلُهُ : [من الطويل]

لَقَدْ رَاعَيْتِي لِلْبَيْنِ نَوْحُ حَمَامَةٍ عَلَى غُصْنٍ بَانٍ جَاوَبَتْهَا حَمَائِمُ
هَوَاتِفُ أَمَّا مَنْ بَكَيْنَ فَعَهْدُهُ قَدِيمٌ وَأَمَّا شَجْوُهُنَّ فَدَائِمُ

الغناء لابن سريج ثاني ثَقِيلٍ مُطْلَقٍ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ عَنْ يُونُسَ وَيَحْيَى الْمَكِّيَّ وَإِسْحَاقَ ، وَأَظْنُهُ مَعَ الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ وَأَنَّ الْجَمِيعَ لَحْنٌ وَاحِدٌ ، وَلَكِنَّهُ تَفَرَّقَ لَصُعُوبَةِ اللَّحْنِ وَكَثْرَةِ مَا فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ ، فَجُعِلَا صَوْتَيْنِ .

1 شعر نُصِيبٍ : 128 عَنْ الْأَغَانِي .

2 أَشْعَثُ : صِفَةٌ لِلْوَتْدِ ؛ وَسُفْعٌ صِفَةٌ لِلْأَثَافِي .

[٧] - ذكر نُصَيْبٍ وأخباره¹ [-108هـ]

[نسب نصيب ونشأته]

هو نُصَيْبُ بن رَبَاح ، مولى عبد العزيز بن مروان ، وكان لبعض العرب من بني كِنانة السُّكَّانِ بُوْدَان² ، فاشتراه عبد العزيز منهم ، وقيل : بل كانوا أعتقوه ، فاشترى عبد العزيز ولأءه منهم ، وقيل : بل كاتب مَوَالِيه ، فأدَّى عنه مَكَاتِبَتَه .

وقال ابن ذَابٍ : كان نُصَيْبٌ من قُضَاعَةَ ثم من بَلِيٍّ . وكانت أُمُّهُ سَوْدَاءُ فوقع عليها سَيِّدُهَا فَحِلَّتْ بِنُصَيْبٍ ، فوثب عليه عمُّه بعد وفاة أبيه فباعه من عبد العزيز .

وقال أبو اليقظان : كان أبوه من كِنانة من بني ضَمْرَةَ . وكان شاعراً فَحْلاً فصيحاً مُقَدِّماً في النسب والمدح ، ولم يكن له حظٌّ في الهجاء ، وكان عفيفاً ، وكان يقال : إنه لم يَنْسُبْ قطُّ إلاَّ بامراته .

أخبرني الحرَمِيُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بَكَار قال : كتب إليَّ عبد الله بن عبد العزيز بن مِحْجَن بن نُصَيْب بن رباح يذكر عن عمِّته غَرْضَةَ بنت النُّصَيْب : أنَّ النُّصَيْب كان ابن نَوَيْيْنِ سَبِيْنِ كانا لخِزَاعَةٍ ، ثم اشترت سلامة أُمُّ نُصَيْبِ امرأة من خِزَاعَةٍ ضَمْرِيَّة حَامِلاً بالنُّصَيْب ، فأعتقت ما في بطنها .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن محمد بن كُنَاسَةَ قال : كان نُصَيْبٌ من أهل وَدَّانَ عبداً لرجلٍ من كِنانة هو أَهْلُ بَيْتِهِ . وكان أهل البادية يدعونه النُّصَيْبَ تَفْخِيماً له ، وَيُرْوُون شِعْرَهُ . وكان عفيفاً كبير النَّفْسِ مُقَدِّماً عند الملوك ، يُجِيد مَدِيحَهُمْ وَمَرَاتِيَهُمْ .

أخبرني الحسين بن حمَّاد عن أبيه عن ابن الكلبي قال : كان نُصَيْبٌ من بَلِيٍّ بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَةَ . وكانت أُمُّهُ أُمُّ سَوْدَاءَ ، وقع عليها أبوه فحملت ثم مات ، فباعه عمُّه أخو أبيه من عبد العزيز بن مروان .

1 ترجمة نصيب في الشعر والشعراء : 322 ، (بيروت 1964) . والموشح للمرزباني : 296 ، تحقيق علي محمد البجاوي ، (القاهرة 1965) . وشرح الأمالي للبكري : 291 ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1936 . ومعجم الأدباء لياقوت 6 : 2752-2757 ، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993 . وفوات الوفيات للكتبي 4 : 197-201 تحقيق إحسان عباس بيروت 1973 ؛ وخزانة الأدب 8 : 386-390 تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة (الطبعة الأولى) . ومقدمة ديوانه جمع الدكتور داود سلوم ، بغداد 1967 .

2 ودان : اسم موضع ، ولعل المراد هو الذي بين مكة والمدينة .

[مبدأ قوله الشعر واتصاله بعبد العزيز بن مروان بمصر]

قال حماد وأخبرني أبي عن أيوب بن عباية ، وأخبرنا الحرْمِيُّ عن الزبير عن عمه وعن إسحاق بن إبراهيم جميعاً عن أيوب بن عباية قال حدثني رجلٌ من خزاعة من أهل كَلَيْةَ ، وهي قرية كان فيها النُصَيْبُ وكثيرٌ ، قال : بلغني أن النُصَيْبَ قال : قلتُ الشعر وأنا شاب فأعجبني قولي ، فجعلتُ آتي مَشِيخَةً من بني ضَمْرَةَ بن بكر بن عبد مَنَاة ، وهم موالي النُصَيْبِ ، ومشيخةٌ من خزاعة ، فأنشدتهم القصيدة من شعري ، ثم أنسبها إلى بعض شعرائهم الماضين فيقولون : أحسنَ والله ، هكذا يكون الكلام ! وهكذا يكون الشعر ! فلما سمعتُ ذلك منهم علمتُ أنني مُحْسِنٌ ، فآزَمَعُوا وأزَمَعْتُ الخروجَ إلى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذٍ بمصر ، فقلتُ لأختي أُمَامَةَ وكانت عاقلةً جَلَدَةً : أي أُخِيَّةُ ، إني قد قلتُ شعراً ، وأنا أريد عبد العزيز بن مروان ، وأرجو أن يُعْتَقَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ به وأُمِّك ، ومن كان مرقوقاً من أهل قرابتي . قالت : أنا لله وأنا إليه راجعون ! يا ابن أُمِّ ، أتَجتمع عليك الخصلتان : السَّوَادُ ، وأن تكون ضُحْكَةً للناس ! قال : قلتُ فاسمعي ، فأنشدتها فسمِعتُ ، فقالت : بأبي أنت ، أحسنتَ والله ، في هذا والله رَجَاءٌ عَظِيمٌ ، فاخْرُجْ على بركةِ اللهِ . فخرجتُ على قعودٍ لي حتى قَدِمْتُ المدينة ، فوجدتُ بها الفرزدق في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم ، فعرجتُ إليه فقلتُ : أنشده وأستنشده وأعرض عليه شعري . فأنشدته : فقال لي : ويلَكَ ؟ أهذا شعرك الذي تَطْلُبُ به الملوك ؟ قلتُ نعم . قال : فلست في شيء ، إن استطعتَ أن تكتم هذا على نفسك فافعل . فانفضختُ عَرَقاً ، فحَصَّنِيَّ رجلٌ من قريشٍ كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمع إنشادي وسمع ما قال لي الفرزدق ، فأومأ إليّ فقمتُ إليه . فقال : ويحك ؛ أهذا شعرك الذي أنشدته الفرزدق ؟ قلتُ نعم . فقال : قد والله أَصَبْتَ ، والله لئن كان هذا الفرزدق شاعراً لقد حسدك ، فإنَّا لنعرف محاسن الشعر ، فأمضِ لوجهك ولا يكسرَنَّكَ . قال : فسَرَّني قوله ، وعلمتُ أنه قد صدَّقني فيما قال ، فاعتزمتُ على المضي .

[اتصاله بعبد العزيز بن مروان]

قال : فمضيتُ فقدمتُ مصر ، وبها عبد العزيز بن مروان ، فحضرتُ بابه مع الناس ، فَنَحِيتُ عن مجلس الوجوه ، فكنتُ وراءهم ، ورأيتُ رجلاً جاء على بغلةٍ حسن الشَّارَةَ سَهْلَ المدخلِ ، يُؤَدِّنُ له إذا جاء . فلما انصرف إلى منزله انصرفتُ معه أماشي بغلته . فلما رأيته قال : ألك حاجة ؟ قلتُ : نعم ، أنا رجلٌ من أهل الحجاز شاعرٌ ، وقد مدحتُ الأميرَ وخرجتُ إليه راجياً معروفه ، وقد اذدريتُ فطردتُ من الباب ونُحِيتُ عن الوجوه . قال :

فأنشدني ، فأنشدته . فأعجبه شعري ، فقال : ويحك ؛ أهذا شعرك ؟ فإياك أن تتحلج ؛ فإن الأمير راوية عالم بالشعر وعنده رواة ، فلا تفضحني ونفسك . فقلت : والله ما هو إلا شعري . فقال : ويحك ، فقل أبياتاً تذكر فيها خوف¹ مصر وفضلها على غيرها ، والقني بها غداً . فغدوت عليه من غد فأنشدته قولي² :

سرى الهمُّ تشينيني إليك طلائعهُ
وبات وسادي ساعد قل لحمه
بمصرَ وبالخوف اعترتني روائعهُ
عن العظم حتى كاد تبدو أشاجعهُ³

قال : وذكرت فيها الغيث فقلت :

وكم دون ذاك العارض البارق الذي
تمشى به أفناء بكبر ومدحج
فكل ميسل من يهامة طيب
أعني على برق أريك وميضه
إذا اكتحلت عينا مجب بضوئه
هنيئاً لأم البحرى الروى به
وما زلت حتى قلت إني لخالع
ومأنح قوم أنت منهم مودتي

[نصيب وأيمن بن خريم الأسدي]

فقال : أنت والله شاعر ، احضر بالباب حتى أذكرك للأمير . قال : فجلست على الباب ودخل ، فما ظننت أنه أمكنه أن يذكرني حتى دعي بي . فدخلت فسلمت على عبد العزيز ، فصعد في بصره وصوب ، ثم قال : أنت شاعر ؟ ويلك ! قلت : نعم ، أيها الأمير . قال : فأنشدني . فأنشدته ، فأعجبه شعري . وجاء الحاجب فقال : أيها الأمير ، هذا أيمن بن خريم الأسدي⁴ بالباب . قال : ائذن له ، فدخل فاطمناً . فقال له الأمير : يا أيمن بن خريم ، كم ترى ثمن هذا العبد ؟ فنظر إلي فقال : والله لنعم العادي في أثر المخاض ، هذا أيها الأمير أرى ثمنه مائة دينار . قال : فإن له شعراً وفصاحة . فقال لي أيمن : أقول الشعر ؟ قلت نعم . قال : قيمته ثلاثون ديناراً . قال : يا أيمن ، أرفعه وتخفضه أنت ؟ قال : لكونه أحمق أيها الأمير ! ما لهذا

1 الحوف : بمصر هما حوفان شرقي وغربي .

2 منها أبيات في الأشباه والنظائر 2 : 127 منسوبة لابن الدمينية ، وانظر ديوان نصيب : 103-104 .

3 الأشاجع : أصول الأصابع .

4 سترجم أبو الفرج لأيمن بن خريم الأسدي فيما بعد .

وللشعر؟ أمثلُ هذا يقول الشعر أو يُحسِنُ شعراً؟ فقال: أنشده يا نصيب، فأنشدته. فقال له عبد العزيز: كيف تسمع يا أيمن؟ قال: شعرُ أسود. وهو أشعر أهل جلدته. قال: هو والله أشعر منك، قال: أمني أيها الأمير؟ قال: إي والله منك. قال: والله أيها الأمير، إنك لمُلُولٌ طَرَفٌ. قال: كذبت والله ما أنا كذلك؛ ولو كنتُ كذلك ما صبرتُ عليك، تُنازِعُنِي التَّحِيَّةَ وتُواكِلُنِي الطَّعَامَ وتَكِيءُ عَلَيَّ وسَائِدِي وفُرْشِي وبك ما بك؟ يعني وَصَحاً كان بأيمن؛ قال: ائذن لي [أن] أخرج إلى بشر بالعراق، واحملني على البريد. قال: قد أذنتُ لك، وأمر به فحمل على البريد إلى بشر. فقال أيمن بن خريم:

ركبتُ من المَقَطَمِ في جُمَادَى إلى بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ الْبَرِيدَا
ولو أعطاك بِشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ رَأَى حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَزِيدَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقِمْ بِبِشْرِ عَمُودَ الْحَقِّ إِنْ لَهُ عَمُودَا
وَدَعْ بِشْراً يَقُومُهُمْ وَيُحْدِثُ لأهل الزَّيْغِ إِسْلاماً جَدِيدَا
كَأَنَّ التَّاجَ تَاجَ بَنِي هِرَقْلٍ جَلَّوهُ لِأَعْظَمِ الْأَيَّامِ عِيدَا
على دِيبَاجِ خَدْيٍ وَجْهَ بِشْرِ إِذَا الْأَلْوَانُ خَالَفَتِ الْخُدُودَا
قال أيوب يعني بقوله:

إذا الألوان خالفت الخدودا

أنه عَرَضَ بِكَلْفٍ كَانَ فِي وَجْهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .
وَأَعْقَبَ مِدْحَتِي سَرَجاً مَلِيحاً وَأَبْيَضَ جُوزْجَانِيّاً عَتُودَا¹
وإنّا قد وَجَدْنَا أُمَّ بِشْرِ كَأُمِّ الْأَسَدِ مِذْكَاراً وَلُودَا
قال: فأعطاه بِشْرٌ مائة ألف درهم.

[أول من نوه باسم نصيب ووصله بعد العزيز بن مروان]

أخبرني الحرّميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال: أولُ مَنْ نَوّهَ بِاسْمِ نَصِيبٍ وَقَدِمَ بِهِ عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرُوءَ، قَدِمَ بِهِ عَلَيْهِ وَهُوَ وَصِيفٌ حِينَ بَلَغَ وَأَوَّلَ مَا قَالَ الشَّعْرَ. قال: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، جِئْتُكَ بِوَصِيفٍ نُوبِيٍّ يَقُولُ الشَّعْرَ، وَكَانَ نَصِيبُ ابْنِ نُوبِيسَيْنِ، فَأَدْخَلَهُ عَلَيْهِ، فَأَعْجَبَهُ شَعْرُهُ، وَكَانَ مَعَهُ أَيْمَنُ بْنُ خَرِيمٍ الْأَسَدِيّ. فقال عبد العزيز: إِذَا دَعَوْتُ بِالْغَدَاءِ فَأَدْخِلُوهُ عَلَيَّ فِي جُبَّةٍ صَوْفٍ مُحْتَزِماً بِعِقَالٍ، فَإِذَا قُلْتُ قَوْمَهُ فَقَوْمُوهُ وَأَخْرِجُوهُ وَرُدُّوهُ عَلَيَّ فِي جُبَّةٍ وَشِيٍّ وَرِدَاءٍ

1 يعني جملاً قوياً أبيض من منطقة جوزجان.

وشي . فلمّا جلس للغداء ومعه أيمن ابن خريم أُدخِل نُصِيب في جَبَّة صوفٍ محترماً بِعِقال ، فقال : قوموا هذا العلام . فقالوا : عشرة ، عشرون ، ثلاثون ديناراً . فقال : رُدُّوه ، فأخرجوه ثم رُدُّوه في جَبَّة وشي وِرْداء وشي . فقال : أنشدنا ، فأنشدهم . فقال : قوموه ، قالوا : ألف دينار . فقال أيمن : والله ما كان قطُّ أَقلَّ في عَيْني منه الآن ، وإنه لِنِعَم راعي المَخاض . فقال له : فكيف شِعْرُه ؟ قال : هو أشعر أهل جلدته . فقال له عبد العزيز : هو والله أشعر منك . قال : أُمْنِي أيُّها الأمير ؟ قال نعم . فقال أيمن : إنَّكَ لَمَلُولٌ طَرِفٌ . فقال له : والله ما أنا بملولٍ وأنا أَنازِعُكَ الطعام منذ كذا وكذا ، تضع يَدَكَ حيث أَضعُها وتلتقي يَدُكَ مع يدي على مائدة ، كلُّ ذلك أَحتملك ، وكان بأيمن بياضٌ ، فقال له أيمن : ائذَن لي أن أَخْرُجَ إلى بَشَرٍ . فأذِن له فخرج ، وقال أبياته التي أولها :

رَكِيتُ مِنَ الْمُقَطَّمِ فِي جُمَادَى

وقد مضت الأبيات . قال : فلمّا جازَ بعبد الملك بن مروان ، قال : أين تريد ؟ قال أريد أخاك بِشَراً . قال : أَتَجُوزُنِي ؟! قال : إي والله أجوزُكَ إلى مَنْ قَدِمَ إِلَيَّ وطلّني . قال : فلمَ فارقتَ صاحبك ؟ قال : رأيْتُكم يا بني مروان ، تتخذون للفتى من فتيانِكُم مؤدِّباً ، وشيخكم والله محتاجٌ إلى خمسة مؤدِّبين . فسَرَّ ذلك عبد الملك ، وكان عازماً على أن يخلعه ويعقِد لابنه الوليد .

[عبد العزيز بن مروان يعتق النسيب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : يقال : إنَّ نُصَيْباً أَضَلَّ إبلاً له فخرج في بُغائِها فلم يُصِبْها ، وخاف مَواليه أن يرجع إليهم ، فأَتى عبد العزيز بن مروان فمدحه وذكر له قصته ؛ فأخلف عليه ما ضلَّ لمواليه وابتاعه وأعتقه .

أخبرنا الحرّمي قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثنا عبد الله بن إبراهيم الهِلالي ثم الدَّوسي قال : أراد النُّصَيْب الخروج إلى عبد العزيز بن مروان ، وهو عبدُ لبني مُحَرز الضَّمَرِي ، فقالت أمُّه له : إنَّكَ سَتَرُقِدُ ويأخذُك ابن مُحَرز يذهب بك ، فذهب ولم يُبال بقوله . حتى إذا كان بمكان ماء يُعرَف بالدَّوِّ ، فبينما هو راقِد إذ هجم عليه ابن مُحَرز ؛ فقال حين رآه :

إِنِّي لَأَخْشَى مِنْ قِلَاصِ ابْنِ مُحَرَزٍ إِذَا وَخَدَتُ بِالْأَوِّ وَخَدَ النَّعَائِمِ
يَرْعُنَ بَطِينُ الْقَوْمِ أَيْةَ رَوْعَةٍ ضَحِيًّا إِذَا اسْتَقْبَلْنَاهُ غَيْرَ نَائِمِ

فأطلقوه ، فرجع فأتى أمُّه . فقالت : أخبرْتُكَ يا بُنَيَّ أَنَّهُ ليس عندك أن تُعَجِّرَ القوم . فإن كنتَ يا بُنَيَّ قد غلبتني أَنَّكَ ذاهِبٌ فخذُ بنت الفلانة ؛ فَإِنِّي رأيْتُها وَطَّئْتُ أَفْحُوصاً¹ بيضات

1 الأفحوص : مجثم القطاة التي تضع بيضها فيه .

قَطَاةٍ فَلَمْ تَقْلِقْهُنَّ فَرَكَبَهَا ، فَهِيَ الَّتِي بَلَغَتْهُ ابْنُ مَرْوَانَ .

قال أبو عبيد الله بن الزبير : عندنا أن التي أعتقته امرأة من بني ضمرة ثم من بني حنبل .

[أول اتصاله نصيب بعد العزيز بن مروان]

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم قال حدثنا كليب بن إسماعيل مولى بني أمية وكان حديثاً (أي حسن الحديث) قال : بلغني أن نصيباً كان حبشياً يرعى إبلاً لمواليه ، فأصل منها بغيراً ، فخرج في طلبه حتى أتى الفسطاط ، وبه إذ ذاك عبد العزيز بن مروان ، وهو ولي عهد عبد الملك بن مروان ، فقال نصيب : ما بعد عبد العزيز واحد أعتمدته لحاجتي . فأتى الحاجب فقال : استأذن لي على الأمير ؛ فإني قد هيأت له مديحاً . فدخل الحاجب فقال : أصلح الله الأمير ، بالباب رجل أسود يستأذن عليك بمدح قد هيأه لك . فظن عبد العزيز أنه ممن يهزأ به ويضحكهم ، فقال : مره بالحضور ليوم حاجتنا إليه . فغدا نصيب وراح إلى باب عبد العزيز أربعة أشهر ، وأتاه آت من عبد الملك فسره ، فأمر بالسري فبرز للناس ، وقال : علي بالأسود ، وهو يريد أن يضحك منه الناس . فدخل ، فلما كان حيث يسمع كلامه ، قال ¹ :

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ	وغيرهم نِعَمٌ غَامِرَةٌ
فَبَابِكَ أَلَيْنُ أَبْوَابَهُمْ	وَدَارُكَ مَأْهُولَةٌ عَامِرَةٌ
وَكَلْبِكَ آنَسُ بِالْمُعْتَفِينَ	مِنَ الْأَمِّ بِالْإِبْنَةِ الزَّائِرَةِ
وَكَفْكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِ	نَ أَنْدَى مِنَ اللَّيْلِ الْمَاطِرَةِ
فَمِنْكَ الْعَطَاءُ وَمَنَّى الثَّنَاءِ	بِكُلِّ مُجَبَّرَةٍ سَائِرَةٍ

فقال : أعطوه أعطوه . فقال : إني مملوك . فدعا الحاجب فقال : اخرج فابلغ في قيمته ؛ فدعا المقومين فقال : قوموا غلاماً أسود ليس به عيب . قالوا : مائة دينار . قال : إنه راعٍ للإبل يُبصرها ويحسن القيام عليها . قالوا : حينئذٍ مائتا دينار . قال : إنه يبري القسي ويثقفها ويرمي النبل ويريشها . قالوا : أربعمائة دينار . قال : إنه راوية للشعر بصير به . قالوا : ستمائة دينار . قال : إنه شاعر لا يلحق جذاً . قالوا : ألف دينار . قال عبد العزيز : ادفعوها إليه . قال : أصلح الله الأمير ثمن بغيري أضللت . قال : وكم ثمنه ؟ قال : خمسة وعشرون ديناراً . قال ادفعوها إليه . قال : أصلح الله الأمير ؛ جائرتي لنفسني عن مديحي إياك . قال : اشتر نفسك ثم عد إلينا . فأتى الكوفة وبها بشر بن مروان ، فاستأذن عليه فاستصعب الدخول إليه . وخرج بشر بن مروان

1 أمالي الزجاجي : 44-45 وديوان نصيب (تحقيق د . داود سلوم) بغداد : 69 .

متنزهاً فعارضه ، فلما ناكبه (أي صار جذاء منكبه) ناداه¹ : [من الكامل]

يا بشرُ يا ابن الجعْفَرِيَّةِ ما خَلَقَ الإلهُ يَدَيْكَ لِلْبُخْلِ
جاءتْ به عَجْزٌ مُقَابِلَةٌ ما هُنَّ من جَرَمٍ ولا عُكْلٍ

قال : فأمر له بشرٌ بعشرة آلاف درهم . الجعفرية التي عنها نصيب : أم بشر بن مروان ، وهي قطيعة بنت بشر بن عامر ملاعب الأسنة بن مالك بن جعفر بن كلاب . [أم بشر بن مروان]

أخبرنا اليزيدي عن الخراز عن المدائني عن عبد الله بن مسلم وعامر بن حفص وغيرهما : أن مروان بن الحكم مرَّ ببادية بني جعفر ، فرأى قطيعة بنت بشر تنزع بدلو على إبلٍ لها ، وتقول :

ليس بنا فقرٌ إلى التشكِّي جَرِيَّةٌ كحُمُرِ الأَبَكِ²
لا ضَرَعٌ فيها ولا مُذَكِّي³

ثم تقول : [من الرجز]

عَمانِ تَرْقِيقٌ وعَمانٌ تَمَمًا لم يَتَرَكَ لَحْمًا ولم يَتَرَكَ دَمًا
ولم يَدْعُ في رأسٍ عَظْمٍ مَكْدَمًا إِلَّا رَذَايا ورجالاً رُزْمًا⁴

فخطبها مروان فتزوجها ، فولدت له بشر بن مروان .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن معاوية عن إسحاق بن أيوب عن خليل بن عجلان في خبر النصيب مثل ما ذكره الزبير وإسحاق سواء . [نصيب يقسم ما يصيبه في مواله]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العُمري عن العُتبي قال : دعا النصيب مَوالِه أن يستلحقوه فأبى ، وقال : والله لأن أكون مولى لائقاً أحبُّ إليَّ من أن أكون دعيّاً لائحاً . وقد علمتُ أنكم تريدون بذلك مالي ، والله لا أكسبُ شيئاً أبداً إلا كنتُ أنا وأنتم فيه سواء كأحدكم ، لا أستاذُ عليكم منه بشيء أبداً . قال : وكان كذلك معهم حتى مات ، إذا أصاب شيئاً قَسَمه فيهم ، فكان فيه كأحدكم .

[نصيب والفرزدق بخضرة سليمان بن عبد الملك]

أخبرني الحرُميُّ قال حدثنا [الزُبيري] ، وحدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن

1 ديوان نصيب : 120 .

2 الجرّة : قطيع من الحمير . الأَبَك : الحمير المتدافعة .

3 الضرع : الضعيف . المذَكِّي : المسن .

4 مكدم : موضع للقدم أي العض . الرذايا : المهزولة . الرزم : الذين لا يستطيعون النهوض .

أبي خيثمة قال حدثنا الزبير [قال حدثنا محمد بن إسماعيل الجعفري قال : دخل النصيب على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق ، فاستنشد الفرزدق وهو يرى أنه سينشده مدحاً له ، فأنشده قوله يفتخر¹ :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ لَهَا تِرَةً مِنْ جَدْبِهَا بِالْعَصَائِبِ
سَرَوْا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلْفُهُمْ عَلَى شَعْبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
إِذَا اسْتَوْضَحُوا نَاراً يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبِ

قال : وعمامته على رأسه مثل المنسف ؛ فغاض سليمان وكلح في وجهه ، وقال لنصيب : فَمَ فأنشيد مولاك ويلك ، فقام نصيب فأنشده قوله² :

أَقُولُ لِرَكَبٍ صَادِرِينَ لَقَيْتَهُمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكِ قَارِبُ³
قِفُوا خَبْرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي لَمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالِبُ
فَعَاجُوا فَأَتَنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَتَيْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
وَقَالُوا عَهْدْنَاهُ وَكُلَّ عَشِيَّةٍ بِأَبْوَابِهِ مِنْ طَالِبِ الْعُرْفِ رَاكِبُ
هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَكِبُ حَوْلَهُ وَلَا تُشْبِهُ الْبَدْرَ الْمَضِيءُ الْكَوَكِبُ⁴

فقال له سليمان : أحسنت والله يا نصيب ، وأمر له بجائزة ولم يصنع ذلك بالفرزدق . فقال الفرزدق وقد خرج من عنده :

وخيّر الشعر أكرمهُ رجالاً وشر الشعر ما قال العبيد

[النصيب وعبد العزيز بن مروان]

أخبرنا الحرّمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عمّه موسى بن عبد العزيز قال : حمّل عبد العزيز بن مروان النصيب بالمقطم ، مقطّم مصر ، على بُحْتِيّ قد رَحَلَهُ بَغِيظٌ⁵ فوقه ، وألبسه مُقَطَّعَاتٍ وَشِيٍّ ، ثم أمره أن ينشد ؛ فاجتمع حوله السُّودَانُ وَفَرِحُوا بِهِ ، فقال لهم : أَسَرَرْتُكُمْ ؟ قالوا : إي والله . قال : والله لما يسوءكم من أهل جِلْدَتِكُمْ أَكْثَرُ .

1 ديوان الفرزدق : 1 : 29 (ط . دار صادر - بيروت) ، مع بعض اختلاف في الرواية .

2 ديوان نصيب : 59 .

3 قارب : ذاهب للورود .

4 المضيء في ل : المنير .

5 الغبيط : الرجل .

[نصيب وجري]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو العرّاف قال : مرّ جريّ بنصيب وهو يُنشد ، فقال له : اذهب فأنت أشعرُ أهل جلدتك . قال : وجلدتك يا أبا حَزرة .
[هشام بن عبد الملك ونصيب]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدثني أيّوب بن عباية قال : بلغني أنّ النّصيب كان إذا قَدِم على هشام بن عبد الملك أُخلى له مجلسه واستنشد مرّاثي بني أُميّة ، فإذا أنشد به بكى وبكى معه . فأنشده يوماً قصيدة له مدحه بها ، يقول فيها : [من الطويل]
إذا استبقّ الناسُ العُلا سَبَقَتْهُمْ يَمِينُكَ عَفْوَاً ثم صَلَّتْ شِمَالُهَا¹
فقال له هشام : يا أسودُ ، بلغت غاية المدح فسَلّني . فقال : يدك بالعطية أجود وأبسط من لساني بمسئلتك . فقال : هذا والله أحسنُ من الشعر ، وحبّاه وكساه وأحسنُ جائزته .
[نصيب وإعناقه ذوي قرابته]

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية قال : أصاب نَصيبٌ من عبد العزيز بن مروان معروفاً ، فكنمه ورجع إلى المدينة في هيئة بدّة ، فقالوا : لم يُصِبْ بمدحه شيئاً . فمكث مُدّةً ، ثم ساوم بأمّه فابتاعها وأعتقها ، ثم ابتاع أمّ أمّه بضِعْفِ ما ابتاع به أمّه فأعتقها . وجاءه ابن خالته له اسمه سُحَيْمٌ فسأله أن يُعتقه ، فقال له : ما معي والله شيءٌ ، ولكنّي إذا خرجتُ أخرجتكُ معي ، لعلّ الله أن يُعتقَكَ . فلَمّا أراد الخروج دفع غلاماً له إلى مولى سُحَيْمٍ يرعى إبله وأخرجه معه ، فسأل في ثمنه فأعطاه وأعتقه . فمرّ به يوماً وهو يزِفُن ويَزْمُرُ مع السودان ، فأنكر ذلك عليه وزجره . فقال له : إن كنتَ أعتقتني لأكون كما تريد فهذا والله ما لا يكون أبداً ، وإن كنتَ أعتقتني لِتَصِلَ رَحْمِي وتَقْضِي حَقِّي فهذا والله الذي أفعله هو الذي أريده ، أرفن وأزمرُ وأصنع ما شئت . فانصرف النّصيبُ وهو يقول² : [من الرجز]

إني أراني لسُحَيْمٍ قائلاً إنّ سُحَيْمًا لم يُشِينِي طائلاً
نَسِيتَ إِعْمَالِي لَكَ الرّواحِلا وضرّبي الأبوابَ فيك سائلاً !
عند الملوك أُسْتَيْبُ النّائلا حتى إذا آتَسْتَ عَتَقًا عاجِلا
وليتني منك القفا والكاهِلا أخلقاً شكساً ولوناً حائِلا

[استعجاله جائزة عند عبد العزيز]

قال إسحاق : وأبطأتُ جائزة النّصيب عند عبد العزيز ، قال³ : [من الوافر]

1 صلت : جاءت مصليّة أي تالية .

2 ديوان نصيب : 121 عن الأغاني .

3 ديوان نصيب : 63 .

وإن وراء ظهري يا ابن ليلى
أمامة منهم ولما قيها
تركت بلادها ونأيت عنها
فأتبع بعضنا بعضاً فلسنا
أناساً ينظرون متى أوب
غداة البين في أثري غروب
فأشبه ما رأيت بها السلوب
نثيبك لكن الله المثيب

فعجل جأزته وسرّحه . قال إسحاق : فحدثني ابن كنانة قال : ليلى أم عبد العزيز كلبية .
وبلغني عنه أنه قال : لا أعطي شاعراً شيئاً حتى يذكرها في مدحي لشرفها ؛ فكان الشعراء
يذكرونها باسمها في أشعارهم .

[شرف نصيب لشعره.]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن ابن عباية قال : وقفت سوداء بالمدينة على نصيب
وهو يشد الناس ، فقالت : بأبي أنت يا ابن عمّ وأمي ! ما أنت والله عليّ بخزي . فضحك
وقال : والله لمن يخزيك من بني عمك أكثر ممن يزينك .

[خطبة ابن نصيب بنت سيده]

قال إسحاق وحدثني ابن عباية وغيره أنّ ابناً لنصيب خطب بعد وفاة سيده الذي اعتقه بتناً
له من أخيه ، فأجابه إلى ذلك ، وعرف أباه . فقال له : اجمع وجوه الحي لهذا الحال فجمعهم .
فلما حضروا أقبل نصيب على أخي سيده فقال : أزوجت ابني هذا من ابنة أخيك ؟ قال نعم .
فقال لعبيد له سود : خذوا برجل ابني هذا فجزوه فاضربوه ضرباً مبرحاً ، ففعلوا وضربوه ضرباً
مبرحاً . وقال لأخي سيده : لولا أنّي أكره أذاك لألحقتك به . ثم نظر إلى شاب من أشراف
الحي ، فقال : زوج هذا ابنة أخيك وعليّ ما يصلحهما في مالي ، ففعل .

[نصيب ومناداة عبد الملك بن مروان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال : دخل نصيب على
عبد الملك فتغدى معه ، ثم قال : هل لك فيما نتادم عليه ؟ فقال : تؤمّني ؟ ففعل . فقال :
لوّني حائل ، وشعري مُفلّ ، وخلقتي مشوّهة ، ولم أبلغ ما بلغت من إكرامك إيّاي بشرف
أب أو أم أو عشيرة ، وإنما بلغته بعقلي ولساني . فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تحول بيني
وبين ما بلغت به هذه المنزلة منك ، فاعفاه .

[سبب تسميته بهذا الاسم]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدثني محمد بن صالح بن النطّاح قال بلغني عن خلاد بن
مرّة عن أبي بكر بن مزيد قال : لقيت النصيب يوماً بباب هشام ، فقلت له : يا أبا محجن ،
لم سُميت نصيباً ، ألقولك في شعرك عاينها النصيب ؟ فقال : لا ، ولكني وُلدت عند أهل
بيت من ودان ، فقال سيدي : إيتونا بمولودنا هذا لننظر إليه . فلما رآني قال : إنه لمنصب

الخلق ؛ فسميت النُصيبَ ، ثم اشتراني عبد العزيز بن مروان فأعتقني .
[فصاحته وتخلّصه إلى جيد الكلام]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن كناسة أبي يحيى الأسديّ قال :
قال أبو عبد الله بن أبي إسحاق البصريّ : لئن وليتُ العراق لأستكبين نصيباً لفصاحته
وتخلّصه إلى جيد الكلام .
[صدق الحديث مع عبد العزيز فأجاره]

أخبرني الأسديّ قال حدّثني محمد بن صالح عن أبيه عن محمد بن عبد العزيز الزُّهريّ قال :
حدّثني نصيب قال : دخلتُ على عبد العزيز بن مروان ، فقال : أنشدني قولك : [من الطويل]
إذا لم يكن بينَ الخليئين ردّةً سوى ذكر شيء قد مضى دَرَسَ الذُّكْرُ
فقلتُ : ليس هذا لي ، هذا لأبي صخر الهذليّ ، ولكنّي الذي أقول : [من الطويل]
وقفتُ بسدي دَوْران أنشدُ ناقتي وما إن بها لي مِنْ قُلُوصٍ ولا بَكْرٍ
فقال لي عبد العزيز : لك جائزة على صديق حدّثك ، وجائزة على شعرك ؛ فأعطاني على
صدق حدِيثي ألف دينار ، وعلى شعري ألف دينار .
[أوصاف نصيب الجسميّة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن أبيه قال : رأيتُ
النُصيبَ وكان أسود خفيف العارضين ناتئ الحنجرة .
أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني إبراهيم بن يزيد السَّعديّ عن
جدّته جمال بنت عَوْن بن مسلم عن أبيها عن جدّها قال : رأيتُ رجلاً أسود مع امرأةٍ
بيضاء ، فجعلتُ أعجبُ من سواده وبياضها ، فدنوتُ منه وقلت : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الذي
أقول : [من الطويل]

ألا ليت شعري ما الذي تُحدِثين بي غداً غُرْبَةَ النَّايِ المَفْرَقِ والبَعْدِ
لدى أمِّ بَكْرٍ حينَ تَقْتَرِبُ النَّوى بنا ثم يَخْلُو الكاشحونَ بها بَعْدِي
أَتَصْرِمُنِي عندَ الأُلى هُمْ لَنَا العِدا فَتُشْمِتُهُمْ بي أم تدومُ على العهدِ
قال : فصاحتُ : بل والله تدومُ على العهد . فسألتُ عنهما ف قيل : هذا نُصيبٌ ، وهذه أمُّ بكر .
[النصيب وعبد الله بن جعفر]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النُّطَّاح قال حدّثني أبو اليقظان
عن جُوَيْرِيَةَ بن أسماء قال : أتى النُصيبَ عبد الله بن جعفر فحمله وأعطاه وكساه . فقال له
قائل : يا أبا جعفر ، أعطيتَ هذا العبدَ الأسودَ هذه العطايا ؟ فقال : والله لئن كان أسودَ إنَّ
ثناءه لأبيض ، وإنَّ شعره لِعربيّ ، ولقد استحقَّ بما قال أكثر ممَّا نال . وما ذاك ، إنّما هي

رواحِلُ تُنْصَى ، وثيابٌ تَبَلَى ، ودراهمُ تَفْنَى ، وثناءٌ يَبْقَى ، ومدائحُ تُرَوَّى !
أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال قال أبو الأسود : امتدح نُصَيْبٌ
عبد الله بن جعفر وذكر مثله .

[نصيب والنسوة اللاتي أردن أن يسمعن شعره]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخزاز عن المدائني قال : قيل لُنْصَيْبٍ : إن هاهنا نسوةً
يُردن أن ينظرن إليك ويسمعن منك شعرك . قال : وما يصنعن بي ! يرين جلدَةً سوداء وشعرًا
أبيض ، ولكن ليسمعن شعري من وراء سِتْرِ .

[تغني منقذ الهلال بشعر نصيب]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن رجل ذكره قال :
أتاني مُنْقِذُ الْهِلَالِ لَيْلاً ، فضرب عليّ الباب . فقلت : من هذا ؟ فقال : مُنْقِذُ الْهِلَالِ .
فخرجتُ إليه فِرْعَاءً . فقال : الْبُشْرَى . فقلت : وأيُّ بُشْرَى أَتَيْتَنِي بك في هذا الليل ؟ فقال :
خَيْرٌ ، أتاني أهلي بِدُجَاجَةٍ مَشْوِيَةٍ بين رغيفين فتعشيتُ بها ، ثم أَتَوْنِي بِقِنِينَةٍ من نبيذٍ قد التقى
طرفاها صفاءً وَرِقَّةً ، فجعلتُ أَشْرَبُ وأترنم بقول نُصَيْبٍ :

بَزِينَبِ أَلَمِمْ قَبْلَ أَنْ يَظْعَنَ الرِّكْبُ

ففكَّرتُ في إنسانٍ يفهم حُسْنه ويعرف فَضله ، فلم أجد غيرك ، فأَتَيْتُكَ مُخْبِرًا بِذلك .
فقلت : ما جاء بك إلَّا هذا ؟ فقال : أَوَلَا يَكْفِي ؟ ثم انصرف .
[عفة نصيب في شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : قال مَسْلَمَةُ لُنْصَيْبٍ : أنت لا تُحَسِّنُ
الهِجَاءَ . فقال : بَلَى والله ، أتراني لا أُحَسِّنُ أن أجعل مكان عافاك الله أخراك الله ؟! قال : فإنَّ
فلاناً قد مدحتَه فحَرَمَكَ فاهجُه ، قال : لا والله ما ينبغي أن أهجُوَه ، وإنما ينبغي أن أهجُوَ
نفسِي حين مدحتَه . فقال مَسْلَمَةُ : هذا والله أَشدُّ من الهجاء .

[نصيب وعمر بن عبد العزيز في مسجد رسول الله ﷺ]

أخبرني الحسين قال قال حماد : قرأتُ على أبي عن ابن عَباية عن الضَّحَّاك الحِزَامِيِّ قال : دخل
نُصَيْبٌ مسجد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يومئذٍ
أمير المدينة ، وهو جالس بين قبر النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومِنبره ، فقال : أَيُّها الأمير ، ائْذَنْ
لي أن أَتَشْدِكَ من مرثي عبد العزيز . فقال : لا تفعل فتحزنني ، ولكن أَشْدِدْني قولك . «فقا
أُخْوَي» ؛ فإنَّ شيطانَكَ كان لك فيها ناصحاً حين لَقْنَك إِيَّاهُ . فَأَنْشَدَهُ¹ :

[من الوافر]

1 ديوان نصيب : 135 عن الأغاني .

صوت

قِفَا أَخَوَيَّ إِنَّ الدَّارَ لَيْسَتْ كَمَا كَانَتْ بَعْدَ كَمَا تَكُونُ
 لِيَالِي تَعْلَمَانِ وَآلُ لَيْلٍ قَطِينُ الدَّارِ فَاحْتَمَلَ الْقَطِينُ
 فَعُوجًا فَانْظُرَا أَتَيْنُ عَمَّا سَأَلْنَاهَا بِهِ أَمْ لَا تَبِينُ
 فَظَلًّا وَاقْفَيْنِ وَظِلٌّ دَمْعِي عَلَى خَدَّيْ تَجُودُ بِهِ الْجُفُونُ¹
 فَلَوْلَا إِذْ رَأَيْتَ الْيَأْسَ مِنْهَا بَدَأَ أَنْ كِدْتَ تَرَشُّقُكُ الْعَيُونُ ،
 بَرَحْتَ فَلَمْ يَلْمَكَ النَّاسُ فِيهَا وَلَمْ تَغْلُقْ كَمَا غَلِقَ الرَّهَيْنُ

في البيتين الأولين من هذه الأبيات والأخيرين لابن سُرَيْجٍ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه للغريض خفيفٌ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ بالوسطى عن عمرو ويونس .
 [قصة نصيب مع عجز بالحفة]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن أيوب بن عباية قال : كان نُصَيْبٌ ينزل على عجز بالحفة إذا قَدِمَ من الشام ، وكان لها بُنْيَّةٌ صفراء وكان يستحليها ، فإذا قَدِمَ وهب لها دراهم وثياباً وغير ذلك . فقَدِمَ عليهما قَدَمَةً وبات بهما ، فلم يشعر إلا بفتى قد جاءها ليلاً فركضها برجله ، فقامت معه فأبطأت ثم عادت ، وعاد إليها بعد ساعة فركضها برجله فقامت معه فأبطأت ثم عادت . فلَمَّا أَصْبَحَ نُصَيْبٌ رأى أثر مُعْتَرَكهما ومُغْتَسَلِيهما . فلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرْتَحِلَ قَالَتْ له العجز وبنيتها : بآبي أنت ، عادتكَ . فقال لها² :
 [من الطويل]

أَرَاكِ طَمُوحَ الْعَيْنِ مِثْلَ الْهَوَى لِهَذَا وَهَذَا مِنْكَ وَدُّ مُلَاطِفٍ
 فَإِنْ تَحْمِلِي رَدْفَيْنِ لَا أَكُ مِنْهُمَا فَجَبِّي فَرْدٌ لَسْتُ مِمَّنْ يُرَادِفُ
 ولم يُعْطِهَا شَيْئاً وَرَحَلَ .

[حديث النصيب مع امرأة من مل]

قال أيوب : وكانت بَمَلَلٍ امرأة ينزل بها الناس ، فنزل بها أبو عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَةَ وعمران بن عبد الله بن مُطِيعٍ ونُصَيْبٌ . فلَمَّا رَحَلُوا وهب لها القُرَشِيَّانِ ولم يكن مع نُصَيْبٍ شيءٌ ، فقال لها : اختاري إن شئتِ أَنْ أَضْمَنَ لَكَ مِثْلَ مَا أُعْطِيَاكِ إِذَا قَدِمْتُ ، وإن شئتِ قَلْتُ فَيْكَ أَيْتَانِ تَنْفَعُكَ . قالت : بَلِ الشَّعْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ . فقال³ :
 [من الطويل]

1 الجفون في ل : الشؤون .

2 ديوان نصيب : 105 عن الأغاني وغيره .

3 ديوانه : 70 عن الأغاني وغيره .

أَلَا حَسِيَّ قَبْلَ الْبَيْنِ أُمَّ حَبِيبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَّا غَدًا بِقَرِيبٍ
لَنْ لَمْ يَكُنْ حُبِّيكَ حُبًّا صَدَقْتَهُ فَمَا أَحَدٌ عِنْدِي إِذَا بِحَبِيبٍ
تَهَامٍ أَصَابَتْ قَلْبَهُ مَلَلِيَّةٌ غَرِيبُ الْهَوَى يَا وَنَحْ كُلَّ غَرِيبٍ
فَشَهَرَهَا بِذَلِكَ ، فَأَصَابَتْ بِقَوْلِهِ ذَلِكَ فِيهَا خَيْرًا .

[النصيب وعمر بن عبد العزيز]

قال أيوب : ودخل النُصَيْبُ على عمر بن عبد العزيز ، رحمة الله عليه ، بعد ما وَلِيَ الخِلافة . فقال له : يَا أَبِيه يَا أَسُودَ ، أَنْتَ الَّذِي تُشَهِّرُ النِّسَاءَ بِنَسِيكِ ! فقال : إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَاهَدْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَلَّا أَقُولَ نَسِيًّا ، وَشَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ مَنْ حَضَرَ وَأَثَرُوا عَلَيْهِ خَيْرًا . فقال : أَمَّا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَسَلِّ حَاجَتَكَ . فقال : بُنَيَاتٌ لِي نَفَضْتُ عَلَيْهِنَّ سَوَادِي فَكَسَدَنَ ، أُرْغَبُ بِهِنَّ عَنِ السُّودَانِ وَيُرْغَبُ عَنْهُنَّ الْبَيْضَانُ . قال : فَتُرِيدُ مَاذَا ؟ قال : تَفَرِّضُ لِهِنَّ ، فَفَعَلَ . قال : وَنَفَقَةٌ لَطَرِيْقِي . فَأَعْطَاهُ حَلِيَّةَ سَيْفِهِ وَكِسَاهُ ثَوْبِهِ ، وَكَانَا يُسَاوِيَانِ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا .

[اجتماع النصب والكميت وذو الرمة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق الموصلي عن ابن كناسة قال : اجتمع النُصَيْبُ وَالْكَمَيْتُ وَذُو الرِّمَّةِ ، فَأَنْشَدَهُمَا الْكَمَيْتُ قَوْلَهُ :

هَلْ أَنْتَ عَنْ طَلَبِ الْأَيْفَاعِ مَنْقَلِبُ

حتى بلغ إلى قوله فيها :

أَمْ هَلْ طَعَائِنُ بِالْعَلْيَاءِ نَافِعَةٌ وَإِنْ تَكَامَلَ فِيهَا الْأَنْسُ وَالشَّنْبُ
فَعَقْدَ نَصِيبٍ وَاحِدَةً . فقال له الْكَمَيْتُ : مَاذَا تُحْصِي ؟ قال : خَطَأُكَ ، بَاعَدْتَ فِي الْقَوْلِ ، مَا الْأَنْسُ مِنَ الشَّنْبِ ؟ أَلَا قُلْتَ كَمَا قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

لَمِيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حُوءٌ لَعَسُ وَفِي الثَّلَاثِ وَفِي أُنْيَابِهَا شَنْبُ¹
ثم أنشدهما قوله :

أَبَتْ هَذِهِ النَّفْسُ إِلَّا إِدْكَارًا

حتى بلغ إلى قوله :

إِذَا مَا الْمَجَارِسُ غَنَيْنَهَا تُجَاوِبُنَ بِالْفَلَوَاتِ الْوِبَارَا²
فقال له النُصَيْبُ : وَالْوِبَارُ لَا تَسْكُنُ الْفَلَوَاتِ . ثم أنشد حتى بلغ منها :

1 حوة : سمرة في الشفة . لعس : لون اللثة حين تكون حمراء مع بعض سواد . الشنب : رقة في الأسنان مع عذوبة .

2 المجارس : الثعالب . الوبار : دابة تشبه السنور .

كَأَنَّ الْعُظَامِطَ مِنْ غَلِيهَا أَرَاغِيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفَاراً¹
 فقال النصيب : ما هَجَتِ أَسْلَمُ غِفَاراً قَطُّ ؛ فانكسر الكُمَيْتِ وأمسك .
 [نصيب وعبد الرحمن بن الضحاك الفهري]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبي : أَنَّ نَصِيباً مدح
 عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، فأمر له بعشر قلائص ، وكتب بها إلى رجلين من
 الأنصار ، واعتذر إليه وقال له : والله ما أملك إلا رزقي ، وأني لأكره أن أبسط يدي في أموال
 هؤلاء القوم . فخرج حتى أتى الأنصاريين فأعطاهما الكتاب مختوماً . فقراه وقال : قد أمر
 لك بثمان قلائص ، ودفعاً ذلك إليه . ثم عَزَلَ ووَلَّى مكانه رجلٌ من بني نصر بن هوازن ،
 فأمر بأن يُتَّبَعَ ما أعطى ابن الضحاك ويُرتَجَعَ ، فوجد باسم نصيب عشر قلائص ، فأمر
 بمطالبتها بها . فقال : والله ما دفع إلي إلا ثمان قلائص . فقال : والله ما تخرج من الدار
 حتى تُؤدِّيَ عشر قلائص أو أثمانها ؛ فلم يخرج حتى قبض ذلك منه .

فلما قدم على هشام سمر عنده ليلة وتذاكروا النَّصْرِيَّ ، فأنشده قوله فيه² : [من البسيط]
 أفي قلائص جُرْبٍ كُنَّ في عملٍ أَرْدَى وَتَنَزَّعُ مِنْ أَحْشَائِي الْكِدُ
 ثمانياً كُنَّ في أهلي وعندهمُ عَشْرُ فَأَيَّ كِتَابٍ بَعْدَنَا وَجَدُوا
 أَخَانِي أَخَوَا الْأَنْصَارِ فَانْتَقَصَا مِنْهَا فَعِنْدَهُمَا الْفَقْدُ الَّذِي فَقَدُوا
 وَإِنَّ عَامِلَكَ النَّصْرِيَّ كَلَّفَنِي في غير نائرة دَيْناً لَهُ صَعْدُ³
 أَذْنَبَ غَيْرِي وَلَمْ أَذْنَبْ يُكَلِّفَنِي أَمْ كَيْفَ أَقْتُلُ لَا عَقْلٌ وَلَا قُوْدُ
 قال : فقال هشام : لا جَرَمَ والله ، لا يعملُ لي النَّصْرِيَّ عملاً أبداً ؛ فكتب بعزله عن المدينة .

[شعر لنصيب في الجفر]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرنا الزبير بن بَكَارٍ إجازةً عن هارون بن
 عبد الله الزبيري عن شيخ من الجفَرِ⁴ قال : قَدِمَ عَلَيْنَا النَّصِيبُ فجلس في هذا المجلس وأوماً
 إلى مجلسٍ جِذَاءِهِ ، فاستنشدناه ، فأنشدنا قوله⁵ : [من الطويل]
 أَلَا يَا عُقَابَ الْوَكْرِ وَكَرٍ ضَرِيَّةٍ سَقَتَكَ الْغَوَادِي مِنْ عُقَابٍ وَمِنْ وَكَرٍ⁶

1 العظامط : صوت غليان القدر .

2 ديوان نصيب : 78 عن الأغاني .

3 النائرة : الحقد . الصعد : المشقة .

4 الجفر : اسم موضع بنواحي المدينة .

5 انظر ديوانه 93-94 ففيه بعض هذه الأبيات بروايات مختلفة وأبيات تنسب للمجنون .

6 ضرية : قرية على مقربة من الحمى المعروف باسمها .

تَمُرَّ اللَّيَالِي مَا مَرَرْنَ وَلَا أَرَى مُرُورَ اللَّيَالِي مُنْسِيَاتِي ابْنَةَ النَّضْرِ
وَقَفْتُ بِذِي دَوْرَانَ أَنْشُدْ نَاقَتِي وَمَالِي لَدَيْهَا مِنْ قُلُوصٍ وَلَا بَكْرٍ¹
وَمَا أَنْشُدُ الرَّغِيَانَ إِلَّا تَعَلَّةً بَوَاضِحَةَ الْأَنْيَابِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
أَمَّا وَالَّذِي نَادَى مِنَ الطُّورِ عَبْدَهُ وَعَلَّمَ أَيَّامَ الْمَنَاسِكِ وَالنَّحْرِ
لَقَدْ زَادَنِي لِلْجَفْرِ جَبًّا وَأَهْلِهِ لَيَالٍ أَقَامْتُهُنَّ لَيْلَى عَلَى الْجَفْرِ

[نصيب وعبد الملك بن مروان]

أخبرني الحرّميُّ قال حدّثنا الزبير قال أخبرني عمر بن إبراهيم السّعديّ عن يوسف بن يعقوب بن العلاء بن سليمان عن سلّمة بن عبد الله بن أبي مسروح قال : قال عبد الملك بن مروان لنصيب أنشدني ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها² :

وَمُضْمَرُ الْكَشْحِ يَطْوِيهِ الضَّجِيعُ بِهِ طَيَّ الْحَمَائِلِ لَا جَافٍ وَلَا فَقِيرُ
وَذِي رَوَادِفَ لَا يُلْفَى إِلَّا زَارُ بِهَا يُلَوَّى وَلَوْ كَانَ سَبْعًا حِينَ يَأْتِرُ

فقال له عبد الملك : يا نصيب ، مَنْ هذه ؟ قال : بنتُ عمِّ لي نوبيّة ، لو رأيتهما ما شربت من يدها الماء . فقال له : لو غيرَ هذا قلتَ لضربتُ الذي فيه عينك .

[رحلة نصيب السنوية إلى عبد العزيز بن مروان]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة قال حدّثنا المدائني قال : كان عبد العزيز بن مروان اشترى نصيباً وأهله وولده فأعتقهم ، وكان نصيب يرحل إليه في كلّ عام مستمبحاً³ ، فيجيزه ويحسن صلّته . فقال فيه نصيب⁴ :

يَقُولُ فَيُحَسِّنُ الْقَوْلَ ابْنُ لَيْلَى وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ
فَتَى لَا يَرْزَأُ الْخُلَانَ إِلَّا مَوَدَّتَهُمْ وَيَرْزَوُهُ الْخَلِيلُ
فَبَشَّرَ أَهْلَ مَصْرَ فَقَدْ أَتَاهُمْ مَعَ النَّيْلِ الَّذِي فِي مَصْرَ نَيْلُ

[نصيب وشاعر هجاء]

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخزاعيُّ أبو دُلْفَ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيِّ عن عمّه قال : كان نصيب يُكنى أبا الحَجَناء ، فهجّاه شاعرٌ من أهل الحجاز فقال :

1 ذو دوران : موضع بين الجحفة وقديد .

2 ديوان نصيب : 90 عن الأغاني .

3 مستمبحاً : طالباً العطاء .

4 ديوان نصيب : 114 عن الأغاني .

رَأَيْتُ أبا الْجَحْنَاءِ فِي النَّاسِ حَائِراً وَلَوْ أَنَّ أَبِي الْجَحْنَاءِ لَوْنُ الْبَهَائِمِ
 تَرَاهُ عَلَى مَا لَاحَهُ مِنْ سَوَادِهِ وَإِنْ كَانَ مَظْلُوماً لَهُ وَجْهُ ظَالِمِ
 فَقِيلَ لِنَصِيبٍ : أَلَا تُجِيبُهُ فَقَالَ : لَا ، وَلَوْ كُنْتُ هَاجِياً لِأَحَدٍ لِأَجَبْتُهُ ، وَلَكِنْ اللَّهُ أَوْصَلَنِي
 بِهَذَا الشَّعْرِ إِلَى خَيْرٍ ، فَجَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي أَلَّا أَقُولَهُ فِي شَرٍّ ، وَمَا وَصَفَنِي إِلَّا بِالسَّوَادِ وَقَدْ
 صَدَقَ . أَفَلَا أُنْشِدُكُمْ مَا وَصَفْتُ بِهِ نَفْسِي ؟ قَالُوا بَلَى . فَأَنْشَدَهُمْ قَوْلَهُ¹ : [مِنَ الْكَامِلِ]

لَيْسَ السَّوَادُ بِنَاقِصِي مَا دَامَ لِي هَذَا اللَّسَانُ إِلَى فَوَادٍ ثَابِتِ
 مَنْ كَانَ تَرْفَعُهُ مَنَابِتُ أَصْلِهِ فَبَيوتُ أَشْعَارِي جُعِلْنَ مَنَابِتِي
 كَمْ بَيْنَ أَسْوَدَ نَاطِقٍ بِبَيَانِهِ مَاضِي الْجَنَانِ وَبَيْنَ أَيْضَ صَامِتِ
 إِنِّي لَيَحْسُدُنِي الرَّفِيعُ بِنَاوِهِ مِنْ فَضْلِ ذَاكَ وَلَيْسَ بِي مِنْ شَامِتِ
 وَيُرَوَّى مَكَانَ « مِنْ فَضْلِ ذَاكَ » ، « فَضْلُ الْبَيَانِ » وَهُوَ أَجُود .

أَخْبَرَنِي عَمِّي وَمُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ قَالَا حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى
 الْأُمَوِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ قَاتِلُ النَّصِيبِ : أَيُّهَا الْعَبْدُ ، مَا لَكَ
 وَلِلشَّعْرِ ؟ فَقَالَ : أَمَّا قَوْلُكَ عَبْدٌ فَمَا وُلِدْتُ إِلَّا وَأَنَا حُرٌّ ، وَلَكِنْ أَهْلِي ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي . وَأَمَّا
 السَّوَادُ فَأَنَا الَّذِي أَقُولُ² :

وَإِنْ أَكُ حَالِكاً لَوْنِي فَإِنِّي لِعَقْلٍ غَيْرِ ذِي سَقَطٍ وَعَاءِ
 وَمَا نَزَلْتُ بِي الْحَاجَاتُ إِلَّا وَفِي عِرْضِي مِنَ الطَّمَعِ الْحَيَاءِ

[شِعْرُ النَّصِيبِ فِي جَارِيَةٍ طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَشِيبَ بِهَا]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْيَدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثْتُ عَنْ السَّدُّوسِيِّ قَالَ : وَقَفَ
 نَصِيبٌ عَلَى أَيْيَاتِ فَاسْتَسْقَى مَاءً ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ بَلْبَنٍ أَوْ مَاءٍ فَسَقَتْهُ ، وَقَالَتْ : شَبِّبْ
 بِي . فَقَالَ : وَمَا اسْمُكَ ؟ فَقَالَتْ : هِنْدٌ . وَنَظَرَ إِلَى جَبَلٍ وَقَالَ : مَا اسْمُ هَذَا الْعَلَمِ ؟
 قَالَتْ : قَنَأٌ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ³ :

أَحِبُّ قَنَأً مِنْ حُبِّ هِنْدٍ وَلَمْ أَكُنْ أَبَالِي أَقْرَباً زَادَهُ اللَّهُ أَمْ بَعْدَا
 أَلَا إِنَّ بِالْقَيْعَانِ مِنْ بَطْنِ ذِي قَنَأٍ لَنَا حَاجَةً مَالَتْ إِلَيْهِ بَنَا عَمْدَا
 أُرُونِي قَنَأً أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَإِنِّي أَحِبُّ قَنَأً إِنِّي رَأَيْتُ بِهِ هِنْدَا

1 ديوان نصيب : 73 عن الأغاني ومعجم الأدباء .

2 ديوان نصيب : 57 عن الأغاني .

3 ديوان نصيب : 84-85 عن الأغاني .

قال : فشاعت هذه الأبيات ، وخطبت هذه الجارية من أجلها ، وأصابته بقول نصيب فيها خيراً كثيراً .

[نصيب وجارية خطبها فأبت ثم تزوجته]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل بن نبيه قال حدثنا محمد بن سلام قال : دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك ، فقال له : حدثني يا نصيب ببعض ما مرّ عليك . فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، علقت جارية حمراء ، فمكثت زمناً تمنيني بالأباطيل ، فلما ألححت عليها قالت : إليك عني ؛ فوالله لكأنك من طوارق الليل . فقلت لها : وأنت والله لكأنك من طوارق النهار . فقالت : ما أظرفك يا أسود ! فغاطني قولها ، فقلت لها : هل تدريين ما الظرف ؟ إنما الظرف العقل . ثم قالت لي : انصرف حتى أنظر في أمرك . فأرسلت إليها هذه الأبيات¹ :

فإن أك حالكاً فالمسك أحوى وما لسواد جليدي من دواء
ولي كرم عن الفحشاء ناءً كبعد الأرض من جو السماء
ومثلي في رجالكم قليل ومثلك ليس يُعَدَم في النساء
فإن ترضي فردّي قول راضٍ وإن تابني فنحن على السواء

قال : فلما قرأت الشعر قالت : المال والشعر يأتيان على غيرهما ؛ فتزوجتني .

[استجادة الأصمعي شعراً لنصيب]

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي قال : أنشدنا الأصمعي لنصيب وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول إذا أنشدها : قاتل الله نصيباً ما أشعره² ! :

فإن يك من لوني السواد فإنني لكالمسك لا يروى من المسك ذائقة
وما ضرّ أثوابي سوادي وتحتها لباس من العلياء بيض بناقة
إذا المرء لم يبدل من الود مثلاً ما بذلت له فاعلم بأنّي مفارقة

[نصيب وجري]

أخبرني الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام عن خلف : أن نصيباً أنشد جريراً شيئاً من شعره ، فقال له : كيف ترى يا أبا حزرة . فقال له : أنت أشعر أهل جلدتك .

[نصيب والوليد بن عبد الملك]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل عن

1 ديوان نصيب : 58 عن الأغاني .

2 ديوان نصيب : 110-111 وفيه تخريج كثير والبيت الأول مختلف عما هنا .

عبد العزيز بن عمران بن محمد عن المسور بن عبد الملك قال : قال نصيب لعبد الرحمن بن أزره : أنشدت الوليد بن عبد الملك ، فقال لي : أنت أشعر أهل جلدتك ، والله ما زاد عليها ! فقال لي عبد الرحمن : يا أبا محجن ، أفرضيت منه أن جعلك أشعر السودان فقط ؟ فقال له : وددتُ والله يا ابن أخي أنه أعطاني أكثر من هذا ، ولكنه لم يفعل ولستُ بكاذبك .
[نصيب يصف شعره وشعر بعض معاصريه.]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال : قال لي محمد بن عبد ربّه : دخلت مسجد الكوفة ، فرأيت رجلاً لم أر قط مثله ولا أشد سواداً منه ، ولا أنقى ثياباً منه ، ولا أحسن زياً . فسألت عنه ، فقيل : هذا نصيب ، فدنوت منه فحدّثته ، ثم قلت له : أخبرني عنك وعن أصحابك . فقال : جميلٌ إمامنا ، وعمر بن أبي ربيعة أوصفنا لربّات الحِجال ، وكثير أبكانا على الدّمْن وأمدحنا للملوك ، وأما أنا فقد قلتُ ما سمعت . فقلت له : إنّ الناس يزعمون أنّك لا تحسن أن تهجّو . فضحك ثم قال : أفترأى يقولون : إنّي لا أحسن أن أمدح ؟ فقلت لا . فقال : أفما ترأى أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخراك الله ؟ قال قلت بلى . قال : فإنّي رأيتُ الناس رجُلَيْن : إمّا رجلاً لم أسأله شيئاً فلا ينبغي أن أهجوّه فأظلمه ، وإمّا رجلاً سألته فمَنعني فنفسى كانت أحقّ بالهجاء ؛ إذ سؤلت لي أن أسأله وأن أطلب ما لديه .
[نصيب وكثير والأحوص في مجلس.]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني عبد الله بن إسماعيل بن أبي عبيد الله كاتب المهديّ قال : وجدتُ في كتاب أبي بخطّه : حدّثني أبو يوسف التّجيبّي قال حدّثني إسماعيل بن المختار مولى آل طلحة وكان شيخاً كبيراً قال : حدّثني النّصيب أبو محجن أنّه خرج هو وكثير والأحوص غبّ يوم أمطرت فيه السماء ، فقال : هل لكم في أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنمتّع فيه أبصارنا ؟ فقالوا نعم . فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدوابّ ، ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب ، وتكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق ، فجعلوا يتصفّحون ويرون بعض ما يشتهون ، حتى رُفع لهم سوادٌ عظيم فأموه حتى أتوه ، فإذا وصائفٌ ورجالٌ من الموالي ونساءٌ بارزات ، فسألنهم أن ينزلوا ، فاستحيوا أن يُجيّبوهنّ من أوّل وهلة ، فقالوا : لا نستطيع أو نمضي في حاجة لنا . فحلّفنهم أن يرجعوا إليهنّ ، ففعلوا وأتوهنّ ، فسألنهم النزول فنزلوا . ودخلت امرأةٌ من النساء فاستأذنت لهنّ ، فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت : ادخلوا . فدخلنا على امرأة جميلة برّزة على فرش لها ، فرحبت وحيّت ، وإذا كراسيٌ موضوعة ، فجلسنا جميعاً في صفٍّ واحد كلُّ إنسانٍ على كرسي . فقالت : إن أحببتُم أن ندعو بصبي لنا فُنصّبْه ونعركُ أذنه فعَلنا ، وإن شئتمُ بدأنا بالغداء . فقلنا : بل تدعِين بالصبي ولن يفوتنا الغداء . فأومأت

بيدها إلى بعض الخدم ، فلم يَكُنْ إِلَّا كَلا ولا حتى جاءت جارية جميلة قد سُرَّتْ بِمُطَرَفٍ ، فأمسكوه عليها حتى ذهب بُهْرُهَا¹ ، ثم كُشِفَ عنها وإذا جارية ذاتُ جمالٍ قريئة من جمال مولاتِها ، فرحبتَ بهم وحيثهم ، فقالت لها مولاتُها : خُذِي ، وَيَحْكُ ، من قول النصيب عافى الله أبا مِجْحَن² :

ألا هل من البين المَفْرَق من بُدَّ وهل مثلُ أيامٍ بِمُنْقَطَعِ السَّعْدِ³
 تَمَنَيْتُ أَيَّامِي أَوَّلُكَ ، وَالْمُنَى على عَهْدِ عَادٍ مَا تُعِيدُ وَلَا تُبْدِي
 فغَنَّتْ ، فجاءت به كأحسن ما سمعته قطَّ بأحلى لفظٍ وأشجى صوت . ثم قالت لها :
 خُذِي أَيْضاً من قول أبي مِجْحَن عافى الله أبا مُجْحَن⁴ :

أَرَقَ الْمُحِبُّ وَعَادَهُ سَهْدُهُ لِطَوَارِقِ الْهَمِّ الَّتِي تَرُدُّهُ
 وَذَكَرْتُ مَنْ رَقَّتْ لَهُ كَبِدِي وَأَبَى فَلَيْسَ تَرِقُ لِي كَبِدُهُ
 لَا قَوْمُهُ قَوْمِي وَلَا بَلَدِي فَكَوْنُ حِيناً جِيرَةً ، بَلَدُهُ
 وَوَجَدْتُ وَجْداً لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ قَبْلِي مِنْ أَجْلِ صَبَابَةٍ يَجِدُهُ
 إِلَّا ابْنُ عَجَلَانَ الَّذِي تَبَلَّتْ هِنْدٌ فَقَاتَ بِنَفْسِهِ كَمَدُهُ⁵

قال : فجاءت به أحسن من الأول ، فكادت أُطِيرُ سروراً . ثم قالت لها : وَيَحْكُ ، خُذِي
 من قول أبي مِجْحَن عافى الله أبا مُجْحَن⁶ :

وَهَلْ طَائِفٌ مِنْ نَائِمٍ مُتَمَتِّعٌ فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَمَتَّعْتُ طَوْلَهُ
 وَلَوْ نَائِماً مُسْتَعْتَبٌ أَوْ مُودَّعٌ نَعَمْ إِنَّ ذَا شَجْوٍ مَتَى يَلْقَى شَجْوَهُ
 مِنَ النَّاسِ فِي صَدْرِ بِهَا يَتَصَدَّعُ لَهُ حَاجَةٌ قَدْ طَالَمَا قَدْ أَسْرَهَا
 يَكُونُ لَهَا يَوْماً مِنَ الدَّهْرِ مَتَزَّعٌ تَحْمَلُهَا طُولَ الزَّمَانِ لَعَلَّهَا
 قَدِيمًا كَمَا كَانَتْ لَذِي الْحِلْمِ تُقَرَّعُ⁷ وَقَدْ قُرِعَتْ فِي أُمِّ عَمْرٍو لِي الْعَصَا

1 ذهب بهرها : سكن روعها .

2 ديوان نصيب : 83 عن الأغاني .

3 السعد : موضع قريب من المدينة .

4 ديوان نصيب : 81 عن الأغاني .

5 فأت بنفسه : ذهب بها .

6 ديوان نصيب : 101 .

7 المثل من بيت المتلمس «لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا» . فصل المقال (تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد

عابدين ص 148) .

قال : فجاءت والله بشيء حيرني وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسروراً باختيارها الغناء في شعري ، وما سمعتُ فيه من حُسن الصنعة وجودتها وإحكامها ، ثم قالت لها : خذي أيضاً من قول أبي مِحنٍ ، عافى الله أبا محن¹ :

يا أيُّها الرِّكْبُ إنِّي غيرُ تابِعِكُمْ حتى تُلِمُّوا وأتُمَّ بي مُلْمُونَا
فَمَا أَرَى مِثْلَكُمْ رَكْبًا كَشَكْلِكُمْ يَدْعُوهُمْ ذُو هَوًى إِلَّا يَعْجُجُونَا
أَمْ خَبَرُونِي عَنْ دَائِي بَعْلِمِكُمْ وأَعْلَمُ النَّاسَ بِالْدَاءِ الْأَطْبُونَا

قال نُصَيْب : فوالله لقد زُهِيتُ بما سمعتُ زهواً خيلاً إليَّ أنِّي من قُرَيْشٍ ، وأنَّ الخلافة لي . ثم قالت : حَسْبُكَ يَا بُنَيَّةُ ! هَاتِ الطَّعَامَ يَا غَلَامَ ! فوثبَ الأَحْوَصُ وكَثِيرٌ وقالوا : والله لَا نَطْعَمُ لَكَ طَعَاماً وَلَا نَجْلِسُ لَكَ فِي مَجْلَسٍ ؛ فقد أَسَأَتْ عِشْرَتُنَا واستخففت بنا ، وقدَمَتِ شِعْرَ هَذَا عَلَى أَشْعَارِنَا ، واستمعتِ الغناء فيه ، وإن في أَشْعَارِنَا لَمَّا يَفْضَلُ شِعْرَهُ ، وفيها من الغناء ما هو أَحْسَنُ مِنْ هَذَا . فقالت : على معرفةٍ كُلِّ مَا كَانَ مِنِّي ، فَأَيُّ شِعْرٍ كَأَفْضَلُ مِنْ شِعْرِهِ ؟ أَقُولُكَ يَا أَحْوَصُ :

يَقْرُ بَعِينِي مَا يَقَرَّ بَعِينَهَا وَأَحْسَنُ شَيْءٍ مَا بِهِ الْعَيْنُ قَرَّتْ
أَوْ قَوْلُكَ يَا كَثِيرٌ فِي عَزَّةٍ :

وَمَا حَسِبْتُ ضَمِيرِيَّةً جَدْوِيَّةً سِوَى التَّيْسِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّ لَهَا بَعْلًا²
أَمْ قَوْلُكَ فِيهَا :

إِذَا ضَمِيرِيَّةٌ عَطَسَتْ فَنَكَّهَا فَإِنْ عُطَّاسُهَا طَرَفُ السِّفَادِ
قال : فخرجنا مُغْضَبِينَ واحْتَسَبْتَنِي ، فتَغَدَّيتُ عِنْدَهَا ، وأَمَرْتُ لِي بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ وَحُلَّتَيْنِ وَطِيبٍ ، ثم دَفَعَتْ إِلَيَّ مَائَتِي دِينَارٍ وَقَالَتْ : ادْفَعِيهَا إِلَى صَاحِبِكِ ؛ فَإِنْ قَبِلَهَا وَإِلَّا فَهِيَ لَكَ . فَأَتَيْتُهُمَا مَنَازِلَهُمَا فَأَخْبَرْتُهُمَا الْقِصَّةَ . فَأَمَّا الْأَحْوَصُ فَقَبِلَهَا ، وَأَمَّا كَثِيرٌ فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، وقال : لعنَ اللَّهُ صَاحِبَتِكَ وَجَائِزَتَهَا وَلَعَنَكَ مَعَهَا ، فَأَخَذَتْهَا وَانصَرَفَتْ . فَسَأَلْتُ النَّصِيبَ : مِمَّنِ الْمَرْأَةُ ؟ فَقَالَ : مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ وَلَا أَذْكَرُ اسْمَهَا مَا حَيَّتْ لِأَحَدٍ .

[رثاء نصيب عبد العزيز بن مروان.]

أخبرني عيسى بن يحيى الوراق عن أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال : وقع الطاعونُ بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان إياها ، فخرج هارباً منه فنزل بقرية من الصعيد

1 ديوان نصيب : 137-138 عن الأغاني .

2 جدوية : نسبة إلى جدي بن ضمرة الكنانى .

يقال لها «سُكْرُ». فقدِم عليه حين نزلها رسولُ لعبد الملك ، فقال له عبد العزيز : ما اسمك ؟ فقال : طالب بن مُدْرِك . فقال : أَوْه ، ما أراني راجعاً إلى الفُسطاط أبداً ! ومات في تلك القرية . فقال نصيبٌ يرثيه¹ :

أَصَيْتُ يَوْمَ الصَّعِيدِ مِنْ سُكْرٍ مَصِيَّةٌ لَيْسَ لِي بِهَا قَبْلُ
تَاللَّهِ أَنْسَى مَصِيبِي أَبَدًا مَا أَسْمَعْتَنِي حَنِينَهَا إِلَّا بُلُ
وَلَا التَّبَكِّي عَلَيْهِ أُعُولُهُ كُلُّ الْمَصِيبَاتِ بَعْدَهُ جَلُّ
لَمْ يَعْلَمْ النَّعْشُ مَا عَلَيْهِ مِنْ أَلٍ عُرِفَ وَلَا الْحَامِلُونَ مَا حَمَلُوا
حَتَّى أَجْنُوهُ فِي ضَرْجِهِمْ حِينَ انْتَهَى مِنْ خَلِيلِكَ الْأَمَلُ

غنى في هذه الأبيات ابن سُرَيْج ، ولحنه رَمَلٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر الهشامي أن له فيه لحناً من المخرج ، وذكر ابن بانه أن الرَّمْلَ لابن الهُرَيْذِ² :

أخبرني محمد بن مَزِيد بن أَبِي الأزهر قال حَدَّثَنَا حَمَاد بن إِسْحَاق عن أَبِيهِ عن مُصْعَب الزبيري عن مَشِيخَةٍ من أَهْلِ الحِجَاز : أَنَّ نَصِيباً دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْشِدْنِي بَعْضَ مَا رَأَيْتَ بِهِ أَحِي ؛ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ³ :

عَرَفْتُ وَجَرَّتْ الْأُمُورَ فَمَا أَرَى كَأَضٍ تَلَاهِ الْغَابِرُ الْمُتَأَخَّرُ
وَلَكِنْ أَهْلَ الْفَضْلِ مِنْ أَهْلِ نِعْمَتِي يَمُرُّونَ أَسْلَافاً أَمَامِي وَأَعْبَرُ
فَإِنْ أَبْكِهِ أُعَذِّرُ وَإِنْ أَغْلِبِ الْأَسَى بَصِيرٌ فَمِثْلِي عِنْدَمَا اشْتَدَّ بَصِيرُ
وَكُنْتُ رِكَابِي كُلَّمَا شَتَّتْ تَنْتَحِي إِلَيْكَ فَتَقْضِي نَجْبَهَا وَهِيَ ضَمْرُ
تَرَى الْوَرْدَ يُسْرًا وَالتَّوَاءَ غَنِيمَةً لَدَيْكَ وَتُثْنِي بِالرِّضَا حِينَ تَصْدُرُ
فَقَدْ عَرِيتُ بَعْدَ ابْنِ لَيْلٍ فَإِنَّمَا ذُرَاهَا لِمَنْ لَاقَتْ مِنَ النَّاسِ مَنْظَرُ
وَلَوْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَزَلْ بَدْفُوفِهَا مَرَادٌ لِعَرْبَانِ الطَّرِيقِ وَمَنْقَرُ⁴
فَإِنْ كُنَّ قَدْ نَلْنَ ابْنَ لَيْلٍ فَإِنَّهُ هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ أَهْلِهِ الْمُتَخَيَّرُ

فلَمَّا سَمِعَ عَبْدَ الْمَلِكِ قَوْلَهُ :

فَإِنْ أَبْكِهِ أُعَذِّرُ وَإِنْ أَغْلِبِ الْأَسَى بَصِيرٌ فَمِثْلِي عِنْدَمَا اشْتَدَّ يَصِيرُ

1 ديوان نصيب : 103 عن الأغاني .

2 هو إسماعيل بن الهُرَيْذِ ، وكان مولياً لآل الزبير .

3 ديوان نصيب : 87-88 عن الأغاني ولكن مسقط منه عجز البيت الرابع وصدر الخامس .

4 الدف : الجنب ، والضمير في دَفُوفِهَا يعود إلى «ركاب» في بيت سابق .

[من الطويل]

قال له : ويلك ! أنا كنتُ أحقُّ بهذه الصفة في أخي منك ؛ فهلاً وصفتني بها ؛ وجعل يبكي .

[نصيب وعبدالله بن إسحاق البصري]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي يحيى محمد بن كناسة قال : قال لي عبد الله بن إسحاق البصري : لو وليتُ العراقَ لاستكتبْتُ نصيباً . قلتُ : لماذا ؟ قال لفصاحته وحسن تخلصه إلى جيد الكلام ، ألم تسمع قوله¹ : [من الطويل]

فلا النفسُ ملَّتْها ولا العينُ تنتهي إليها سوامي الطرفِ عنها فترجعُ
رأتها فما ترتدُّ عنها سامةً ترى بدلاً منها به النفسُ تقنعُ

[نصيب وإبراهيم بن هشام]

أخبرني الحرّمي عن الزبير عن محمد بن الحسن قال : دخل نصيب على إبراهيم بن هشام فأنشده مديحاً له . فقال إبراهيم : ما هذا بشيء ، أين هذا من قول أبي دهبِل لصاحبنا ابن الأزرق حيث يقول :

إن تغدُ من مَقَلِّي نَخْلانَ مُرتَجِلاً يَرَحُلُ من اليمنِ المعروفُ والجودُ²

قال : فغضب نصيبٌ ونزع عِمَامته وبرك عليها ، وقال : لكن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتكم بمثل مديح أبي دهبِل أو أحسن ؛ إن المديح والله إنما يكون على قدر الرجال . قال : فأطرق ابن هشام ، وعَجِبوا من إقدام نصيب عليه ، ومن حلم ابن هشام وهو غير حليم³ . [نصيب وأم بكر الخراعية]

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري : أن نصيباً كان ربّما قَدِمَ من الشام فيَطْرَحُ في حجر أم بكر الخراعية أربعمئة دينار ، وأن عبد الملك بن مروان ظهر على تعلقه بها ونسيبه فيها ، فنهاه عن ذلك حتى كفَّ عن ذلك .

[نصيب يعترف أنه كان يستعصي عليه أحياناً قول الشعر]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عثمان بن حفص الثَّقَفِي عن أبيه قال : رأيتُ النَّصِيبَ بالطائف ، فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قُوهيٌّ ورداءٌ وحِيرةٌ⁴ ، فجعل يُنشدنا مديحاً لابن هشام ، ثم قال : إن الوادي مَسْبُعةٌ ، فمَنْ أهلُ المجلس ؟

1 ديوان نصيب : 102 .

2 المنتقل : الطريق في الجبل ؛ وفي رواية «نجران» .

3 بعد هذا في (ل) خبر مرّ من قبل .

4 الحيرة : ضرب من برود اليمن .

قالوا : ثَقِيف ؛ فعَرَفَ أَنَّا نُبْغِضُ ابن هشامَ وَنُبْغِضُنَا ، فقال : إِنَّا لله أَبْعَدُ ابنِ لَيْلٍ أَمْتَدَحِ ابنَ جَيْدَاءِ ! فقال له بعضُ أهلِ المجلس : يا أبا مِحْجَنَ ، أَتَطْلُبُ القَرِيضَ أحياناً فيعسرُ عليك ؟ فقال : إي والله لربِّما فعلتُ ، فأمرُ براحِتي فيُشَدُّ بها رَحْلي ، ثم أُسِيرُ في الشَّعَابِ الخالية ، وأقفُ في الرِّبَاعِ المَقْوِيَةِ ، فيُطْرِبُنِي ذلكُ ويُفْتَحُ لي الشَّعْرُ . والله إِنِّي على ذلكِ ما قلتُ بيتاً قطُّ تستحيي الفتاةَ الحَيَّةَ من إنشاده في سِتْرِ أبيها . قال إسحاقُ قال عثمانُ بن حفص فوصفه أبي وقال : كَأَنِّي أراه صَدْعاً خفيفَ العارضينِ ناتيءِ الحَنْجَرَةِ .

[نصيب وابن أبي عتيق]

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن محمد بن كُنَاسة قال : أنشد نصيب قوله :

وَكِدْتُ وَلَمْ أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا لَهَا بَارِقٌ نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ
فسمعه ابن أبي عتيق ، فقال : يا ابن أُمِّ ، قُلْ غَاقٍ فَإِنَّكَ تَطِيرُ . يعني أَنَّهُ غُرَابٌ أَسْوَدُ .
أخبرني الحَرَمِيُّ قال حدثنا الزُّبَيْرُ قال أخبرني أحمد بن محمد الأَسَدِيُّ أَسَدُ قَرِيشٍ قال : قال ابن أبي عتيق لنصيب : إِنِّي خَارِجٌ ، أَفْتَرسلُ إلى سَعْدَى بشيء ؟ قال : نعم ، بيتي شَعِيرٌ .
قال : قل ؛ فقال :

أَتَصْبِرُ عَنْ سَعْدَى وَأَنْتَ صَبُورٌ وَأَنْتَ بَحْسَنُ الصَّبْرِ مِنْكَ جَدِيرُ
وَكَدْتُ وَلَمْ أُخْلَقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا سَنَا بَارِقٌ نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ²
قال : فأنشد ابن أبي عتيق سَعْدَى البَيْتَيْنِ ، فَتَنَفَّسَتْ تَنَفَّسَةً شَدِيدَةً . فقال ابن أبي عتيق :
أَوَّه ! أَجَبْتَهُ وَاللهُ بِأَجُودَ مِنْ شَعْرِهِ ، وَلَوْ سَمِعَكَ خَلِيلُكَ لَنَعَقَ وَطَارَ إِلَيْكَ .
[نصيب والحكم بن المطلب]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب قال حدثني أبو هَفَّانَ عن إسحاق الموصلي عن المُسَيَّبِيِّ قال : قال أبو النُّجَيم : أَتَيْتُ الحَكَمَ بنَ المُطَّلَبِ فمدحته ، وخرج إلى السَّعَايَةِ³ فخرجنا معه ومعه عِدَّةٌ مِنَ الشعراءِ . فبينما هو مع أصحابه يوماً واقفاً ، إِذَا بِرَاكِبٍ يُوضِعُ فِي السَّرَابِ⁴ وَإِذَا هُوَ نَصِيبٌ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فمدحه فأمر بِإِنْزَالِهِ ، فمَكَثَ أَيَّاماً حَتَّى أَتَاهُ فَقَالَ : إِنِّي قَدْ خَلَفْتُ صَبِيَّةً صِغَاراً وَعِيالاً ضِعَافاً . فقال له : ادْخُلِ الحَظِيرَةَ فَخُذْ مِنْهَا سَبْعِينَ فَرِيضَةً⁵ . فقال له :

1 الصدع : الرجل حين يكون خفيف اللحم .

2 سنا في ل : لها .

3 السعاية : جمع الزكاة .

4 في رواية : يوضع في السير .

5 الفريضة : ناقة عمرها سنة .

جعلني الله فداك قد أحسنت ، ومعني ابنٌ لي أخاف أن يثْلِمَهَا¹ عليّ . قال : فادخل فخذ له سبعين فريضة أخرى ؛ فانصرف بمائة وأربعين فريضة .

أخبرنا الحرّميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير عن محمد بن الضَّحَّاك عن عثمان عن أبيه قال : قيل لُنُصِيب : هَرِمَ شِعْرُكَ . قال : لا والله ما هَرِمَ ، ولكن العطاء هَرِمَ ، ومن يُعطيني مثل ما أعطاني الحَكَم بن المطلب ؟ خرجتُ إليه وهو ساعٍ على بعض صَدَقَاتِ المدينة ، فلَمَّا رَأَيْتَهُ قلتُ² :

أبا مَروانَ لستَ بخارجيٍّ وليس قديمٌ مجديك بانتحالٍ³
أغرُّ إذا الرِّواقُ انجبابَ عنه بدا مثلَ الهلالِ على المِثالِ
تَراءاه العيونُ كما تَراءى عَشِيَّةً فِطْرَها وَصَحَّ الهلالِ

قال : فأعطاني أربعمائة ضائئة ومائة لَقْحَةٍ ، وقال : ارفعْ فِرَاشي ؛ فرفَعته فأخذتُ من تحته مائتي دينارٍ .

[نُصِيب وكثير عند أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني أسعدُ بن عبد الله المري⁴ عن إبراهيم بن سعيد بن بشر بن عبد الله بن عقيل الخارجي عن أبيه قال : والله إني لَمَعَ أبي عُبَيْدة بن عبد الله بن زمعة في حِوَاءٍ⁵ له ، إذ جاءه كُثَيِّرٌ فحَيَّاه ، فاحتفى به ، ودعا بالغداء فشرعنا فيه وشرع معنا كُثَيِّرٌ ؛ وجاء رجلٌ فسَلَّمَ فردَدنا عليه السلام واستدَّيْنَاهُ ، فإذا نُصِيب في بَزَّةٍ جميلةٍ قد وافى الحجَّ قادماً من الشام ، فأكَبَّ على أبي عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه إلى الغداء ، فأكل مع القوم ، فرفع كُثَيِّرٌ يده وأقلع عن الطعام ، وأقبل عليه أبو عُبَيْدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل ، فأبى فتركوه . وأقبل كُثَيِّرٌ على نُصِيب فقال : والله يا أبا مِحْجَنَ ، إنَّ أثرَ الشام عليك لجميل ، لقد رجعتَ هذه الكَرَّةَ ظاهرَ الكِبرِ قليلَ الحياءِ . فقال له نُصِيب : لكنَّ أثرَ الحِجازِ عليك يا أبا صَخَرٍ غيرَ جميل . لقد رجعتَ وإنَّكَ لَزائدُ النقصِ⁶ ، كثيرُ الحماقة . فقال كُثَيِّرٌ : أنا والله أشعرُ العرب حيث أقول لمولاتِكَ :

[من الوافر]

1 يثْلِمُها : يحدث فيها ثلماً أي نقصاً .

2 ديوان نُصِيب : 119 عن الأغاني .

3 خارجي : حديث عهد بالرفعة والشرف .

4 ل : المزني .

5 الحِوَاء : مجموعة من بيوت الشعر .

6 ل : التَّقْصِير .

إِذَا أُمْسَيْتُ بَطْنُ مَجَاحَ دُونِي وَعَمَقُ دُونِ عَزَّةَ فَالْبَقِيعُ¹
فَلَيْسَ بِلَائِمِي أَحَدٌ يُصَلِّي إِذَا أَخَذْتُ مَجَارِيهَا الدَّمْعُ

فَقَالَ لَهُ نَصِيبُ : أَنَا وَاللَّهِ أَشْعُرُ مِنْكَ حَيْثُ أَقُولُ لَابْنَةَ عَمِّكَ² : [من الطويل]

خَلِيلِي إِنْ حَلَّتْ كُلِّيَّةٌ فَالرُّبَى فَذَا أَمَجٌ فَالشَّعْبَ ذَا الْمَاءِ وَالْحَمْضُ³
فَأَصْبَحَ مِنْ حَوْرَانَ رَحْلِي بِمَنْزِلٍ يُبْعِدُهُ مِنْ دُونِهَا نَارُ الْأَرْضِ⁴
وَأَيَّاسُ مَا أَنْ يَجْمَعَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَخُوضًا لِي السَّمِّ الْمُصْرَحِ بِالْمَحْضِ⁵
فَفِي ذَاكَ مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ سَلَامَةٌ وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى عَمَضٍ

قَالَ : فَاقْتَحَمَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ ، وَثَبَتَ لَهُ النَّصِيبُ . فَلَمَّا نَالَتْهُ رِجْلَاهُ رَمَحَهُ نَصِيبٌ بِسَاقِهِ⁶
رَمْحَةً طَاحَ مِنْهَا بَعِيداً عَنْهُ ، فَمَا زَالَ رَاقِداً حَتَّى أَيْقَظَنَاهُ عَشِيئاً لَرَمَى الْجِمَارِ .

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ عَنِ الزُّبَيْرِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَمْرِ بْنِ عَثْمَانَ النَّحْوِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ رَبِيعَةَ الْأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ : غَدَوْتُ يَوْمًا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ وَهُوَ مُحْتَلٌّ بِالرَّحْبَةِ⁷ ، فَأَلْقَيْتُ عَنْهُ جَمَاعَةً مِنَّا وَمِنْ غَيْرِنَا ، فَأَتَاهُ آتٍ
فَقَالَ لَهُ : ذَاكَ النَّصِيبُ مِنْذُ ثَلَاثٍ بِالْفَرَسِ⁸ مِنْ مَلَلٍ مُتَلَدِّدٍ كَأَنَّهُ وَالَهُ فِي أَثَرِ قَوْمٍ ظَاعِنِينَ .
فَنَهَضَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَنَهَضْنَا مَعَهُ ، فَإِذَا نَصِيبٌ عَلَى الْمَنْحَرِ مِنْ صَفَرٍ⁹ . فَلَمَّا عَايَنَّا وَعَرَفَ أَبَا
عُبَيْدَةَ هَبَطَ ؛ فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَبَعَ قَوْمًا سَائِرِينَ وَأَنَّهُ وَجَدَ آثَارَهُمْ وَمَحَلَّهُمْ
بِالْفَرَسِ فَاسْتَوَلَّاهُ ذَلِكَ . فَضَحِكَ بِهِ أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْقَوْمُ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنَّمَا يُهْتَرُ¹⁰ إِذَا عَشِقَ مَنْ
اتَّسَبَ غُذْرِيًّا ، فَأَمَّا أَنْتَ فَمَا لَكَ وَلِهَذَا ؟! فَاسْتَحْيَا وَسَكَنَ . وَسَأَلَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ : هَلْ قُلْتَ فِي
مُقَامِكَ شِعْرًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأَنْشُدُ¹¹ : [من الطويل]

1 مجاح : بعد مدلجة للذهاب من مكة إلى المدينة . وعمق : من أودية الطائف .

2 ديوان نصيب : 100 عن الأغاني .

3 ذو أمج : من أعمال المدينة .

4 رحلي في ل : أهلي .

5 أن يجمع الدهر في ل : أن تجمع الدار .

6 ل : برجله .

7 الرحبة : متسع من الأرض ، وبه يسمّى المكان .

8 الفرش : اسم واد .

9 صفر : جبل قرب ملل .

10 يهتر : يذهب عقله .

11 ديوان نصيب : 98-99 عن الأغاني .

لَعَمْرِي لئن أُمْسَيْتَ بِالْفَرْشِ مُقْصِداً ثَوِيَاكَ عُبُودٌ وَعُدْنَةُ أَوْ صَفَرٌ¹
 ففَرَّعَ صَباً أَوْ تَيْمَمَ مُصْعِداً لِرَبْعٍ قَدِيمِ الْعَهْدِ يَتَكِفُ الْأَثَرُ²
 دَعَا أَهْلَهُ بِالشَّامِ بَرِّقَ فَأَوْجَفُوا وَلَمْ أَرْ مَتْبوعاً أَضَرَ مِنَ الْمَطَرِ
 لَنَسْتَبْدِلَنَ قَلْباً وَعَيْناً سِوَاهُمَا وَإِلَّا أَتَى قَصِداً حُشَاشَتَكَ الْقَدَرُ
 خَلِيلِي فِيمَا عِشْتُمَا أَوْ رَأَيْتُمَا هَلْ اشْتِاقَ مَضْرُورٌ إِلَى مَنْ بِهِ أَضَرَ
 نَعَمْ رُبَّمَا كَانَ الشَّقَاءُ مُتِيحاً يُغْطِي عَلَى سَمْعِ ابْنِ آدَمَ وَالْبَصَرُ³

قال : فانصرف به أبو عبيدة إلى منزله ، وأطعمه وكساه وحمله ، وانصرف وهو يقول⁴ :

وخاص لك السُّلُو ابنُ الرِّيبِ وأصاب دواء عِلَّتِكَ الطَّيِّبُ
 وداؤك كان أعرف بالطَّيِّبِ وأبصر من رُفَاكَ مَنَفَّاتِ
 [نصيب ويزيد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : دَخَلَ نُصَيْبٌ عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةً امْتَدَحَهُ بِهَا ، فَطَرِبَ لَهَا يَزِيدٌ وَاسْتَحْسَنَهَا ، فَقَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ يَا نُصَيْبُ ! سَلَّنِي مَا شِئْتَ . فَقَالَ : يَذُكُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَطَاءِ أَبْسَطُ مِنْ لِسَانِي بِالمَسْأَلَةِ ؛ فَأَمَرَ بِهِ فَمُلِئَ فَمُهُ جَوْهَرًا ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ غَنِيًّا حَتَّى مَاتَ .
 [نصيب وإبراهيم بن هشام]

أخبرني الجُرُمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غُزَيَّةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزَّنَادِ قَالَ : دَخَلَ نُصَيْبٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِشَامٍ وَهُوَ وَالٍ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ : [مِنَ الْبَسِيطِ]
 يَا ابْنَ الْهِشَامَيْنِ لَا بَيْتَ كَبَيْتَهُمَا إِذَا تَسَامَتْ إِلَى أَحْسَابِهَا مُضَرُّ

فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : قُمْ يَا أَبَا مِحْجَنَ إِلَى تِلْكَ الرَّاحِلَةِ الْمَرْحُولَةِ فَخُذْهَا بِرَحْلِهَا . فَقَامَ إِلَيْهَا نُصَيْبٌ مُتَبَاظِئًا وَالنَّاسُ يَقُولُونَ : مَا رَأَيْنَا عَطِيَّةً أَهْنًا مِنْ هَذِهِ وَلَا أَكْرَمَ وَلَا أَعْجَلَ وَلَا أَجْزَلَ . فَسَمِعَهُمْ نُصَيْبٌ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّكُمْ قَلَمَّا صَاحِبْتُمُ الْكِرَامَ ؛ وَمَا رَاحِلَةٌ وَرَحْلٌ حَتَّى تَرْفَعُوهُمَا فَوْقَ قَدَرِهِمَا !

1 عبود : اسم جبل . عدنة : ثنية قرب ملل .

2 ففرع صبا : ذهب منحدرًا . يتكف الأثر : يقصه ويتبعه .

3 متيحًا : مقدراً .

4 ديوان نصيب : 70 عن الأغاني .

[نصيب وهشام بن عبد الملك]

أخبرني الحرّميّ وعيسى بن الحسين قالّا حدّثنا الزُّبير عن عبد الله بن محمد بن [عبد الله بن] عمرو بن عثمان بن عفّان عن أبيه قال : استبطأ هشام بن عبد الملك حين وليّ الخلافة نُصَيْباً ألاّ يكونَ جاءه وإفداً عليه مادحاً له ووَجَدَ عليه . وكان نُصَيْبٌ مريضاً ، فبلغه ذلك حين برأ ، فقدمَ عليه وعليه أثرُ المرضِ وعلى راحلته أثرُ النَّصَبِ ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها¹ : [من الطويل]

وَأَهْدَتْ لَهُ بُدْنًا عَلَيْهَا الْقَلَائِدُ	حَلَفْتُ بِمَنْ حَجَّتْ قَرِيشُ لَبِيتِهِ
بِمَبْلُغِ حَوْلِي فِي رِضَاكَ لَجَاهِدُ	لَنْ كُنْتُ طَالَتْ غَيْبَتِي عَنْكَ إِنِّي
عَلَى الْعِهَادِ الْمُشْفِقَاتِ الْعَوَائِدُ ²	وَلَكِنِّي قَدْ طَالَ سَقَمِي وَأَكْثَرْتُ
بُنْصَحِ وَإِشْفَاقِ مَتَى أَنْتَ قَاعِدُ	صَرِيعُ فِرَاشٍ لَا يَزِلُّنَ يَقْلَنَ لِي
إِلَيْكَ وَذَلْتُ لِلْسَانِ الْقَصَائِدُ	فَلَمَّا زَجَرْتُ الْعَيْسَ أَسْرَتُ بِحَاجَتِي
وَنُصْحِي وَإِشْفَاقِي إِلَيْكَ لَعَامِدُ	وَإِنِّي فَلَا تَسْتَبْطِنِي بِمَوَدَّتِي
فِيَأْسَ ذُو قُرْبَى وَيَشْمَتَ حَاسِدُ ³	فَلَا تُقْصِنِي حَتَّى أَكُونَ بِصُرْعَةٍ
رِضَاكَ بَعْفٍ مِنْ نَدَاكَ وَزَائِدُ	أُنَلِّنِي وَقُرْبَنِي فَإِنِّي بَالِغُ
قَلِيلٍ وَأَمَّا مَسُّ جِلْدِي فَبَارِدُ	أَبْتُ نَائِماً أَمَّا فَوَادِي فَهَمُّهُ
لِيَانٌ وَمَعْرُوفٌ وَللْخَيْرِ قَائِدُ ⁴	وَقَدْ كَانَ لِي مِنْكُمْ إِذَا مَا لَقَيْتُكُمْ
قِسِي السُّرَى ذُبُلًا بَرَّتْهَا الطَّرَائِدُ	إِلَيْكَ رَحَلْتُ الْعَيْسَ حَتَّى كَانَتْهَا
صَرِيفٌ وَبَاقِي النَّقْيِ مِنْهَا شَرَائِدُ ⁵	وَحَتَّى هَوَادِيهَا دِقَاقٌ وَشَكُوهَا
إِلَيْكَ وَكُلَّ الرَّاسِمَاتِ الْحَوَائِدُ ⁶	وَحَتَّى وَنَتْ ذَاتُ الْمِرَاحِ فَأَذَعَنْتُ

قال : فرقْ له هشام وبكى ، وقال له : ويحك يا نُصَيْبُ ! لقد أضررنا بك وبرواحلك . ووصله وأحسنَ صِلَتَهُ واحتفل به .

[نصيب وعبد الواحد النصري أمير المدينة]

أخبرنا الحرّميّ عن الزُّبير عن عمّه عن أيّوب بن عتبة قال : قدِمَ نُصَيْبٌ على عبد الواحد

1 ديوان نصيب : 76-77 عن الأغاني .

2 العهد هنا : الدموع وأصل معناها الأمطار .

3 الصرعة هنا : الموت .

4 اللبان : النعمة والترفيه .

5 هواديهها : أعناقها . وشكوها : شكواها . صريف : احتكاك أسنانها ؛ النقي : مخ العظام . شرائد : بقايا .

6 ذات المراح : الناقة النشيطة ؛ الراسمات : اللواتي يمشين الرسم ؛ والحوافد : المسرعات .

النَّصْرِيَّ وهو أمير المدينة بقرضٍ من أمير المؤمنين يضعه في قومه من بني ضمرة ، فأدخلهم عليه ليفرض لهم وفيهم أربعة غلمة لم يحتلموا ، فردَّهم النصري . فكلَّمه نصيبٌ كلاماً غليظاً إداًلاً بمنزله عند الخليفة ، فأشار إليه إبراهيم بن عبد الله بن مطيع أن اسكت وكف وأخرج ؛ فإنِّي كافيك . فلما خرج إبراهيم لقيه نصيب ، فقال له : أشرت إليّ فكرهت أن أغضبك ، فما كرهت لي من مراجعته والصَّلاية له ومن ورائي المُستعَب من أمير المؤمنين ؟ فقال إبراهيم : هو رجلٌ عربيٌّ حديدٌ غَلِقٌ ، وخَشِيتُ إن جاذبته شيئاً ألا يرجع عنه وأن يَمْضِي عليه وَيَلْجُ فيه ، وهو مالكٌ للأمر وله فيه سلطان ، فأردتُ أن تخرج قبل أن يَلْجَ ويظهر منه ما لا يرجعُ عنه فيَمْضِي عليه وَيَلْجُ فيه ؛ فتتظَرُّ لتصادف منه طيبٌ نفس فتكلِّمه ونُرْفِدَكَ عنده . فقال نصيب :

يَوْمَانِ يَوْمٌ لِرَزِيقٍ فَسَلُّ وَيَوْمُهُ الْآخِرُ سَمَحٌ فَضَلُّ¹
أنا ، جُعِلَتْ فِدَاكَ ، فاعلٌ ذلك ؛ فإذا رأيتَ القولَ فَأشِرْ إليّ حتى أَكَلَّمَهُ . قال : ودخل إليه نصيب عَشِيَّاتٍ ، كلُّ ذلك يُشير إليه ابنُ مطيع ألا يكَلِّمه ، حتى صادفَ عَشِيَّةً من العَشِيَّاتِ منه طيبٌ نفس ، فأشار إليه أن كَلِّمه . فكلَّمه نصيبٌ فأصاب مَخِيلَهُ بكلامه ، ثم قال : إنِّي قد قلتُ شعراً فاسمعه أيها الأمير وأجزه ، ثم قال² :

أهاجَ الْبُكَاءُ رُبْعَ بَاسْفَلٍ ذِي السِّدْرِ ³	عَفَاهُ اخْتِلَافُ الْعَصْرِ بَعْدَكَ وَالْقَطْرِ ³
نَعَمْ فَتَنَانِي الْوَجْدُ فَاشْتَقْتُ لِلَّذِي	ذَكَرْتُ وَلَيْسَ الشَّوْقُ إِلَّا مَعَ الذِّكْرِ
حَلَفْتُ بِرَبِّ الْمَوْضِعَيْنِ لِرَبِّهِمْ	وَحُرْمَةِ مَا بَيْنَ الْمَقَامِ إِلَى الْحَجْرِ
لَنْ حَاجَتِي يَوْمًا قَضَيْتَ وَرِشَتِي	بِنَفْحَةِ عُرْفٍ مِنْ يَدِكَ أَبَا بَشَرٍ ⁴
لَتَعْرِفَنَّ الدَّهْرَ مِنِّي مَوْدَّةً	وَنُصْحًا عَلَى نُصْحٍ وَشُكْرًا عَلَى شُكْرِ
سَقَى اللَّهُ صَوْبَ الْمُزْنِ أَرْضًا عَمَرَتْهَا	بِرِيٍّ وَأَسْقَاهَا بِلَادَ بَنِي نَصْرِ
بَوَاجِهَكَ فَاسْتُعِمِلْتَ مَا دُمْتَ خَائِفًا	لِرَبِّكَ تَقْضِي رَاشِدًا آخِرَ الدَّهْرِ
لِتُنْقِذَ أَصْحَابِي وَتَسْتَرَّ عَوْرَةً	بَدَتْ لَكَ مِنْ صَحْبِي فَإِنَّكَ ذُو سَرِّ
فَمَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى التِّي	سَأَلْتُ فَأَعْطَانِي لِقَوْمِي مِنْ فَقَرٍ

1 الفسل : الرذل .

2 ديوان نصيب : 95-96 عن الأغاني .

3 ذو السدر : اسم موضع لم يحدده ياقوت .

4 لئن حاجتي يوماً في ل : لئن أنت حاجاتي .

وقد خرجت منه إليك فلا تكن بموضع يَبْضَاتِ الْأَنْوَقِ مِنَ الْوَكْرِ¹
قال : فقال عثمان بن حَيَّانُ الْمُرِّيُّ وهو عنده ، وكان قد جاءه بِالْقَوْدِ من ابنِ حَزْمٍ : قَدْ احْتَلَمَ
الْآنَ الْقَوْمُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، وَاسْتَوْجِبُوا الْفَرَضَ . وَرَفَدَهُ ابْنُ مُطِيعٍ فَأَحْسَنَ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ أَنْ شَرَكَهُ
ابْنُ حَيَّانٍ فِي رَفَدِهِ وَتَشْيِيعِهِ . وَقَالَ النَّصْرِيُّ لِابْنِ مُطِيعٍ وَابْنِ حَيَّانٍ : صَدَقْتُمَا قَدْ احْتَلَمُوا
وَاسْتَوْجِبُوا الْفَرَضَ ، افْرَضْ لَهُمْ يَا فَلَانُ ، لِكَاتِبٍ مِنْ كُتَّابِهِ ، فَفَرَضَ لَهُ .
[نصيب يحدث أنه عشق أمة لبني مدلج]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني جعفر بن عليّ الشُّكْرِيُّ قال حدثني
الرِّيَاشِيُّ عَنِ الْعُتْبِيِّ قَالَ : دَخَلَ نَصِيبٌ عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَقَدْ
طَالَ الْحَدِيثَ بَيْنَهُمَا : هَلْ عَشِيقَتُ قَطُّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أُمَّةٌ لِبْنِي مُدْلِجٍ . قَالَ : فَكُنْتَ تَصْنَعُ
مَاذَا ؟ قَالَ : كَانُوا يَحْرُسُونَهَا مِنِّي ، فَكُنْتُ أَقْنَعُ أَنْ أَرَاهَا فِي الطَّرِيقِ وَأُشِيرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِي أَوْ
حَاجِبِي ، وَفِيهَا أَقُولُ² :
[من الطويل]

وَقَفْتُ لَهَا كَيْمَا تَمُرُّ لَعْنَتِي أَخَالِسُهَا التَّسْلِيمَ إِنْ لَمْ تُسَلِّمْ
وَلَمَّا رَأَيْتَنِي وَالْوَشَاةَ تَحَدَّرْتُ مَدَامُهَا خَوْفًا وَلَمْ تَتَكَلَّمْ
مَسَاكِينُ أَهْلِ الْعِشْقِ مَا كُنْتُ أُشْتَرِي جَمِيعَ حَيَاةِ الْعَاشِقِينَ بِدِرْهِمِ
فَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ : وَيَحْكُ ، فَمَا فَعَلْتَ ؟ قَالَ : بَيْعْتُ فَأَوْلَدَهَا سَيِّدَهَا . قَالَ : فَهَلْ فِي
نَفْسِكَ مِنْهَا شَيْءٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، عَقَابِيلُ أَحْزَانٍ .
[حمل عبد العزيز بن مروان ديناً عن نصيب]

أخبرني الحرَّمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ قَالَ حَدَّثَنِي بُهْلُولُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ قِرْضَابِ الْبَلَوِيِّ : أَنَّ
إِبْلًا لِنَصِيبٍ أَجْدَبَتْ وَحَالَتْ³ ، وَكَانَ لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ . قَالَ :
فَأَخْبَرَنِي أَبِي وَعَمِّي أَنَّهُ وَقَدْ عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ لَهُ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، إِنِّي
حَمَلْتُ دَيْنًا فِي إِبِلٍ ابْتَعْتُهَا مُجْدِبَاتٍ حِيَالٍ ، وَقَدْ قَلْتُ فِيهَا شِعْرًا . قَالَ : أَنْشِدْهُ ، فَأَنْشَدَهُ⁴ :
فَلَمَّا حَمَلْتُ الدَّيْنَ فِيهَا وَأَصْبَحْتُ حِيَالًا مُسْنِنَاتِ الْهَوَى كِدْتُ أَنْدَمُ
عَلَى حِينٍ أَنْ رَأَتْ الرَّبِيعُ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا بِصَعِيدٍ مِنْ تِهَامَةٍ مَقْصَمُ⁵

1 يَبْضَاتِ الْأَنْوَقِ ، لَا تَنَالُ ، وَلِذَلِكَ يَضْرِبُ الْمَثَلُ بِعَزَّتِهَا .

2 ديوان نصيب 131-132 عن الأغاني وغيره .

3 حالت : لم تحمل .

4 ديوان نصيب : 126 عن الأغاني .

5 راث : أبطأ . راث الربيع في ل : راث الزمان .

ثمانيةٌ للأسلميّ وما دنا لفُحشٍ ولا تدنو إلى الفُحشِ أسلمُ
فقال له عبد العزيز : فما دُنُوكَ ويحك ؟ قال : ثمانية آلاف ، فأمر له بثمانية آلاف درهم .
فلما رجع أنشد الأسلميَّ الشعرَ فترك ما له عليه ، وقال : الثمانية الآلاف لك .
[نصيب والنسوة الثلاث]

أخبرني محمد بن مَزيد قال حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْمُوصِلِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ :
أَتَى نُصَيْبٌ مَكَّةَ فَأَتَى الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ لَيْلاً . فبينما هو كذلك إِذْ طَلَعَ ثَلَاثُ نِسْوَةٍ فَجَلَسْنَ قَرِيباً
وَجَعَلْنَ يَتَحَدَّثْنَ وَيَتَذَكَّرْنَ الشَّعْرَ وَالشَّعْرَاءَ ، وَإِذَا هُنَّ مِنْ أَفْصَحِ النِّسَاءِ وَأَدْبِهِنَّ . فقالت
إِحْدَاهُنَّ : قَاتَلَ اللَّهُ جَمِيعاً حَيْثُ يَقُولُ :

وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَتَيْنِ ذَكَرْتُكُمْ بِمُخْتَلَفٍ مَا بَيْنَ سَاعٍ وَمُوجِفٍ
وَعِنْدَ طَوَافِي قَدْ ذَكَرْتُكَ ذُكْرَةً هِيَ الْمَوْتُ بَلْ كَادَتْ عَلَى الْمَوْتِ تَضْعَفُ
فقالت الأخرى : بَلْ قَاتَلَ اللَّهُ كَثِيرَ عَزَّةٍ حَيْثُ يَقُولُ :

طَلَعْنَ عَلَيْنَا بَيْنَ مَرْوَةَ وَالصَّفَا يَمُرْنَ عَلَى الْبَطْحَاءِ مَوَرَّ السَّحَابِ
فَكَيْدُنْ لَعَمْرُ اللَّهِ يُحَدِّثُنْ فِتْنَةً لُمُخْتَشِعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَائِبٍ
فقالت الأخرى : قَاتَلَ اللَّهُ ابْنَ الزَّانِيَةِ نُصَيْباً حَيْثُ يَقُولُ :

الْأُمُّ عَلَى لَيْلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُهَا وَحُرْمَةٍ مَا بَيْنَ الْبَنِيَّةِ وَالسُّتْرِ
لَمِلْتُ عَلَى لَيْلَى بِنَفْسِي مَيْلَةً وَلَوْ كَانَ فِي يَوْمِ التَّحَالُقِ وَالنَّخْرِ
فَقَامَ نُصَيْبٌ إِلَيْهِنَّ فَسَلَّمَ عَلَيْهِنَّ ، فَرَدَدْنَ عَلَيْهِ السَّلَامَ . فقال لهنَّ : إِنِّي رَأَيْتُكُنَّ تَتَحَدَّثْنَ
شَيْئاً عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ . فقلنَّ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فقال : اسْمَعْنَ أَوَّلاً . فقلنَّ : هَاتِ . فَأَنشَدَهُنَّ
قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

وَيَوْمَ ذِي سَلَمٍ شَاقَتْكَ نَائِحَةٌ وَرَقَاءُ فِي فَنَنِ وَالرَّيْحُ تَضْطَرِبُ
فقلنَّ له : نَسَأَلُكَ بِاللَّهِ وَبِحَقِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ ، مَنْ أَنْتَ ؟ فقال : أَنَا ابْنُ الْمَظْلُومَةِ الْمَقْدُوفَةِ بِغَيْرِ جُرْمٍ
«نُصَيْبٌ» . فَقُمْنَ إِلَيْهِ فَسَلَّمْنَ عَلَيْهِ وَرَحَّبْنَ بِهِ ، وَاعْتَذَرَتْ إِلَيْهِ الْقَائِلَةُ ، وَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ
سَوْءاً ، وَإِنَّمَا حَمَلَنِي الْإِسْتِحْسَانُ لِقَوْلِكَ عَلَى مَا سَمِعْتُ . فَضَحِكَ وَجَلَسَ إِلَيْهِنَّ ، فَحَادَثَهُنَّ إِلَى
أَنْ انْصَرَفْنَ .

[8] - أخبار ابن مُحَرَز ونسبه

[نسب ابن محرز]

هو مُسْلِم بن مُحَرَز فيما رَوَى ابْنُ الْمَكِّي ، وَيُكْنَى أبا الْخَطَّاب ، مولى بني عبد الدَّارِ بن قُصَيٍّ . وقال ابن الكلبي : اسمه سَلَمٌ . قال ويقال : اسمه عبد الله . وكان أبوه من سَدَنَةِ الْكَعْبَةِ ، أصله من الْفُرْس ، وكان أصفر أجناً طويلاً .

وأخبرني الْحَرَمِيُّ قال حَدَّثَنَا الزبير قال حَدَّثَنِي أَخِي هَارُون عن عبد الملك بن الماجشون قال : اسمُ ابن مُحَرَز سَلَمٌ ، وهو مولى بني مخزوم . وذكر إسحاق أَنَّهُ كان يسكنُ المدينة مَرَّةً ومَكَّةَ مَرَّةً ، فإذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلَّم الضرب من عزَّة المَيْلَاء ، ثم يرجع إلى مَكَّة فيقيم بها ثلاثة أشهر . ثم يشخص إلى فارس فتعلَّم ألحان الْفُرْس وأخذ غناءهم ، ثم صار إلى الشام فتعلَّم ألحان الرُّوم وأخذ غناءهم ، فأسقط من ذلك ما لا يُستحسن من نَعَم الْفَرِيقَيْن ، وأخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض وألَّف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب ، فأتى بما لم يُسمَع مثله . وكان يقال له صَنَّاج العرب .

[ابن محرز أول من غنى الرمل]

أخبرني عَمِّي قال حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوب المَدِينِي عن حَمَّاد بن إِسْحَاق عن أبيه قال ، قال أبي : أول من غنَّى الرَّمْل ابن محرز وما غنَّى قبله . فقلت له : ولا بالفارسيَّة ؟ قال : ولا بالفارسيَّة ، وأول من غنَّى رَمَلاً بالفارسيَّة سَلَمُكَ في أَيَّام الرشيد ، استحسناً لحناً من ألحان ابن محرز ، فنقل لحنه إلى الفارسيَّة وغنَّى فيه .

[احمول ذكر ابن محرز إلا في الغناء]

قال أبو أيوب وقال إِسْحَاق : كان ابن مُحَرَز قليلَ الْمَلَابَسَةِ للناس ، فَأَحْمَل ذلك ذِكْرَهُ فما يُذكر منه إلا غناؤه ، وأخذتْ أَكْثَرَ غنائه جاريةً كانت لصديق له من أهل مَكَّة كانت تألفه ، فأخذته الناس عنها . ومات بداءً كان به . وسقط إلى فارس فأخذ غناء الْفُرْس ، وإلى الشام فأخذ غناء الرُّوم ، فتخير من نَعَمهم ما تغنى به غناءه . وكان يقدِّم بما يُصبيه فيدفعه إلى صديقه ذاك فيُنْفِقُهُ كيف شاء ، لا يسأله عن شيء منه ، حتى إذا كاد أن ينفد جهَّزَه وأصلح من أمره ، وقال له : إذا شئت فارحل ، فيرحل ثم يعود . فلم يزل كذلك حتى مات .

[ابن محرز أول من غنى بزواج من الشعر]

قال : وهو أول من غنى بزواج من الشعر ، وعمل ذلك بعده المغنون اقتداءً به . وكان يقول : الأفراد لا تيمُّ بها الألمان . وذكر أنه أول ما أخذ الغناء أخذه عن ابن مسجح . قال إسحاق : وكانت العلة التي مات بها الجدّام ، فلم يُعاشِر الخلفاء ولا خالط الناس لأجل ذلك .

قال أبو أيوب قال إسحاق : قديم ابن مُحَرِّز يريد العراق ، فلما نزل القادسيّة لقيّه حنين ، فقال له : كم مَنَتَكَ نفسك من العراق ؟ قال : ألف دينار . قال : فهذه خمسمائة دينار فخذها وانصرف واحلف ألا تعود .

[علو كعبه في صناعة الغناء]

وقال إسحاق : وقلتُ ليونس : مَنْ أحسنُ الناسُ غناءً ؟ قال : ابن محرز . قلت : وكيف قلت ذلك ؟ قال : إن شئتَ فسِرْتُ ، وإن شئتَ أجملتُ . قلت : أجمل . قال : كأنّه خلِقَ من كلّ قلب ؛ فهو يغني لكلّ إنسان بما يشتهي . وهذه الحكاية بعينها قد حُكيَت في ابن سريج ، ولا أدري أيُّهما الحقُّ .

قال إسحاق : وأخبرني الفضل بن يحيى بن خالد أنّه سأل بعض من يُبصر الغناء : مَنْ أحسنُ الناسُ غناءً ؟ فقال : أَمِنْ الرجالِ أم من النساء ؟ فقلت : من الرجال . فقال : ابن مُحَرِّز . فقلت : فمن النساء ؟ فقال : ابن سريج . قال : وكان إسحاق يقول : الفحول ابن سُرَيْج ، ثم ابن مُحَرِّز ، ثم معبد ، ثم الغريض ، ثم مالك .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي حدّثنا بعض أهل المدينة ، وأخبرني بهذا الخبر الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجشون قال : كان ابن محرز أحسنُ الناسُ غناءً ، فمرّ بهند بنت كنانة بن عبد الرحمن بن نضلة بن صفوان بن أمية بن مُحَرَّر الكِنَانيّ حليف قريش ، فسألته أن يجلس لها ولصواحب لها ، ففعل وقال : أغنيكَنّ صوتاً أمرني الحارث بن خالد بن العاص بن هشام أن أغنيه عائشة بنت طلحة بن عبيد الله في شعر له قاله فيها وهو يومئذٍ أمير مَكّة ؟ قلن نعم . فغناهاهنّ :

[من الكامل]

صوت

فَوَدِدْتُ إِذْ شَحَطُوا وَشَطَطَ دَارُهُمْ وَعَدَّتْهُمْ عَنَّا عَوَادٍ تَشْغَلُ
أَنَا نَطَاعُ وَأَنْ تُنْقَلَ أَرْضُنَا أَوْ أَنْ أَرْضَهُمْ إِلَيْنَا تُنْقَلُ

لُتَرَدَّ مِنْ كَتَبِ إِلَيْكَ رَسَائِلِي بِجَوَابِهَا وَيَعُودَ ذَاكَ الْمُرْسَلُ¹
عَرَّوْضُهُ مِنَ الْكَامِلِ الْغَنَاءِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ خَفِيفٌ رَمَلٌ مُطْلَقٌ فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ ، ذَكَرَ
عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّهُ لَا بِنَ مُحَرِّزٌ ، وَذَكَرَ إِسْحَاقُ أَنَّهُ لَا بِنَ سُرَيْجٌ .

[ابن محرز وحنين الحيري]

وَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ الْمَدِينِيُّ فِي خَبَرِهِ : بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ مُحَرِّزٍ لَمَّا شَخَّصَ يَرِيدُ الْعِرَاقَ لَقِيَهُ حُنَيْنٌ
فَقَالَ لَهُ : غَنَّنِي صَوْتًا مِنْ غَنَائِكَ . فَعَنَاهُ :

صوت

وَحُسْنُ الزَّبْرِجَدِ فِي نَظْمِهِ عَلَى وَاضِحِ اللَّيْلِ زَانَ الْعُقُودِ²
يُقَصِّلُ يَاقُوتُهُ دُرَّهُ وَكَالْجَمْرِ أَبْصَرَتْ فِيهِ الْفَرِيدَا

عَرَّوْضُهُ مِنَ الْمُتَقَارِبِ الشَّعْرَ لِعَمْرِ بْنِ أَبِي رِبْعَةَ : وَالْغَنَاءُ لَا بِنَ مُحَرِّزٍ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ
فِي مَجْرَى الْبِنْصَرِ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ حُنَيْنٌ حِينَئِذٍ : كَمْ أُمَلَّتَ مِنَ الْعِرَاقِ ؟ قَالَ : أَلْفَ دِينَارٍ .
فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ فَخُذْهَا وَانْصَرَفْ . وَلَمَّا شَاعَ مَا فَعَلَ لَامَهُ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ ؛
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ دَخَلَ الْعِرَاقَ لَمَّا كَانَ لِي مَعَهُ فِيهِ خَبْزٌ آكَلُهُ ، وَلَا طُرْحَةٌ وَسَقَطَتْ إِلَى آخِرِ
الدَّهْرِ . وَهَذَا الصَّوْتُ أَعْنِي :

وَحُسْنُ الزَّبْرِجَدِ فِي نَظْمِهِ

مِنْ صُدُورِ أَغَانِي ابْنِ مُحَرِّزٍ وَأَوَائِلِهَا وَمَا لَا يَتَعَلَّقُ بِمَذْهَبِهِ فِيهِ وَلَا يَتَشَبَّهُ بِهِ أَحَدٌ . وَمَا يُعْنِي فِيهِ
مِنْ قَصِيدَةٍ نُصِيبُ الَّتِي أَوَّلُهَا :

أَهَاجَ هَوَاكَ الْمَنْزِلُ الْمُتَقَادِمُ

صوت

[من الطويل]

لَقَدْ رَاعَنِي اللَّبَيْنُ نَوْحُ حَمَامَةٍ عَلَى غُصْنٍ بَانٍ جَاوَبَتْهَا حَمَائِمُ
هَوَاتِفُ أَمَّا مَنْ بَكَى فَعَهْدُهُ قَدِيمٌ وَأَمَّا شَجَوْهِنَّ فَدَائِمُ

الْغَنَاءُ لَا بِنَ سُرَيْجٌ مِنْ رِوَايَةِ يُونُسَ وَعَمْرُو وَابْنِ الْمَكِيِّ ، وَهُوَ ثَانِي ثَقِيلٌ بِالْبِنْصَرِ ، وَهُوَ مِنْ
جَيِّدِ الْأَلْحَانِ وَحَسَنِ الْأَغَانِي ، وَهُوَ مِمَّا عَارَضَ ابْنَ سُرَيْجٍ فِيهِ ابْنُ مُحَرِّزٍ وَانْتَصَفَ مِنْهُ .

1 المرسل في ل : الدخيل (وهو الذي يداخل الآخر ويعرف سره) .

2 الليت : صفحة العنق .

ذكر الأصوات التي رواها جحظة عن أصحابه وحكى أنها من الثلاثة المختارة

صوت¹

[من الوافر]

إلى جِيْدَاءٍ قَدْ بَعَثُوا رَسُولاً لِيَحْزَنُهَا فَلَا صُحْبَ الرَّسُولُ
كَأَنَّ الْعَامَ لَيْسَ بِعَامِ حَجٍّ تَغَيَّرَتِ الْمَوَاسِمُ وَالشُّكُولُ
الشَّعْرُ لِلْعَرَجِيِّ ، والغناء لإبراهيم الموصلي ، ولحنه المختار مآخوري بالوسطى ، وهو من
خفيف الثَّقِيلِ الثاني على مذهب إسحاق . وفيه لابن سريج ثاني ثَقِيلٍ بالسَّبَابَةِ في مجرى
الْبِنَصْرِ ، وذكر عمرو بن بانه أَنَّ الْمَآخُورِيَّ لابن سُرَيْج .

1 ديوان العرجي : 190 عن الأغاني .

[9] - أخبار العرجي ونسبه¹

[نسب العرجي من قبل أبويه]

هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس² .
وقد شُرح هذا النسب في نسب أبي قطفة . وأمُّ عفان وجميع بني أبي العاصي آمنه بنت عبد
العزى بن حُرثان بن عوف بن عُبيد بن عُويج بن عدي بن كعب . وأمُّ عثمان أروى بنت
كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأمها البيضاء أم حَكِيم بنت عبد المطلب بن هاشم بن
عبد مناف ، وهي أخت عبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأُمّه
وأبيه ولدا في بطن واحد . وأمُّ عمرو بن عثمان أم أبان بنت جُنْدَب الدَّوسِيَّة .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء والطوسيّ قالا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عليّ بن صالح
عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال حدّثني مُحرز بن جعفر عن أبيه عن
جدّه قال : قدِم جُنْدَب بن عمرو بن حُمّة الدَّوسِيّ المدينة مهاجراً في خلافة عمر بن الخطّاب ،
ثم مضى إلى الشام وخلف ابنته أم أبان عند عمر ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إن وجدت لها كفتاً
فزوجه بها ولو بشراك نعلّه ، وإلا فأمسكها حتى تلحقها بدار قومها بالسّرة³ . فكانت عند عمر ،
واستشهد أبوها ، فكانت تدعو عمر أباهاً ويدعوها ابنته . قال : فإنّ عمر على المنبر يوماً يكلم
الناس في بعض الأمر إذ خطر على قلبه ذكرها ، فقال : من له في الجميلة الحسبية بنت جندب بن
عمرو بن حُمّة ، وليعلم امرؤ من هو ، فقام عثمان فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فقال أنت لعمرك
الله ، كم سقت إليها ؟ قال : كذا وكذا . قال : قد زوجتُكها ، فعجلّه ؛ فإنّها مُعَدّة . قال : ونزل عن
المنبر . فجاء عثمان رضي الله عنه بمهرها ، فأخذه عمر في رذنه⁴ فدخل به عليها ، فقال : يا بُنَيّة ،
مُدّي جِجرك ، ففتحت حجّرها ، فألقى فيه المال ، ثم قال : يا بُنَيّة ، قولي اللهم بارك لي فيه .
فقالت : اللهم بارك لي فيه ، وما هذا يا أبتاه ؟ قال : مهرك . فنفتحت⁵ به وقالت : واسوأناه !
فقال : احتسبي منه لنفسك ووسعي منه لأهلك ، وقال لحفصة : يا ابنتاه ، أصلحي من شأنها

1 راجع عن العرجي : الشعر والشعراء : 478-480 ؛ ونسب فريش للمصعب : 118 . وشرح الأمالي
للبيكري : 422 ؛ والوافي بالوفيات للصفدي : 17 : 384-388 تحقيق دوروتيا كرافولسكي . وتهذيب
التهذيب 5 : 338-339 وخزانة الأدب 1 : 98-99 ؛ ومقدمة ديوانه تحقيق رشيد العبيدي ، بغداد .

2 كذلك هو نسبه في أنساب الأشراف 1/4 : 608 .

3 السراة : سلسلة الجبال المخاذية لتهامة .

4 ل : في يديه .

5 نفتحت به : روته ورمته (أي المال) .

وغيري بَدَنَهَا¹ واصْبَغِي ثوبها ، ففعلت . ثم أرسل بها مع نسوة إلى عثمان . فقال عمر لما فارقتَه :
 إِنَّهَا أمانةٌ في عُنُقِي أُخشى أن تَضِيعَ بيَني وبين عثمان ، فلجِئَهُنَّ فَضْرِبَ على عثمان بابه ، ثم قال :
 خذْ أهلك بارك الله لك فيهم . فدخلت على عثمان ، فأقام عندها مُقاماً طويلاً لا يخرج إلى حاجته .
 فدخل عليه سعيد بن العاص فقال له : يا أبا عبد الله ، لقد أقمتَ عند هذه الدَّوْسِيَّةِ مُقاماً ما كنتَ
 تقيمه عند النساء . فقال : أما إنَّه ما بقيت خَصْلَةٌ كنتُ أُحِبُّ أن تكون في امرأة إلا صادفتُها فيها ما
 خلا خَصْلَةً واحدة . قال : وما هي ؟ قال : إنِّي رجل قد دخلت في السن ، وحاجتي في النساء
 الولد ، وأحسبُها حديثَةً لا ولد فيها اليوم . قال : فتبسَّمت . فلما خرج سعيدٌ من عنده قال لها
 عثمان : ما أضحككِ ؟ قالت : قد سمعتُ قولك في الولد ، وإنِّي لمن نسوة ما دخلت امرأةً منهنَّ
 على سيِّد قطُ فرأت حمراء² حتى تَلِدَ سيِّدٌ من هو منه : قال : فما رأيت حمراء حتى ولدت عمرو بن
 عثمان . وأمُّ عمرو بن عمرو بن عثمان أمُّ وليد . وأمُّ العرجي آمنة بنت عمر بن عثمان ؛ وقال
 إسحاق : بنت سعيد بن عثمان وهي لأُمُّ ولد .

[سبب تلقيه بالعرجي وتشبهه بعمر]

أخبرني الحرَّمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمِّي : أنَّه إنَّما لُقِّبَ
 العرجي لأنَّه كان يسكن عَرَجَ الطائف . وقيل : بل سُمِّيَ بذلك لما كان له ومال عليه بالعرج .
 وكان من شعراء قريش ، ومن شُهر بالغزل منها ، ونحا نحوَ عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبَّه به
 فأجاد . وكان مشغوفاً باللَّهو والصَّيد حريصاً عليهما قليل المحاشاة لأحدٍ فيهما ، ولم يكن له
 نباهة في أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه . وجيِّدٌ التي شَبَّ بها هي أمُّ محمد بن هشام بن
 إسماعيل المخزومي ، وكان ينسبُ بها ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما ؛ فكان ذلك سبب حبس
 محمد إِيَّاه وضربه له ، حتى مات في السجن .

وأخبرني محمد بن مَزِيد إجازةً عن حمَّاد بن إسحاق فذكر أنَّ حمَّاداً حدَّثه عن إسحاق عن
 أبيه عن بعض شيوخه : أنَّ العرجي كان أزرق كَوَسَجاً³ ناتئ الحنجرة ، وكان صاحب غزلٍ
 وفُتُوَّة ، وكان يسكن بَمالٍ له في الطائف يسمَّى العرج ؛ فليل له العرجي ونُسِبَ إلى ماله .
 وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم ، وكان له معه بلاءٌ حسنٌ
 ونفقة كثيرة .

قال إسحاق : قد ذكر عتبة بن إبراهيم اللّهي : أنَّ العرجي فيما بلغه باع أموالاً عظماً

1 البدن : شبه درع على قدر الجسد .

2 حمراء : كناية عن دم الحيض .

3 كوسج : خفيف شعر اللحية .

كانت له وأطعم ثمنها في سبيل الله حتى نفد ذلك كله ، وكان قد اتخذ غلامين ، فإذا كان الليل نصب قدره وقام الغلامان يوقدان ، فإذا نام واحد قام الآخر ، فلا يزالان كذلك حتى يُصباحا ، يقول : لعل طارقاً يطرق .

[العرجي خليفة عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال حدثني مصعب ، وأخبرنا الحرّمي عن الزبير عن عمه مصعب وعن محمد بن الضحّاك بن عثمان عن أبيه قال ، دخل حديث بعضهم في بعض ، وأخبرني محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه عن مصعب قال : كانت حبشية من مولّدات مكّة ظريفة صارت إلى المدينة ، فلما أتاها موت عمر بن أبي ربيعة اشتدّ جزعها وجعلت تبكي وتقول : من لمكة وشعابها وأباطحها ونزهها ووصف نساءها وحسنهنّ وجمالهنّ ووصف ما فيها ؟ فقيل لها : خفّضي عليك ؛ فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضي الله عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه . فقالت : أنشدوني من شعره ، فأنشدوها ؛ فمسحت عينها وضحكت وقالت : الحمد لله الذي لم يضيع حرّمه .

[العرجي وكلاية مولاة عبد الله بن القاسم العلي]

أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب ، وأخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عورك¹ اللهي : أن مولاة لثقيف يقال لها كلابة كانت عند عبد الله بن القاسم الأموي العلي² ، وكان يلُغها تشبيب العرجي بالنساء وذكره لمن في شعره ، وكانت كلابة تُكثر أن تقول : لشدّ ما اجترأ العرجي على نساء قريش حين يذكرهنّ في شعره ؛ ولعمري ما لقي أحداً فيه خير ، ولئن لقيته لأسودن وجهه ! فبلغه ذلك منها . قال إسحاق في خبره : وكان العلي نازلاً على ماء لبني نصر بن معاوية يقال له الفتق على ثلاثة أميال من مكّة على طريق من جاء من نجران أو تبالة إلى مكّة ، والعرج أعلاها قليلاً ممّا يلي الطائف . فبلغ العرجي أنّه خرج إلى مكّة ، فأتى قصره فأطاف به ، فخرجت إليه كلابة وكان خلفها في أهلها ، فصاحت به : إليك ، ويلك ! وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو من القصر . فاستسقاها ماء فأبت أن تسقيه ، وقالت : لا يوجد والله أثرك عندي أبداً فيلصق بي منك شرٌّ . فانصرف وقال : ستعلمين ؛ وقال³ :

[من البسيط]

1 قد تقدّم أنّه الحسن بن عتبة اللهي .

2 نسبة إلى العبلات .

3 هي أول قصيدة في ديوان العرجي ، تحقيق رشيد العبيدي وخضر الطائي .

صوت

حُورٌ بَعَثْنَ رَسُولًا فِي مُلَاطِفَةٍ
إِلَى أَنْ إِيْتَنَا هَذَا إِذَا غَفَلْتُ
فَجِئْتُ أَمْشِي عَلَى هَوْلِ أُجَشِّمُهُ
إِذَا تَخَوَّفْتُ مِنْ شَيْءٍ أَقُولُ لَهُ
أَمْشِي كَمَا حَرَّكَتْ رِيحٌ يَمَانِيَّةً
فِي حُلَّةٍ مِنْ طِرَازِ السُّوسِ مُشْرِبَةً
خَلَّتْ سَبِيلِي كَمَا خَلَّتْ ذَا عُدْرٍ
وَهُنَّ فِي مَجْلِسٍ خَالٍ وَلَيْسَ لَهُ
حَتَّى جَلَسْتُ إِزَاءَ الْبَابِ مَكْتَبَةً
أَبْدَيْنَ لِي أَعْيُنًا نُجَلًّا كَمَا نَظَرْتُ
قَالَتْ كَلَابَةٌ مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ لَهَا
أَنَا امْرُؤٌ جَدُّ بِي حَبٌّ فَأَحْرَضَنِي
لَا تَكْلِينِي إِلَى قَوْمٍ لَوْ أَنَّهُمْ
وَأَعْمِي نِعْمَةً تُجْزَى بِأَحْسَنِهَا
سَرُّ الْمُحِبِّينَ فِي الدُّنْيَا لَعَلَّهُمْ
هَذِي يَمِينِي رَهْنٌ بِالْوَفَاءِ لَكُمْ
قَالَتْ رَضِيتُ وَلَكِنْ جِئْتَ فِي قَمَرٍ

ثَقَفًا إِذَا غَفَلَ النَّسَاءُ الْوَهْمُ¹
أَحْرَاسُنَا وَافْتَضَحْنَا إِنْ هُمْ عَلِمُوا
تَجَشُّمُ الْمَرْءِ هَوْلًا فِي الْهَوَى كَرُمُ
قَدْ جَفَّ فَاْمَضْ بِشَيْءٍ قُدْرَ الْقَلَمِ²
غُصْنًا مِنَ الْبَابِ رَطْبًا طَلَّةَ الدِّيمِ³
تَعْفُو بِهَدَايِهَا مَا أَثَرْتُ قَدَمُ⁴
إِذَا رَأَتْهُ عِتَاقُ الْخَيْلِ يَنْتَجِمُ
عَيْنٌ عَلَيْهِنَّ أَخْشَاهَا وَلَا نَدَمُ⁵
وَطَالِبُ الْحَاجِّ تَحْتَ اللَّيْلِ مُكْتَبِمُ
أَدَمُ هِجَانٍ أَتَاهَا مُصْعَبٌ قَطِمُ⁶
أَنَا الَّذِي أَنْتِ مِنْ أَعْدَائِهِ زَعَمُوا
حَتَّى بَلَيْتُ وَحَتَّى شَفَّنِي السَّقَمُ
مِنْ بُغْضِنَا أَطْعَمُوا لَحْمِي إِذَا طَعَمُوا⁷
فَطَالَمَا مَسَّنِي مِنْ أَهْلِكَ النَّعْمُ
أَنْ يُحَدِّثُوا تَوْبَةً فِيهَا إِذَا أَثْمُوا
فَارَضِي بِهَا وَلَأَنِّفَ الْكَاشِحَ الرَّغْمُ
هَلَّا تَلَبَّثْتُ حَتَّى تَدْخُلَ الظُّلْمُ

- 1 ثَقَفًا : فهما حاذقان ، ورواية الدؤلي : أسقط . النساء في ل : استيقظ ، والنساء : الكثير النسيان .
- 2 الديوان : بما قد قدر (أي قد جف بما قد قدر القلم) .
- 3 الدميم في ل : الرهم .
- 4 السوس : مدينة في خوزستان . مشربة : ملوثة . تعفو : تطمس . ما أثرت قدم في الديوان : ما تندب القدم ، والمراد أن أهداها تطمس آثار الأقدام .
- 5 ولا ندم في الديوان : ولا يرم . ل : ولا قدم .
- 6 أبدين في الديوان : سدن . المصعب : الفحل . القطم : المشتبه للضراب .
- 7 لا تكليني في الديوان : لا تذكريني .

فَبِتُّ أُسْقَى بِأَكْوَاسٍ أَعْلَىٰ بِهَا من باردٍ طابَ منها الطَّعْمُ والنَّسَمُ¹
 حَتَّىٰ بَدَا سَاطِعٌ لِلْفَجْرِ نَحْسُهُ سَنَا حَرِيقٍ بَلِيلٍ حِينَ يَضْطَرُّ²
 كَفَرَةُ الْفَرَسِ الْمُنْسُوبِ قَدْ حُسِرَتْ عنه الْجِلَالُ تَلَالًا وَهُوَ يَلْتَجِمُ²
 وَدَعَتْهُنَّ وَلَا شَيْءٌ يُرَاجِعُنِي إِلَّا الْبَنَانُ وَالْأَعْيُنُ السُّجُمُ³
 إِذَا أَرَدَنْتَ كَلَامِي عِنْدَهُ اعْتَرَضْتُ من دُونِهِ عِبْرَاتٌ فَانْتَشَى الْكَلِمُ³
 تَكَادَ إِذْ رُمِنَ نَهْضًا لِلْقِيَامِ مَعِي أعْجَازُهُنَّ مِنَ الْأَنْصَافِ تَنْقَصُمُ

قال : فسمع ابن القاسم العجلي بالشعر يُغنى به ، وكان العرجي قد أعطاه جماعة من المغنين وسألهم أن يُغنوا فيه ، فصنعوا في أبياتٍ منه عدة الحان ، وقال : والله لا أجد لهذه الأمة شيئاً أبلغ من لإيقاعها تحت التهمة عند ابن القاسم ليقطع ما كَلَّتْها من ماله . قال : فلما سمع العجلي بالشعر يغنى به أخرج كلابةً واتَّهمها ، ثم أرسل بها بعد زمانٍ على بعير بين غرارتِيْ بَعْرٍ ، فأحلفها بمكة بين الرُّكنِ والمقام أنَّ العرجي كَذَبَ فيما قاله . فحلفتُ سبعين يمينا ، فَرَضِيَّ عنها وردَّها . فكان بعد ذلك إذا سمع قولَ العرجي :

فَطَلَمَا مَسَّنِي مِنْ أَهْلِكَ النَّعْمُ

قال : كَذَبَ والله ما مسَّه ذلك قطُّ . وقال إسحاق : وقد قيل : إنَّ صاحبَ هذه القصيدة [والقصة] أبو جراب³ العجلي ، وإنَّ كلابةً كانت أُمَةً لِسُعْدَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ ، وكان العرجي قد خطبها وسُمِّيَتْ به ، ثم خطبها يزيدُ بن عبد الملك أو الوليد بن يزيد فزوَّجته ، فقال العرجي هذا الشعر فيها . غنى في قوله :

أَمْشِي كَمَا حَرَكْتَ رِيحَ يَمَانِيَّةٍ

عليُّ بن هِشَامٍ هَزَجًا مَطْلَقًا بِالْبَنْصَرِ ، وفيه لِلْمَسْدُودِ هَزَجٌ آخِرٌ طُبُورِيٌّ ، ذكر ذلك جَحْظَةُ . وفي :

لَا تَكْلِينِي إِلَى قَوْمٍ لَوَانَهُمْ

رَمَلٌ لابن سريج عن ابن المكي وإسحاق بالسبابة في مجرى الوُسْطَى . وفي « قالت كلابةٌ » والذي بعده لعبيد الله بن أبي غسان لحنٌ من خفيف الرَّمَلِ . ولنبيه في « أنا امرؤ جدبي » وما بعده . هزج بالوُسْطَى ، ولدحمان في « حُورٌ بَعَثْنَ » وما بعده ، هزج بالوُسْطَى ،

1 طاب في ل : لذ . الشطر الثاني في الديوان : أصناف شتى فطاب الطعم والنسم .

2 الفرس في الديوان : الأزهر .

3 ل : جراب .

وروى عنه الهشاميّ فيه ثقيلًا أوّل . ولأبي عيسى ابن المتوكّل في «وأنعمي نعمة» وبيتين بعده ، ثقيل أوّل .

وأخبرني بخبر العرجي وكلاّبة هذه الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمّه مُصعب ، وأخبرني به وكيع عن أبي أيوب المديني عن مُصعب وذكر نحوًا ممّا ذكره إسحاق ؛ وزعمّا أنّ كلاّبة كانت قيّمةً لأبي جراب العبليّ وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر بن عبد شمس .
[أيوب بن مسلمة وأشعب يتذكّران شعراً للعرجي]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال أخبرني مسلمة بن إبراهيم بن هشام قال : كنتُ عند أيّوب بن مسلمة ومعنا أشعب ، فذكر قول العرجي¹ : [من الخفيف]

أين ما قلتُ مُتٌ قبلَكَ أينَا	أين تصديقُ ما وَعَدْتِ إلينا
فلقد خِفْتُ منكُ أنْ تَصْرِمِي الحَبْدَ	لَ وَأَنْ تَجْمَعِي مع الصُّرْمِ بَيْنَا
ما تقولين في فتى هَامَ إذْها	مَ بمن لا ينالُ جهلاً وحينَا
فاجعَلِي بيننا وبينكُ عَدْلًا	لا تَحِيفِي ولا يَحِيفُ علينا
واعْلَمِي أنْ في القضاءِ شُهودًا	أو يميناً فأحْضِرِي شاهِدَنَا
خَلَّتِي لو قَدَرْتُ منكُ على ما	قُلْتِ لي في الخلاءِ حينَ التَّقِينَا
ما تَحَرَّجْتُ من دَمِي عِلْمَ الدِّ	هُ لو كنتُ قد شهدتُ حُتِينَا

قال فقال أيّوب لأشعب : ما تظنُّ أنّها وَعَدَتْه ؟ قال : أخبرك يقيناً لا ظناً أنّها وَعَدَتْه أن تأتيه في شِعْبٍ من شعاب العُرج يوم الجمعة إذا نزل الرجال إلى الطائف للصلاة ، فعرض لها عارض شغلٍ ففقطّعها عن موعده . قال : فمن كان الشاهدان ؟ قال : كُسَيْرٌ وعُوَيْر ، وكلُّ غَيْر خَيْر² : فبنو زيد مولى عائشة بنتِ سعد ، وزور الفرق مولى الأنصار . قال : فمن العدلُ الحَكَم ؟ قال : حُصَيْن بن غُرير الحميري . قال : فما حَكَمَ به ؟ قال : أدَّتْ إليه حقّه وسقطتِ المؤونة عنه . قال : يا أشعبُ ، لقد أَحَكَمْتَ صِنَاعَتَكَ ؛ قال : سلْ علامةً عن علمه .

[شعر العرجي في عاتكة زوجة طريح بن إسماعيل الثقفي]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عورك اللهبيّ قال : قال العرجي في امرأة من بني حبيب (بطنٍ من بني نصر بن معاوية) يقال لها عاتِكة ، وكانت زوجة

1 الأبيات في ديوان العرجي : 194 ، عن الأغاني .

2 هذا مثل .

طَرَجَ بن إسماعيل الثَّقَفِي :

[من الكامل]

يا دارَ عاتِكَة التي بالأزهرِ أو فَوْقَه بقفا الكَثِيبِ الأحمرِ¹
لم أَلَقْ أَهْلَكَ بعدَ عامٍ لِقِيَتَهُم يا لَيْتَ أَنْ لِقَاءَهُم لم يُقَدِّرِ

صوت

[من الكامل]

بفناء بيتك وابنِ مِشْعَبَ حاضرٍ في سامِرِ عَطِرٍ وليلٍ مُقَمِّرِ
مُسْتَشْعِرِينَ مَلَا حِفْأً هَرَوِيَّةً بالزَّعْفَرانِ صِبَاغُهَا والعُصْفَرِ
فَتَلَا زَمًا عندَ الفراقِ صِبَابَةً أَخَذَ الغَرِيمَ بِفَضْلِ ثَوْبِ المُعْسِرِ

الأزهرُ : على ثلاثة أميال من الطائف . وابن مِشْعَبِ الذي عناه مغنٍّ من أهل مكَّة كان في زمن ابنِ سريج . والغناء في هذه الأبيات له رملٌ بالوسطى . قال إسحاق : كان ابن مشعب من أحسن الناس وجهاً وغناءً ، ومات في تلك الأيام ، فأدخلَ الناسُ غنائه في غناء ابن سريج والغريض . قال : وهذا الصوت ينسبه مَنْ لا يعلم إلى ابن مُحَرَّرٍ ، يعني : [من الكامل]

بفناء بيتك وابن مشعب حاضرٌ

[من المنسرح]

قال : وهو الذي غنَّى :

أَقْفَرَ مَمَّنْ يَحُلُّهُ السِّنْدُ فالْمُنْحَنَى فالْعَقِيقُ فالْجُمْدُ
وَيُحْيِي غَدًا إِنْ غَدَا عَلَيَّ بِمَا أَحْذَرُ مِنْ فُرْقَةِ الْحَبِيبِ غَدُ

والناس ينسبونه إلى ابن سريج .

[يوم غاب عذاله]

أخبرني الحرَّميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثنا محمد بن ثابت بن إبراهيم الأنصاري قال حدَّثني ابن مُخَارِق قال : واعدَ العرجيُّ هَوًى له شِعْباً من شِعَابِ عَرَجِ الطائف إذا نزل رجالها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف . فجاءت على أتانٍ لها معها جارية لها ، وجاء العرجيُّ على حمار معه غلام له ؛ فواقع المرأة ، وواقع الغلام الجارية ، ونزا الحمارُ على الأتان . فقال العرجيُّ : هذا يومٌ قد غاب عُدَّالُه .

[ثراء العرجي]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا الكُرَائيُّ قال حدَّثنا النَّضْرُ بن عمرو عن ابن داحَةَ قال : كان العرجيُّ يَسْتَقِي على إبله في شَمَلَتَيْنِ ، ثم يغتسل ويلبس حُلَّتَيْنِ بخمسائة دينارٍ ، ثم يقول : [من الرجز]

يَوْمًا لأصْحَابِي وَيَوْمًا لِلْمَالِ مِدْرَعَةً يَوْمًا وَيَوْمًا سِرْبَالُ

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجاله : أن العرجي كان غازیاً فأصابته الناس مجاعة ، فقال للتجار : أعطوا الناس وعلي ما تعطون ، فلم يزل يُعطيهـم ويُطعم الناس حتى أخصبوا¹ ، فبلغ ذلك عشرين ألف دينار ، فألزمها العرجي نفسه . وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال : بيت المال أحق بهذا ، ففضى التجار ذلك المال من بيت المال . [العرجي وأم الأوقص المخزومي]

أخبرني الحرّمي قال حدثنا الزبير عن عمّه ، وأخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيري وغيره : أن العرجي خرج إلى جنّبات الطائف مُتَنَزِّهاً ، فمرّ ببطن النّقيع فنظر إلى أم الأوقص ، وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي ، وكان يتعرّض لها ، فإذا رآها رمت بنفسها وتسترت منه ، وهي امرأة من بني تميم ، فبصر بها في نسوة جالسة وهنّ يتحدثن ، فعرفها وأحبّ أن يتأمّلها من قرب ، فعدل عنها ولقي أعرابياً من بني نصر على بكرٍ له ومعه وطبا لبن ، فدفع إليه دابته وثيابه وأخذ قعوده ولبنه ولبس ثيابه ، ثم أقبل على النسوة فصحن به : يا أعرابي ، أمعلك لبن ؟ قال نعم ، ومال إليهنّ وجلس يتأمّل أم الأوقص ، وتوآب من معها إلى الوطنين ، وجعل العرجي يلحظها وينظر أحياناً إلى الأرض كأنه يطلب شيئاً وهنّ يشربن من اللبن . فقالت له امرأة منهنّ : أي شيء تطلب يا أعرابي في الأرض ؟ أضاع منك شيء ؟ قال : نعم قلبي . فلما سمعت التميميّة كلامه نظرت إليه وكان أزرق فعرفته ، فقالت : العرجي بن عمر وربّ الكعبة ؛ ووئبت وسترها نساؤها وقلن : انصرف عنا لا حاجة بنا إلى لبنك . فمضى مُنصرفاً ، وقال في ذلك² :

أقول لصاحبي ومثل ما بي	شكاه المرء ذو الوجد الأليم
إلى الأخوين مثلهما إذا ما	تأوبه مؤرقة الهموم
لحيني والبلاء لقيت ظهراً	بأعلى النقع أخت بني تميم
فلما أن رأيت عيناها منها	أسيل الخد في خلقي غميم
وعيني جودر خرق ونغراً	كلون الأفحوان وجيد ريم ³
حنا أترأبها دوني عليها	حنو العائدات على السقيم

1 أخصبوا في ل : أخصي .

2 ديوان العرجي : 97-100 .

3 خرق : مفرع .

قال إسحاق في خبره : فقال رجل من بني جُمَحَ يقال له ابنُ عامر للأوقص وقضى عليه بقضية فتظلم منه : والله لو كنتُ أنا عبدَ الله بن عمر العرجي لكنتُ قد أسرفتُ علي . فضربه الأوقص سبعين سوطاً .

[أبو السائب المخزومي وشعر العرجي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال : أتاني أبو السائب المخزومي ليلةً بعدما رقدَ السامرُ فأشرفتُ عليه . فقال : سَهَرْتُ وذَكَرْتُ أحياناً لي أستمعُ به ، فلم أجد سواك . فلو مضينا إلى العقيق فتناشدنا وتحدّثنا ! فمضينا ، فأنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي¹ :

باتا بأنعم ليلةٍ حتى بدا صُبْحُ تَلَوِّحٍ كالأغرّ الأشقرِّ
فتلازما عندَ الفراقِ صبايةً أخذَ الغريمَ بفضلِ ثوبِ المعسرِ
فقال : أعده عليّ ، فأعدته . فقال : أحسنَ والله ! امرأته طالقٌ إن نطقَ بحرفٍ غيره حتى يرجعَ إلى بيته . قال : فلقينا عبدَ الله بن حسن بن حسن ، فلما صرنا إليه وقف بنا وهو مُنصرِفٌ من ماله يريد المدينة ، فسلمَ ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عندَ الفراقِ صبايةً أخذَ الغريمَ بفضلِ ثوبِ المعسرِ
فالتفت إليّ فقال : متى أنكرتَ صاحبك ؟ فقلت : منذُ الليلة . فقال : إنا لله ! وإيُّ كهلٍ أصيبتُ منه قریشٌ ! ثم مضينا ، فلقينا محمد بن عمران التيمي قاضي المدينة يريد مالاً له على بغلةٍ له ومعه غلامٌ على عنقه مِخلَاةٍ فيها قيد البغلة ، فسلمَ ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازما عندَ الفراقِ صبايةً أخذَ الغريمَ بفضلِ ثوبِ المعسرِ
فالتفت إليّ فقال : متى أنكرتَ صاحبك ؟ قلتُ : آتفاً . فلما أراد المضي قلتُ : أفندعه هكذا ؟ والله ما آمنُ أن يتهورَ في بعض آبارِ العقيق ؛ قال : صدقت ، يا غلام ، قيدَ البغلة ، فأخذ القيد فوضعه في رجله وهو ينشد البيت ويُشير بيده إليه يُري أنه يفهم عنه قصته . ثم نزل الشيخ وقال لغلامه : يا غلام ، احمله على بغلتي وألحقه بأهله . فلما كان بحيث علمتُ أنه قد فاته أخبرته بخبره ، فقال : قَبَحَكَ اللهُ ماجناً ؛ فضحّت شيخاً من قریش وغرّرتني .

[ابن أبي عتيق وشعر العرجي]

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عروة بن عبد الله بن

1 ديوان العرجي : 178 .

عروة بن الزبير عن عروة بن أذينة قال : أنشد ابن جُنْدَبٍ الهذليّ ابن أبي عتيق قول العرجي¹ :

وما أنسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولها لخدامها قومي أسألي لي عن الوترِ
فقلت يقول الناسُ في سِتِّ عَشْرَةَ فلا تعجلي منه فإنك في أجرِ
فما ليلةٌ عندي وإن قيل جمعةٌ ولا ليلةٌ الأضحى ولا ليلةُ الفطرِ
بعادلةِ الإثنين عندي وبالحرى يكونُ سواءٍ منهما ليلةُ القدرِ
فقال ابن أبي عتيق : أشهدكم أنها حرّةٌ من مالي إن أجازَ ذلك أهلها ، هذه والله أفقه من ابن شهاب .

[شعر العرجي في زوجته أم عثمان بنت بكر بن عمرو بن عثمان]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : تزوّج العرجيّ أم عثمان بنت بُكَيْر بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وأمّها سَكِينَة بنت مصعب بن الزبير ، فقال فيها² :

إنَّ عثمانَ والزُّبَيْرَ أحلاً دارها باليفاعِ إذ ولّداها
إنّها بنتُ كلِّ أبيضَ قَرَمٍ نال في المجد من قُصَيٍّ ذراها
سَكَنَ الناسُ بالطَّوَاهِرِ منها وتبوّأ لنفسه بطحاهها
قال إسحاق : ولما تزوّج الرشيدُ زوجته العُثمانيّة أعجّب بها . فكان كثيراً ما يتمثّل بهذه الأبيات .

[العرجي وأبو عدي العيلي]

أخبرني محمد بن مزيّد قال حدثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : حَدَّثْتُ أَنَّ أبا عَدِيّ العَبْلِيّ خرج يريد وادياً نحو الطائف يقال له جِلْدان ، فمرّ بعبد الله بن عمر العرجيّ وهو نازلٌ هناك بوادٍ يقال له العَرَجُ ، فأرسل إليه غلاماً له فأعلمه بمكانه ، فأتاه الغلام فقال له : هذا أبو عديّ ، فأمر أن يُنزله في مسجد الخيف ، فأنزله وأبطأ عليه في الخروج . فقال للغلام : وَيَحْكُ ؛ ما يحبسُ مولاك ؟ قال : عنده ابن ورّدان مولى معاوية ، وهما يأكلان القَسْبَ والجلجلان³ . ثم بعث إليه بخُبْزٍ ولبن ، وبعث لرواحله بَحْمُضٍ ، وقَدَّمَ إلى رواحل ابن وردان

1 ديوان العرجي : 178 ، عن الأغاني .

2 ديوانه : 52 . وأوّل القصيدة ص 50 والترتيب مختلف .

3 القسب : النمر اليابس ؛ الجلجلان : السمسم .

الْقَتَّ¹ والشَّعِير . فكتب إليه أبو عديّ :

[من الطويل]

أبا عُمَرٍ لَمْ تُنْزِلِ الرِّكْبَ إِذْ أَتَوْا
رَفَعْتَ لِأَمِّ النَّاسِ فَوْقَ كَرَامِهِمْ
فَأَمَّا بَعِيرَانَا فَبِالْحُمُضِ غُذِّيَا

فكتب إليه العرجي² :

[من الطويل]

أَتَانَا فَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ
كَرَايَةِ يَنْطَارٍ بِأَعْلَى حَدِيدَةٍ
أَتَانَا عَلَى سَعْبٍ يُعَرِّضُ بِالْقِرَى
قَالَ : فَارْتَحِلْ أَبُو عَدِيٍّ مُغَضَّبًا وَقَالَ : مَزَحْتُ مَعَهُ فَهَجَانِي ، وَأَنْشَأُ يَقُولُ فِي

العرجي :

[من الطويل]

سَرَتْ نَاقَتِي حَتَّى إِذَا مَلَّتِ السَّرَى
طَوَّاهَا الْكَرَى بَعْدَ السَّرَى بِمُعَرَّسٍ
وَهَمَّتْ بِتَعْرِيسٍ فَحَلَّتْ قِيُودَهَا
تَمَطَّطَى قَلِيلًا ثُمَّ جَاءَ بِصَرْبَةٍ
فَقُلْتُ لَهُ أُرْدُدْ قِرَاكَ مُذَمَّمًا
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا خَيْرَنَا عِنْدَ بَيْتِهِ
لَقَدْ عَلِمْتَ فَهَرٌّ بِأَنْكَ شَرُّهَا
وَتَلَبَّسَ لِلجَارَاتِ إِتْبَاءً وَمُنْزَرًا
يُدْخَنُ بِالْعُودِ الْيَلَنْجُوجِ مَرَّةً
فَإِنْ قُلْتَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَالِدِي

وَعَارَضَهَا عَرَجُ الْجَبَانَةِ وَالْخِصْبِ³
جَدِيبٍ وَشَيْخٍ بَسَّ مُسْتَعْرِضُ الرِّكْبِ
إِلَى رَجُلٍ بِالْعَرَجِ الْأَمِّ مِنْ كَلْبٍ
وَقَرَّضَ شَعِيرٍ مِثْلَ كِرْكِرَةِ السَّقْبِ⁴
فَلَسْتُ إِلَيْهِ بِالْفَقِيرِ وَلَا صَحْبِي
وَأَنْحَرْنَا لِلْكُومِ فِي الْيَوْمِ ذِي السَّعْبِ
وَأَكَلُ فَهْرٍ لِلخَبِيثِ مِنَ الْكَسْبِ
وَمِرْطًا فَبَسَّ الشَّيْخُ يَرْفُلُ فِي الْإِتْبِ⁵
وَبِالضَّرْوِ وَالسُّودَاءِ وَالْمَائِعِ الرُّطْبِ⁶
فَقَدْ كَانَ عَثْمَانُ بَرِيئًا مِنَ الْوَشْبِ⁷

1 القَت : ضرب من علف الدواب ، وهو القضب أيضاً .

2 ديوان العرجي : 175-176 ، عن الأغاني .

3 ل : الخيانة .

4 صربة : لبن في سقاء . الكركرة : زور البعير ؛ والسقْب : ولد الناقة .

5 الاتب : ثوب لا جيب له ولا كمين .

6 يُدْخَنُ فِي ل : ييخر . الضرو : شجر طيب الريح . السوداء : الحية السوداء . والمائع الرطب : نوع من الطيب .

7 الوشب والوشب بمعنى .

وَقَدْ مَأْ يَجِيءُ الْحَيُّ بِالنَّسْلِ مَيِّتاً وَيَأْتِي كَرِيمُ النَّاسِ بِالْوَكْلِ الثَّلْبِ¹
 لَهُ لِحْيَةٌ قَدْ مَزَّقَتْ فَكَأَنَّهَا مِقْمَةٌ حَشَّاشٍ مُحَالِفَةُ الْعُشْبِ²
 فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْعَرَجِيُّ أَتَى عَمَّهُ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَبْلِيَّ فَشَقَّ قَمِيصَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَشَكَاهُ
 إِلَيْهِ . فَبَعَثَ إِلَى أَبِي عَدِيٍّ فَنَهَاهُ عَنْهُ وَقَالَ : لَنْ عُدْتَ لَا كَلَمَتِكَ أَبَدًا ، فَكَفَّ عَنْهُ .
 [كان العرجي من أفرس الناس وأرماهم وأبراهم لسهم]

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن سليمان بن عثمان بن يسار :
 رجلي من أهل مكة وكان هيباً أديباً قال : كان للعرجي حائطٌ يقال له العُرج في وسط بلاد بني
 نصر بن معاوية ، فكانت إبلهم وغنمهم تدخل فيه فيعقر كل ما دخل منها ، فكانت تضر به
 ويضر بأهلها ويشكونه ويشكوهم . وكان من أفرس الناس وأرماهم وأبراهم لسهم ، فكان ربما
 يرى مائة سهم من الرمان ، ثم يقول : والله لا أنقلب حتى أقتل بها مائة خلفة³ من إبل بني نصر ،
 فيفعل ذلك .
 [حبس العرجي]

قال إسحاق : فحدثني ابن غُرَيْر قال : لما حُسِبَ العرجي وضرب وأقيم على البُلُس⁴
 قال :

مَعِيَ ابْنُ غُرَيْرٍ وَاقِفًا فِي عَبَاءَةٍ لَعَمْرِي لَقَدْ قَرَّتْ عُيُونُ بَنِي نَصْرِ
 فَقَالَ فَتَى مِنْ بَنِي نَصْرِ يُجْبِيهِ ، وَكَانَ حَاضِرًا لَضَرْبِهِ وَإِقَامَتِهِ :
 أَجَلٌ قَدْ أَقَرَّ اللَّهُ فِيكَ عُيُونَنَا فَبَسَّ الْفَتَى وَالْجَارُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
 وَقَالَ إِسْحَاقُ فِي خَبَرِهِ : قَالَ رَجُلٌ لِلْعَرَجِيِّ : جِئْتُكَ أَخْطُبُ إِلَيْكَ مَوْدَتَكَ . قَالَ : بَلْ
 خُذْهَا زِنًا ؛ فَإِنَّهَا أَحْلَى وَالذَّ !

[تمثل امرأة بشعر العرجي عند لومها على الرفث في الحج]

أخبرني محمد بن خلفٍ وَكَيْعٌ قال حدثنا إسماعيل بن مَجْمَعٍ عن المدائني عن عبد الله بن سلم
 قال : قال عبد الله بن عمر العُمري : خَرَجْتُ حَاجًّا ، فَرَأَيْتُ امْرَأَةً جَمِيلَةً تَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ أَرَفَنْتُ فِيهِ ،
 فَأَدْنَيْتُ نَاقَتِي مِنْهَا ، ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : يَا أَمَةَ اللَّهِ ، أَلَسْتَ حَاجَّةً ! أَمَا تَخَافِينَ اللَّهَ ؟ فَسَفَرْتُ عَنْ وَجْهِ يَبْهَرِ
 الشَّمْسِ حُسْنًا ، ثُمَّ قَالَتْ : تَأْمَلُ يَا عَمُّ ؟ فَإِنِّي مِمَّنْ عَنَّا الْعَرَجِيُّ بِقَوْلِهِ⁵ :
 [من الطويل]

1 الوكل : الضعيف العاجز ؛ الثلب : ذو العيب .

2 العشب في ل : القشب .

3 الناقة الخلفة : الحامل .

4 البلس : المسوح تعباً بالتين .

5 ديوان العرجي : 74 .

صوت

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وأذنت على الخدين بُرداً مُهلَها
من اللاء لم يَحْجُجْنَ يَغِين حِسْبَةً وَلَكِنْ لِيَقْتُلَنَّ الْبَرِيءَ الْمُغْفَلَا

قال فقلتُ لها : فَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا يُعَذِّبَ هَذَا الْوَجْهَ بِالنَّارِ . قال : وَبَلَغَ ذَلِكَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ بَعْضِ بُغْضَاءِ الْعِرَاقِ لَقَالَ لَهَا : أَعْزَبِي قَبْحَكَ اللَّهُ ؛ وَلَكِنَّهُ ظَرَفُ عُبَادِ أَهْلِ الْحِجَازِ . وَقَدْ رُوِيَ هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَنْ أَبِي حَازِمٍ الْأَعْرَجِ وَهُوَ سَلَمَةُ بْنُ دِينَارٍ ، وَقَدْ رَوَى أَبُو حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَسَهْلٍ بْنِ سَعْدٍ وَغَيْرَهُمَا ، وَرَوَى عَنْهُ مَالِكٌ وَابْنُ أَبِي ذَنْبٍ . وَالْحِكَايَةُ عَنْهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَصَحُّ مِنْهَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْعُمَرِيِّ ، حَدَّثَنَا بِهِذَا وَكَيْعٌ . وَالْغَنَاءُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لِعَرَارِ الْمَكِّيِّ ثَانِي ثَقِيلٍ . وَفِيهِ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ لِمَعْبِدٍ ، وَفِيهَا لَعِبُ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيِّ ثَقِيلٌ أَوَّلٌ ، وَيُقَالُ إِنَّ خَفِيفَ الثَّقِيلِ لَابْنُ سُرَيْجٍ ، وَيُقَالُ لِلْغَرِيضِ .

[غناء عبد الله بن العباس الربيعي في شعر العرجي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو توبة قال : قال عبد الله بن العباس : دُعَانِي الْمُتَوَكَّلُ ، فَلَمَّا جَلَسْتُ مَجْلِسَ الْمُنَادِمَةِ قَالَ لِي : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، تَغَنَّ فَغَنَيْتُهُ فِي شَعْرِ مَدْحَتِهِ بِهِ ؛ فَقَالَ : أَيْنَ هَذَا مِنْ غَنَائِكَ فِي : [من الطويل]

أماطت كساء الخز عن حر وجهها

ومن صنعتك في : [من المنسرح]

أَقْفَرُ مِمَّنْ يَحُلُّهُ سَرَفُ

[هجاء العرجي محمد بن هشام وتشبيهه بأمه]

فقلتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ صَنْعَتِي حِينُئِذٍ كَانَتْ وَأَنَا شَابٌّ عَاشِقٌ ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتُ رَدَّ شَبَابِي وَعِشْقِي صَنَعْتُ مِثْلَ تِلْكَ الصَّنْعَةِ . فَقَالَ هِيَهَاتَ ، وَقَدْ لَعَمْرِي صَدَقْتَ ، وَوَصَلَنِي . وَالْأَبْيَاتُ الَّتِي فِيهَا الْغَنَاءُ الْمَذْكُورُ مِنْ شَعْرِ الْعَرْجِيِّ يَقُولُهُ فِي جِدَاءٍ أُمُّ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْمَخْزُومِيِّ ، وَكَانَ يَهْجُوهُ وَيَشَبُّ بِأُمِّهِ وَبِأَمْرَأَتِهِ ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ تَيَّاهًا شَدِيدَ الْكِبَرِ جَبَّارًا ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَطَلَّبُ عَلَيْهِ الْعِلَلَ حَتَّى حَبَسَهُ وَقَيَّدَهُ بَعْدَ أَنْ ضَرَبَهُ بِالسَّوْطِ وَأَقَامَهُ عَلَى الْبُلْسِ لِلنَّاسِ . وَاخْتَلَفَ الرُّوَاةُ فِي السَّبَبِ الَّذِي أُعْتَلَّ بِهِ عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي رِوَايَاتِهِمْ .

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبَيَّ قَالَا حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ ، وَأَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ أَخْبَرَنَا الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَمِّي مُصْعَبٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ الضَّحَّاكِ الْحَزَامِيُّ عَنْ الضَّحَّاكِ ابْنِ عُثْمَانَ ، وَذَكَرَهُ

حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية ، ونسخته أيضاً من رواية محمد بن حبيب ، قالوا :
كان محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك ، فلما وليّ الخلافة ولّاه مكة ، وكتب إليه أن يحجّ
بالناس ، فهجاه العرجي بأشعار كثيرة .

منها قوله فيه :

كَأَنَّ الْعَامَ لَيْسَ بِعَامِ حَجٍّ تَغَيَّرَتِ الْمَوَاسِمُ وَالشُّكُوكُ
إِلَى جَيْدَاءٍ قَدْ بَعَثُوا رَسُولًا لِيُخْبِرَهَا فَلَا صُحْبَ الرَّسُولُ
ويروى : «ليحزنها» وهكذا يغنى .

ومنها قوله¹ :

أَلَا قُلْ لِمَنْ أَمْسَى بِمَكَّةَ قَاطِنًا وَمِنْ جَاءَ مِنْ عَمَقٍ وَنَقَبِ الْمُشَلَّلِ²
دَعُوا الْحَجَّ لَا تَسْتَهْلِكُوا نَفَقَاتِكُمْ فَمَا حَجُّ هَذَا الْعَامِ بِالْمُتَقَبَّلِ
وَكَيْفَ يُزَكِّي حَجٌّ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِمَامٌ لَدَى تَجْمِيرِهِ غَيْرُ دُلْدُلِ³
يَظَلُّ يُرَائِي بِالصَّيَامِ نَهَارَهُ وَيَلْبَسُ فِي الظَّلْمَاءِ سِمْطِي قَرْنُفَلِ

فلم يزل محمد يطلب عليه العلل حتى وجدها فحبسه .

قال الزبير في خبره عن عمه ومحمد بن الضحّاك ، وقال إسحاق في خبره عن أيوب بن
عبّاية : كان العرجي يشبّ بأُمّ محمد بن هشام ، وهي من بني الحارث بن كعب ، ويقال لها
جَيْدَاءُ⁴ :

صوت

عُوجِي عَلَيْنَا رِبَّةَ الْهُودَجِ إِنَّكَ إِنْ لَا تَفْعَلِي تَحْرَجِي
إِنِّي أُتِيحْتُ لِي يَمَانِيَّةٌ إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْحِجِ
نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ مَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنْهَجِ
فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مَنَى وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجِ
أَيْسَرُ مَا نَالَ مُجِبُّ لَدَى يَبْنِي حَبِيبٍ قَوْلُهُ عَرَجِ

1 ديوان العرجي : 189 (عن الأغاني) .

2 عمق : من أودية الطائف . والمشلل : جبل .

3 الدلدل : شبيهه بالقنفذ .

4 ديوان العرجي : 17-20 .

نَقَضَ إِلَيْكُمْ حَاجَةً أَوْ نُقِلَ هَلْ لِي مِمَّا بِي مِنْ مَخْرَجٍ
قال إسحاق في خبره : فحدثني حمزة بن عتبة اللّهيّ قال : أنشد عطاء بن أبي رباح قول
العرجي :

فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجْ
فقال : الخير والله كلّه بمنّي وأهله حجّت أو لم تحجّ . قال : ولقيّ ابن سريج عطاء وهو
راكب بمنّي على بغلته ، فقال له : سألتك بالله إلّا وقفت لي حتى أسمعك شيئاً . قال :
وَيَحْكُ ؛ دَعْنِي فَإِنِّي عَجَلٌ . قال : امرأته طالق لئن لم تقف مختاراً للوقوف لأُسيكنَ بلجام
بغلتيك ثم لا أفارقها ولو قُطِعتْ يدي حتى أُغنيك وأرفع صوتي لا أسره . قال : هات
وعجّل ؛ فغناه :

فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجْ
فقال : الخير كلّهُ والله بمنّي ، لا سيّما وقد غيّبها الله عن مشاعره ، خلّ سبيل البغلة .
أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا إبراهيم بن المنذر
قال حدثني حمزة بن عتبة اللّهيّ عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال : كنت مع عطاء بن
أبي رباح فجاءه رجلٌ فأنشده قول العرجي :

إِنِّي أُتِيحْتُ لِي يَمَانِيَّةٌ إِحْدَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَذْحِجٍ
نَلَبْتُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنْهَجٍ
فِي الْحَجِّ إِنْ حَجَّتْ وَمَاذَا مِنِّي وَأَهْلُهُ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجُجْ

فقال عطاء : خيرٌ كثيرٌ بمنّي إذ غيّبها الله عن مشاعره .

[نُشِيبُهُ بِجَبْرَةِ الْمَخْزُومِيَةِ زَوْجَةِ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامٍ]

قال : وقال في زوجته جَبْرَةَ الْمَخْزُومِيَةِ (يعني زوجة محمد بن هشام) ¹ :

[من الكامل]

صوت

عُوجِي عَلَيَّ فَسَلِّمِي جَبْرَ فِيمَ الصَّدُودُ وَأَنْتُمْ سَفَرُ
مَا نَلْتَقِي إِلَّا ثَلَاثَ مِنِّي حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَنَا النَّفَرُ
الْحَوْلُ بَعْدَ الْحَوْلِ يَتْبَعُهُ مَا الدَّهْرُ إِلَّا الْحَوْلُ وَالشَّهْرُ

قال حماد بن إسحاق في خبره : حدثني ابن أبي الحُوَيْرِثِ الثَّقَفِيُّ عن ابن عمّ لعمارة بن

حمزة قال حدثنا سليمان¹ الخشَّاب عن داود المكي قال : كنّا في حلقة ابن جُريج وهو يحدثنا وعنده جماعة فيهم عبد الله بن المبارك وعدّة من العراقيين ، إذ مرّ به ابنُ تيزن المغني وقد ائترز بمئزر على صدره ، وهي إزرة الشُّطَار عندنا ، فدعاه ابن جُريج فقال له : أحبُّ أن تُسمِعني . قال : إني مستعجلٌ ، فألح عليه ؛ فقال : امرأته طالقٌ إن غنّاك أكثر من ثلاثة أصوات . فقال له : ويحك ، ما أعجلك إلى اليمين ! غنني الصوت الذي غنّاه ابن سُريج في اليوم الثاني من أيام منى على جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ فقطع طريق الذاهب والجائي حت تكسّرت الحاملُ . فغنّاه : [من الكامل]

عُوجي عليّ فسلمّي جبرُّ

فقال له ابن جُريج : أحسنت والله ، (ثلاث مرات) ، ويحك ، أعده . قال : من الثلاثة فأني قد حلفتُ . قال : أعده ، فأعاده . فقال : أحسنت ؛ فأعده من الثلاثة ، فأعاده وقام ومضى ، وقال : لولا مكان هؤلاء الثُقلاء عندك لأطلتُ معك حتى تقضيَ وطرك . فالتفت ابن جُريج إلى أصحابه فقال : لعلكم أنكرتم ما فعلتُ ، فقالوا : إنا لننكره عندنا بالعراق ونكرهه . قال : فما تقولون في الرّجز ؟ (يعني الحُداء) . قالوا : لا بأس به عندنا . قال : فما الفرق بينه وبين الغناء ؟!

[اضطلعان محمد بن هشام حبس العرجي حتى مات .]

قال إسحاق في خبره : بلغني أنّ محمد بن هشام كان يقول لأُمّه جيّداء [بنت عفيف] : أنت غَضَضْتِ مني بآنك أُمّي ، وأهلكيني وقتلتيني . فتقول له : ويحك ، وكيف ذاك ؟ قال : لو كانت أُمّي من قريش ما ولىّ الخلافة غيري . قالوا : فلم يزل محمد بن هشام مضطغناً على العرجي من هذه الأشعار التي يقولها فيه ومتطلباً سبيلاً عليه حتى وجده فيه ، فأخذه وقبّده وضربه وأقامه للناس ، ثم حبسه وأقسَم : لا يخرج من الحبس ما دام لي سلطانٌ . فمكث في حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات فيه .

[روايات أخرى في سبب الخصومة بين محمد بن هشام والعرجي .]

وذكر إسحاق في خبره عن أيّوب بن عباية ووافقه عمر بن شبّة ومحمد بن حبيب : أنّ السبب في ذلك أنّ العرجي لآحي مولى كان لأبيه فأمصّه العرجي ، فأجابه المولى بمثل ما قاله له . فأملهه حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده فهجم عليه في منزله وأخذه وأوثقه كفافاً ، ثم أمر عبيده أن ينكحوا امرأته بين يديه ففعلوا ، ثم قتله وأحرقه بالنار . فاستعدت امرأته على العرجي محمد بن هشام فحبسه .

وذكر الزبير في خبره عن الضحّاك بن عثمان : أن العرجي كان وكلّ بحرمه مولى له يقوم مقامه بأمورهنّ ، فبلغه أنّه يخالف إليهنّ ، فلم يزل يرصّده حتى وجده يحدث بعضهنّ ، فقتله وأحرقه بالنار . فاستعدت عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزومي وكان والياً على مكة في خلافة هشام ، وكان العرجي قد هجاه قبل ذلك هجاء كثيراً لما ولّاه هشام الحجّ فأحفظه . فلما وجد عليه سيلاً ضربه وأقامه على البُلس للناس ، وسجنه حتى مات في سجنه .

وذكر الزبير أيضاً في خبره عن عمّه وغيره أن أشعب كان حاضراً للعرجي وهو يشتم مولاه هذا ، وأنّه طال شتمه إياه . فلما أكثر ردّ المولى عليه ، فاختلف من ذلك ، فقال لأشعب : أشهد على ما سمعت . قال أشعب : وعلام أشهد ؟ قد شتمته ألفاً وشتّمك واحدة ، والله لو أن أمك أم الكتاب ، وأمّه حمالة الحطب ما زاد على هذا .

[تعذيب محمد بن هشام للعرجي]

قال الزبير وحديثي حمزة بن عتبة اللّهيّ قال : لما أخذ محمد بن هشام المخزومي العرجي أخذه وأخذ معه الحصين بن غرير الحميريّ ، فجلدهما ، وصبّ على رؤوسهما الزيت ، وأقامهما في الشمس على البُلس في الخناطين¹ بمكة ؛ فجعل العرجي يُنشد : [من الوافر]

سينصُرني الخليفةُ بعد ربّي ويغضب حين يُخبر عن مساقبي
عليّ عباءةٌ بَلقاءٍ ليستُ مع البلوى تُغيبُ نصفَ ساقبي
وتغضب لي بأجمعها فُصيّ قَطِينُ البيتِ والدُّمُ الرِّقاقِ

ثم يصيح : يا غرير أجباد ، يا غرير أجباد ، فيقول له الحميريّ المجلود معه : ألا تدعنا ، ألا ترى ما نحن فيه من البلاء ؟ يعني بقوله : يا غرير ، الحصين بن غرير الحميريّ المجلود معه ، وكان صديقاً وخلِيطاً . وذكر إسحاق تمام هذه الأبيات وأولها² : [من الوافر]

وكم من كاعِبٍ حوراءٍ بكرٍ ألوف السّترِ واضحة التّراقي
بكت جَزَعاً وقد سُمِرتُ كُبُولٌ وجامعةٌ يُشدُّ بها خِنَاقِي³
على دَهْماءٍ مُشْرِفةٍ سَمُوقٍ ثناها القَمَحُ مَرَلَقَة المراقي⁴
عليّ عباءةٌ بَلقاءٍ ليستُ مع البلوى تُغيبُ نصفَ ساقبي

1 الخناطون : باعة الخطّة ، وقوله في الخناطين يعني السوق الخاصة بهم .

2 ديوان العرجي : 135-137 .

3 الجامعة : الغلّ .

4 ثناها في الديوان : بناها . المراقي في ل : البراق .

كَأَنَّ عَلَى الْخُدُودِ وَهْنَ شُعْتُ سِجَالُ الْمَاءِ يُبْعَثُ فِي السَّوَاقي
فَقُلْتُ تَجَلَّدًا وَحَلَفْتُ صَبْرًا أَبَالِي الْيَوْمَ مَا دَفَعْتُ مَاقِي
سَيَنْصُرُنِي الْخَلِيفَةُ بَعْدَ رَبِّي وَيَغْضَبُ حِينَ يُخْبِرُ عَنْ مَسَاقِي
وَتَغْضَبُ لِي بِأَجْمَعِهَا فُصَيٌّ قَطِينُ الْبَيْتِ وَالْدُمَثُ الرِّقَاقِ
بِمُجْتَمَعِ السُّيُولِ إِذَا تَنَحَّى لِغَامِ النَّاسِ فِي الشَّعْبِ الْعِمَاقِ

قال : فكان إذا أنشد هذا البيت التفت إلى ابن غرير فصاح به : يا غرير أجباد ، يا غرير أجباد ، يعني بني مخزوم ، وكانت منازلهم في أجباد ، فغيرهم بأنهم ليسوا من أهل الأبطح .
وقال الزبير في خبره ووافقه إسحاق فذكر أن رجلاً مرَّ بالعرجي وهو واقف على البُلس ومعه ابن غرير وقد جُلدا وحلَّقا وصبَّ الزيت على رؤوسهما والبسا عباءتين واجتمع الناس ينظرون إليهما . قال : وكان الرجل صديقاً للعرجي ، وكان فأفأء ، فوقف عليه فأراد أن يتوجَّع لما ناله ويدعو له ، فلجلج لما كان في لسانه كما يفعلُ الفأفأء . فقال له ابن غرير : عني ، لا أخرجت من فيك أبداً ! فقال له الرجل : فمكانك إذا لا برحت منه أبداً .

قال : ومرَّ به صبيان يلقطون النوى ، فوقفوا ينظرون إليه ، فالتفت إلى ابن غرير وقال له : ما أعرف في الدنيا سَخْلِينَ أشأمَ مني ومنك ! إن هؤلاء الصبيان لأهلهم عليهم في كل يوم على كل واحدٍ منهم مُدُّ نَوَى ؛ فقد تركوا لِقْطَهُم للنوى ، وقد وقفوا ينظرون إليّ وإليك وينصرفون بغير شيء فيضربون ، فيكونُ شؤمنا قد لحقهم .

قال : وقال العرجي في حبسه¹ :

صوت

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ليوم كَرِهَةٍ وَسِدَادٍ ثَغْرٍ
وصبر عند مُعْتَرِكِ الْمَنَايَا وَقَدْ شَرِعْتُ أَسْتَهْأَ بَنَحْرِي
أَجْرَرُ فِي الْجَوَامِعِ كُلِّ يَوْمٍ فَيَا لِلَّهِ مَظْلَمَتِي وَصَبْرِي
كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطًا وَلَمْ تَكُنْ نِسْبَتِي فِي آلِ عَمْرُو

[أبو حنيفة وجار له كان يغني بشعر العرجي]

أخبرني محمد بن زكريا الصَّحَّاف قال حدثنا قَعْنَبُ بن المُحرز الباهلي عن الأصمعي قال : كان لأبي حنيفة جَارٌ بالكوفة يغني ، فكان إذا انصرف وقد سَكِرَ يُغَنِّي في غرفته ، ويسمع أبو حنيفة غناؤه فيُعْجِبُهُ . وكان كثيراً ما يغني :

[من الوافر]

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كرهية وسدادٍ ثغر

فلقيته العسس ليلة فأخذوه وحبس . ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، فسأل عنه من غدٍ فأخبر ؛ فدعا بسواده وطويلته فلبسهما ، وركب إلى عيسى بن موسى فقال له : إن لي جاراً أخذه عسسك البارحة فحبس ، وما علمت منه إلا خيراً . فقال عيسى : سلّموا إلى أبي حنيفة كل من أخذه العسس البارحة ، فأطلقوا جميعاً . فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سراً : ألسنت كنت تغني يا فتى كل ليلة : [من الوافر]

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

فهل أضعناك ؟ قال : لا والله أيها القاضي ، ولكن أحسنت وتكرمت ، أحسن الله جزاءك . قال : فعُدْ إلى ما كنت تغنيه ؛ فإنني كنت أنسُ به ، ولم أرَ به بأساً . قال : أفعُل . [عبد الله بن عليّ كان كثير التمثّل في حبسه بقول العرجي «أضاعوني»]

وقال إسحاق في خبره : لما حبس المنصور عبد الله بن عليّ ، كان يُكثر التمثّل بقول العرجي :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كرهية وسدادٍ ثغر

فبلغ ذلك المنصور ، فقال : هو أضاع نفسه بسوء فعله ، فكانت أنفسنا عندنا آثر من نفسه . [حكاية الأصمعيّ مع كنّاس بالبصرة]

قال إسحاق : وقال الأصمعيّ : مررتُ بكنّاسٍ بالبصرة يكنس كنيفاً ويغني : [من الوافر]

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كرهية وسدادٍ ثغر

فقلت له : أمّا سداد الكنيف فأت مليّ به . وأمّا الثغر فلا علم لي بك كيف أنت فيه ، وكنت حديث السن فأردت العبث به ، فأعرض عني مليّاً ، ثم أقبل عليّ فأشدّ متمثلاً : [من الطويل]

وأكرم نفسي إنسي إن أهنّتها وحقّك لم تكرّم على أحدٍ بعدي

قال فقلت له : والله ما يكون من الهوان شيء أكثر مما بذلتها له ، فبأي شيء أكرمتها ؟ فقال : بلى ، والله إن من الهوان لشراً ممّا أنا فيه . فقلت : وما هو ؟ فقال : الحاجة إليك وإلى أمثالك من الناس . فانصرفت عنه أخزى الناس . قال محمد بن مزيد : فحدثني حمادُ قال قال لي أبي : اختصر الأصمعيّ ، فيما أرى ، الجواب ، وستر أقبحه على نفسه ، وإلاّ فكُنّاس كنيف قائم يكنسه ويعبث به هذا العبث ، فيرضى بهذا الجواب الذي لا يُجيب بمثله الأحنفُ بن قيس لو كانت المخاطبة له ؟

[اقتصاص الوليد بن يزيد من محمد وإبراهيم ابني هشام]

وقال إسحاق في خبره : كان الوليد بن يزيد مُضطغناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلغه عنه في حياة هشام ، فلما وليَ الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأشخصا إليه إلى الشام ، ثم دعا بالسيّاط . فقال له محمد : أسألك بالقرابة . قال : وأيُّ قرابة بيني وبينك ؟ وهل أنت إلا من أشجع ؟ قال : فأسألك بصهر عبد الملك . قال : لم تحفظه . فقال له : يا أمير المؤمنين ، قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يضرب قرشي بالسيّاط إلا في حد . قال : ففي حدّ أضربك وقودٍ ، أنت أول من سنّ ذلك على العرجي ، وهو ابن عمّي وابن أمير المؤمنين عثمان ، فما رعيت حق جدّه ولا نسبه بهشام ، ولا ذكرت حينئذٍ هذا الخبر ، وأنا ولي ثأره ، اضرب يا غلام ؛ فضربهما ضرباً مبرحاً ، وأثقالا بالحديد ، ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة ، وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا ، وكتب إليه : احبسهما مع ابن النصرانية ، يعني خالد القسري ، ونفسك نفسك إن عاش أحدٌ منهم . فعذبهم عذاباً شديداً ، وأخذ منهم مالا عظيماً حتى لم يبق فيهم موضع للضرب . فكان محمد بن هشام مطروحاً ، فإذا أرادوا أن يُقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها . ولما اشتدّت عليهما الحال ، تحامل إبراهيم لينظر في وجه محمد ، فوقع عليه فماتا جميعاً ، ومات خالد القسريّ معهما في يومٍ واحد . فقال الوليد بن يزيد لما حملهما إلى يوسف بن عمر :

قد راح نحو العراق مشخّلبة	فصاره السّجن بعده الخشبة ¹
يركبها صاغراً بلا قتب	ولا خطام وحوله جلبه
فقلّ لدعجاء إن مررت بها	لن يُعجز الله هارب طلبة
قد جعل الله بعد غلبتكم	لنا عليكم يا دلدل الغلبة
لست إلى هاشم ولا أسد	ولا إلى نوفل ولا الحجة
لكنما أشجع أبوك سل الـ	كلبي لا ما يزوق الكذبة

[الرشيد وإسحاق حين غناه بيت العرجي]

قال إسحاق في خبره : غيّت الرشيد يوماً في عرض الغناء :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كرهية وسداد ثغر

فقال لي : ما كان سببُ هذا الشعر حتى قاله العرجي ؟ فأخبرته بخبره من أوله إلى أن

1 مشخّلبة : أداة تتخذ من الليف والخرز أمثال الحلي ، وقد تسمّى الجارية مسخّلبة بما عليها من الحلي أو الخرز .
والأبيات في ديوان الوليد بن يزيد (جمع وتحقيق ف . غابريلي) ص 21 .

مات ، فرأيتُه يتغيّظ كلّما مرَّ منه شيء . فأتبعته بحديث مقتلِ ابني هِشام ، فجعل وجهه يُسْفِر
وغيظه يسْكُن . فلما انقضى الحديث ، قال لي : « يا إسحاق ! والله لولا ما حدثتني به من
فعل الوليد لَمَا تركتُ أحداً من أمثال بني مخزوم إلا قتلته بالعرجي .
والصوت الآخر من رواية جحظة عن أصحابه :
[من الطويل]

صوت

إذا ما طَوَاكَ الدهرُ يا أُمَّ مالِكٍ	فشأنَ المنايا الفاضياتِ وشانيا
تمرُّ الليالي والشهورُ وتَنقضي	وحُبُّك ما يَزْدَادُ إلا تَمَاديا
خليلي إن دارتْ على أُمِّ مالِكٍ	صُرُوفُ الليالي فابغيا لي ناعيا
ولا تترُكاني لا لخيرٍ مُعَجَّلٍ	ولا لبقاء تَنْظُرانِ بَقائيا

الشعر للمجنون ، ومن الناس من يروي البيت الأول منها لقيس بن الحداية وهو جاهلي .
والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى . وذكر حبش وابنُ المكي أن فيه لإسحاق لحناً آخرَ من
الثقيل بالخنصر والينصر .

الفهرس

5	مقدمة التحقيق : أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني
5	I - أبو الفرج
5	1 - توطئة موجزة
5	2 - متى ولد علي بن الحسين ؟
6	3 - النسبة إلى أصفهان
6	4 - تشيع أبي الفرج
6	5 - المرحلة البغدادية
8	6 - وفاة أبي الفرج
9	II - مؤلفات أبي الفرج الأصفهاني مع التركيز على الأغاني
9	1 - كتب تجري في سياق الأغاني وربما استلّت منه
10	2 - كتب في الأنساب
10	3 - مؤلفات في مجالات أخرى
10	4 - دواوين جمعها
10	5 - كتاب الأغاني الكبير
16	المصادر والمراجع
16	المراجع الحديثة
23	مقدمة المؤلف
27	[1] - ذكر المائة الصوت المختارة
30	[2] - الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة
31	[3] - خبر أبي قطيفة ونسبه
46	[4] - ذكر معبد وبعض أخباره
62	[5] - ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه
167	[6] - أخبار ابن سريج ونسبه
214	[7] - ذكر نصيب وأخباره [108هـ]
245	[8] - أخبار ابن مُحَرِّز ونسبه
249	[9] - أخبار العُرجي ونسبه

